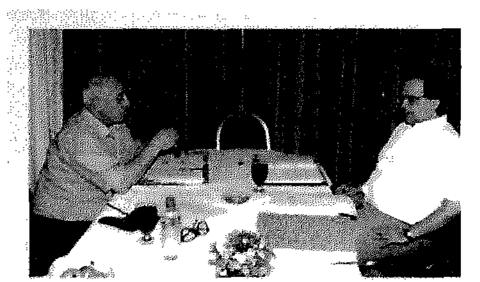
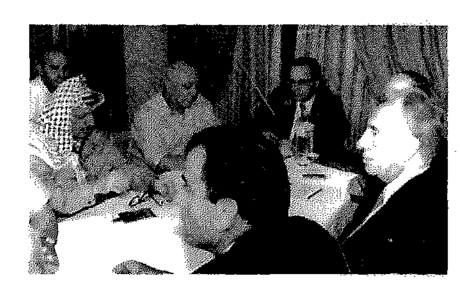
أوري سبير كبير المفاوضين الإسرائيليين

المسيرة

«حكاية أوسلو من الألف إلى الياء»

ترجمة : بدر عقيلي

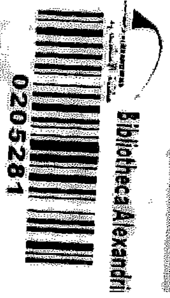














المســـــــــــــيرة.....

خفايا "أوسلو"... من الألف إلى الياء

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٨/٨/١٢٣٢)

رقـــــم التصنيف : ٩٥٦,٤٠٦

المؤلف ومن هو في حكمه: أوري سبير، ترجمة بدر عقيلي

عنوان الكتاب: المسيرة : خفايا أوسلو من الألف الى الياء

الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ

٢- فلسطين -التاريخ

بيانات النشر: عمان- دار الجليل

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية

طبع في شركة الشرق الأوســـط للطباعـــة- هـــاتف٤٨٩٤٩٤١

تصميم الغلاف: مازوقة

الطبعـــــة الأولى

١٩٩٨

دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية-عمـــــان
تلفون ٥١٥٧٦٢٧ فاكسميلي ٥١٥٣٦٦٨
ص.ب ٨٩٧٢ الرمز البريدي١١١٢١

أوري سـبير
كبـير المفـاوضين الإسـرائيليين في أوسـلو

المســــــــيرة٠٠٠٠٠٠

خفايا "أوسلو"٠٠٠٠ من الألف إلى الياء

تـــــرجمة :
بدر عقيلي



اصـدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية
عمان ـ ص.ب ٨٩٧٢
تلفون ٥١٥٧٦٢٧ ـ فاكسميلي ٥١٥٣٦٦٨

المحتويات

تقديم:

يكاد المرء أن يقفز من مكانه، وهو يقرأ تفاصيل التفاصيل، في حكاية أوسلو، بقلم عرابها الإسرائيلي أوري سبير، وإذ نرى مصداقية الرجل أكثر تجسيدا في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة صدور كتابه" المسيرة"، وحضره بيرس–سابير وأبو علاء، فإننا نضع علامات استفهام كبرى حول بعض الحيثيات، ليس تشكيكا في حدوثها، بل لانها، ربما،لا تتساوق مع مفاهيمنا المتواضعة، وثمة حاجة ملحة لتوضيحها فلسطينيا.

نفهم المأزق الفلسطيني الذي راكمته سنون طويلة من عمر زمن المعاناة والقهر والتشرد، وندرك مدى الإحباط الذي رافق مسيرة النضال الفلسطيني، منذ بداية البدايات، لكننا نفضل ألف مرة، شعار" لو بقيت أم فلسطينية واحدة لأنجبت شعبا"، على مماحكات تفاوضية تدور بأدق التفاصيل المملة، حول" هذه لنا وتلك لكم"، لأننا بذلك نجسد مقولة الإسرائيليين، المعتدلين جدا، الداعية إلى التخلي عن أجزاء من "أرض إسرائيل" مقابل السلام، وذلك يعني ببساطة، أن ما تقدمه الدولة العبرية، لا يعدو كونه منة، وليس حقا .... هذه واحدة أما الثانية، فإن "التنازل" الإسرائيلي لم يأت من فراغ بل نتاجا لاعمال المقاومة بكل فروعها وطقوسها.

نقرأ الكتاب، ونحملق بعبارات تتسم بالخبث الإسرائيلي المستند إلى صف خلفي من خبراء القانون، فيما تفوح منها روائح اللامبالاة، أو ربما جهالة المفاوض الفلسطيني ذلك أن "بريستيج" الزعامة طفا على السطح، مع أنه لا يعدل ذرة من تراب أو حق.

. الصداقات التي نشأت عبر"أوسلو" بين المفاوضين الإسرائيليين والفلسطينيين، وعبر عنها سابير في كتابه، بصيغ بيانية رائعة، هي مصلحة إسرائيلية لا ترتبط بالعواطف، فالغزل هنا، محاولة للحصول على الصيد، وليس تعبيرا عن الإعجاب والحب العذري.

نرفض بملء الفم مزاعم أن "أوسلو" وضعت القدم الفلسطينية على أرض الوطن وصولا إلى الدولة، من خلال "خذ وطالب"، بمثل الإصرار على رفض مقولة أن "حرب السلام" أشرس من "ساحة الوغى"، ذلك أن السلام لا يتحقق بمصطلحات الضعف العربي عامة والفلسطيني خاصة.

نتميز من الغيظ، ونحن نستعرض عبارات من مثل"الحرص الفلسطيني على الأمن الإسرائيلي" و"تنازل القيادة الفلسطينية عن تحديد حجم الانسحابات الثلاثة، مقابل مركز شرطة في الخليل" إلى الإيحاء بسطوة

بيرس على عرفات، وسابير على أبو علاء... ثم نتساءل وبقـــوة: هـــل حدث هذا فعلاً؟ إنه سؤال بحاجة إلى إجابة موثقة.

حكاية "أوسلو"، كما جاءت في كتاب سابير "المسيرة"، تعيدنـــا إلـــى الجدل البيزنطي حول" أيهما أفضل حزب العمـــل أم الليكـــود، وهـــذا فـــي اعتقادنا، مرادف لـــ"أيهما أكثر سوءا"؟

لا نشك للحظة، في أن الحزبين الكبيرين يتفقان فـــي النظـــرة إلـــى "أرض إسرائيل"، وإذ يعمد الليكود إلى رفع شعار القوة لفرض الأمر الواقع، فإن حزب العمل يطرح شعار رفض دولة يهودية بقوميتين"، وهـــو يبـــدي استعداده للتنازل، خاصة في المواضيع التي لا تشكل "إجماعا وطنياً" كقضية القدس، ولعل صعود نتنياهو على رأس الليكود والأحزاب المتطرفـــة إلـــى الحكم، حرمنا من متابعة ما سيؤول إليه الأمر، في الانسحابات والتســـوية الدائمة، فيما لو نجح حزب العمل ومرشحه لرئاسة الوزراء في الانتخابات.

عزاؤنا الوحيد، أن اتفاقيات اوسلو، ترقد في غرفة العناية المركـــزة، والعراب الإسرائيلي يصر على أنها تجتاز حالة ما يشبه الموت الدمـــاغي، ولا بد من نزع كل الأجهزة التي تتصل بأمل الحيـــاة سـعياً وراء دفنـــها. نحسب أن الزعامة الإسرائيلية، ستتحسر ذات يوم، علـــى "أوســـلو" التـــي تقاطعت مع أيدولوجيتهم، اذ سيكتشفون أنهم اختاروا طريق العـــذاب بـــدل السلام، وحينئذ ستفرض" ولات مندم" رتم الأحداث.

كتاب سابير" المسيرة"، ليس ككل الكتب التي تحدثت عـــن"أوســـلو"، ذلك ان الرجل كان رئيس طاقم المفاوضين الإسرائيليين الذي رصد بالحرف والكلمة دقائق أحداث المفاوضات مع الفلسطينيين، مـــن خـــلال تفـــاصيل مثيرة، سوف تتعامل معها عيون القراء بدهشة تصل حد الصدمة، يفيقـــون منها على حقائق التاريخ والجغرافيا، التي يرســـمها الشـــعب الفلســـطيني لاعادة الحق إلى نصابه بإيقاع مختلف تماما ولغة لا يفهم المحتل سواها.

"دار الجليل"

الباب الأول

-الإنفراج-

الفصل الأول

اللقاء الأول

- من خلف كواليس الحسم التاريخي-

عرفات: مفاوضات واشنطن محاولة لطحن الماء

إتفاق على الحديث عن المستقبل والتخلي عن الشجار حول العدل والظلم

بدأت الرواية بأكملها في ساعات ما بعد ظهر يوم الجمعة، الرابع عشر من أيار ١٩٩٣، فقد اتصل بي وزير الخارجية شمعون بيرس ، وطلب أن آتي إلى شقته الرسمية في القدس.

كان بيرس، قبل فترة قصيرة، قد اختارني مديرا لوزارة الخارجية ونظرا لأنني لم أكن آنذاك قد تجاوزت الأربعين، فقد أثار تعييني لي عاصفة شديدة. وعندما وصلت إلى شقته وجدته مستلقيا على أريكة، والى جواره رئيس مكتبه آفي جيل.

بادرني بيرس بالقول، هل تحب أن اقدم لك كاسا من النبيذ؟؟ فأومأت برأسي دلالة الموافقة، فنهض لاعداده، وسأل بصورة عرضية: ما رأيك في قضاء نهاية الأسبوع في أوسلو؟ حاولت إخفاء مشاعري، وأنا أسمع سؤاله، فقد كنت أدرك أن الذهاب إلى أوسلو يعني إجراء أول حوار رسمي مع ممثلي منظمة التحرير.

لقد كنت أعلم أن اثنين من الأكاديميين الإسرائيليين- يائير هيرشفيلد، ورون فوندك-يجريان، منذ خمسة اشهر، حوارات سرية وغير رسمية مع ثلاثة شخصيات رفيعة من منظمة التحرير، وهم: أحمد قريع(أبو علاء) وحسن عصفور، وماهر الكرد، وهم جميعا من مقربي ياسر عرفات.

ويرجع الفضل في بدء هذه الحوارات السرية إلى صديقي الدكتور يوسي بيلين الجريء داعية السلام الذي لا يكل. فقد عقد صداقة خلال عام ١٩٩٢ مع

الباحث النرويجي في علم الاجتماع (تاري لارسون) الذي كان يترأس مركز(أف آيه أف أو) النرويجي، والذي يعتبر أحد أهم المعاهد الأوروبية لأبحاث السلام، والذي تعمق في دراسات "شروط حياة الفلسطينيين في المناطق المحتلة".

وقد تمكن الاثنان-لارسون وبيلين- من دفع الأمور باتجاه بدء المحادثات غير الرسمية في العشرين من كانون الثاني، في النرويج، والتي مثلها عن الجانب الإسرائيلي البروفيسوران آنفا الذكر، وعن الجانب الفلسطيني الشخصيات الفلسطينية الثلاثة الذين أشرنا إليهم. وقد تمثل هدف هذه المحادثات في بلورة صيغة غير رسمية بشأن المبادئ الأساسية لصيغ السلام في المستقبل بين إسرائيل والفلسطينيين.

وسرعان ما اتضح خلال المفاوضات، أن المفاوضين الثلاثة- وعلى وجه الخصوص ارفعهم مقاما- أبو علاء، يتخذون عدة مواقف مفاجئة في مرونتها خلال الحوارات.

لقد كانت المواقف التي طرحها الثلاثة عملية أضعافا مضاعفة قياسا بالتعقيدات القانونية التي خلقها الوفد الفلسطيني الذي لا ينتمي إلى منظمة التحرير، خلال المفاوضات في واشنطن. ذلك الوفد الذي تم تشكيله من فلسطيني الضفة والقطاع، وتفاوض مع إسرائيل بصورة رسمية منذ مؤتمر مدريد، أواخر عام ١٩٩١.

استغرقت مفاوضات واشنطن شهورا طويلة، وآلت في نهاية المطاف إلى طريق مسدود وفي مرحلة معينة بعث آفي جيل- مدير مكتب بيرس- إلى بيلين وبيرس وإليّ، مجموعة من التقارير حول هذه المفاوضات، بعد أن شطب منها تاريخ إعدادها. ونظرا لأن المفاوضات، كانت تجري في واشنطن، على نار هادئة فإن أيا منا لم يستطع تحديد هامش الترتيب الزمني الذي أعدت فيه هذه التقارير.

ومن الجدير بالذكر، أن أبو عــلاء حــدد، فيمــا بعــد، مبدأيــن مــهمين مــن مبادئ المحادثات السرية الجاريــة فــي أوســلو، وقــد نــال هــذان المبــدآن إعجابنــا الشديد: التقدم بصورة عملية مــن القضايــا الســهلة إلــى القضايــا الصعبــة، وتعــاون فلسطيني إسرائيلي بصورة خاصة في المجــال الاقتصــادي.

لقد أثار التنــاقض الواضــح بيــن نمطــي مفاوضــات واشــنطن، وأوســلو، انطباعا لدينا، يشير إلى أن عرفات يلمح إلينــا بوضــوح إلــى أن: محادثــات واشــنطن لا تعدو كونها" محاولة لطحن المياه"، لزمــن لا يعلمــه الا الله، بيــد أنــه فــي أوســلو، أي في المكان الذي نتحاور فيه، مع ممثلــي منظمــة التحريــر، فإنــه علــى اســتعداد للتســوية، وتأسيســا علــى هــذا الانطبــاع، اعتقدنــا أنــه آن الأوان لاجتيــاز ســاعة الامتحان الحقيقيــة.

بيرس وضعنا في صورة الحــوارات التــي أجراهــا مــع رئيــس الحكومــة، اسحق رابين، بهذا الصدد، فقال: "أعلمت رابين بــأن المفاوضــات الســلمية علــى شــفا الانهيار، رغم أن الأرضية باتت ممــهدة للتقــدم".

تحدثنا في الكثير من الأحيان عن التنــاقض المــاثل علــى أرض الواقــع، فقــد طرأ تغيير واسع جداً على أرض الواقــع، فــي غضــون الســنوات الخمــس الماضيــة على الوضع في الشــرق الأوســط، إذ انــهار الاتحــاد الســوفيتي"الصديــق الحميــم"، ونصير الدول العربية ذات الأنظمة الراديكاليــة، وبــرز عــدد مــن التصدعــات فــي أوساط العالم العربــي فــي أعقــاب حــرب الخليــج، وإيــران منشــغلة فــي تصديــر الإرهاب، وتطوير المعدات الحربيــة غــير التقليديــة. وأصبحــت الأصوليــة الدينيــة، التي يعتبر الفقر مرتعاً خصباً لنموها- عــاملا مــهددا لغالبيــة الأنظمــة العربيــة فــي المنطقة، الأمر الذي حدا بالدول العربية للشــروع بــأخذ قضايــا التطويــر الاقتصــادي بعين الاعتبار بصورة جدية أكبر بكثير مما كــانت عليــه فــي الســابق، إضافــة إلــى التقديرات الاستراتيجية التقليديــة.

لقد بذلت جميع دول المنطقة -تقريبا- جهوداً واسعة لمغازلة الولايات المتحدة. وعملت على ابراز الاستقرار في أراضيها كوسيلة رئيسية لجذب رؤوس الأموال والاستثمارات الاقتصادية الأميركية.

لقد بدأت جهات عربية ترى في إسرائيل شريكاً في جهودها الجديدة. فالفلسطينيون أدركوا أن سني الانتفاضة لم تجن أي إنجازات سياسية. وبدت منظمة التحرير، وكأنها قد وصلت إلى نهاية الطريق، وإلى حالة الإفلاس، ثم جاءت حرب الخليج لتقويض التحالفات السياسية الإقليمية التي كانت سائدة في المنطقة، مما خلق انطباعاً يشير إلى أن الاستعداد العربي للتفاوض مع إسرائيل، قد نضج، وبات في متناول اليد.

وعلى خلفية كل هذه الأحداث والمستجدات، ولد مؤتمر السلام في مدريد، الذي تمخضت عنه مفاوضات واشنطن. بيد أن هذه المحادثات سرعان ما بلغت حد الجمود التام. وقد أبدى السوريون تصلبا أيديولوجيا وسياسيا شديدا. وبدا تقدمهم بطيئا جدا أو معدوما.

أما الأردنيون، فألمحوا إلى أنهم سينتظرون، طالما لم يحدث الانفراج المأمول مع الفلسطينيين.

وهكذا، شاعت المفارقات أن يصبح الفلسطينيون الذين يعتبرون أضعف حلقة في السلسلة بمثابة العامل الأساسي المحرك للمسيرة كلها. بيد أن المشكلة التي كنا نواجهها معهم تتمثل في أن الدكتور حيدر عبد الشافي يرأس طاقمهم التفاوضي ثم فيصل الحسيني، اللذين لم يحصلا على تخويل حقيقي للتفاوض.

وكل قضية تم طرحها خلال المفاوضات، كانت ترسل من الوفد إلى قيادة منظمة التحرير في تونس.

وبدا بوضوح، أننا نشارك في حفلة تنكرية رغم أننا لم نعترف بذلك آنذاك فالسياسة الإسرائيلية كانت ترفض، منذ زمن بعيد، إجراء أي مفاوضات مع منظمة التحرير وهاهم ممثلو إسرائيل، يجرون الآن، مفاوضات مع ياسر عرفات عبر أجهزة الفاكس.

قال لي شمعون بيرس إبان اللقاء آنف الذكر في بيته:" بات واضحا لنا من هي الجهة التي تدير المسرحية الفلسطينية، وقد قلت لرابين، أنني على استعداد للسفر إلى أوسلو، والالتقاء بممثلي منظمة التحرير سرا، والتعرف على نواياهم الحقيقية، نحن ملزمون بدفع المسيرة السلمية إلى الأمام، ولا جدوى من إضاعة الوقت سدى في واشنطن، من خلال الإدعاء بعدم مشاركة منظمة التحرير في المفاوضات".

وأضاف بيرس:" بدا بوضوح أن رابين أيضاً كان قد ضجر من مفاوضات واشنطن، بيد أنه كان يعتقد، أن من المبكر جداً الآن، إشراك وزير إسرائيلي في الاتصالات مع منظمة التحرير لذا، فإنه يفضل إرسال موظف رفيع المستوى إلى أوسلو، وقد وقع اختيارنا عليك أنت".

فغرت فمي كي أعقب على ما قاله، بيد أنه قال لي: انتظر لحظة، رابين يصر على شرطين للحوار: توخي السرية التامة، واستئناف المفاوضات في واشنطن، لأن هذه المفاوضات، يجب أن تظل المسار الرئيسي للمفاوضات. ويجب عليك أن تعلم الفلسطينيين بذلك، عبر الوسطاء النرويجيين، أوضح لهم، بصورة قاطعة، أنه إذا ما تسربت كلمة واحدة حول لقاءاتكم، فسوف تكون تلك هي نهاية مسار أوسلو".

أما فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية، فقد كلفني بيرس وبناء على مشاوراته مع رابين- بأن أطرح ثلاث قضايا، وقال:" قبل كل شيء، يجب على الفلسطينيين أن يوافقوا على أن القدس لن تدرج في إطار تسوية الحكم الذاتي. فإذا رفضوا ذلك، يجب أن يدركوا أنه لن يحدث أي تقدم.

ويجب عليهم ثانيا أن يتخلوا عن النمط التقليدي الذي يتبعونه، والذي ينص على عرض جميع الخلافات التي تحدث بيننا للتحكيم الدولي، فنحن لا نرغب في إدخال أي جهاز من أجهزة مجلس الأمن في الصورة، فمن المهم أن نعرف كيف نحل مشاكلنا بأنفسنا.

وبعد ذلك، سيمكننا أن نستوضح منهم ومعهم فكرة إقامة الحكم الذاتي في غزة أولا، والذي تستطيع زعامة منظمة التحرير الانخراط فيه".

كان بيرس يرفع، منذ زمن طويل، فكرة ضرورة فحص الحكم الذاتي للفلسطينيين، أولا في قطاع غزة، قبل توسيعها إلى الضفة الغربية وفي السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٩٢، طرح -بالتشاور مع اسحق رابين- اقتراحاً بهذه الروحية، خلال الحديث الذي أجراه مع الرئيس المصري حسني مبارك الذي قام بدوره بنقل الاقتراح إلى عرفات.

ويبدو أن منظمة التحرير كانت تنزع نحو قبول الفكرة بصورة مبدئية، بيد أن عرفات طلب إضافة أريحا إلى غزة، وسيطرة الفلسطينيين على أحد المعابر الحدودية على نهر الأردن. أو بمعنى اصح، فإنه أراد الحصول على موطئ قدم في الضفة الغربية، وعلاقة مباشرة مع الأردن. بيد أن رابين رفض إضافة أريحا إلى غزة، ورفض رفضا قاطعا تنازل إسرائيل، بأي صورة من الصور، عن السيطرة الإسرائيلية على أحد جسور الأردن. وأصر رابين على إبقاء جميع المناحي ذات العلاقة بأمن إسرائيل والضفة الغربية الخارجي، في أيدي إسرائيل. وقال: يجب على إسرائيل أن تسيطر سيطرة كاملة على جميع الخطوط الحالية.

وأضاف بيرس:" لذا من الأفضل أن تطرح فكرة-غزة أولا-، ولا تلزمنا بإضافة أريحا إليها. وفيما يتعلق بمسودة إعلان المبادئ، التي تمت صياغتها في أوسلو مع فوندك وهيرشفيلد، يمكنك أن تتفحص الجوانب المختلفة، لكن لا تبدأ المفاوضات وفقا لما هو وارد في المسودة نفسها. وبعد عودتك سنقرر كيف يمكن التقدم. هل كل شيء واضح لك؟؟.

بدا لي وجه شمعون بيرس، وقد اكتسى طابعا جديا أكثر مما أعرفه، فأومأت برأسي بالإيجاب، فقال:" ليحالفك النجاح".

أعلمنا النرويجيون، في غضون يومين، أن منظمة التحرير توافق على الشرطين اللذين طرحناهما لإجراء اللقاء القادم في أوسلو، وهما: السرية التامة،

واستئناف المفاوضات فـــي واشـــنطن، وحينئـــذ بـــدأت دراســـة المســـتندات والوثـــائق الموجودة حول مسار أوســـلو.

نزولاً عند توجيهات بيرس، تم ترتيب إجـــراءات ســـفري إلـــى أوســـلو عـــبر مكتب يوسي بيلين. وكانت الحـــوارات غـــير الرســـمية أجريـــت فـــي أوســـلو، خـــلال الأشهر الماضية، قد هدفت إلى بلـــورة تصـــور مبدئـــي حـــول التعـــاون، مـــع تطبيـــق التسويات بصورة تدريجيـــة.

وفي تبريري لســـفري، قلـــت لموظفـــي مكتبـــي أننـــي متوجـــه إلـــى فرنســـا لإجراء مفاوضات اقتصادية، وسأنضم، كما يبـــدو، بعـــد ذلـــك، إلـــى زوجتـــي علـــيزة الموجودة في مدينة(كان) لحضور مهرجان الســـينما. وكـــانت زوجتـــي ســـتتوجه إلـــى هناك بحكم عملها كرئيس لشـــعبة الفنـــون فـــي وزارة الخارجيـــة بيـــد أننـــي ألمحـــت لابنتي، بأن هذه الرحلة لن تكـــون رحلـــة عاديـــة. ومـــن الجديـــر بـــالذكر، أن ابنتـــي (مايا) -التي أنـــــهت خدمتـــها العســـكرية لتوهـــا- كـــانت تؤيـــد ،بحمـــاس بـــالغ، أي نشاطات لدفع المسيرة الســـلمية إلـــى الأمـــام فقـــد رافقتنـــا منـــذ ســـن الرابعـــة فـــي المظاهرات السلمية التي كنا نشارك فيها، وتبنـــت وجـــهات نظرنـــا القائلـــة بضـــرورة إجراء حوار مع منظمة التحرير، وبأهمية هذا الحوار. ولـــم أكـــن قـــادرا علـــى البـــوح لها بشيء، بيد أنني أردت أن تدرك أن أحد آمالنا على وشك التحقـــق، لـــذا، قلـــت لـــها قبل سفري بيـــوم أو يوميـــن، بصـــورة عارضـــة:" هـــذه الرحلـــة مهمـــة " فتســـاءلت بفضول: إلى أي حد هي مهمة، فقلت" إنـــها أهـــم رحلـــة" ويخيـــل إلـــيّ أنـــها أدركـــت قصـــدي.

وقبل سفري، زرت بيلين في بيته، لقد انتظرنـــــا طويـــلا هـــذه اللحظـــة، منـــذ منتصف الثمانينـــات، عندمـــا شـــغل بـــيرس منصـــب رئيـــس الحكومـــة لأول مـــرة، واشتهرنا نحن باسم" شبيبة بيرس"، وكنا خمسة مســـاعدين شـــبان معبئيـــن بـــالحوافز".

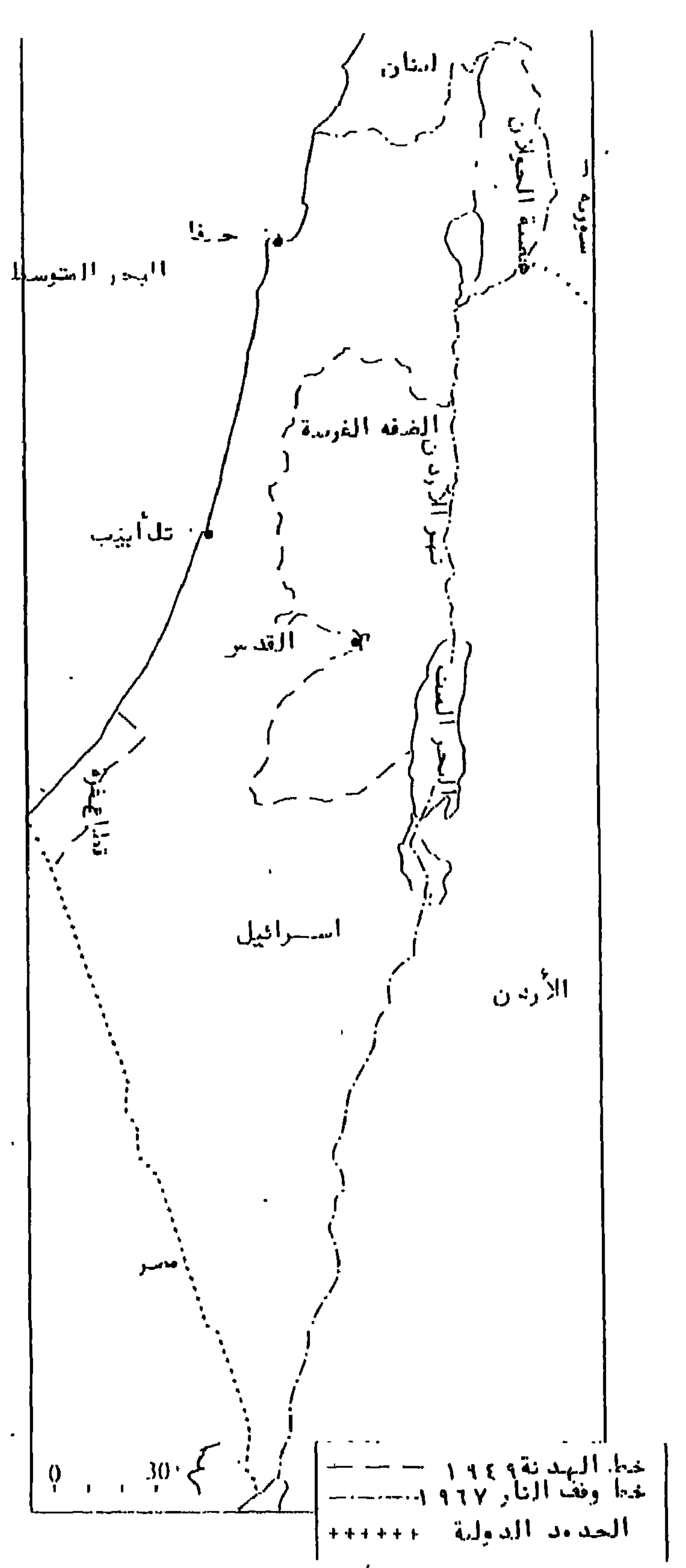
كان يوسي بيلين -الذي عمل مع بـــيرس، منـــذ الانقـــلاب الـــذي حـــدث عـــام ١٩٧٧ وأوصل الليكود إلى السلطة- آنذاك ســـكرتيراً للحكومـــة. وتـــم اســـتدعائي مـــن

نيويورك، حيث كنت أعمل ناطقا باسم القنصلية الإسرائيلية هناك، كي أعمل كناطق رسمي لبيرس.

شعرت، وأنا بصحبة بيلين، بعدم الارتياح، جراء توجهي إلى أوسلو، وبقائه هو في إسرائيل، فهو صاحب الفضل في خلق مسار أوسلو، رغم المخاطرة التي جازف بها، والتي كان بالإمكان أن تكلفه مكانته السياسية بيد أن بيلين أكد لي أنه شديد الارتياح لما يحدث. لقد كان كبيرس قد تنبأ بالمستقبل.

أقلعت طائرتي في العشرين من أيار، في طريقها إلى باريس. وإثر إقلاع الطائرة، سجلت لنفسي عدة أسطر لتكون نبراساً لي حول بدء الحوار. ثم تناولت تقرير وزارة الخارجية، والذي كان يتضمن معلومات حول الشخص الذي سأقابله بعد عدة ساعات(أبو علاء)، وقد عرفت من التقرير، أنه يناهز الخمسين، وقد بدأ حياته كموظف بنك، وترأس مؤسسة (صامد) والتي تعتبر بمثابة الشبكة الاقتصادية لمنظمة التحرير. كما ترأس العديد من الهيئات الأخرى التي كانت تقوم بأعمال تمويل نشاطات اقتصادية واجتماعية في الضفة الغربية.

ولد أحمد قريع في أبو ديس المتاخمة للقدس، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية عمل في الأردن والسعودية، وانضم إلى مؤسسي حركة فتح، وفي عام ١٩٦٧-في أعقاب انتهاء الحرب- تفرغ للعمل في منظمة التحرير بوظيفة كاملة، وكرس عمله في المجال الاقتصادي ومنذ ذلك الحين، نقل مكان سكنه من دولة إلى أخرى، فعمل في الخليج، وبيروت، وقبرص وتونس ومع مرور الزمن أصبح أحد المقربين للرئيس الفلسطيني عرفات، وأكثر من العمل مع محمود عباس -أبو مازن-، وهو الرجل الذي كان مسئولا، في غضون السنوات الخمس الماضية، عن العلاقات غير الرسمية بين إسرائيل ومنظمة التحرير.



الخارطة الأولى : اسرائيل، الضفة الغربية، وقطاع غزة

وصفت أجهزتنا أبو علاء كشخص برغماتي، وذكي وماكر، وقد كان موجها للمحادثات متعددة الأطراف، التي جرت إثر مؤتمر مدريد، من وراء الكواليس، نظرا لعدم مشاركة منظمة التحرير في المفاوضات آنذاك. وكان يوجه، من غرفته في الفندق، الوفد الفلسطيني- الذي لا ينتمي إلى منظمة التحرير- لما يجب أن يقوله.

وتساءلت بيني وبين نفسي، فيما إذا كان قد تورط خلال سني عمله في أعمال"الإرهاب" التي مارستها منظمة التحرير؟؟ ورغم أن ملفه الذي كان بين يدي لم يتطرق إلى هذا الجانب أبدا، الا أنني لم استطع منع نفسي من التساؤل فيما إذا كان على معرفة مسبقة بعمليات قتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ، أو عملية (معالوت) و"كريات شمونة" الدمويتين؟ وراودتني الكثير من الأفكار حول العمليات الإرهابية، وسفك الدماء، والاحتلال، والتوق إلى السلام، واللقاء القريب مع هذا الرجل.

كانت أمامي مهمة صعبة للغاية، ولم أبدأ بعد الخطوة الأولى.

استقبلني في مطار، شارل ديجول، في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا، اسحق آلون الملحق في السفارة الإسرائيلية بباريس، وفي طريقنا إلى فندق(بولتيمور) أخبرته أنني سأتوجه إلى مدينة(كان) للقاء زوجتي، واقترحت عليه أن نلتقي في ساعات المساء من يوم السبت في الفندق. وحال وصولي إلى الفندق وضعت على باب الغرفة المخصصة لي يافطة" أرجو عدم الإزعاج"، وسارعت مجددا إلى الشارع وتوجهت إلى المطار من جديد، وهناك وجدت رون فوندك بانتظاري.

وفي طريقنا إلى كوبنهاجن، وصف فوندك لي الشخصيات الفلسطينية الذين سنجتمع بهم والجرأة التي يتحلون بها، وأدبهم الجم، واعتدالهم. واعتقدت أنه يتوقع مني أن أقابلهم بالمثل.

وما كدنا نصل باب الطائرة في كوبنهاجن، حتى وجدنا مجموعة من الإيرانيين تهم بصعود الطائر، فرشقت فوندك بنظره تحذير، رد الي مثلها، ثم

انفجرنا، نحن الاثنين، بالضحك من الشكوكية التي نحملـــها، نحـن الإسـرائيليين، لكـل مكان نذهب إليه. ولا شك أن شكوكيتنا كانت في محلـــها، فتـهديدات "الإرهـاب" التـي تواجهنا تحت رعاية الإيرانيين، كانت تسكن عقولنا وقلوبنا، وقـــد اتضـح، فيمـا بعـد، أن هذا الإرهاب سيظهر كثقل موازٍ أساسي للمســيرة السـلمية كلـها.

وحينمـا هبطـت الطـائرة وجدنـا هيرشـفيلد بانتظارنـا، وبصحبـة تـاري لارسون، والذي شعرنا بمـرور الأيـام، بالارتيـاح الشـديد لكفاءاتـه النفسـية الفـذة، والتي استخدمها بأناة ترويجية لا تعرف الحـدود، بـل أن أصعـب العوائـق والمشـاكل التي واجهتنا، لم تجعله يفقد صـبره وأناتـه.

أخذنا لارسون إلى غرفة الشخصيات المهمة فـي المطـار، واهتـم بـأن تمـر الإجراءات بسرعة وأن يعفينا من الكثير من المراسيم التي كــان علينـا اجتيازهـا.

قال لارسون :" سنغادر المطار من الباب الخلفي وســنتوجه إلـى شـقة آمنـة تبعد حوالي نصف ساعة سفر هذا في الوقت الذي قامت زوجتـــه مونــه يـول- وهـي أيضا دبلوماسية ناجحة- بمرافقة الفلســطينيين إلـى هنـاك. وقـد جلسـت إلـى مقـود السيارة التي أقلتنا، أحـد أعضـاء معـهد(أف آيـه أف أو) وحارسـان مـن الشـرطة السرية النرويجية. لقد تم التخطيط لجميع التفاصيل بدقـــة بالغـة للغايـة.

استهل لاريسون الحديث حول(روحيـة أوسـلو) مثلمـا اسـماها- وبـدا لـي بوضوح أنه يعتبرني تكنوقراطيا شابا رابط الجأش، وربمـا صلبـا أكـثر ممـا تتطلبـه المهمة التي نحن بصددها- قال لاريسون: يجـب أن تكـون الحـوارات غـير رسـمية، تماما مثلما كان الامر مع الأكاديميين السـابقين. إن النتـائج التـي خلصنـا إليـها، فـي مسار أوسلو، هي نتائج للحلول الخلاقـــة والمبدعـة لمسـار التفكـير الحـر، وليسـت نتاجا للجدل التقليدي بين طرفين متصلبين، وبـــدا واثقـا، مـن أن الأجـواء النرويجيـة المريحة، ستلقي بظلالها علينا، وامل فــي أن ننجـح فـي خلـق مزيـج مـن أوسـلو وإسرائيل. وقال:" الفلسطينيون متـــأثرون كالأطفـال".

أدركت ما الذي يسعى إليه، بيد أنني كنـت متوتـرا، إلـى الدرجـة التـي لـم أرغب فيها القيام بمحاولة لاقناعــه.

وصلنا إلى (لهفتي لودج) أحد منازل الضيافـــة النرويجيــة، وجلســنا بصمــت دون أن ينبس أي منا ببنت شفة، وبعد لحظات، ســمعنا طرقــات خفيفــة علــى البــاب، ودخلت(مونه) بشخصيتها الساحرة، وتبعها الفلســطينيون الثلاثــة واحــدا اثــر الآخــر، وسارعت أنا وفوندك وهيرشفيلد للوقوف علـــى أقدامنـــا، وكأننــا فــي حفــل اســتقبال رسمي، وفجأة وجدت أبو علاء يقــف فــي مواجــهتي، وبــادرني لاريســون بــالقول: أرجو أن تتعرف على عدوكم الأول، أحمد قريع، المعروف باســم أبــو عــلاء.

فاجأني منظر الرجل، بنظاراتــه الســميكة، والتــي لــم تتمكــن مــن إخفــاء نظراته النفاذة، وحلته الرسمية، والتي أبدته في صورة رجـــل أعمــال أوروبــي، أكــثر منه زعيما لعمل ســري.

تمتم أبو علاء وهو يصافحني:" لطيف أن أتعــرف عليــك"، وحــدق كــل منــا في الآخر بعصبية مع إدراكنا التام لمغزى هذا اللقاء الــذي لــم يســبق لــه مثيــل. ثــم ساد صمت تام في الغرفة، قطعة تـــاري بــالقول:" أرجــو أن تتعــرف علــى عدوكــم الثاني حسن عصفــور.

بدا الرجل وكأنه يناهزني في العمر، ورأيت فــي عينيــه بريقــا غاضبــا إلــى حد ما، وكنت أعرف أنه شيوعي ســـابق، وأحــد أعضــاء الجبهــة الشــعبية لتحريــر فلسطين، التي يترأسها جورج حبش، وقد ســبق لــه أن ســجن فــي ســورية قبــل أن يصبح مستشارا سياسيا لأبو مـــازن.

وعندما ازدادت معرفتي بهذا الرجل، فيما بعد، خيــل الــيّ أنــه ممــزق بيــن فكرين. اشمئزازه من الغطرسة التـــي يعزوهـــا إلـــى إســـرائيل مـــن جـــانب، وإيمانــه بإمكانية صنع السلام معها من جـــانب اخـــر.

أما العدو الثالث الذي قدم اليّ، فهو ماهر الكرد-٦٠ســـنة- وهــو شــخص فــي غايــة الأدب، وقد أثار لدي انطباعا فوريا، بأنه يصلـــح لأن يكــون مديــرا لمدرســة ألمانيــة. واتضح لي فيما بعد، أنه درس في إحدى جامعـــات ألمانيـــا الشـــرقية، قبــل أن يصبــح مستشارا اقتصاديا لعرفـــات.

وشعرت أن البرود الذي ساد لقائي الأول بهم قد ذاب، إلى حد ما، عندما قام فوندك وهيرشفيلد بمعانقة الثلاثة، الذين التقوا بهم المرة تلو الأخرى، في غضون الأشهر الخمسة السابقة.

قام لاريسون فجأة، وخلع معطفه، وعرض علينا أن نفعل مثله، وأدركنا أنه يحاول تخفيف حدة التوتر القائم، بيد أن هذه المحاولة باءت بالفشل. فقال وهو يتجه إلى الباب، أنا موجود في الطابق الأسفل، سأترككم وحدكم، وإذا لم تستطيعوا التفاهم. أرجو أن تدعوني للعودة.

وهكذا، جلسنا نحن الستة على جانبي طاولة العمل، وقمت أنا بإخراج المذكرة التي كتبتها في الطائرة، وبدأت أقرأ الملاحظات على الفلسطينيين، كي لا يسيء أي شخص في تونس فهم نوايانا، وقام الفلسطينيون بتسجيلها واحدة تلو الأخرى.

وقد بدأت كلامي بالإعراب عن الارتياح نظرا لقدرتنا على التحاور وجها لوجه، وشكرت الحاضرين على الجهد الذي بذلوه خلال اللقاءات السابقة، وقلت:" إن هدف الحكومة المنتخبة في إسرائيل، يتمثل في إحراز مصالحة تاريخية مع الشعب الفلسطيني، ولسنا معنيين إطلاقا بإحداث تغيير جمالي فقط في الوضع الراهن، ولا نرغب في التحكم والسيطرة على حياتكم، ومصلحتنا تكمن في السلام والأمن والانفراج، سوية معكم، واحلال السلام في المنطقة كلها".

وأضفت ..."لقد فرض الاحتلال على إسرائيل عام ١٩٦٧، وهدفنا الأخلاقي والسياسي يتمثل في التحرر والانعتاق من هذا الوضع، بصورة تضمن الحرية للفلسطينيين، وتوفر الأمن لإسرائيل".

وفي أعقاب هذه المقدمة، طرحت الشرطين اللذين أصر عليهما بيرس ورابين، فأكدت، بادئ ذي بدء، أن القدس ستكون خارج الحكم الذاتي الفلسطيني، وقلت:" القدس هي بؤرة أخلاقياتنا الوطنية، وإذا كانت هذه القضية مفتوحة للمفاوضات، فلن نتمكن من إحراز أي تقدم.

"أما فيما يتعلق بالتحكيم الدولـــي، فيجـب عليكـم أن تقـرروا، فيمـا إذا كنـا سنعمل كشركاء ونسوي خلافاتنا في الرأي، فيمـا بيننـا، غـير الحـوار أم أنـه يجـب علينا أن نطلب وسطاء فـي صـورة مجلـس الأمـن الدولـي، ونصـل، فـي نهايـة المطاف، إلى كومة كبيرة من القرارات، التـي لـن تعـدو كونـها أكـثر مـن أرقـام متسلسلة دون جـدوى.

"وإذا كنتم توافقون علـى هذيـن الشـرطين، فسـوف أوصـي أمـام رئيـس الحكومة اسحق رابين، ووزير الخارجية شـمعون بـيرس، بالشـروع فـي مفاوضـات توطئة لبلورة إعلان مبادئ مقبول لـدى الطرفيـن".

وفي ختـام كلمتـي أوضحـت أن الخـط الـذي يوجـهنا فـي تعاملنـا مـع المفاوضات، يتمثل في التقدم على مراحل، وأننـا نرغـب فـي أن نطبـق أول النتـائج في قطاع غزة، وامتنعت عن الإشارة إلـى أريحـا.

وأضفت... مـن وجهـة نظرنـا، يجـب أن يتـم التركـيز علـى الجـانب الأمني، ويجب أن يكون واضحا تمامـا، أن علـى منظمـة التحريـر أن تكـف تمامـا عن ممارسة أي أعمال إرهابيـة، كمـا أن هنـاك زخمـا كبـيرا جـدا، علـى صعيـد التعاون الاقتصادي ويجب أن نعمل على ترجمتـه إلـى لغـة العمـل لقـد لاحـت لنـا جميعا فرصة تاريخية، لا يجب أن نضيعها، بأي حـال مـن الأحـوال".

نهض أبو علاء مـن مقعـده، واسـتهل الحديـث بـالقول: "زميـلاي وأنـا، والزعامة الفلسطينية في تونس، نشعر بالسرور جراء وصـول الاتصـالات بيننـا فـي نهاية المطاف إلى المرحلة الرسمية، لقد أنجزنـا عمـلا مـهما مـع صديقينـا فونـدك وهيرشفيلد. وسأشعر بالسرور البـالغ، إذا مـا أعلمـت مسـئوليك أن نوايانـا ونوايـا الرئيس عرفات، جديـة".

حال سماعي اسم عرفات شعرت بإحساس غريـب ينتـابني، فقـد كـان مـن الصعب علي، بداية، أن أفكر فيه كشخص سـيصبح جـزءا مـن روتينيـة مفاوضـات. ويبدو أن أبو علاء قرأ أفكـاري لـذا واصـل الحديـث قـائلا: "لا توجـد أي فرصـة

للتقدم نحو السلام دون منظمة التحرير وزعامتـــها، حيـث لا تملـك أي جهـة أخـرى الصلاحية والشرعية المطلوبة للتحدث باســم الشـعب الفلســطيني".

وأضاف بجدية ظاهرة للعيان:" نحن نرغـب فـي التعـايش معكـم، ونرغـب في التعاون معكم، من أجل تطوير المنطقة واحيـاء خطـة (مارشـال) شـرق أوسـطية وبذلك، نستطيع أن نفتح الطريق أمامكم إلى العـالم العربـي، وتنفتـح الطريـق أمامنـا نحو الحرية. إن الوضـع القـائم فـي المنـاطق المحتلـة، هـو وضـع يـائس علـى الصعيدين السياسـي والاقتصـادي، فـي آن واحـد، والزمـن يمضـي بسـرعة دون عـودة".

واعترف أبو علاء، بأن مفاوضات واشنطن آلـت إلـى طريـق مسـدود، بيـد أنه وعد باستمرارها. وفي معرض تطرقـه للبنديـن (الشـرطيين) اللذيـن طرحتـهما، قال: إن عليه التشاور مع الزعامة فـي تونـس.

وأضاف ،،في كل ما يتعلـق بـالأمن، لـدي أوامـر صريحـة مـن الرئيـس عرفات في التوصل معكم إلى اتفاق حول جميـع مناحيـه".

توقف أبو علاء للحظة، ثم توجه إلي بصورة مباشرة، وقـال: قـل لـي سـيد سبير لقد سمعت تصريحات إسرائيلية تقول أنكـم تعتـبرون منظمـة التحريـر بمثابـة خطر على وجودكم، وأنا أريد أن أفهم هذه النقطة. فإسـرائيل هـي دولـة عظمـى فـي المنطقة، ووفقا لما تنشره وسائل الإعـلام الدوليـة، فـإن إسـرائيل هـي أيضـا دولـة عظمى نووية، ولديكم أفضل سـلاح جـو فـي العـالم، وعـدد هـائل مـن الدبابـات، وأفضل جهاز استخبارات في العـالم، وأحـد الجيـوش البريـة الكبـيرة وذات القـدرة الهائلة. وأنتم تطلقون علينا لقب مخربين، في حين نسـمى أنفسـنا مقـاتلي حريـة، ولا نملك سوى حفنـة مـن بنـادق الكلاشـينكوف والقنـابل اليدويـة، وسـيارات الجيـب والحجارة. فهل يمكنك أن تقـول لـي كيـف يمكننـا أن نشـكل خطـرا علـى وجـود إسرائيل؟؟ ولماذا لا نرى نحن الأمور على العكس تمامـا ممـا تقولـون؟

بدا أبو علاء راضيا عن نفسـه، فقـد طـرح الـرأي الفلسـطيني بوضـوح، حيث أبدى فيه الفلسطينيون في صورة داود، والإسرائيليين فـي صـورة جوليـات.

لقد أدركت، فيما بعد، أن الفلسطينيين يفـــهمون التــوازن بيننـــا وبينـــهم حقـــا، مثلما طرحه أبو علاء:" قزم يقف في مواجهـــة عمـــلاق". ومثلمـــا يحـــدث فـــي العديـــد من النزاعات كل طرف يعتبر نفســـه الضحيـــة.

وبعد لحظة تفكير خاطفة، قلت له:" أنتم تشـــكلون خطـــرا لأنكـــم تريـــدون أن تسكنوا في بيتـــي".

-أبو علاء: من أين أنـــت؟؟

-أنا: من القـــدس.

-أبو علاء: أنا أيضا من القدس. ومن أيـــن والـــدك؟

-أنا: لقد ولد في ألمانيـــا.

-أبو علاء: لقد ولد أبي في القدس، ولا زال يعيـــش هنـــاك.

-أنا:" ولماذا لا تسأل عن أجدادي، أنا أســـتطيع أن أقـــول لـــك أن ســـلالتنا تعـــود إلـــى الملك داود". ولم أخف غضبي:" أنا واثق أننا قـــادرون علـــى التجـــادل حـــول المـــاضي سنين طويلة، ثم لا نصل إلى أي اتفاق. لذا قـــد يكـــون مـــن الأجـــدى أن نتفـــق حـــول المســـتقبل".

-أبو علاء: موافـــق.

وهكذا توصلنا إلى أول تفـــاهم بيننـــا، ينـــص علـــى أن لا تجـــري أي جـــدال حول الماضي. لقد كان هذا الاتفاق بمثابة خطوة مهمة نظـــرا لانـــه وضعنـــا خلـــف أي محاولة للشجار حول العدل والظلم. إن الســـعي لمناقشـــة مـــا ســـيؤول إليـــه المســـتقبل يعني البحث عن الحلول في خضـــم المصـــالح والحقـــوق للطرفيـــن، وليـــس الـــدوران والمراوحة المكانية في دوامة الحديث عن الظلـــم القديـــم.

قلت لأبو علاء: أريد أن أرجع إلى ما قلته أنت حول أمننـــا، مثلمـــا يبـــدو الان.

أبو علاء: رفض الاعتراف بإسرائيل لن يمنحنا الحرية
وسيطرتكم علينا لن توفر لكم الأمن
رابين عكف على اختبار نوايا الفلسطينيين
وبيرس عمد إلى إثارة خيالهم

وضعت ورقة على الطاولة، وشرعت في رسم خارطة لإسرائيل والمناطق المحتلة، ثم رسمت خارطة للعالم العربي المحيط بنا. وقلت:" لقد كفرتم، أنتم الفلسطينيين، بوجودنا كدولة، ومنذ ولادة إسرائيل، كان رفض وجودنا هو الذريعة التي طرحها العالم العربي لمحاربتنا". وأشرت إلى الخارطة الموضوعة أمامي، وقلت: هذه هي معادلة الأمن الحقيقية:" عدت إلى مقعدي، وجلست بارتياح بعد أن أوضحت لأبو علاء، من هي الجهة التي كانت (داود) على أرض الواقع.

بيد أن أبو علاء رد علي بصورة موضوعية قائلا:" أعتقد أننا وصلنا إلى لب المشكلة لقد تعلمنا بأن رفض الاعتراف بوجودكم لن يمنحنا الحرية، وأنتم ترون أن سيطرتكم علينا لن توفر لكم الأمن، لذا يجب علينا أن نتعايش، أحدنا إلى جانب الآخر بسلام ومساواة وتعاون وهذا هو أيضاً رأي زعامتنا في تونس.

قلت في محاولة لخلق قاعدة مشتركة لمواصلة الحوار:" أوافقك بصورة مبدئية على ما قلته. ونحن بحاجة إلى تقدم على مراحل، ولبلورة الصلة الجديدة من العلاقات، والتي يمكن، من خلالها، تطوير سلام وأمن وازدهار اقتصادي. إننا بحاجة إلى خريطة طرق جديدة، قادرة على قيادتنا إلى الثقة المتبادلة".

ذكرت أبو علاء بأن عددا لا بأس به من الإسرائيليين، يحتقر منظمة التحرير، ويشك في مصداقية زعامتها،"بيد أننا، نعتزم وبجدية، فتح صفحة جديدة وبناء الثقة بيننا بصورة تدريجية. وبمقدورنا أن نبدأ الحوار حول الوثيقة التي توصلتم إلى إعدادها مع فوندك وهيرشفيلد، بيد أنني أريد أن أعرف أولاً ردك على قضية القدس والتحكيم الدولي. أضف إلى ذلك، أن من الأهمية بمكان أن

تظل حواراتنا سرية أيضاً، في المراحـــل القادمـــة. أي تســريب ســيجعل هــذه القنـــاة مستحيلة، على الصعيد السياســـي".

انفجر أبو عـــلاء بـــالضحك، وقـــال:" لا يجـب أن تخشـوا منـــا علـــى هــذا الصعيد، وقلقنا ينصب على صحافتكم، فـــهي تعـــرف أشـــياء، حتـــى قبـــل أن تحـــدث". واقترح أبو علاء إرجاء الحـــوار حتـــى يتمكـــن مـــن الاتصـــال بقيادتـــه فـــي تونـــس، ويعلمها بفحوى الحوار الذي دار بيننـــــا.

كانت الساعة قـــد شـــارفت علـــى الرابعـــة تقريبـــا عندمـــا نـــهضنا جميعـــا، وتصافحنـــا، ونزلنـــا إلـــى الطـــابق الأرضـــي، وهنـــاك وجدنـــا لاريســـون وزوجتـــه بانتظارنا فتساءل بقلـــق:

ما الذي حدث؟ فقال أبو علاء: "لم يعد هناك مـــا يمكـــن الحديـــث عنـــه وســـنعود إلـــى تونس". وقلت أنا:" لقد انتهى كل شـــــيء.

بدا لاريسون شديد القلق ولم يعـــرف فيمـــا إذا كنـــا نمـــزح أم نحـــن جـــادون، لكننا جميعا انفجرنا بالضحك، وهدأنا روعـــه. لقـــد كـــان مـــا حـــدث أمـــام لاريســـون، نموذجا لما سيحدث مرات عديدة بعد ذلك، كلمـــا آلـــت الأمـــور إلـــى عـــائق يصعـــب تجاوزه، وتوقفت المفاوضات توقفـــا حرجـــا.

أخذني لاريسون وزوجته إلى منزلهما لأحل ضيفـــا عليـــهما. وكنـــت ارغـــب في إعلام بيرس بفحوى ما دار، فهو الرجل الـــذي أتـــاح فرصـــة الانتقـــال إلـــى هـــذه المرحلة الرسمية من الحوار مـــع منظمـــة التحريـــر، كجـــزء مـــن خطـــة فضفاضـــة وواسعة للسلام والازدهار الاقتصادي فـــي الشـــرق الأوســـط والتـــي كـــانت تســـتحوذ على كل تفكيره. بيد أن ضرورة الســـرية حـــالت دون اتصـــالي بإســـرائيل. وخرجـــت إلى شرفة غرفتي، ووجدت أفكاري تنتقل إلـــى أبـــي. (ليئـــو ســـبير) وهـــو صـــهيوني متحمس، ومثقـــف فطـــن وكـــان دبلوماســـيا منـــذ الـــولادة، وأحـــد مؤسســـي الخدمـــة الإسرائيلية في الخارج. وقد اعتبر الاحتلال الإســـرائيلي، منـــذ اللحظـــات الأولـــى، فـــي الضفة الغربية وقطاع غزة، كارثة ستؤدي إلـــى تدمـــير الجـــانب الأخلاقـــي والإنســـاني في دولة إسرائيل، وهو الجانب الذي اعتبره شديد الحيويـــة لبقـــاء اليهوديـــة.

وفي نهاية السبعينات، دعي والدي لإجراء حوار بين إسرائيل ومنظمة التحرير، ولم يكن متوهما أبدا في تحديد ماهية المنظمة، بيد أنه اعتبرها الممثل الحقيقي لاكبر واخطر أعداء إسرائيل واعتبر التحاور مع"العدو" عندما يصبح هذا العدو على استعداد لذلك- بمثابة اختبار لنضج إسرائيل وأن عدم التفكير في التحاور مع المنظمة، يرجع إلى المخاوف الكامنة في صدورنا، وأن هذه المخاوف، هي التي قادت مناحم بيغن لتشبيه عرفات بهتلر.

وكان أبي يعتقد أن إسرائيل قوية بما فيه الكفاية كي يجعلها قادرة على التحاور مع اعدائها. وكان يقول: إذا كنا نخشى عمل ذلك، فسوف نكون قد أخطأنا في حق الصهيونية، بوصفها"جهدا تاريخيا للترفع" فوق عقدة الغيتو. لقد اعتبر أبي النزوع اليهودي لاكتشاف اللاسامية، في كل مكان وبقعة، بمثابة مرض واعتقد أيضا، أن اليهود في أمس الحاجة إلى دولة قوية، ليس فقط لضمان البقاء، بل أيضا كي تسهم في تغيير التوجهات الشائعة تجاه اليهود، ومن ضمنها شعور الشعب اليهودي تجاه نفسه. وكان يؤمن إيمانا قاطعا بضرورة تطبيع علاقاتنا مع العالم. وكان يجد من الصعب عليه، أن يستوعب أن أمة صغيرة كأمتنا، تحظى بتأييد دولي لم تحظ به سوى قلة قليلة من الأمم الأخرى، وفي نفس الوقت، هناك عدد كبير جدا من الإسرائيليين لا زالوا يعتبرون أنفسهم ضحايا أبديين. وكان أبي يقول: إن الحوار مع العدو، والتأثير على توجهاته، لن يسهما فقط في إزالة الكراهية تجاهنا، بل سيسهمان أيضا، في أن نداوي نحن، جراح أنفسنا.

وفي عام ١٩٨٥- أي قبل وفاته بعام واحد كتب مقالة في جريدة" جيروزواليم بوست"، ضمنها هذه الأفكار، ولا زلت أحمل هذه المقالة معي دائما، لقد كان أبي أقرب الأشخاص اليّ.

وشعرت بحزن عميق، وأنا أقف على الشرفة في أوسلو، لأنني لم استطع أن أقول له أنني فعلت لتوي الامر الذي حلم به زمنا طويلا وأنني تحدثت

مع العدو -بوصفي ممثلا عن دولة إسرائيل- بغية العثور على أساس مشترك للتحاور. ولا شك أنه كان سيشعر بالفخر لو أنه علم بذلك.

لقد شعرت فيما يتعلق باللقاء مع أبو علاء وزميليه، أنني قمت بزيارة للمجهول، فخلال اللقاء- الذي بدا وكأنه لا يختلف عن أي لقاءات دبلوماسية أولية- تجسدت اعمق مخاوفنا وكذلك أكبر آمالنا. لقد وقفنا في نهاية المطاف على عتبة الخروج من نزاع دام مائة سنة، حول نفس البقعة من الأرض. رفض خلاله كل طرف، حق الطرف الآخر في الوجود كاملة، وتحمل كل منهما وزر وعبء العذابات الإنسانية والقتل. وأبرز لقاؤنا أيضا، حقيقة أن النزاع الإسرائيلي الفلسطيني يحتل مركز الخلافات القائمة بين إسرائيل والعالم العربي بأسره فالعربي لم يكن يجد أمامه حافزا أقوى من مشكلة الفلسطينيين لمقاومتنا، لذا، فإن المصالحة الفلسطينية الإسرائيلية ستكون بمثابة المفتاح الذي سيتيح الفرصة للمنطقة كلها كي تلج إلى عهد السلام وستقوم هذه المصالحة، مع مضي الوقت، بردع القوميين، والأصوليين، والمتطرفين مهما كان نوعهم، وتثنيهم عن ممارسة أي دور تخريبي. وسيمنح كل واحد منا للآخر الشرعية، مقابل حرية تحقيق الذات الوطنية، والتخلص من الحروب والعنف.

أثارت الفرصة الكبيرة السانحة تأثيرا كبيرا في نفسي، ورغم ذلك، أخافتنا العوائق والعقبات الجمة القائمة على الطريق، والحقيقة، هي أنني لم أكن أتخيل حجم تلك الصعوبات، ولم أتخيل المآسي التي قد تقع.

وفجأة، شعرت بيد لاريسون على كتفي تنتشلني من أفكاري، وقال:" أقترح أن تذهب إلى سريرك، ولا تنس أن لديك غدا لقاء مع أصدقائك الجدد". فقلت:" حسنا، على الأقل هم جيراني في المستقبل".

جلست وحدي، صبيحة اليوم التالي، بعد أن تناولت طعام الإفطار مع لاريسون وزوجته، كي أدون لنفسي العناوين اللازمة والتي سأطرحها خلال لقائي مع أبو علاء. وقلت لنفسي، أن مفتاح النجاح يتمثل في التغيير السريع على أرض الواقع، استنادا إلى نظرية"غزة أولا"، التي طرحها بيرس.

ولا شك أن مثل هذا التغيير سيضمن، علـــى الأقــل، عــدم ضيــاع الفرصـــة السانحة لنا، بالجدل القضائي العقيم. وحـــددت عشــر خطــوات علــى طريــق الـــهدف آنف الذكر، والتي يجــب تنفيذهـــا خـــلال المفاوضـــات، وضمنتــها تصريحــات حــول الاعتراف المتبادل، ووضع حد للإرهـــاب الـــذي تمارســـه منظمـــة التحريــر، وتفعيــل الحكم الذاتي في غزة، خلال ثلاثة أشهر. وقد تقت إلى طـــرح هـــذه الأفكــار، للحـــوار مع بيرس، حال عودتي إلى إسرائيل، ولم أفكر أبدا في أنــــها ســـتثير مشـــكلة.

توجهت أنا(ومونه) لإحضـــار فونـــدك وهيرشـــفيلد فـــي طريقنـــا إلـــى بيـــت الضيافة الرسمي. وفي الطريق، تحدثنا عن الانسجام الـــذي حـــدث أمـــس بيننـــا وبيـــن الفلسطينيين. وقد أشار لاريسون إلـــى هـــذه القضيـــة أيضـــا، عندمـــا جـــاء مصطحبـــا أعضاء الوفد الفلسطيني، بل واقترح أن أخــــرج أنـــا وأبـــو عـــلاء للتـــنزه قليـــلاً فـــي الغابة المجـــاورة.

وعندما بدأنا أنا وأبو عـــلاء التـــنزه قـــال لـــي: أنـــه خصـــص بـــاقي الليلـــة الماضية للاتصال بتونس، وأعرب للقيادة عن ارتياحه مـــن اللقـــاء معنـــا، واشـــار إلـــى أنه يعتقد أن نوايانا جدية. وعلى أرضيـــة ذلـــك، وافـــق عرفـــات وأبـــو مـــازن علـــى إخراج القدس من إطار حوارات الحكم الذاتـــي-رغـــم تـــأكيده علـــى أن هـــذه القضيـــة ستطرح مجددا، إبان مفاوضات التســـوية الدائمـــة.

وشعرت بالدهشة من الرد السريع والواضـــح الـــذي نقلـــه إلـــي أبـــو عـــلاء، ووجدتني أميل للاقتناع بأن الزعامة الفلسطينية، تســـعى للســـير قدمـــا.

أما فيما يتعلق بالتحكيم الدولي، فقد اقترح أبـــو عـــلاء أن نلجـــا إلـــى التحكيـــم الدولي في حالة موافقة الطرفين على ذلك. وقال: أن هنـــاك مـــا يمكـــن الحديـــث حولـــه بشأن إقامة الحكم الذاتـــي فـــي غـــزة أولا، وأشـــار إلـــى أن عرفـــات لا زال يواصـــل الضغط من أجل إضافة أريحـــا كصـــورة رمزيـــة. وقـــال: هنـــاك أهميـــة كبـــيرة لان تحظى القيادة الفلسطينية بموطئ قدم فـــي الضفـــة الغربيـــة، وذلـــك خشـــية أن تتحـــول غزة أولا، إلى غزة أولا وأخـــيرا.

ثم بدأنا نتحدث عن أنفسنا، فرويت لأبو علاء الكثير عن نفسي وعن عائلتي، وسنوات عملي مع بيرس، في حين روى لي هو عن ترحاله المتواصل بدءا من القدس وانتهاءً بتونس. ثم تحدث عن زوجته وعن أبنائه الخمسة -اثنان في تونس، واثنان في أوروبا، والخامس في الولايات المتحدة- تحدث عن السنين التي قضاها بمعية عرفات، وبدا شديد التقدير لزعيمه وأساليب عمله "الملتوية".

وعندما عدنا إلى غرفة الاجتماعات، أعلن أبو علاء الردود انفة الذكر، التي أعلمني بها، أمام جميع الموجودين، ثم اقترح أن ننتقل لمناقشة مسودة إعلان المبادئ التي تمكن هو وزملاؤه من إعدادها بالتعاون مع فونداك وهيرشفيلد.

ألقينا معا نظرة خاطفة على المسودة، ثم أشرت إلى أنها لم تتطرق بإسهاب وجدية، إلى قضايا مهمة، مثل الأمن، ومكانة الاستيطان الذي لن نوافق على حله. واعربت عن تأييدي لتطلعات التعاون الاقتصادي. والحقيقة، هي أنني فوجئت بالاهتمام الكبير الذي أولاه الفلسطينيون للعلاقات الاقتصادية مع إسرائيل. فهم لم يتطلعوا إلى هذه العلاقة على أنها ستفضي إلى تحسين وضعهم الاقتصادي فقط، بل تطلعوا إليها كجسر لتطوير المنطقة.

أصغى الفلسطينيون الثلاثة إلى الملاحظات التي أدليت بها، واقترحوا أن نعكف على إعداد ملحق أمني. فقد أدركوا أن هذا اللقاء هو بمثابة اختبار بالنسبة للإسرائيليين وتاقوا إلى اجتياز هذا الاختبار. وقد أكد أبو علاء ذلك قائلا:" نحن معنيون بالتعاون معكم في جميع مناحي الحياة ومن البديهي القول: أننا نسعى للحصول على جميع حقوقنا الوطنية وجميع أشكال الحرية التي نستحقها، ونحن ندرك أن أفضل الطرق لنيلها هي طريق التعاون معكم، ربما أكثر من التعاون مع أي جار اخر من جيراننا".

لقد كنا، نحن أيضا، نسعى إلى هذا التعاون، وعندما أشرت بمصطلحات عامة إلى ضرورة انعكاس كل ذلك على أرض الواقع، جاء رد أبو علاء مؤيدا جدا لما أقول، وأضاف:" الوضع في المناطق المحتلة خطير للغاية، ومن الجائز أن يفضي في كل لحظة إلى حدوث الانفجار.

لذا، فإننا ملزمون بمنح الأمل لشـــعبنا".

-أنا:" بالتأكيد، بيد أن هذا الأمـــل يجـب أن يكـون بعيـدا عـن ممارسـة أي أعمـال عنف ضدنـا".

-أبو علاء:" هناك علاقة جدلية بين هـاتين المسـألتين، ونحـن قـادرون علـى وضـع حد للعنف، شريطة أن نتمكن من ضمان مستقبل مختلف عمـا هـو عليـه الان".

ومن الجدير بالذكر، أن العلاقة بين الأمل والعنف، بـدا فيمـا بعـد كمحاولـة أساسية للمسيرة السلمية برمتـــها.

واستطرد أبو علاء قائلا:" يجب أن تسـفر الانتفاضـة عـن ثمـار سياسـية، لأنكم لن تستطيعوا إخضاعنا بالقوة، أضف إلى ذلك أنه لا حاجـة لذلـك أبـدا".

-أنا:" قلت ساخرا: أنا متأثر لأنك توقفت عن قـراءة الصحـف، هنـاك فـي إسـرائيل اليوم حكومة، لا ترغـب فـي مواصلـة السـيطرة علـى شـعبك". فحقـوق الإنسـان والاحتلال لا يسيران جنبا إلى جنب، ونحـن نـدرك ذلـك جيـدا، لكـن إذا لـم يطـرأ تغييرا على توجهاتكم السياسية، بشكل خـاص، بشـأن الوضعيـن السياسـي والأمنـي، فإننا لن نستطيع إحراز تغيير عميق علـى أرض الواقـع".

وأعتقد أن أبو عـلاء أدرك، فـي هـذه اللحظـة، أنـه يقـف علـى أعتـاب مفاوضات صلبة ومرهقة، لذا، أطاح بجسـده إلـى الأمـام، ورشـقني بنظـرة ثاقبـة، وقال:" يجب أن تعرف سيد سـبير، وأن تعلـم المسـئولين الإسـرائيليين، أننـا قدمنـا خلال المحادثات مع فوندك وهيرشفيلد تنازلات كبيرة، تنـازلات تاريخيـة مـن وجهـة نظرنا. نظرا لأننا نسعى، حقا، إلى بدايـة جديـدة، بيـد أن عرفـات سـيجد صعوبـة بالغة في تقديم تنازلات أكثر من ذلـك".

-أنا:" اعتقد أننا اتفقنا على الا تبـدأ المسـاومات.

ضحك أبو علاء لردي، وبدا أنه يشـعر بالمتعـة لخـوض المفاوضـات التـي تنتظرنا. وهنا تدخل هيرشفيلد، واشار إلى قضية تم التطـرق إليـها خـلال المحادثـات التي أجراها مع الفلسطينيين، وهـي: ضـرورة السـير قدمـا وبصـورة عمليـة علـى صعيد المصالحة بين الشعبين، في صورة بناء"خطـة دعايـة سـلمية".

حذرت أبو علاء قائلا:" أنت تعرف أن الكثير من الإسرائيليين يعتبرونكم، مجرد عصابة من الإرهابيين".

-أبو علاء:" وغالبية الفلسطينيين تعتقد أنكم أمة تمارس الاضطهاد ومتوحشة، تسعى لسلبنا أراضينا".

اتفقنا على إشراك شعبينا في مسيرة المصالحة، بيد أننا لم نلتزم، فيما بعد، بفحوى هذا الاتفاق.

وعندما توقفنا عن المحادثات وتوجهنا إلى قاعة الطعام، انضم إلينا(يان اجلند) نائب وزير الخارجية النرويجي، ووعد بأن يحرص على توفير جميع سبل الراحة والسرية للمحادثات ثم اتفقنا على تنصيب لاريسون في منصب ضابط الاتصال بين إسرائيل وتونس، واتفقنا على كلمة سرية للاتصالات فيما بيننا، فسمينا عرفات" بالجد"، واسمينا أبو مازن"روح القدس"، وأبو علاء"رقم واحد"، وهكذا دواليك. أما على الصعيد الإسرائيلي فاطلقنا على اسحق رابين لقب" الجد،"و على بيرس لقب"الأب"، وبيلين لقب"الابن"، وأنا "رقم واحد".

وفي ساعة متأخرة أخذتني (مونه) لمقابلة وزير الخارجية النرويجي(يوهان يورجان هولست)، الذي استقبلني استقبالا حارا، وكاد يخرج عن طوره، وهو يحاول إقناعي بأن منظمة التحرير تتعامل مع الامر بمنتهى الجدية. وأنه اقتنع بذلك تماما، في أعقاب لقائه بعرفات.

ثم أعلمني بالاتصالات التي أجراها مع الأميركيين بشأن المسار السري في أوسلو، وقال لي: أن رجاله اعلموا دان كرتسر–نائب وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط–بالأمر، وأن كرتسر اعلم وزير الخارجية كريستوفر. ووعد هولست بأن يزود الأميركيين بتقارير وافية عن سير الحوار، كلما رغبت في ذلك. وطلب أن تجري اتصالاتنا مع الأميركيين، بهذا الصدد، بالتنسيق معه، كي لا تتضرر المصالح النرويجية مع الأميركيين، ووعدته أنا بدوري، بذلك وقال محذرا:" الأميركيون لا يعرفون بزيارتك هنا". فقلت:" أنا اعرف ذلك" ووعدت بإعلام بيرس بذلك.

وحسب معلوماتي، فإن الأميركيين لم يطلبوا من هولست أي تقارير حول مسار أوسلو، كما أن رابين قدم إليهم تقريرا متحفظا جدا حول احتمالات نجاحه. فقد كانوا عاكفين، آنذاك، على معالجة المسار السوري، وتركوا لنا حرية التصرف على المسار الفلسطيني.

وفي ساعات ما بعد الظهر عدت إلى باريس لتناول طعام العشاء مع الملحق الإسرائيلي ألدن، ثم طرت صبيحة اليوم التالي إلى روما، حيث التقيت زوجتي، في طريق عودتها إلى إسرائيل، ورويت لها كل ما حدث. بيد أنه كان يتوجب عليّ الانتظار، حينما وصلنا إلى إسرائيل، ثلاثة أيام، حتى يعود بيرس من الجولة التي كان يقوم بها في الشرق الأقصى، ولأروي له ما حدث.

حاولت خلال فترة انتظار عودة بيرس أن أتخيل ردود فعل الإسرائيليين على إعلان المفاوضات مع منظمة التحرير، وتخيلت أن غالبية الإسرائيليين سترحب بذلك، وتعرب عن اعتقادها بضرورة التفاوض مع منظمة التحرير، لأننا سنحقق ربحا من ذلك، حيث لن يضطر أبناؤنا الذين يؤدون الخدمة في الجيش، للعمل كرجال شرطة ضد الأولاد الذين يرشقونهم بالحجارة في غزة لقد دفعت الانتفاضة بالكثير من الإسرائيليين للاستيقاظ، ولم يعد الاحتلال مسألة روتينية يمكننا التغاضي عنها، وتجاهلها، وأخذ الكثير من الإسرائيليين يبدون مظاهر الضجر والإرهاق من هذا النزاع المتواصل، ويتطلعون إلى السلام والراحة.

وعندما تلفت حولي على الخارطة السياسية في إسرائيل، وتساءلت من هي الجهات التي ستعارض هذا الحوار؟؟ بدا واضحا لي، أن أول المعارضين هم المتدينون ذوو الصلة الأيديولوجية باليمين الإسرائيلي وبالمستوطنات، والذين سيعتبرون أي صفقة نعقدها مع عرفات، بمثابة مأساة وطنية، وتهديد لوجودنا.

وفجأة، شعرت بالرعب من أن تبدو المسيرة السلمية التي أؤمن بها إيمانا عميقا- للآخرين- وعلى وجه الخصوص أولئك الداعين لضم الضفة الغربية إلى إسرائيل لأسباب تاريخية، ورغم كونها مأهولة بأكثر من مليون فلسطيني- بمثابة خنوع، بل وربما انتحار.

وإذا كنت أنا، قد اعتبرت أن المصالحة مع "الأعداء" ستحقق فكرة دولة اليهود، وأهدافها، فإن الكثيرين، سيشعرون، بأن سقوط الأسوار ستجعلنا أكثر تعرضا للإصابة بالأضرار من قبل أعدائنا في الداخل والخارج، نظرا لأن وحدة المجتمع الإسرائيلي، رهن بالمقاومة لعدو مشترك. ترى هل بالإمكان تجسير الهوة بين هذين العالمين الموجودين في إسرائيل؟؟ اعتقد أن الرد سلبي.

لقد اكتشفنا، فيما بعد، أن السلام مع منظمة التحرير، أسهم في تعميق شقة الخلاف بين أولئك الذين آمنوا بإمكانية وأهمية قيام علاقات جديدة بين إسرائيل القوية والقادرة على مواجهة المستقبل والجيران، وأولئك الذين يعتقدون أن العداء الخارجي حقيقة، ستبقى قائمة، وأن مصلحة إسرائيل، تكمن ليس في الوقوف موقف الحذر فقط، بل أيضا في الشكوكية الدائمة والمتطرفة تجاه جيراننا. لكنني قدرت أن غالبية الإسرائيليين، يرغبون في السلام وسوف يؤيدوننا. أما السؤال الذي كان يقلقني فهو إلى أي حد ستصل ردود فعل المعارضين؟.

ووجدت لدي انطباعا من معالم السلام التي بدا أنها أخذت تبرز في أوسلو، يشير إلى أن نزاعا داخليا إسرائيليا سيقوم لا محالة، وذلك على أرضية السؤال الذي كان دائما وأبدا بمثابة الحد الفاصل بين اليمين واليسار، والقائل: هل يجب على إسرائيل الحديثة أن تتعاون مع جاراتها من خلال إمكانية المصالحة والتسوية-مثلما أمل ديفيد بن غوريون ؟؟ أم أنه يجب عليها مواصلة العيش خلف" الجدار الفولاذي" الذي دعا إليه زئيف جابوتنسكي؟؟

وأدركت أن نجاح محادثات أوسلو سيؤدي إلى انهيار: الجدار الفولاذي"، وبالتالي فإن المسيرة السلمية، لن تكون فقط، نضالا حاسما تجاه الفلسطينيين، بل أيضا تجاه أنفسنا.

وعلى أية حال، فإن الفلسطينيين سيجتازون وصفا مماثلا، ففي الوقت الذي سيبدو فيه السلام بالنسبة للبعض كخشبة النجار، فإنه سيبدو في أعين البعض الأخر كخنوع. ومن المنطقي، أن يحاول الرافضون ممارسة الإرهاب ضدنا في

محاولة لتحدي عرفات ووضع حد لاستسلامه لإسرائيل. أي أن السلام سيثير في أوساط الفلسطينيين صراعا حول الهوية، تماما مثلما سيفعل بالإسرائيليين وسيضطر الطرفان للشروع بشن حرب داخلية شديدة من أجل إنجاح السلام. ورغم كل ذلك آمنت إيمانا مطلقا، بأنه آن الأوان كي نبدأ المسيرة.

عدت إلى مكتبي لإعداد وثيقتين، الأولى تحت عنوان" اتجاهات عمل مقترحة لمواصلة المفاوضات"، والأخرى تحت عنوان" إجمال شخصي" يقوم على أساس العناوين التي سجلتها لنفسي بينما كنت في ضيافة لاريسون.

وسجلت في هذه الأوراق، انطباعاتي حول قدرة منظمة التحرير في اتخاذ القرارات، وحول استعداد زعامتها للمصالحة. وقلت:" لقد أتيحت لنا فرصة كي نسير خارج أطر كامب ديفيد ومؤتمر مدريد، وأن نصل إلى اتفاق تدريجي، يبدأ بغزة، مع وقف الأعمال العدائية والإرهابية التي تشنها منظمة التحرير، وخلق تعاون اقتصادي، حتى قبل التوقيع على اتفاقية حكم ذاتي كاملة.

وتأسيسا على ذلك، اقترحت التحرك على مسارين متوازيين:" المسار الأول في واشنطن، من أجل الحفاظ على الصورة الخارجية، والمسار الثاني: في أوسلو، على أن نحرص، نحن والنرويجيين، بإطلاع الولايات المتحدة على مجريات الأمور، والتطورات، واقترحت أيضا، أن يتم إدراج التسويات الأمنية في وثيقة إعلان المبادئ وأن تتم الإشارة صراحة، إلى أن المستوطنات ستبقى في مكانها. بيد أنه يجب علينا أيضا أن نتخذ قرارا، حول ما سنعرضه على الفلسطينيين، بشأن التغيير الفوري على أرض الواقع، وما الذي يتوجب علينا أن نطالب به مقابل ذلك. واقترحت أيضا، إشراك مستشار قضائي في المفاوضات.

تفحص بيرس الوثيقتين، ووافق على إشراك مستشار قضائي- يوآل زينجر-الذي أوصى به شلومو جور مدير مكتب بيلين. والذي كان آنذاك، يعمل في واشنطن، في الشركة القضائية ذائعة الصيت" سيدلي آند اوستين"، والذي شارك في جميع المفاوضات الإسرائيلية المهمة التي جرت منذ كامب ديفيد.

اقترح بيرس تطبيق الحكم الذاتي أولا على غـــزة، فـي نفـس الوقـت الـذي يتم فيه نقل قيادة منظمة التحرير إلى هناك. في حين أعربـت أنـا وبيليـن وآفـي عـن شكنا فيما إذا كان عرفات سيجد أن من الصـواب تحمـل مسـئولية غـزة علـى كـثرة مشاكلها. وتساءلنا عن كيفية استيعاب الجماهير الإسـرائيلية للجـار الجديـد؟؟ بيـد أن بيرس كان مصرا على رأيــه.

لقد أمل بـيرس، سـنوات طويلـة، فـي أن يكـون الملـك الحسـين شـريكاً لإسرائيل، في حـل المشـكلة الفلسـطينية، بـل وتوصـل عـام ١٩٨٧-إبـان شـغله لمنصب وزير الخارجية في حكومة الوحدة الوطنيـة- إلـى تفـاهم مـع الحسـين فـي لندن، ذلك التفاهم الذي عرفته العامة باسم (اتفاقية لندن)، علـى عقـد مؤتمـر دولـي- على غرار المؤتمر الذي تم عقده فيما بعد في مدريـد- وعلـى أن يلعـب الأردن فيـه دورا رائدا في حل المشـكلة الفلسـطينية، بيـد أن رئيـس الحكومـة، آنـذاك، اسـحق شامير، تمكن من إحباط هذا الاتفاق، وقـام الحسـين فيمـا بعـد، وفـي ذروة انـدلاع الانتفاضة، بفك الارتباط مـع الفلسـطينيين.

لقد رأى بيرس، في محادثات أوسلو، نقطة تحول تاريخيـة. لقـد رغـب فـي إحداث تغيير في الوضـع الراهـن، ليـس كصـورة تكتيكيـة سياسـية، بـل كخطـوة استراتيجية، لخلق مصالح مشتركة مع شـريك جديـد.

كان بيرس قادرا علـى رسـم مسـتقبل أفضـل بمصطلحـات حاسـمة جـدا، مبديا بذلك كفاءة وقدرة نادرتين، وسط أمة تعيـش أسـيرة رؤيـة قاتلـة مـن العـداء الأبدي.

كانت منظمة التحرير، بوضعـها الضعيـف انـذاك، قابلـة لإحـداث عمليـة التغيير الجذرية، وبدا الزمن ناضجا تماما، لتقبل الحسـم التـاريخي، ولـم يبـق سـوى شيء واحد، وهو إقناع شخص واحد ووحيد، وهو رئيـس حكومـة إسـرائيل.

قطع اسحق رابين وشمعون بـيرس زمنـا طويـلا مـن العمـل، فـي ظـل منافسة شديدة جدا ومتواصلة وفقدان ثقة أحدهما بالاخر، لقـد كانـا نقيضيـن كـاملين. فقد كان رابين محللا حـذرا للواقـع، وشـديد التعلـق بالتفـاصيل ويحـرص عليـها

حرصاً بالغاً، في حين كان بيرس صاحب ذهنيـــة موســوعية عالميــة. يــرى عبرهـــا التاريخ بمصطلحات في صـــورة مســيرات، وينجــذب انجذابــاً شــديداً جــداً، باتجـــاه المستقبل. وقد غذت هذه التناقضات في شخصيتهما مـــن العــداء والخصومـــة بينـــهما. وفجأة برزت أوسلو، التي تعتبر بمثابة الفصل النـــهائي فـــي علاقتيـــهما.

تم الاتفاق بيـــن بــيرس ورابيــن، عندمـــا شــكل رابيــن الحكومـــة، صيــف ١٩٩٢، على أن يهتم بيرس بالمفاوضات متعددة الأطـــراف، فـــي حيـــن اختـــار رابيـــن أن يدير بنفسه، المفاوضات الثنائية، التي تعتبر أكــــثر أهميـــة. وقــد توصـــل الاثنـــان، حتى ذلك الحين، إلى تفاهم أساســـي آخـــر.

ولا زلت أتذكر ما قاله بيرس إثر الزيارة التي قـــام بـــها لرابيـــن فـــي منزلـــه، بعد انتهاء الانتخابات في محاولة لوضع علاقاتـــهما علـــى مســـار عمـــل جديــد، حيــث قال:" قلت لرابين، لقد أصبحنا، نحن الاثنين، في الســبعين ونيـــف، وطيلـــة حياتنـــا كنـــا مختلفين في وجهات نظرنا؛ دعنــــا نضـــع خلافاتنـــا جانبـــا، ونعمـــل معـــا بالأســـلوب الوحيد الذي يمكنه أن يجلـــب الســـلام إلـــى هـــذه البـــلاد، إننـــا قـــادران علـــى اتخـــاذ القرارات المطلوبة لصنع السلام. إننـــا قـــادران علـــى تجنيـــب أولادنـــا العـــبء الـــذي نرزح تحتـــه، ونمنحـــهم فرصـــة محـــورة جـــهودهم، حـــول الأوضـــاع الاقتصاديـــة. والثقافة، والقضايا الاجتماعيـــة".

وافق رابين على الطرح الذي وضعـــه بـــيرس، واتفـــق الاثنـــان علـــى إبـــرام نوع من الاتفاق السري. وأنا اعتقد أنه لولا إقدام بـــيرس علـــى هـــذه الخطـــوة، لحيـــل دون خوض دولة إسرائيل معركة من هذا القبيـــل، والتـــي تتســـم بشـــروخ وانقســـامات عميقة في أوساط الجمـــاهير الإســـرائيلية حولـــها، مثـــل معركـــة الاعـــتراف بمنظمـــة التحرير والتصالح معـــها.

أصبح رابين في صورة ما يحدث في أوســـلو منـــذ اللقـــاء الأول هنـــاك. ففـــي التاسع من شباط، أعلمني بيرس أنه عقد اجتماعـــا مـــهما مـــع رابيـــن، أطلعـــه خلالـــه على فحوى ما دار فـــي أوســـلو، وشـــجعه علـــى خـــوض المفاوضـــات مـــع منظمـــة التحرير. وقد بدا رابين، في البدايـــة، متشـــككا، لكـــن حينمـــا لاحـــظ التغـــيرات التـــي

طرأت على منظمة التحرير، بدأ يقتنع، بصورة تدريجية. ورغم ذلك، كان رابين يجد سحرا أكثر جاذبية في المسار السوري بالتنسيق مع الولايات المتحدة، فقد ألهب خياله الطابع الاستراتيجي الكامن في هذا المسار، في حين بدأ بيرس يؤمن بضرورة التمسك بالمسار الفلسطيني بغية التوصل إلى تسوية تاريخية مع منظمة التحرير، واعتبر هذا الطريق بمثابة الطريق الوحيد لدفع المسيرة السياسية إلى الأمام.

ومنذ اللحظة التي اقترح فيها انتقال ياسر عرفات من تونس إلى غزة، اصبح الاعتراف المتبادل بين الجارين، مسألة مطلوبة، باعتبار أن هذا الاعتراف، هو الجسر الذي سيعبر عليه السلام الشامل في المنطقة.

وفي الوقت الذي عكف فيه رابين على اختبار مدى جدية نوايا الفلسطينيين، عمد بيرس إلى إثارة خيالهم، والإيحاء لهم عبر تحديد المصالح المتبادلة الأوسع.

كان رابين مصرا على إحراز تقدم، بيد أنه كان لا يزال أسيرا لوضع العداء القائم مع الفلسطينيين، هذا في حين كان بيرس يعيش وضع ما بعد العداء. كانت الشراكة بين بيرس ورابين، شراكة إرغام، بيد أن الاثنين كانا يشكلان معا قوة هائلة.

وإثر اتخاذهما قرار الشروع بالمفاوضات السرية الرسمية مع منظمة التحرير، اشترك الاثنان في اتخاذ جميع القرارات ذات العلاقة بالمفاوضات، وجميع التساؤلات التي طرحت أثناءها.

ورغم ذلك، كادت قاطرة المفاوضات في أوسلو تنحرف عن قضبانها، قبل انطلاقها.

ففي أعقاب عودتي من أوسلو، سلم بيرس إلى رابين الوثائق التي أعددتها، وقد وافق رابين فورا على استدعاء يوآل زينجر -الذي كان يكن له تقديرا كبيرا جدا- من واشنطن إلى إسرائيل للتشاور. بيد أن رابين عاد وتفحص الوثائق، وبعث رسالة غاضبة إلى بيرس، بشأن مقابلاتي في أوسلو، وبشأن النقاط

العشر التي أعددتها. فقد شك في أن أكون قد طرحت النقاط المذكورة أمام منظمة التحرير.

بدا بيرس مذهولا من التحفظ الذي أبداه رابين، وأكد في رسالة خطية:" أنني لم أناقش النقاط المذكورة مع ممثلي المنظمة في أوسلو". بيد أن بيرس شعر، بعد ذلك، بالارتياح، نظرا لان رابين احتج على عملي دون ايلائي الصلاحيات اللازمة، وليس على طبيعة النقاط. وهكذا، ورغم أن محادثات أوسلو، ظلت حتى ذلك الحين سرا من الأسرار، الا أنها أصبحت جزءا من السياسة الرسمية.

وصل يوآل زينجر من واشنطن وتوجه للعمل فورا، وخلال اجتماعنا المشترك في مكتب بيلين، وجه عدة أسئلة حول الصيغة المقترحة لإعلان المبادئ. وبدا زينجر حادا جدا، وتناول إحدى الوثائق الموضوعة على الطاولة، ولوح بها بغضب، وقال: ما هذه؟؟ هذه ليست مسودة اتفاق، أنها لا تعدو كونها كومة من اللغو.

ذهلت من عدوانيته، واقترحت عليه أن يعد هو بنفسه مسودة إعلان المبادئ، بيد أنه رفض ذلك رفضا مطلقا، وطلب أن تعرض على الفلسطينيين اولا سلسلة من الأسئلة بغية استيضاح مواقفهم. وهكذا تم إعداد قائمة تضم حوالي مائة سؤال. وقد احتلت هذه الأسئلة جل الوقت، خلال اللقاء التالي الذي أجريناه مع ممثلي المنظمة.

وافق رابين وبيرس على عودتي إلى أوسلو ومعي زينجر، بيد أنهما طلبا منا الانتظار حتى الإعلان عن استئناف المفاوضات في واشنطن.

وقد استؤنفت المفاوضات في السادس عشر من حزيران، حيث أظهر الوفد الفلسطيني خلالها أسلوبا أفضل من الأسلوب الذي انتهجه سابقا.

ورغم ذلك، تشدد الوفد بالمطالبة بإدراج القدس في اتفاقيات الحكم الذاتي. وهكذا كان عرفات يلوح لنا، بأن التقدم إلى الأمام لن يكون الا من خلال التفاوض مع منظمة التحرير ومع أبو علاء في أوسلو.

وقبل عودتي إلى أوسلو، تذكرت ما قاله لي أبو عـــلاء، عندمـــا تنزهنـــا معـــا في الغابة وحدنا:" لقد سمعنا عنك الكثير سبير، ونحن نعـــرف أنـــك وصديقيـــك يوســـي بيلين وحاييم رمون تتحدثون باسم جيل جديد، ونحن نعلـــق عليكـــم آمـــالا كبـــيرة. لقـــد خيب أخوتنا العرب آمالنا، ونحن –أبو مازن وأنـــا– توصلنـــا إلـــى اســـتنتاج مفـــاده، أن من الجائز أن يكون (أبناء عمومتنا) الإســـرائيليين هـــم أفضـــل الشـــركاء للتقـــدم إلـــى الأمام. وأريدك أن تعرف بأننا منخرطـــون فيمـــا ســـيصبح–حســـب إحساســـي–شـــراكة حقيقيـــة".

لقد تمنيت هذه اللحظة، منذ زمن طويـــــل، ووجدتنـــي أرغـــب فـــي أن أقـــول له ذلك:" أصدقائي وأبناء عائلتي يعتقدون منذ زمن طويل، أنـــــه يجـــب علينـــا التحـــاور معكم. وقد أقنعت الانتفاضة، العديد من الإســـرائيليين، بـــأن مـــن المســـتحيل أن نتمكـــن من السيطرة عليكم إلى الأبد. إسرائيل هـــي روايـــة نجـــاح كبـــيرة، بيـــد أن الاحتـــلال يسهم في تدمير نفوس أبنائنا، ونحن نرغب في التخلص منـــــه بصـــورة لا تـــترك لدينـــا أي شكوك بشأن أمننا، وأنا آمـــل أن تتمكـــن مـــن زيـــارة إســـرائيل بســـرعة، لرؤيـــة أصدقائي والتأكد مما أقوله لـــــك".

وبعد لحظة قصيرة قال أبو علاء:" بيتـــــي فـــي أبـــو ديـــس، وأمـــي توفيـــت، وأبي مريض، واراضينا صودرت لاقامة مســـــتوطنة عليـــها".

قلت له: هل تريد أن تزور والدك؟؟ هل تريـــــد أن أنقـــل لـــه رســـالة منـــك؟؟ فقال لي بلهجة فخورة:" لا، سأزوره حينما أتمكن من العـــودة إلـــى بيتـــي" بيـــد أن أبـــو علاء لم يحظ برؤية والده، الذي توفي بعد ذلـــك بســـنة، بســـكتة قلبيـــة، بعـــد أن رفـــع دعوى إلى المحكمة كي تعيد لـــه أرضـــه.

قلت له: أنا أستطيع أن أتفهمك، فقد توفـــي أبـــي أيضـــا، ولا شـــك أنـــه كـــان سيسعد بلقائك وأنا أرغب في أن اقدم لك نسخة مــــن مقالـــة كتبـــها عـــام ١٩٨٥ حـــول ضرورة إجراء حوار من النوع الـــذي تجريـــه الان.

وحينها، ولأول مرة نـــــاداني أبـــو عـــلاء باســـمي الشـــخصي، وقـــال لـــي:" أتدري أوري، لدي إحساس بأننا سننجح". فقلت له:" وهـــــذا أيضـــا إحساســـي".

الفصل الثاني

خارطة طرق أوسلو

السرية رافقت المفاوضات حتى التوقيع

زينجر: إذا لم نتوصل إلى إتفاق مع هؤلاء سنكون حميراً

لم تسر الأمور في أوسلو بعد ذلك بسهولة، فقد اتسمت في غضون الأشهر الثلاثة التالية بالشدة والإرهاق، وعندما كانت المفاوضات تصل إلى طريق مسدود، كان هذا الطرف أو ذاك، يوقف المفاوضات نهائياً، وكانت تراودنا منذ البداية، مخاوف بأن يتم اكتشافنا. وفي الثاني عشر من حزيران، وعندما سافرت، أنا ويوآل زينجر لأول مرة معاً، وقع لنا حادث محرج في مطار كوبنهاجن، فقد وجدت أمامي فجأة الضابط الإداري في السفارة الإسرائيلية، في الدنمارك(يوسي الفسي) والذي أتى لاستقبال فريق كرة القدم الإسرائيلي، وقد سر باللقاء والحديث معي. وقد بادرني بالسؤال "إلى أين تسافر"؟ فقلت بهدوء" إلى أوسلو"، قال "لماذا"؟ فأجبته:" أريد أن أزور شقيقتي هناك". والحقيقة هي أن شقيقتي تسكن في فيلادلفيا.

كان الوضع شديد الحساسية، وكل تسريب لوسائل الإعلام، يمكن أن يخرب المحادثات والتي جرت دون معرفة حكومة إسرائيل، باستثناء رئيس الحكومة رابين، ووزير الخارجية بيرس، ونائبه يوسي بيلين.

وفي نفس الليلة، كانت بانتظارنا مفاجأة أخرى، فحال وصولنا إلى أوسلو قدم لنا(يان أجلند) نائب وزير الخارجية النرويجي، تقريراً لوكالة الأنباء الفرنسية، حول محادثات سرية تجري بين ممثلين إسرائيليين وفلسطينيين من منظمة التحرير في النرويج، وبدا النرويجيون شديدي التأثر. وشاء حسن طالعنا، أن يعقد اجتماعاً مغلقاً في أوسلو، فقام النرويجيون بتحويل أنظار وسائل الإعلام

إلى هذا الاجتماع. الذي خصص لإجراء أبحـــاث، حــول جــذور الــنزاع الإســرائيلي العربي، وليس لحلــها.

جعلتنا هذه الحادثة، نبذل جهداً أكبر، علــى صعيــد بنــاء (روايــات تغطيــة) لسفراتنا السبع إلى أوسلو، وقد أثـــارت ســفراتي المتكــررة الشــكوك لــدى موظفــي وزارة الخارجية، ولم تفد رواية الاتفاقيـــات الاقتصاديــة شــيئاً، لــذا، روجنــا شــائعة تفيد بأنني أجري اتصالات مع مبادرين مـــن الخليــج، وهــذا الأمــر يتطلــب الحفــاظ على أقصى درجات الســرية.

وخلال سفرياتنا المتواصلـــة والطويلــة، تمكنــت أنــا وزينجــر مــن رســم استراتيجية المفاوضات التي سننتهجها. وعندما كنـــا نصــل إلــى أوســلو، كنــا نحــن والفلسطينيين، نتمازح حول الأساليب التي اتخذها كل منـــا لتضليــل مــن قــد يحــاول اقتفاء أثره. وكنا خارج غرفة المفاوضـــات، خـــلال تنـــاول وجبــات الطعــام، وأثنـــاء الجولات التي نقوم بها، وســـاعات الاســتراحة، نــثرثر بصــورة جعلــت لاريســون يطلق علينا اسم"منتدى أوســـلو".

كانت لقاءاتنا تجري بصـــورة عامـــة علــى بعــد عــدة ســاعات ســفر مــن أوسلو، في أماكن مريحة، وفي ظل أجواء ريفيـــة رائعــة. وكـــانت وجبــات الطعـــام تغص بكل ما لذ وطاب، والغابـــات الجميلــة كـــانت تغوينـــا للقيـــام بنزهـــات ثنائيــة وإجراء محادثات غير رســـمية. وقـــد خصــص الــنرويجيون مبلــغ خمســة ملاييــن دولار لتغطية نفقاتنا. ومثلما هو الأمر في مثل هـــذه اللقـــاءات الســرية، فقــد طورنـــا فيما بيننا قاموسا خاصا على أساس الطرف التي كنـــا نتبادلــها والتــي انخرطــت فــي ذاكرتنـــا

وذات مرة روى لنا أبو علاء رواية مضحكـــة، فقـــال: توفــت زوجــة رجــل كبير في السن، بعد زواج دام خمسين عامـــا، وقـــد امتـــلأ المـــنزل بـــالمعزين، الذيـــن أخذوا يؤمون البيت في الأيام الأولى، ويتنـــاقصون تدريجيـــاً، حتـــى وجــد نفســه ذات يوم وحيداً، فأخذ يتجول في أنحاء البيت ويقول: أنـــا وحـــدي، أنـــا وحـــدي، ورويـــداً رويداً أخذ يغني الكلمتين حتى أصبحت شـــبه أغنيــة.

ولا زلت أتذكر منظر أبو علاء وهو يدور حـــول نفســـه ممثــلا ذاك الرجــل، ويرقص، مما أثار في أوساطنا عاصفـــة مـــن الضحـــك. ومنـــذ ذلـــك الحيـــن اعتدنـــا استهلال اتصالاتنا الهاتفية بالقول:" أنت وحـــدك"؟ وعندمـــا رويـــت لبـــيرس القصـــة، قال لي:" كتب شاعر هندي ذات مرة بيتـــاً مـــن الشـــعر يقـــول:" أنـــت وحـــدك وأنـــا وحدي، دعنا نكون وحدنا معـــاً".

بيـــد أن الخصوصيـــات التـــي كنـــا نتبادلـــها، والمـــزاح لـــم تتســـرب إلـــى مفاوضاتنـــا.

لقد بدت محادثاتنا المكثفة، والتي كانت تصـــل إلـــى حوالـــي خمســـين ســـاعة فاكثر كل جولـــة، لا يقطعـــها ســـوى ســـاعتين أو ثـــلاث للنـــوم، أو لتنـــاول وجبـــة نرويجية غنية- كلعبة شطرنج مارثونية، مليئة بالمكـــائد، والخـــدع، ومنـــاورات لفـــت الأنظار، بعيداً عن المقـــاصد.

وكانت المواجهات أحيانا، وحشية، والأزمـــات التـــي كـــانت تنشـــب، تكـــاد أن تدمر كل شيء. وكثيرا ما كان الثور يعبر عـــن نفســـه فـــي ضحكـــة رنانـــة مدويـــة، وأحيانا كان أحدنا يضغط الآخر، حتى يصل إلـــى مرحلـــة الغليـــان.

كانت مشاعر العداء الماضية، والمشـــاعر التـــي نتمنـــى أن تســـود بيتنـــا فـــي المستقبل تختلـــط اختـــلاط الحـــابل بالنـــابل فـــي نفوســـنا. وكـــان الطرفـــان يتحليـــان ويتسمان بنفس عوامـــــل الدفـــاع: الشـــكوكية، الســـخرية، وحـــب النكتـــه، والشـــعور العميق بالاضطهاد التـــاريخي.

قلت ذات مزة لأبو علاء:" هـــل تعـــرف لمـــاذا لا نحبكـــم؟؟ لأنكـــم تذكروننـــا بأنفســـنا".

-أبو علاء: بالضبط هذه هي المشكلة أيضا بالنســـبة لـــي.

-أنا: ربما كان ذلك يرجع لأننا ننتمي إلى شـــعبين عانيـــا الكثـــير.

-أبو علاء: وربما لأنكم ونحن، قد جئنا من نفس المكان. لم يكـــن أبـــو عـــلاء لينســـى للحظة، أو ليسمح لي أن أنسى أننا- نحن الاثنيـــن- مـــن القـــدس.

لقد كانت طبيعة المفاوضات بيننا -نحن الطرفين- متشابهة إلى حد بعيد، ففي جولتي المحادثات اللتين أجريتا خلال الفترة الواقعة بين ١٤-١٥ من حزيران، و ٤-٦ من تموز، وجه كل طرف للطرف الآخر مجموعة من التساؤلات لاستيضاح موقفه.

وفي اليوم الذي وجه فيه، يوآل زينجر قائمة المائة سؤال لأبو علاء، أدرك أبو علاء أنه يقف أمام اختبار اسحق رابين، لأنه كان يعلم أن رابين يصغي لأقوال زينجر، وأنه طلب منه أن يقدر فرص وإمكانية التوصل إلى اتفاق مع منظمة التحرير. وقد جعل هذا الوضع أبو علاء يجيب عن الأسئلة بأناة وصبر ويضبط نفسه إلى أقصى حد، رغم الغضب الذي كان يجيش في صدره- كما خيل إلي- من أسلوب ولهجة زينجر، التي تميل إلى التحقيق. وقد جاءت الأسئلة والأجوبة على النحو التالي:

-زينجر: بأيدي من سيكون مصدر الصلاحيات في الضفة الغربية وغزة؟

-أبو علاء: ستنتقل بصورة تدريجية إلى أيدينا.

-زينجر: هل فكرتم في جهاز سلطة؟ جهاز، أو جهازين؟؟

-أبو علاء: نحن نطالب بصلاحيات تنفيذية وتشريعية.

-زينجر: وماذا بشأن إعادة الانتشار؟؟.

-أبو علاء: يجب أن يطبق على جميع المناطق المأهولة بالفلسطينيين في البداية، ويجب عليكم أن تخلوها قبل أن تجري انتخاباتنا.

-زينجر: وماذا بشأن مسائل الانسحاب الأخرى؟؟

-أبو علاء: يجب أن تنسحبوا إلى مناطق أمنية محددة.

س: وما الوصف الذي سيمنح لهذه المناطق؟؟ أنا أفترض أنك تدرك أن الجيش الإسرائيلي هو الذي سيحدد أماكن إعادة انتشاره في الضفة الغربية؟؟

-أبو علاء: وأنا أفترض أنكم لن تتخذوا قراراً ينص على أن الضفة الغربية هي منطقة أمنية.

وهكذا، تواصلت الأسئلة طيلة اليومين الأولين للقاء، وطيلة ثلاثين ساعة تقريبا، مما ساعد زينجر في بناء فكرة تحدد اتجاه منظمة التحرير.

شعرت بالخشية من الانطباع الذي أثاره زينجر في أوساط الفلسطينيين. فقد كنت أفضل دائما أسلوب الإقناع كوسيلة مجدية لإنجاز الأهداف. بيد أنني سرعان ما أدركت أن لدى زينجر أسلوبه الخاص، وأنه يجيد عملية خلق الثقة. وعلى أية حال فقد تأثر زينجر خلال هذا اللقاء من عمق وجدية محادثيه.

وفي أعقاب اللقاء طرنا إلى(فينا) لتقديم تقرير إلى بيرس، الذي قدم إلى المدينة للمشاركة في مؤتمر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان. وفي الطريق قال لي زينجر أنه مقتنع بأن هناك فرصة للتوصل إلى اتفاق مع منظمة التحرير، بيد أنه أهاب بي كيلا نبدي حماسا خلال تقديم التقرير لبيرس.

كان زينجر، مثله مثل الكثيرين، يعتقد أن "شبيبة بيرس متلهفون أكثر مما ينبغي لمعانقة العدو- هذا رغم أنه غير رأيه فيما بعد، واعتبرنا من أشد المفاوضين الإسرائيليين.

عندما عاد بيرس إلى غرفته، وجدنا بانتظاره، فقال بصوت مرتفع:" كيف سارت الأمور يا زينجر"؟؟

-زينجر: إذا لم نتوصل إلى اتفاق مع هؤلاء الأشخاص سنكون حميرا.

-أنا: يا إلهي كيف تبدو عندما تكون متحمسا.

*** *** ***

مكنت الإجابات التي قدمها أبو علاء على الأسئلة التي وجهت إليه، والمسودة التي أعدها الفلسطينيون بالتعاون مع هيرشفيلد وفوندك، مكنت زينجر من إعداد الصيغة القضائية لإعلان المبادئ. وفي الوقت الذي انشغل فيه بإعداد الإعلان، قمت أنا بإعداد تقديراتي للوضع، كي أقدمها لبيرس وبيلين. وقد قمت بإعداد هذه الوثيقة في مقصف الفندق الذي ينزل فيه بيرس، وعلى بعد طاولة واحدة من فاروق الشرع وزير الخارجية السوري، وقد تقابلت نظراتنا، فحيا كل

منا الآخر بهزة رأس دون أن تكون لديه فكرة عمـن أكـون، ولـم يكـن يعلـم أننـي أكتب مـليلي:

" لا شك لدي في أن الفلسطينيين يسعون لاقامة دولـة مسـتقلة، ويخيـل إلـي أنهم يفضلون إقامة إتحاد كونفدرالي مع الأردن، مـع تطويـر مصـالح مشـتركة مـع إسرائيل. وهم معنيون بتوجه عرفات إلـى المنـاطق، وهـدف عرفـات يتمثـل فـي نزع سلاح حماس. وفي نفـس الوقـت، بأنـهم يخشـون مـن إدارة الحكـم الذاتـي، ويدركون أنهم سيكونون مرتبطين بالتعاون مـع إسـرائيل. وهـم شـديدو الحساسـية تجاه الرأي العام الفلسطيني، بيد أنهم لا يكنون الكثير مـن التقديـر للزعامـة المحليـة التي تدير المفاوضات في واشـنطن". اعتـدت خـلال زمـن المفاوضـات أن أتقاسـم مع بيرس مشاعري وأحاسيسي تجـاه الفلسـطينيين. وقـد قلـت لـه ذات مـرة: لقـد أخطأنا جميعا بالإدعاء أننـا خـبراء فـي الشـئون العربيـة بشـكل عـام، والشـئون الفلسطينية بصورة خاصة. فكلما أكثرت مـن الالتقـاء بشـركائنا الفلسـطينيين، كلمـا اكتشفت أننا ربما نعرف الكثير جدا عنهم، بيد أننـا نفهمـهم قليـلا.

لقد أخطأت إسرائيل بتجاهلها للشعب الفلسـطيني. فعندمـا بدأنـا المفاوضـات مع عرفات كنا نعتقد اعتقادا جازما بأن الفلسطينيين سـيقبلون كـل مـا نمليـه عليـهم دون أي اعتراض، وهو الأمر الذي حـال دون رؤيتنـا لضـرورة العمـل مـن أجـل إحلال السلام بين الشعبين. فعرفات هو حقا زعيم ورمز، بيـد أن السـلام معـه ليـس بالضرورة سلاما مع الفلسطينيين. وقد عبر أبـو عـلاء عـن هـذه الحقيقـة بـالقول مرات عديـدة:" إذا أنجزتـم سـلاما مـع عرفـات أو معـي، واعتـبرت الجمـاهير الفلسطينية هذا السلام غير منطقي، فإن هذا السـلام لـن يصمـد أبـدا، يجـب عليكـم أن تتذكروا أن الفلسطينيين كلهم جيرانكم". بيد أنني لم أعـرف انـذاك، فيمـا إذا كـان أبو علاء يقول ذلك من أجل إحراز مكسـب تكتيكـي أم أنـه كـان يقصـد حقـا مـا يقول. ولربما أن أبو علاء قال ما قال، كمحاولـة لتقليدنـا، ومـن الجديـر بـالذكر، أن الفلسطينيين تعاملوا دائما مـع طرحنـا لمسـألة الخلافـات العميقـة المستشـرية فـي أوساط المجتمع الإسرائيلي، حول السلام، وكأنها طـرح تكتيكـي يقصـد بـه إحـراز

مكاسب سياسية، بيد أنهم اضطروا لتغيير تفكيرهم في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥، في أعقاب اغتيال رئيس الحكومة اسحق رابين.

تضمنت مسودة يوآل زينجر - الخاصة بإعلان المبادئ - قسمين: الإتفاقية نفسها، ومذكرة حول قضايا متفق عليها، والتي كانت بمثابة تفسير مشترك وملزم لبعض البنود الأكثر تعقيداً.

وقد أضاف زينجر إلى ذلك توصيات شخصية تتعلق بإبرام اتفاق مفصل حول الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير. فقد كان مثلي تماماً قلقاً من حقيقة أننا نمنح منظمة التحرير شرعية حين نتفاوض معها، دون أن نطالبها بتغيير النظرية التي قامت عليها، والتي تنص على نفي حق إسرائيل في الوجود، والذي اعتبرناه بمثابة لب النزاع الإسرائيلي-العربي. وبناءً على ذلك قدم يوال زينجر إلى رابين مسودة إعلان المبادئ مصحوبة بتوصيات شخصية بضرورة التوصل إلى اتفاق حول الاعتراف المتبادل بين الطرفين. وقد رد رابين على ذلك بحذر بالغ، حيث صادق على مسودة إعلان المبادئ، بيد أنه ترك لنا حرية جس النبض و التحري بشأن اتفاقية الاعتراف المتبادل.

وفي حواراتنا معه، أصر رابين على مسألة واحدة وأكد على ضرورة توضيحها للفلسطينيين بصورة لا تقبل الجدل، وهي: التأكيد على أن إسرائيل ستكون صاحبة الحق الوحيدة في ضمان أمن مواطنيها والدفاع عنهم، ضد أي تهديد خارجي. وقال: إذا رفض الفلسطينيون هذا المطلب، يمكنهم أن ينسوا الاتفاق برمته.

سافر زينجر إلى أوسلو في السابع والعشرين من حزيران وحده- من أجل عرض مسودة اقتراح إعلان المبادئ- على الفلسطينيين، وكنا ندرك أن الفلسطينيين سيجدون من الصعب هضم هذه المسودة. ولهذا السبب، حرص زينجر على إيضاح وجهة نظرنا بأناة وصبر. وكما حرص زينجر،على إفهام الفلسطينيين، بأن اسحق رابين كان مسرورا من تقريره، وأنه بدأ ينخرط في

المفاوضات.وألمح إليهم بشأن الاعتراف المتبادل، بيد أنهم فضلوا عدم التطرق إليه.

وفي رحلتنا اللاحقة إلى النرويج، في الرابع من تموز، عرضنا على الفلسطينيين المسودة الرسمية المكتوبة لإعلان المبادئ، والتي تطرقت إلى مسار تدريجي، ينص على إقامة حكم ذاتي في غزة وأريحا، ثم إبرام اتفاقية تسوية مرحلية تنتهي بتطبيق الحكم الذاتي في الضفة الغربية وفي الختام إجراء مفاوضات حول التسوية الدائمة للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

وقد تم تسليم الفلسطينيين الوثيقة والتي تم إعدادها على ورق عادي، لا يحمل أي إشارة رسمية لإسرائيل-كي يدرسوها. وحال عودة الفلسطينيين إلى طاولة المفاوضات بدا ردهم متشددا جدا. وانفجر حسن عصفور قائلا: لقد ألقينا أشهر العمل الطويلة السابقة في صندوق القمامة، وها نحن نبدأ كل شيء من الصفر"

خشي الفلسطينيون من أن الحكم الذاتي الذي عرضناه عليهم، ليس سوى عرض صوري. لا يمنحهم أي صلاحيات حقيقية، وذلك على عكس الوثيقة التي تم التوصل إليها، مع فوندك وهيرشفيلد.

والحقيقة هي أن الامر كان أقل من ذلك بكثير، فقد قبل الفلسطينيون خلال محادثاتنا التفصيلية مبدأ(التدريج) والذي يبدأ من الحكم الذاتي في غزة وأريحا، وقد وافقنا على إدراج أريحا في المرحلة الأولى من الحكم الذاتي. وأوضحنا للفلسطينيين، ما كانوا يعرفونه أصلا، بأن المفاوضات الحقيقية الملزمة، ستبدأ الان، بيد أن الاحتجاجات تواصلت، حتى قرر أبو علاء وقف الجدل، غير المجدي، والتعقيب على النص نفسه.

Draft of July 3, 1993

DECLARATION OF PRINCIPLES ON
INTERIM SELF-GOVERNMENT ARRANGEMENTS

The Government of the State of Israel and the Palestinians, represented by the Palestinian team in the Jordanian-Palestinian delegation to the Middle East Peace Conference (the "Palestinian delegation), agree to the following principles:

Article I

PREAMBLE

1. Israel and the Palestinians agree that it is time to put an end to decades of confrontation and conflict and achieve historic reconciliation and peaceful coexistence.
2. In order to accomplish these objectives, in line with the invitation to the Madrid Peace Conference, the aim of the Israeli-Palestinian negotiations within the current Middle East peace process is to establish interim self-government arrangements for the Palestinians in the West Bank and the Gaza Strip for a transitional period of five years, leading to a permanent settlement based on Security Council Resolutions 242 and 338.
3. The agreed framework for the interim self-government ~~arrangements~~ is set forth in this Declaration of Principles ~~below~~.

הטיוטה המשפטית הראשונה שהוגשה לנציגי אש"ף באוסלו ב־4 ביולי 1993
(הכוללת הערות שנכתבו בהכש"א וכהן).

المسودة القانونية الاولى التي قدمت لممثلي المنظمة بتاريخ
٤-٧-١٩٩٣

قال أبو علاء:" أرى أنكم تتشددون بشكل خـاص فـي مجـال الأمـن، وهـذا مقبول لدى الرئيس عرفـات".

ولا شك أن التطرق إلى الصلاحيات في المسودة، كـان بمثابـة إلماحـة إلـى الاستعداد للعمل معاً. وقد بدا في الأيام الثلاثة التاليـة، وحتـى السـادس مـن تمـوز، أننا فعلاً بدأنا نتقـدم إلـى الأمـام. وقـد وافقنـا علـى تضميـن المسـودة تحفظـات الفلسطينيين بين قوسين، ثم كـان علينـا أن نـرد علـى تسـاؤلات عرفـات وإشـباع فضوله. وقد أطلعنا أبـو عـلاء علـى عـدة أوراق مغطـاة بملاحظـات وتسـاؤلات عرفات بخط يده بالقلم الأحمـر. اسـتهل أبـو عـلاء تسـاؤلاته قـائلا:" مـن الـذي سيسيطر على المعابر الحدوديـة؟"

-يوآل زينجر: نحـن.

-أبو علاء: كم ستكون مساحة منطقـة أريحـا؟؟

-زينجر: نحن نعتبر هذه المنطقة رمزيـة فقـط.

-أبو علاء: هل ستوافق إسرائيل على إجراء دوريات مشـتركة علـى طـول الحـدود بين قطاع غزة ومصـر؟؟

-زينجر:لا،كل ما يرتبط بأمن إسرائيل الخارجي سيبقى بيـن أيـدي إسـرائيل.

س: كم عدد رجال الشرطة الذين سيكون بمقدورنا إحضـارهم مـن الخـارج؟؟

-زينجر: يجب أن نتوصل إلى اتفاق حول ذلك، وفقـا للتقديـرات الأمنيـة.

-أبو علاء: أنا أتفهم ذلـك، لكـن يجـب أن تتذكـر أن هدفنـا هـو التعـاون وليـس الفصل، كما أننا ملزمون بالدفاع عـن اقتصادنـا.

-أنا: دون أمن لن يكون هناك أي تطويـر اقتصـادي".

-أبو علاء: ودون تطوير اقتصادي لن يكون هناك أي صورة مـن صـور الأمـن.

كان من الواضح أننـا لا زلنـا فـي البدايـة، وفـي مرحلـة الاسـتيضاحات، رغم أننا تميزنا بكون الوثيقـة الموضوعـة علـى طاولـة المفاوضـات هـي وثيقـة إسرائيلية، مع اعتراضات فلسـطينية.

وخلال الجولة التالية، وخلال يومي ١١-١٢ من تموز، جاء دور الفلسطينيين المجتمعين معنا في فندق (هالفسبوله) القريب من أوسلو، كي يقدموا موقفهم الأولي للانطلاق. وقد استهل أبو علاء هذا الموقف بقراءة رسالة من عرفات، كان يوجهها إلى القيادة الإسرائيلية عبرنا، وقد جاء فيها: "لقد بلغت هذه المحادثات المتفردة الجارية بيننا، مرحلة جديدة الآن، لقد لاحت لنا فرصة تاريخية في تاريخ النزاع العربي الإسرائيلي، وعلى أكتافنا، يلقى عبء العمل من أجل عدم إضاعتها هباء".

هذا، وقد كرس عرفات جل الرسالة لطرح المطالب الفلسطينية الجديدة، حيث طالب بالانسحاب الفوري والكبير من غزة وأريحا. وقال:" يجب أن تأخذوا بعين الاعتبار الرأي العام الفلسطيني، لذا، هناك أهمية كبيرة جدا لتواجد الزعامة الفلسطينية في تونس- أي عرفات نفسه- في المنطقة التي ستنسحبون منها بهدف مواجهة احتمالات قيام المجموعات المتطرفة المهتمة بتخريب اتفاقية السلام الجديدة، من خلال نشاطات بهذا الصدد.

ويجب إجراء انتخابات في القدس، وإيجاد السبل الكفيلة بمنح "تعبير" للمؤسسات الفلسطينية في القدس".

وأكد عرفات في رسالته أيضا، أهمية الضمانات الدولية، والوساطة الخارجية، وبذلك يكون عرفات قد تنكر للوعود، التي حصلنا عليها منه، في أيار بهذا الصدد. مما جعلني أعبر عن احتجاجي الشديد.

وفي أعقاب توقف أبو علاء عن القراءة، قلت:"نحن نقدر رسالة الرئيس الفلسطيني، بيد أنكم تتراجعون عن المواقف الأساسية التي طرحتموها. ونحن لن نقبل التفاوض بهذا الأسلوب. وبمقدوركم إعلام الرئيس عرفات بذلك فورا".

وسرعان ما بدا لي" أن الاحتجاج الشديد الذي طرحته كان مجديا، ففي نفس الليلة، بعث عرفات رسالة جديدة بالهاتف عبر أبو علاء، أكد فيها نيته التوصل إلى اتفاق، وقال: أن الرسالة السابقة التي بعث بها كتابة، عبر أبو

علاء، ترمي فقط، للإعراب عن نواياه الحسنة وطرح عدد من القضايا التي تثير قلقه.

وهكذا، ففي الثاني عشر من تموز أصبح لدى كل طرف صوره عامة عن مطالب الطرف الآخر، كما تم توضيح المعايير الأساسية للمفاوضات. وقامت إسرائيل ومنظمة التحرير. بمناقشة خارطة طرق مستقبلية للضفة الغربية وقطاع غزة، واللتين تتراوح مساحتهما حول_٦٢٠٠)كيلو متر مربع-(الضفة ٥٦٠٠) وغزة(٣٦٠)كيلو مترا مربعا.

واتفق الطرفان على أن افضل الصيغ لاعادة بلورة العلاقات فيما بينهما، تتمثل في التقدم على مراحل-بيد أن كل طرف رغب في ضمان مزايا لنفسه، من خلال التفكير في التسوية الدائمة. ووفقا لذلك كان الإصرار الإسرائيلي على الاحتفاظ بصلاحيات معينة، نظراً لإدراكنا أنها ستؤثر على مصالحنا على المدى البعيد- مثل السيطرة على الموارد المائية-.

كان همنا الوحيد، وأكثر الأمور الحيوية بالنسبة لنا، هو الأمن. وتمثلت مشكلتنا في رغبتنا في التخلص من عبء الاحتلال، وفي نفس الوقت القدرة على مواصلة الدفاع عن المواطنين الإسرائيليين، وتوفير الأمن لهم، بمن فيهم عشرات آلاف المستوطنين في الضفة والقطاع.

ولهذا السبب، أصر اسحق رابين على أن تكون إسرائيل مسئولة بالكامل عن أمن الإسرائيليين، وعن الأمن الخارجي لمناطق الحكم الذاتي المستقبلية.

طالبت منظمة التحرير أن نعترف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، ونتعهد بتطبيق القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن الدولي في أعقاب حرب ١٩٦٧، والذي يدعو إسرائيل إلى الخروج من (مناطق احتلت) خلال تلك الحرب، مقابل إحلال سلام دائم. كما طالبت منظمة التحرير بأن يكون للحكم الذاتي ذراعان: تنفيذي وتشريعي، وأن تتحكم سلطة الحكم الذاتي بمعظم السيطرة داخل مناطقها، وناضل المفاوضون نضالاً عنيفاً، من أجل إحراز مكانة للسلطة الفلسطينية في القدس- مثل منح مواطني القدس الشرقية حق الترشيح لمجلس

الحكم الذاتي" ورغبوا في خلق مسار لاعادة نازحي عام ١٩٦٧ خلال التسوية المرحلية. وتطلعوا للحصول على نصيب في السيطرة على جسر الملك حسين الواقع على نهر الأردن. وذلك على افتراض أن يصبح نهر الأردن الحدود الشرقية لدولة فلسطينية مستقبلية.

وأرادت منظمة التحرير أيضا، أن تحتفظ ببقاء خيار التحكيم الدولي كضمانة لتطبيق الاتفاقية.

كانت غالبية هذه النقاط غير مقبولة لدى إسرائيل. وكانت هناك ضرورة لتطوير استراتيجية مشتركة تقوم على رغبة الطرفين في الاعتراف المتبادل بالأمن والازدهار الاقتصادي وتسوية القضايا محل الخلاف بما يتلاءم مع المصلحة الأساسية للتعاون بينهما. كان هذا التفكير هو الاختبار الحقيقي للمفاوضات بيننا، فلو أن الاستراتيجية المشتركة والمأمولة، تمكنت من السيطرة على الطرفين، فلا شك أن المفاوضات ستندفع قدما بسرعة فائقة، أما إذا لم يحدث ذلك، فسوف ندور مطولا حول أنفسنا في حلقة مفرغة.

حددت محادثات أوسلو أيضا، التوجه التكتيكي الأساسي من الطرفين للمفاوضات، بدءا من مرحلة جس النبض التي أردنا من خلالها استيضاح ماهية المصالح المشتركة للطرفين.

ورغم أن هذه المرحلة من المحادثات، لم تكن مرحلة مفاوضات كلاسيكية، الا أنها كانت مرحلة حرجة للغاية، نظرا لأننا حددنا خلالها الأهداف الأساسية التي تطلعنا إلى إنجازها. فالاتفاق هو بمثابة (بوصلة) تشير إلى اتجاه محدد وواقع جديد، فإذا كان الاتجاه الذي يشير إليه الاتفاق، غير قابل للتطبيق، من وجهة نظر أحد الطرفين، فإن ذلك يعني، أن هذا الاتفاق لا قيمة تذكر له.

لقد كان بيرس هو صاحب فكرة انتقال عرفات إلى غزة، وقد ناقش ذلك خلال محادثاته مع الرئيس المصري حسني مبارك، في تشرين الثاني١٩٩٢، وكذلك ناقشها فوندك وهيرشفيلد مع أبو علاء إبان مناقشة قضية التعاون بين الطرفين ومغزى ذلك.

لقد قـــامت المباحثـــات الخاصـــة بـــإعلان المبـــادئ علـــى عـــدة افتراضـــات رئيسية تتمثل فيمـــايلي:

إن إسرائيل ومنظمة التحرير تدخـــلان عـــهداً جديـــداً مـــن تعـــاون المصـــالح، وأن التعبير عن هذا التعاون ســـيتمثل فـــي قيـــام حكـــم فلســـطيني ذاتـــي فـــي غـــزة وأريحا، مع مسئولية إسرائيل عن أمنها، والـــذي ســـيجد تعبـــيره فـــي عمليـــة ســـلام إقليمية. وإن تقدم المسيرة سيأتي تدريجيا حتـــى تصـــل إلـــى التســـوية الدائمـــة، التـــي ستقوم على مصالحة تاريخيـــة.

وفي المرحلة الثانية، يختار كل طـــرف- بصـــورة عامـــة- أن يبـــدي مرونـــة كدلالة على حسن النوايـــا، ولدفـــع الطـــرف الآخـــر للكشـــف عـــن بعـــض مواقفـــه الحقيقية. وهذا ما حدث في الجولتيـــن الأولييـــن فـــي أعقـــاب انضمـــام زينجـــر إلـــى المحادثـــات.

أما في المرحلة الثالثـــة، فتبـــدأ الصداقـــة والعلاقـــة الـــودود فـــي الاهـــتزاز، عندما يقوم أحد الأطراف- إسرائيل في أوسلو- بطـــرح موقـــف البـــدء، الـــذي يعـــتزم الانطلاق منه صراحة، ويحاول إقناع الطرف الآخر، بـــأن هـــذا الطـــرح هـــو أفضـــل ما يمكن أن يقدمه، بل وأنه الطرح الوحيد الذي لا يوجـــد غـــيره، وفـــي هـــذه الحالـــة، يكشف الطرف الآخر عن مواقفه، وتبدأ عمليـــة المســـاومة الحقيقيـــة.

وتميل المساومة في البداية إلى أن تكون مضنية وبطيئـــة وذلـــك نظـــراً لعـــدم استعداد الطرفين للكشف عن خطـــوط المرونـــة المســـتعدين للتنـــازل إليـــها، أو حتـــى الاعتراف بوجود مثل هذه الخطوط. ويسفر هـــذا الوضـــع عـــن ولادة أزمـــات، يقـــوم كل طرف بتوجيه إصبع الاتهام خلالها، إلـــى الطـــرف الآخـــر، ويتهمـــه باللامنطقيـــة ويؤكد أن آخر الاقتراحات التي قدمها، هـــو آخـــر الحلـــول، وأن البديـــل ليـــس ســـوى انهيار الحوار. وفي غالبية الاحيان، ما تنتهي الأزمـــات بالاعتمـــاد علـــى الثقـــة التـــي تم تطويرها بيـــن الطرفيـــن، والتـــي تتيـــح لـــهما إمكانيـــة الكشـــف عـــن (الخطـــوط الحمراء) الحقيقية التي يضعانها لأنفســـهما. وحينـــها فقـــط، تبـــدأ عمليـــة المســـاومة،

ويعود الطرفان لتبني مصلحتـــهما المشـــتركة، واللجـــوء إلـــى طـــرح أفكـــار خلاقـــة ومبدعة، بغية التوصل إلى اتفاق لم يتوقعه أي منـــهما منـــذ البدايـــة.



١- أوري سبير وأبو علاء خلال المحادثات في ايلات حول التسوية المرحلية – آب ١٩٩٥.

(حالات المد والجزر في المفاوضات)

عرفات حرص على العودة إلى الذاتي لمعالجة المعارضة

عملية يوم الحساب لم تؤثر على مسار المفاوضات

يبدو تقدم المفاوضات في ظـل الواقـع، ليس مخططـا، نظـرا لأن القـائمين عليه يصطدمون بالعديد من المشـاكل، إضافـة إلـى التغـيرات فـي الواقـع، والتـي تؤثر على سير المفاوضـات.

وديناميكية المفاوضـات تتـأثر أيضـا بوسـائل الإعـلام والنشـاطات التـي تبديها، وباستخدام الأطراف الثلاثـة، ومـن التنـازلات الوهميـة والحلـول الكاذبـة، ومن مختلف المناورات والألاعيب الأخرى، لـذا، فـإن المفاوضـات المعقـدة تتطلـب من كل طـرف، التحديـد الواضـح والدقيـق للأهـداف والمصـالح بعيـدة المـدى. وإدراك واضح لما هو حيوي، وما هو غير مجد، وقـدرة علـى التفريـق بيـن الغـث والسـمين.

ومثل هذه المفاوضات، تحتاج أيضا إلى قـدرة وأنـاة للتفكـير فـي المشـاكل على صورة:"كتلة"، وإجراء أعمال جذرية بصـورة منهجيـة.

وخلال محادثات أوسلو، قام المتفاوضون أنفسـهم بـإدارة الأعمـال الجذريـة بالتعاون مع يوسي بيلين. وآفـي جيـل وشـلومو جـور، وبتوجيـهات مـن بـيرس ورابين. ومن الجدير بالذكر، أنه عندما كان رابين وبـيرس يلتقيـان كنـا نقـول: لقـد التقى رئيس الحكومة بوزراء الدفاع والخارجية والماليـة ورئيـس الأركـان والسـفير في واشنطن ونائب وزير الدفاع، وجميـع المنـاصب الأخـرى التـي شـغلها الاثنـان طيلة حياتهما السياسـية.

واتضـح لنـا أيضـا أن السـرية هـي شـرط ضـروري لنجـاح المعركـة السياسية، وطيلة السنوات الثلاث مـن المفاوضـات، والتـي تمخضـت عـن ثـلاث اتفاقيات، لم يتسرب أي شيء جوهري. أضـف إلـى ذلـك، أن السـرية هـي مفتـاح

العمل المشترك بين الأطراف، إضافة إلى جدواها الكبيرة، في بناء الثقة بين المفاوضين.

لقد بقيت القاعدة السرية، التي تم العمل بها في.أوسلو، على ما هي عليه، منذ ربيع عام ١٩٩٣، وحتى التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية في أيلول ١٩٩٥.وعملنا بها أيضا تجاه الأميركيين وتجاه المصريين. وكان ذلك نتاجا للايمان، بأن على أولئك الذين حكم عليهم بالتعايش المشترك سوية، أن يقرروا بأنفسهم، كيفية عمل ذلك، وتحمل مسئولية قرارهم.

وفي غضون الفترة اللاحقة، لعبت الإدارة المركزية دورا رئيسا في المسيرة. بما يتلاءم مع العلاقة الجديدة التي أنشأناها مع منظمة التحرير، كما سارعت إلى تقديم شبكات الحماية، كلما برزت مشكلة عويصة في حاجة إلى حل، وبتقديم المساعدات الاقتصادية للفلسطينيين. هذا في الوقت الذي لم تول الولايات المتحدة مفاوضات أوسلو، طيلة الأشهر السبعة الأولى من بدئها أي اهتمام.

ويرجع السبب في ذلك، إلى أن الفطنة والحنكة الأميركية كانتا تشيران إلى أن فرص التوصل إلى سلام مع سورية أكبر، وأكثر أهمية.

ورغم ذلك، بذل طاقم السلام الأميركي بقيادة روس، جهودا كبيرة لدفع المفاوضات في واشنطن مع الفلسطينيين إلى الأمام. وفي الثامن والعشرين من الشهر نشر هذا الطاقم صيغته لإعلان مبادئ مقلص، بيد أن الاقتراح الذي عرضه كان أقل مما اعتقدنا أن بمقدورنا إنجازه في أوسلو، أضف إلى ذلك أن قسما لا يستهان به من بنود الاقتراح- وعلى وجه الخصوص تلك البنود التي تطرقت إلى العلاقة بين التسوية المرحلية والدائمة- متعبة ومثيرة للمشاكل، من وجهة نظرنا.

وحرصنا على إطلاع المصريين أيضا، بين الفينة والأخرى، على مجريات الأحداث، وعلى رأسهم الرئيس المصري ومساعدوه وقد عقد أسامة الباز، مساعد الرئيس مبارك اجتماعه مع رئيس الحكومة رابين، في حزيران

إضافة إلى أن عرفات، كان يستعين بخبرة المصريين، بصورة دائمة ويتشاور معهم. والحقيقة هي أن المصريين كانوا للفلسطينيين بمثابة الأخ الأكبر.

وفي أعقاب لقاء الباز برابين، سارع إلى إعلام الفلسطينيين، بأن رابين ملتزم بمسار أوسلو.

ولم يكتف النرويجيون بمكانة الرعاية بل عملوا على دفع المسيرة نفسها إلى الأمام. ففي الثاني عشر من تموز، توجه وزير الخارجية هولست وزوجته مريانة، وتاري لاريسون وزوجته مونه إلى تونس، فيما أسموه بالدمج بين زيارة عمل واجازة خاصة. وكان هدفهم الرئيسي يتمثل في الاجتماع بعرفات. وفي أعقاب المحادثة المطولة التي أجروها معه، توجه لاريسون وزوجته للقاء شمعون بيرس، حاملين معهما رسالة من هولست حول ما أسفرت عنه محادثاته مع عرفات.

وفي البداية، عمد عرفات إلى إخراج مسرحية كبيرة بحضور مساعديه، فوجه شجباً إلى الولايات المتحدة، على محاباتها لإسرائيل. بيد أن النرويجيين وجدوا في عرفات، في اللقاء الثاني الذي أجراه معهم، بحضور -أبو علاء فقط- شخصاً مختلفاً، وواقعياً، وقد تحدث بارتياح عن التقدم الذي تم إحرازه في أوسلو، وأثنى على ضيوفه، والجهود التي بذلوها من أجل ذلك.

وأطلعهم على خارطة تفصيلية لمنطقة الحكم الذاتي في غزة، والمنطقة الواسعة التي حصل عليها في أريحا، والطريق الواصل بين المنطقتين. وسجل على خريطة- تم نقلها إلينا فيما بعد- نظريته حول أريحا. وفي محاولة لتبرير مطلبه الخاص بمنحه منطقة واسعة في أريحا، أكد عرفات على عدم وجود مستوطنات، حول أريحا، أو أي أماكن مقدسة لليهود. وأكد أيضا، أنه كلما كانت المناطق الخاضعة له أوسع، كلما تمكن من كبح جماح أولئك الذين سيسعون لإثارة الشغب.

وعزا عرفات أهمية كبيرة لحقيقة أن عليه، هو بالذات، أن يتوجه إلى مناطق الحكم الذاتي، كي يتمكن- مثلما قال- لمعالجة حركة حماس.

وقال: أنه إبان تواجده في بيروت كان قادرا على إحداث شروخ في أوساط المعارضة التي قامت ضده، وأنه سيعود إلى ذلك مجددا، في الضفة الغربية. إن فكرة فرق تسد هي إحدى طباع عرفات.

أعرب لاريسون وزوجته مونه، عن اعتقادهما بأن عرفات يرغب حقا في إنجاز السلام. وقد تحدثا عنه بمزيج من الاحترام والسخرية، الامر الذي ساعدنا في فهم هذا الرجل، زعيم منظمة التحرير الذي اتخذ جميع القرارات الصعبة وحده.

وخلال مأدبة العشاء التي أقامها بيرس، على شرف لاريسون وزوجته في فندق(لاروم) في القدس، أعرب عن ثقته بأن إحراز السلام مع الفلسطينيين، سيبشر بولادة عهد جديد للشرق الأوسط كله. وطلب من الضيفين أن يوضحا لعرفات بصورة لا تقبل الجدل، أن هناك ثلاث قضايا ليست واردة بالحسبان، إطلاقا:

- توسيع مناطق الحكم الذاتي بأي صورة من الصور باتجاه القدس.
- توسيع مساحة المنطقة الممنوحة له في أريحا.
- منح معبر مستقل-خارج السيطرة الإسرائيلية للفلسطينيين بين غزة والضفة الغربية، وقال:"إذا أصر عرفات على معارضة أي نقطة من هذه النقاط، فلن يتم إبرام أي اتفاقيات".

لقد اتضح لنا بصورة فجائية أن بيرس يتحدث بصراحة تامة رغم حقيقة أن النادل الذي قدم لنا الوجبة، هو فلسطيني الجنسية- وقد لاحظ يوسي بيلين نظراتي، وهي تتحرك باتجاه النادل، بيد أن بيرس تجاهل ذلك. ولحسن الحظ، فإن النادل لم ينتبه لما نقول.

ومع عودة لاريسون، حمله بيرس رسالة إلى هولست، ضمنها الخطوط الحمراء آنفة الذكر وفي العشرين من تموز أطلع هولست عرفات على فحوى الرسالة. فعاد عرفات، ليؤكد على المسائل المهمة بالنسبة له، والمتمثلة في الأهمية التي يدليها للمعبر بين غزة وأريحا، وبين أريحا والأردن، وأبدى حماسا

بالغاء وهو يتحدث عن ضرورة عودته إلى غزة، وحاول أن يبدو وكأنه شديد الإخلاص، في تجسيد المصالح المشتركة، ووافق على ضرورة تسريع المسيرة السلمية، واغتنام الفرصة السانحة.

وفي الرسالة التي بعث بها هولست فيما بعد إلى بيرس، قال: أن عرفات أكد له، أن منظمة التحرير جاهزة لإجمال المفاوضات والتوقيع على الاتفاقية، وأن الإرجاء، أكثر من ذلك سيفضي إلى فقدان السيطرة من أيدينا جميعا.

الطرفان بحاجة إلى السلام، ويجب علينا أن نتوصل إلى حلول، يجب على الفلسطينيين والإسرائيليين أن يتعلموا كيفية التعايش معا.

*** *** ***

أدت مساهمة هولست في توضيح المواقف للطرفين، والحوارات الجماعية التي أجراها مع بيرس، فيما بعد، إلى وضع الأسس لجولة المحادثات التالية بين الرابع والعشرين والسادس والعشرين من تموز.

كانت مسيرة أوسلو قد وصلت إلى لحظة الحقيقة، وجئنا إلى المفاوضات ونحن نتوقع حدوث تقدم سريع، وفي نفوسنا استعداد كبير للتسوية، وسرعان ما اتضح لنا أن علينا أن نستيقظ من هذا الحلم، فقد عاد الفلسطينيون ليؤكدوا على مواقفهم من خلال وثيقة كاملة وجديدة تماما. ورغم وعودهم بالتقدم إلى الأمام، فقد بدا لنا أنهم تراجعوا عن المواقف التي سبق لنا أن جذرناها معهم. فقد تجاهلت وثيقتهم الوثيقة التي قدمناها إليهم في الرابع من تموز. وطالبوا بتواجد عشرة آلاف شرطي فلسطيني في غزة وأريحا، وسيطرة فلسطينية على المعابر الحدودية، وانسحاب إسرائيلي من غزة في غضون ثلاثة أشهر، وإجراء مفاوضات لتحديد حجم كل انسحاب إسرائيلي جديد. وقد تحدث الفلسطينيون في هذه الوثيقة، لأول مرة، عن منظمة التحرير كشريك لنا في المفاوضات.

ورغم أن مثل هذا الأسلوب في المفاوضات، لم يكن غريبا بالنسبة لي، الا أنني رددت عليه بالقول:" أبو علاء... أنك تتنكر للتفاهم الذي سبق أن أحرزناه، وإذا ما أطلعنا رابين وبيرس على هذه الوثيقة، فان ذلك سيعني نهاية

هذه المباحثات، فإما أن نعود لمناقشة وثيقة السادس من تمـوز- والتـي أضفنـا إليـها معارضة الفلسطينيين في السادس من تموز، وإمـا أن تنتـهي المباحثـات.

ثم خرجت من الغرفة، وسرعان ما لحق بي أبـو عـلاء، وطلـب أن نتحـدث أنا وهو على انفراد-مثلما اعتدنا أن نفعل مـرات عديـدة يوميا٠ •وقـال:" لا نتجـاهل وثيقة السادس من تموز، والمواقـف التـي نطرحـها مفتوحـة للنقـاش، أمـا إذا مـا تجاهلتم الوثيقة التي نقدمها إليكم، فلن نستطيع العـودة إلـى تونـس".

اقترحت أن نعود إلى وثيقة السادس مـن حزيـران، وأن نـدرج فـي إطارهـا مطالبهم الجديدة. وهكذا كرسنا في هذه المباحثات التـي جـرت، نهايـة شـهر تمـوز، أكثر من يومين في محاولة للعثور على حل وسـط بيـن تفـاهم السـادس مـن تمـوز وبنود الوثيقة الفلسطينية الجديـدة.

كانت حواراتنا مكثفة جدا، ناقشنا خلالـها الحلـول المطروحـة طيلـة خمـس وخمسين ساعة دون توقف، بل إن الأنباء التـي وصلتنـا مـن إسـرائيل حـول شـن إسرائيل حرب "يوم الحساب" على لبنان، لم تـؤد إلـى وقـف المباحثـات. ولـم يبـد الفلسطينيون اهتماما لما يجري فـي لبنـان، وركـزوا جـل اهتمامـهم علـى الوثيقـة الماثلة أمامـهم.

انضم إلى المفاوضات محمد أبو كرش، والذي حل محـل مـاهر الكـرد. وقـد قدمه أبو علاء بأسلوبه الفكاهي خلال جولـة المباحثـات السـابقة عندمـا وقـف فـي باب غرفة الاجتماعات، وقـال:"الإرهـابي القـاتل ذو السـمعة السـيئة محمـد أبـو كرش" وآنذاك دخل إلى الغرفة شخص قصير القامة خجـول، قـدم نفسـه علـى أنـه أحد ممثلي منظمة التحرير في الأمم المتحـدة فـي جنيـف. وعندمـا حـاولت معرفـة ما حدث للكرد، رد علـي أبـو عـلاء باختصـار وإيجـاز:" لا تسـأل كثـيرا". وقـد علمنا، فيما بعد، أن الكرد، لم يتوخ السرية التامة، وباح بقليـل ممـا يعـرف، لـذا تـم إرساله إلى كندا، بيد أنه عاد إلـى تونـس فيمـا بعـد، واصبـح مستشـارا اقتصاديـا للرئيس الفلسـطيني.

أبديت اهتماما خلال الأيام الثلاثة اللاحقة بأحد المفاوضين القدامى- حسن عصفور، فقد شعرت بالدهشة، من شبكة العلاقات التي طورها مع زينجر، والتي تختلف-بمفهوم معين- عن العلاقة القائمة بيني وبين أبو علاء. لقد كان زينجر وعصفور ذوا جذور عميقة كل في مجتمعه، مما أحدث بينهما في البداية الكثير من الصدامات، بيد أنهما اعتادا، فيما بعد، تطوير لغة مشتركة وقد بدأ زينجر يقدر عصفور، كإنسان مستقيم وذكي، والذي طرأ لديه تغيير عميق في طبيعة تعامله مع إسرائيل. ولم يكن يجيد التعبير عن نفسه بالانجليزية، بيد أن عينيه أشارتا إلى التغيير الذي طرأ عليه، من الاحتقار الذي كان يكنه للمفاوضين الإسرائيليين الجالسين أمامه، إلى فضول متزايد، بل وإلى قدر مفاجئ من المشاركة الوجدانية.

وبينما نحن نثرثر ذات يوم، بالقرب من الفندق، قال لي: بوصفه شيوعيا عسكريا وتلميذا لجورج حبش، فإنه اصطدم مرات عديدة مع عرفات، بيد أن وجوده في تونس، ودخوله في دائرة تأثير أبو مازن، جعله يتبنى مواقف أكثر اعتدالا تجاه إسرائيل.

وعندما جلسنا، وحاولنا تخيل قيام علاقات جديدة بين إسرائيل والفلسطينيين، قال لي:" هل تعرف.. لديكم أناس يفكرون بالأساليب القديمة؛ ولديكم أناس يفكرون بأسلوب العصر، إن جميع الإسرائيليين الذين قابلتهم هنا، يتطلعون نحو المستقبل، وهذا يشجعني على الإيمان بالسلام القائم على المساواة بيننا".

لقد قال لي ذلك، في الوقت الذي كانت فيه المفاوضات والتي تعتبر بمثابة الخيط الواهي الذي يربط بين الماضي والحاضر-تواجه فيه اختبارا صعبا

كان الفلسطينيون، آنذاك، قد أسقطوا من حسابهم، سلسلة من المطالب، بما فيها مطالبتنا بإجراء حوار حول كل انسحاب جديد إضافي، هذا إضافة إلى

وجود خلافات عميقة بيننا في البنـــود الســتة عشــر الأخــرى، إلـى الدرجــة التــي يصعب تجســيرها.

وفي ساعات ما بعد ظهر الســـادس والعشــرين مـن تمـوز، قررنـــا إجــراء محاولة لإنقاذ المحادثات وقد رفـــض الفلســطينيون مســألة مســئوليتنا الكاملــة عــن الأمن الإسرائيلي، في مناطق الحكم الذاتي. مما جعلنـــا ننتقـل إلـى مرحلــة الصــراخ وتبادل الاتهامات، بلهجة صارمــة وحــادة.

وقد صرخ أبو علاء قـــائلا:" أنتــم تريــدون أن تحتفظــوا بالســيطرة الأمنيــة الكاملة، بيد أنكم لن تمنحونـــا كــامل الصلاحيــات المدنيــة ولــن تعــترفوا بحقوقنـــا الوطنية، وستبقون جميــع المســتوطنات فــي مكانــها. وأنتــم تلقبــون ذلــك بـــالحكم الذاتي؟؟ إن ما تصفونه بالحكم الذاتي هو فــــي الحقيقــة "لا شـــيء"، ســوى الاحتـــلال بوسائل أخرى. إننا نفضل الانتظار عشر سنوات أخرى لإنجـــاز اتفــاق منطقــي".

وقد رددت عليه بالقول: أن كل مـــا تفعلونـــه هـــو أن ترفضـــوا، وترجئـــوا، إن التطرف لن يقودكم إلـــى أي مكـــان، ولـــن يحقـــق لكــم أي إنجــاز كــان، لمـــاذا لا تعترفون بالمسارات والقضايا التي نقدر على إدخالها إلـــى حركــة الرســن؟؟ لمـــاذا لا تدركون أنـــه، ومنــذ اللحظــة التــي ســتوقع فيــها علــى الاتفاقيــات، ونبــدأ بنقــل الصلاحيات، فإن العد التنازلي لبدء التسوية الدائمة ســيبدأ؟؟ وحتــى نبــدأ هــذا العــد، فلن يكون بمقدوركم عمل شيء سوى الانتظار، –بـــل كلنـــا ســننتظر قــدوم المســيح، وستتواصل آلام الشعبين". بيد أن الفلسطينيين واصلوا الإصـــرار علــى آرائــهم.

توقفت عن الصراخ، وشـــرعت فــي توضيــح الصــورة ببــطء، قــائلا:" لــن نتخلى عن أمن الإسرائيليين، ولن ننصبكــم مســئولين عـــن هــذا الأمــن، مـــا الــذي يجعلنا نفعل ذلك؟ لقد حارب أحدنا الآخر مائة ســـنة، والآن فقــط، شــرعنا فــي بنــاء الثقة فيما بيننا. لن نعترف بحقوقكم الوطنية، لأن ذلــك يعنــي قيــام دولــة فلســطينية، في حين، يجب علينا، أن نميز بين المحادثـــات التــي نجريــها حاليــا، حــول الحكــم الذاتي، ومحادثات التسوية الدائمة فـــي المســتقبل".

تواصل الجدل والنزاعـــات، واتـــهمنا أبـــو عـــلاء بأننـــا نســـعى إلـــى إبقـــاء الاحتلال على ما هو عليه إلى الأبـــد.

وبدا فوندك، يعرب عن اســـفه البـــالغ لإضاعـــة الفرصـــة الكبـــيرة الســـانحة. أما زينجر، الذي كان يعزف عن الخوض فـــي أي جـــدل، لا علاقـــة لـــه بالمباحثـــات فقد جلس غارقا في مقعده مغمـــض العينيـــن، متظـــاهرا بأنـــه لا يســـمع شـــيئا ممـــا يدور.

قررت إنهاء هذا الوضع، فقلت لأبـــو عـــلاء بصـــوت رســـمي:" أبـــو عـــلاء، يخيل الي أننا لم نعد نتقدم إلـــى الأمـــام، وأنـــا أقـــترح أن يقـــوم كـــل وفـــد بـــإعلام المسئولين عنه بنشوب أزمـــة".

حملق أبو علاء فـــي كومـــة الأوراق المطروحـــة أمامـــه. ثـــم بـــدأ يجمعـــها، بصورة منظمة، وكأنه يعتزم مغادرة القاعـــة، وبـــدأت، أنـــا أيضـــا، جمـــع حاجيـــاتي لأغادر القاعة، وحينها استدار بصورة فجائيـــة نحـــوي، وقـــال:" لحظـــة فقـــط، أود أن أدلي بتصريح شخصي"، وجلس في مقعـــده، وقـــال بصـــوت خـــافت:" أنـــا وزملائـــي نبذل جهودا مضنية من أجل التوصل إلى سلام معكـــم. ونحـــن علـــى اســـتعداد لتقديـــم تنازلات كبيرة، بيد أنني لم أعد أجـــد معنـــى لمواصلـــة هـــذه القضيـــة برمتـــها، لقـــد وصلنا إلى طريق مسدود وأنا لا أتـــهم أي إنســـان، بيـــد أننـــي لا أســـتطيع تقديـــم أي مساهمة بعد ذلك. ورغم أن هذه لحظة صعبة بالنســـبة لـــي، الا أننـــي أعلمكـــم بـــأنني سأستقيل من المفاوضات. وأبو عمـــار ســـيقرر، مـــن هـــو الشـــخص الـــذي ســـيحل محلي. وأنا آمل أن ينجح البديل في إحراز ما لم أتمكـــن مـــن إحـــرازه لأننـــي أؤمـــن بالاتفاق ، وسأكون على استعداد تام، لتقديـــم أي استشـــارة أو معونـــة لـــه، إذا رغـــب في ذلك أشكركم على التعاون، لقد كان التعـــرف عليكـــم شـــيئا ممتعـــا بالنســـبة لـــي، آمل لكم النجاح، وأن نلتقي فـــي المســـتقبل".

ساد الغرفة صمت شديد، وشاهدت دموعا فـــي عينـــي أبـــو عـــلاء وأدركـــت أن علي أن أرد بشيء ما. بيد أنني لم أكن أعرف بالضبط، مـــا إذا كـــان يقصـــد حقـــا ما يقول، أم أنه يقوم بعرض مسرحية؟؟ ولربما أنه هو نفسه لـــم يكـــن يعلـــم الحقيقـــة.

وعلى أية حال، فقد قال لي إحساسي الداخلي، أنه لا يجب علي بأي حال، أن أَلين."

استهللت كلامي بالقول:" لقد جئنا إلى هنا لإجراء حوار، توطئة للتوصل إلى مصالحة، وكدنا نعتقد أن منظمة التحرير هي شريكنا في هذه المبادرة، لكن عندما نكشف عن الأوراق، سنجد أن منظمة التحرير تتهرب من اتخاذ قرارات واضحة. وأنا أحترم الجميع هنا، بيد أنني لا أفهمكم. هل تعتقدون أن أي مواطن فلسطيني في المخيمات سيغفر لكم رفضكم لتسلم المسئولية عن قسم من أبناء شعبكم، فقط بسبب خلافات على بعض الكلمات؟؟ لربما كانت منظمة التحرير أهم لديكم من الشعب الفلسطيني. ولربما أن أولئك الذين يقولون أنكم لا تفوتون فرصة لإضاعة الفرص السانحة، محقون في قولهم.

"أيضا نحن ارتكبنا أخطاء، ففي عام ١٩٧١ اقترح علينا الرئيس المصري أنور السادات تسوية مؤقتة في قناة السويس، بيد أننا رفضنا المبادرة، وفي عام ١٩٧٣ اندلعت الحرب، وعام ١٩٩٣، هو عام ١٩٧١ بالنسبة لكم. فبدلا من أن نتوصل إلى سلام في أوسلو، قد نجد أنفسنا بعد سنتين في خضم نزاع عنيف. "لقد شعرت في أعقاب مئات الساعات التي قضيناها في التفاوض معا، أنني أقدركم واحترمكم. وأنا أشعر بالأسف للقرار الذي اتخذته يا أبو علاء، وهو قرار خاطئ، بيد أنني سأحترمه، وباسمي وباسم زملائي أتمنى لك النجاح، ولا شك أننا سنواصل العمل مع البديل، الذي سيحل محلك".

بقي وجه أبو علاء مقطبا وجامدا كما هو، وحينها طلب هيرشفيلد أن يقول شيئا ما، واستهل كلامه بالقول: أنا وفوندك نعرفك منذ أشهر طويلة، وكنا نعتقد أننا سنتمكن من التوصل إلى اتفاق إلى حد كبير بفضلك. هذا يوم اسود، والتاريخ لن يغفر لنا، لقد ناضلت طيلة حياتي من أجل هذا السلام وها أنا أراه يفر من بين أصابعي، ولا يوجد هناك من يدري ما إذا كنا سنواصل السير على هذا الطريق أم لا، وربما ينجح غيرنا، وربما كتب علينا أن ننتظر زمنا طويلا آخر. ونحن لم نتواجد هنا، من أجل أنفسنا، بل من أجل شعبينا اللذين يستحقان

السلام والحياة الأفضل، بيد أننا نحبطهما، إن هذا اليوم هو أسوأ يوم شهدته في حياتي".

أثرت كلمات هيرشفيلد فينا أبعد تأثير، لقد قال لنا ما الذي ينتظرنا، وكان هو الوحيد القادر على فعل ذلك، وتوجهت جميع الأنظار إلى أبو علاء، الذي بدا وجهه شديد التكدر والعبوس، ونهض على قدميه، وطلب من زملائه أن يحزموا أمتعتهم، واتجه نحو باب الغرفة دون أن ينبس ببنت شفه، ويتبعه المفاوضون الآخرون، دون أن يلقوا نظرة واحدة باتجاهنا، وسرنا. نحن في أثرهم .

وعلى مداخل المنزل، وجدنا لاريسون وزوجته مونه، ومعهما الحراس جالسون. كانت وجوهنا تعكس كل شيء وعندما اقتربت من لاريسون تمتمت بهدوء: هذه المرة كل شيء قد انتهى.

*** *** ***

لم أكن واثقا حقا من أن الأمور آلت إلى الطريق المسدود واتجهت إلى غرفة حاسوب (أف.آيه.أف.أو)، حيث كان فوندك يعمل على إعداد مسودات الأتفاقيات واحدة إثر الأخرى.

بدا زينجر- وهو الرجل الذي شهد أزمات لا حصر لها-هادئاً للغاية. لقد ساد بيني وبينه، تفاهم تام، حول التكتيك المتبع، فقد كنا نحن الاثنين، مقتنعين تماماً بأن هناك شيئاً أهم من إنجاز الاتفاق، ألا وهو إحداث تغيير في نظرية منظمة التحرير.

شعرت، وأنا في طريقي إلى غرفة الحاسوب بأنني بحاجة لإلقاء نظرة على مصدر المشكلة، على المسودة التي أعدها زينجر بشأن الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير ونسخنا منها البنود السبعة المهمة بصورة مختصرة، ثم عمدنا إلى إجراء مقارنة بين البنود الستة عشر، موضع الخلاف في إعلان المبادئ مع التنازلات التي احتفظنا بها للمرحلة النهائية. ووضعت علامات على ثمانية بنود لا نستطيع تقديم أي تنازلات بشأنها، وما كدت أنتهي

من ذلك، حتى دخل لاريسون إلى الغرفة وتوسل الـــي قـــائلا:" اذهـــب وتحـــدث مـــع أبو علاء إنه يجلس وحده في المكتبـــــة.

-أنا: هل طلب أو وافق على التحـــدث معـــي؟؟

-لاريسون: الحقيقة، هي أنني عرضت عليـــه أن أرتـــب لقـــاء بينكمـــا، فكـــاد أن يلقـــي بي خارج الغرفـــة؟

ذهبت إلى المكتبة، فوجدت أبـــو عـــلاء جالســـا إلـــى جـــوار النـــافذة مقطـــب الجبين، وشديد العبوس. فبادرته بالقول: كيـــــف حـــالك".

-أبو علاء: الوضع سيء للغاية. الطرفان متصلبـــان فـــي رأيـــهما، ولا يدركـــان مـــدى أهمية هذه اللحظة، وأنا لا أستطيع مواصلة الحوار علـــى هـــذا النحـــو".

-أنا:" إذا كنت غير قادر على معالجة أعراض المرض، ربمـــــا يجـــب عليـــك أن تلجـــأ لمعالجة جذوره، ما رأيـــك فـــي أن تجـــري حـــوارا حـــول الاعـــتراف المتبـــادل بيـــن منظمة التحرير وإســـرائيل؟؟

-أبو علاء:" ما الذي تقصـــــده".

-أنا:" اطلب منك أن تسجل البنود السبعة التالية"، ثم أخـــذت أقـــرأ البنـــود مـــن الورقـــة التي معـــي:

أولا: حق إسرائيل في الوجود بـــأمن وســـلام.

ثانيا: قبول قراري مجلس الأمـــــن الدولـــي ٢٤٢،٣٣٨.

ثالثا: حل النزاع بالطرق الســـلمية.

رابعا: حل الخلافات في وجهات النظر عـــــبر المفاوضـــات.

خامسا: التخلي عن الإرهـــــاب.

سادسا: وقف الانتفاضـــــة.

سابعا: إلغاء بنود الميثاق الوطني الداعيـــة لتصفيـــة إســـرائيل، أو التـــي تتنـــاقض مـــع المسيرة الســـلمية.

" إذا ما نجحت في إقناع الرئيس الفلسطيني بقبول هذه البنود، فسأحاول إقناع رابين وبيرس بالاعتراف بمنظمة التحرير، والشروع بحوار علني معها ومع عرفات كرئيس للمنظمة، وليس كرئيس فلسطيني".

-أبو علاء:" سأنقل ذلك إلى عرفات".

-أنا:" أرجو أن توضح له أنني أفعل ذلك على مسئوليتي، وأنني بحاجة إلى مصادقة رابين وبيرس. واقترح عليك أيضا- وهذا أيضا بمبادرة مني- أن تقنع عرفات بالرد على البنود الثمانية التالية في إعلان المبادئ، وإذا ما وافق عليها، فسأحاول إقناع زعمائنا بإبداء مرونة بشأن البنود الثمانية الباقية". ثم عمدت إلى توضيح البنود الثمانية المهمة بالنسبة لإسرائيل، والتي تتضمن المسئولية الإسرائيلية الكاملة، على أمن الإسرائيليين، والاحتفاظ بصلاحيات مدنية معينة والسيطرة على المعابر الحدودية.

-أبو علاء:" أنا على استعداد للمحاولة، رغم أن ذلك سيكون صعبا".

-أنا: سيكون ذلك أيضا صعباً بالنسبة لنا، بيد أنها ستكون -ربما- الفرصة الأخيرة للتوصل إلى اتفاق. وأرجو أن تبعث لي رداً بواسطة لاريسون، سواء أكان الرد إيجابياً أم سلبياً. ولا اعتقد أن هناك هامشاً زمنياً قد تبقى لدينا للمساومة.

فوارن كريستوفر وزير الخارجية الأميركي سيقوم في غضون الأيام القليلة القادمة بزيارة للمنطقة، ومن الجائز أن يتم تحريك المسار السوري، مثلما يفضل الأميركيون".

فهم أبو علاء إلماحتي، وأدرك أنني أمارس عليه ضغطا، بيد أنني أيضاً، أخاطر بالإعراب عن الاستعداد لإبداء مرونة فيما يتعلق بالبنود الثمانية الباقية، التي لم أشر إليها-مثل الاعتراف بالحقوق السياسية للفلسطينيين، وانتقال الزعامة الفلسطينية إلى المناطق المحتلة-.

(التوقيع بالأحرف الأولى)

بيرس احتفل بميلاده السبعين مع بشائر التنازلات الفلسطينية

واشنطن أهملت أوسلو ووجدت في المسار السوري قبلة السلام

لقد أدرك، أن مثل هذا الحديث لا يمكن أن يدور فيما بيننا، الا بفضل الثقة التي بدأ كل منا يوليها للآخر، تلك الثقة الناجمة عن اعتقادنا، بأنه رغم جميع الحيل والألاعيب التي تمارسها، فإن هناك في نفسنا توقاً شديداً، لإحراز السلام. وكنا ندرك أيضاً أننا سنكون بحاجة في المستقبل لهذه الثقة، كي تخدمنا، لذا لم يكن هناك أي سبب يجعلنا لا نضعها على المحك العملي.

طلبت من زينجر الانضمام إلينا، كي نستعرض معاً البنود الستة عشر موضع الخلاف. وقد سلط زينجر الأضواء على البنود التي تحتاج من الفلسطينيين إلى تقديم تنازلات، وقد بدا أنه يتحلى بقدرة فائقة على طرح ذلك بصورة مباشرة ومزخرفة، تلك القدرة التي ساعدته في العديد من المرات، على إقناع محادثيه، بأن التنازلات تتساوق مع مصالحهم. أضف إلى ذلك أن الفلسطينيين كانوا يثقون به، فقد رأوا فيه مفاوضاً شديداً، وفي نفس الوقت منطقياً للغاية.

وفي نهاية النقاش، نهض أبو علاء من مقعده، وحذرنا بلهجة جدية للغاية، قائلاً:" أوضحوا لزعمائكم، انهم إذا لم يتقدموا إلى الأمام، فلن تكون هناك إمكانية لإحراز الاتفاق". وبدا لي، أنه عاد لممارسة اللعب من جديد.

بقي أبو علاء في أوسلو بعد خروجنا منها عائدين إلى إسرائيل، وبعث عصفور إلى تونس للالتقاء بعرفات، وإعلامه بفحوى ما حدث، وتحمل صلية غضبه الأولى. في حين توجه هو للتحاور مع النرويجيين.

وفي أعقاب اللقاءات والحوارات التي أجراها أبو علاء مع النرويجيين، كتب هولست رسالة إلى بيرس، قال فيها: أنه وجد في أبو علاء شخصاً متفائلا للغاية. لكن عندما قدمنا إلى بيرس تقريراً، بدا قلقاً إلى حد ما، وقال: "أعتقد

أنكم بالغتم، إلى حد ما، عندما اقترحتم علـى أبـو عـلاء الاعـتراف المتبـادل، فمـا فعلتموه أكثر من مجرد جـس نبض. أما فيمـا يتعلـق بـالبنود الثمانيـة، فـأرى أن من الأفضـل أن ننتظر ردهـم عليـها. ويجـب علـيّ أن أتحـدث، علـى وجـه السـرعة، مع رابيـن".

طلب بيرس من زينجر وبيليـن مصاحبتـه فـي لقائـه مـع رابيـن، بيـد أن الاثنين بديا متخوفين في أعقاب رد بيرس، من أن يصطدمـا بمعارضـة رابيـن. بيـد أن رابين فاجأهم بالقول:" إذا ما قبلوا البنـود السـبعة آنفـة الذكـر، فسـوف نعـترف بمنظمة التحريـر".

لقد عمل رابين بصورة منطقية وعمليـة، فـإذا مـا قبلـت منظمـة التحريـر الشروط التي قدمناها إليها، فسـوف يكـون هـذا القبـول بمثابـة بادئـة الاعـتراف المتبادل. أما فيما يتعلـق بـإعلان المبـادئ، فقـد أعـرب عـن شـكه فـي قبـول الفلسطينيين للشروط التي عرضناها عليهم، وعلـى وجـه الخصـوص المتعلـق منـها بالأمن والصلاحيات الإسرائيلية، واقترح هو الآخـر، أن ننتظـر ردهـم.

وسرعان ما جاء الرد أسرع مما توقعنا، فقد وصـل فـي نفـس الليلـة، فـي الساعة الثالثة صباحا، حيث اتصل لاريسـون بـي هاتفيـا وقـال:" هـاي، هـذا هـو لاريسون الإرهابي، أرجو ألا أكون قـد أزعجتـك".

كنا في تلك الآونة قد اعتدنا مثل هذه الاتصـالات الهاتفيـة الليليـة، فقـد ألفنـا ساعات العمل التي ينشط فيها عرفات، وتعودنا العمل فـي الأوقـات الغريبـة.

واصل لاريسـون الحديث، قـائلا:" اتصـل بـي رقـم واحـد، وقـال أن الأب وروح القدس يقبلان البنود السـبعة، وهمـا علـى اسـتعداد لمناقشـة البنود الثمانية الأخـرى".

رأينا في هذا مجرد رد جزئي، وقررنا الـرد عليـه أيضـا جزئيـا. وأرجأنـا سفرنا إلى أوسلو، إلى ما بعـد الثـالث عشـر مـن آب – أي إلـى مـا بعـد زيـارة كريستوفر للمنطقـة.

اتصلت بلاريسون، وطلبت إليـــه أن يحصــل مـــن تونــس، علـــى رد أكــثر تحديداً. وقد رد أبو علاء بالقول: أنه يعتقد أن بالإمكـــان التوصـــل إلـــى تفـــاهم خـــلال اللقاء القادم، وأكد ذلك أيضاً لهيرشفيلد، إبان اللقاء الذي جـــرى بينـــهما فـــي بـــاريس، في السادس مـــن آب.

فـــي تلـــك الآونـــة قـــام دنيـــس روس وكريســـتوفر بجـــولات بيـــن دمشـــق وإسرائيل، وتم إحراز تقدم معين على المســـار الســـوري. وقـــد بلغـــت الأمـــور حـــد تبادل الرسائل بين الرئيس السوري حافظ الأســـد ورابيـــن بوســـاطة الأمـــيركيين بيـــن الثالث والرابع من آب. وقد طـــرح خـــلال هـــذه الرســـائل، المعـــايير الخاصـــة بعقـــد صفقة سلام محتملة بين الدولتين، استناداً إلى انســـحاب إســـرائيلي كـــامل مـــن هضبـــة الجولان، وذلك مقابل التطبيـــــع الكـــامل فـــي العلاقـــات، وترتيبـــات أمنيـــة مرضيـــة لإسرائيل، وجدول زمني موسع لتنفيذ العملية. بيد أياً منا لـــم يكـــن يعلـــم شـــيئاً أبـــداً، عندما عدنا للاجتماع بممثلي منظمة التحرير في النرويج فـــــي الثـــالث عشـــر مـــن آب في إحدى الفيلات في (بورجـــــرد).

كانت الفيلا فخمة للغاية، وقـــــد حـــدث لدينـــا انطبـــاع، بـــأن أصحابـــها مـــن الطبقة النرويجية الأرستقراطية وحينما وصلنا إلى الفيـــلا، قدمـــوا إلينـــا شـــمبانيا، بيـــد أن الفلسطينيين لم يتناولوها. وقـــد تـــم إعلامـــهم بأننـــا رجـــال أعمـــال مـــن الشـــرق الأوسط. واعتقد أن العصبية التي أبديناها خلال الحوارات أكـــدت لـــهم ذلـــك.

جلسنا في غرفة فارهة، وبدأنا الحوار بصـــــورة أكـــثر نعومـــة مـــن الســـابق، وكما يبدو فإن طعم الفشل، يمكن أن يهز ثقـــة أفضـــل المفـــاوضين وأكـــثرهم حنكـــة، بأنفســـهم.

وبدأت العوائق تتساقط، وقد اتضح لنـــا، أن الفلســـطينيين لـــم يغـــيروا رأيـــهم بشأن البنود الثمانية في إعلان المبادئ، بيد أنـــهم أبـــدوا لينـــاً، بعـــض الشـــيء، فـــي بعض البنـــود الحرجـــة. فـــهم مثـــلاً لـــم يعـــودوا يطـــالبون بالإشـــارة إلـــى حقـــوق الفلسطينيين سكان القدس الشرقية في ترشـــيح أنفســـهم لمجلـــس الحكـــم الذاتـــي. وقـــد رددنا لهم هذه المبادرة بتسريع الانسحاب مـــن غـــزة وأريحـــا، والاعـــتراف بحقوقـــهم

السياسية– وليس بحقوقهم الوطنية، وقد تم إبقاء منطقة أريحا مفتوحة للتفاوض فيما بعد.

في الرابع عشر من آب، اجتمعنا سوية في إحدى الفيلل، وجلسنا معاً حول الموقد، للتخطيط لاستمرارية عملنا في أعقاب التوقيع على الاتفاقية: نقل الصلاحيات، والتعاون في المجال الأمني، وتجنيد المساعدات الاقتصادية.

وفجأة، ارتسم المستقبل أمامنا، في ضوء واقعي وحقيقي، لقد انطلق النور من هذه الفيلا القابعة في أقصى أطراف أوروبا، ووصل إلى الشرق الأوسط، كي يحدث تغييرا عميقاً في حياة سكان المنطقة بأسرها.

لقد وافق الفلسطينيون، على بنودنا السبعة الخاصة بالاعتراف المتبادل، بيد أنهم طرحوها بأسلوبهم، كما أنهم عملوا على خلق تساوق بين هذه المطالب، ومطالب مقابلة قدموها من طرفهم، مثل قيامهم بكبح جماح الإرهاب مقابل قيامنا نحن بوقف أعمال العنف ضدهم.

شعرنا، رغم ذلك، أن الطرفين لن يتوصلا إلى اتفاق سريع، وقررنا إرجاء قضية الاعتراف المتبادل، إلى ما بعد استكمال إعلان المبادئ. لكننا أكدنا، أن هذه القضية، يجب أن تجري قبل التوقيع على بيان إعلان المبادئ. وهكذا، تحولت قضية استكمال بيان إعلان المبادئ إلى المهمة التي تحتل رأس جدول الأعمال.

إن بناء اتفاقية سلام، يعني أن يتم خلق توازن يمكن كل طرف من الحفاظ على مصالحه الحيوية. ولم نعتقد أن هناك ما هو أهم من خلق مستقبل دائم. ولربما كان عملنا في أوسلو، تحت وطأة ضغط شديد من المصالح الأساسية المشتركة والمتعارضة، هو الذي مكننا من بناء توازن كهذا الآن، بل إن الشراكة التي تمكنا من خلقها، كانت قادرة على الصمود أمام اختبارات تبدو مستحيلة.

ولم يبق عشية الرابع عشر من آب علــى جـداول الأعمــال، ســوى خمســة بنود. وبدا أبو علاء في وضع نفسي جيد، بصـــورة خاصـــة، وقــال:" ســأتصل بــأبو مازن، وأطرح بعض صيغ الحل، وآمل أن تتمكن غدا مـــن إجمــال المفاوضــات".

عدنا إلى الفيلا ونحن لا نحمل شـــعوراً بالارتيــاح وتوجــه أبــو عــلاء إلــى الهاتف، بينما جلست أنا وزينجر لنتحدث مـــع مونــه. وبينمــا نحــن نســتمتع بحديــث مونه، وبشعورنا بأننا أنجزنا المهمة، قدم أبو علاء مـــن الطــابق الأعلــى وهــو يــهز رأسه دلالة الإحباط، وقال:" لقد رفــض أبــو عمــار وأبــو مــازن اقتراحاتــه بشــأن البنود الباقيــة.

عدنا إلى غرفة المباحثات، وأخـــذ الفلســطينيون يوضحـــون لنـــا الصعوبـــات القائمة على صعيد قضايا مثل السيطرة علــى المعــابر الحدوديــة علــى نــهر الأردن، وحرية حركة الجيش الإسرائيلي في غزة. بيــد أننـــي أمـــرت جميـــع أعضــاء وفدنــا بعدم التعقيب، وانسحبنا إلى غــرف النــوم.

في صبيحة اليوم التالي، طلب أبو علاء أن نمـــدد فـــترة إقامتنــا ليــوم آخــر، كي نتمكن من حل المشاكل العالقة بيد أنني رفضت ذلـــك، فقــد شــعرت أنــه إذا مــا ضعفت وطأة الضغط سوف تتواصــــل المفاوضـــات إلـــى مـــا لانهايـــة. وقـــد أثمـــر رفضي، ففي نفس الليلة، وحتى قبـــل أن أتمكـــن مـــن تقديـــم تقريـــري إلـــى بـــيرس، اتصل لاريسون بتل أبيب، لنقل رسالة من أبو علاء قال فيها، أنــــه تـــم العثـــور علـــى طريقه لتجسير الخلاف خلال مباحثاته مـــع عرفـــات.

احتفل بيرس فـــي الســـادس عشـــر مـــن آب بعيـــد ميـــلاده الســـبعين، وقـــد حضرت الاحتفال أنا والأديــــب عـــاموس عـــوز -الـــذي كـــان شـــريكا فـــي الســـر، والحنان شاي-كأقدم أصدقاء بيرس. وبيرس نفســـــه الـــذي كـــان يـــدرك أنـــه يحتفـــل بعيد ميلاده في يوم تاريخي بالنسبة لإسرائيل. وقد ألقـــى كلمـــة قصـــيرة، قـــال فيـــها:" سريعا ولربما في غضون فترة قصيرة جداً، سنشـــهد انفراجـــاً تاريخيـــاً فـــي علاقاتنـــا مع الفلسطينيين، وقد عزا غالبية الحاضرين الذين لم يكونـــوا علـــى علـــم بمـــا يـــدور وراء الكواليس، في أوسلو، أقواله إلى التفـــاؤل الدائـــم الـــذي يتحلـــى بـــه. لقـــد أدرك

بيرس، أن على إسرائيل أن تبني قوتها بصورة تمكنـها مـن بلـورة مسـتقبل مختلـف عما عاشته في الماضي. لذا، أنهى كلمته قائلا:" لقــد كرسـت حيـاتي كلـها للأمـن، والآن بعد أن أصبحت إســرائيل قويـة، لـم يبـق أمـامي سـوى أن أجلـب السـلام لأجيالنا الشـابة".

توجه بيرس من الاحتفال للاجتماع برابيـن وقـد قـرر الاثنـان خـلال هـذا الاجتماع، أن يعمل بيرس خلال الزيـارة الرسـمية التـي سـيقوم بـها إلـى الـدول الاسكندنافية على حل القضايا العالقة بشـأن إعـلان المبـادئ، وتوقيـع الاتفاقيـة فـي التاسع عشر من آب في أوسـلو.

وفي صبيحة اليوم التالي توجه بصحبته (آفـي جيـل) إلـى سـتكهولم، علـى أن يلحق بهما زينجر هناك، ودعي هولست إلـى الانضمـام لـهم بصحبـة لاريسـون ومونه، في حين بقيت أنا في إسرائيل، علـى أهبـة الاسـتعداد، وللانضمـام إليـهم إذا ما طلب مني ذلك. وفي صبيحة الثامن عشر من آب، اتصـل بـي آفـي جيـل وقـال لي:" أنصت إليّ، لقد أنهينا لتونا سبع ساعات مـن الاتصـالات الهاتفيـة مـع تونـس، وقد تحدث هولست من هنا، في حين وقفنا أنـا وبـيرس وزينجـر إلـى جانبـه. وقـد كان أبو علاء في الناحية الأخرى من الخط وأبو عمار على جانبـه. لقـد تـم تجسـير جميع المشاكل باستثناء مشكلة واحدة، والتـي سـتكون مـهمتك أنـت".وذكـر (آفـي) المشاكل التي تم حلها بـالتفصيل مثـل: التنسـيق علـى المعـابر الحدوديـة الدوليـة، ومسئوليتنا الكاملة عن الأمن الخارجي، وحـاولت بـدوري أن أنقشـها فـي ذاكرتـي. ثم قال جيل:" أنا ذاهب الآن إلى النوم، لقد ارتحت أنت بمـا فيـه الكفايـة لـذا امتـط أول طائرة واذهب إلى أوسلو وأتمنى لـك النجـاح".

ولم تمض عدة ساعات، حتى كنت أنا وفوندك وهيرشـفيلد فـي طريقنـا إلـى أوسـلو في الوقت الذي وصل بيرس إلى هناك في زيارة علنية ورسمية. وقـد تـم نقلنـا مـن المطار مباشرة إلى فندق (أوسلو بلازا)، وكـان الفلسـطينيون، بانتظارنـا فـي إحـدى الفيلل الفاخرة وفـي أحـد المقـاعد شـاهدت بصحبـة الفلسـطينيين وجـهاً جديـداً، هو(طاهر الشاش)، وهو مستشـار قضـائي مصـري، أحضـره الفلسـطينيون معـهم

لدراسة إعلان المبـــادئ. وبينمـــا جلـــس هـــو وزينجـــر -الـــذي كـــان يعرفـــه، منـــذ الثمانينات لدراسة الإعلان، تمكنت أنا وأبو علاء مـــن حـــل المشـــكلة التـــي لا زالـــت عالقة. وقد اتفقنا على إنهاء مفاوضـــات التســـوية الدائمـــة فـــي موعـــد لا يزيـــد عـــن خمس سنوات من موعد الانسحاب الإسرائيلي، مـــن غـــزة وأريحـــا. وهكـــذا بـــدأت عقارب الساعة تدق باتجاه موعد المفاوضات الدائمـــة والمصالحـــة الصعبـــة.

وحال الانتهاء من ذلك، قرأ الوفـــدان الـــبروتوكول الاقتصـــادي، والـــذي قـــام الدكتور عمانوئيل شارون- رئيـــس مجلـــس إدارة بنـــك العمـــال الإســـرائيلي بفحصـــه تلبية لطلبي دون أن أعلمه من أين أو كيف ولـــدت هـــذه الوثيقـــة؟.

وقد شاء سوء الطالع أن يقـــع التعـــاون الاقتصـــادي -والـــذي احتـــل مكانـــة بارزة جـــداً فـــي تفكيرنـــا حينمـــا بدأنـــا المباحثـــات- ضحيـــة للصعوبـــات الأمنيـــة والتقديرات السياسية الفلسطينية والإســـرائيلية. وهـــي الروايـــة التـــي عـــادت لتكـــرر نفسها في الاتفاقيات اللاحقـــة.

في الوقت الذي جلسنا فيه، أنا وأبو علاء، في فنـــدق أوســـلو بـــلازا، لإعـــداد الكلمات التي ســـنلقيها خـــلال المراســـيم الســـرية للاتفـــاق والتـــي كـــان يفـــترض أن تجري في نفس الليلة، كـــان بـــيرس يتحـــدث مـــع مضيفيـــه الـــنرويجيين ويحظـــى بضيافتـــهم.

وفي حوالي منتصف الليل، قدم لاريسون إلى الفيـــلا بلباســـه الرســـمي، وبـــدا عصبياً بصورة واضحة، وقام بتوجيـــهنا خـــلال مراســـيم التوقيـــع بـــالأحرف الأولـــى على الاتفـــاق.

وحال انتهائه من كلمتـــه، قـــام فونـــدك بالتقـــاط صـــورة جماعيـــة (لمنتـــدى أوسلو) السري، لأول مرة في تاريخـــه، ونحـــن نقـــف علـــى اســـتعداد للعـــب دورنـــا التاريخي دون جماهير النظـــارة.

وما كاد فوندك يلتقط الصورة حتى اتصل آفـــي جيـــل، وســـأل فيمـــا إذا كـــان عليه أن يخبر حراس بـــيرس الإســـرائيليين- والذيـــن تـــم إعلامـــهم بـــأن حدثـــاً مـــا سيجري خلال الليل، دون أن يتم شرح ذلك- بماهيـــة مـــا يحـــدث-؟؟

وقد قلت له: أن عليه أن يخبرهم، وقلت لـــه:" تخيـل مـا الــذي سـيحدث إذا ما اكتشفوا وجود شخص ما مسجل لديـــهم كمخـرب، مـن منظمـة التحريـر وهـو يتجول في شقة بيرس، في سـاعات الفجـر".

ثم نقلنا، في أعقاب ذلك، إلى بيت الضيافـة الحكومـي، وإلـى غرفـة كبـيرة، شاهدنا طاولة ضخمة قيل لنا أنه تم التوقيع عليها عـام ١٩٠٥ علـى اتفاقيـة الفصـل بين النرويج والسويد. وقام جيـير فدرسـون- أحـد كبـار رجـال وزارة الخارجيـة النرويجية-والمسـئول عـن الجـانب الإداري للمحادثـات، بـإعداد الأوراق اللازمـة للتوقيع عليها في ملفات من الجلد الأحمر، وتم إرسـال كـل وفـد إلـى غرفـة، وقـد وجدنا في غرفتنا شمعون بيرس وآفي جيل. وبدا بـيرس متوتـراً، ففـي نفـس اليـوم، سقط سبعة من جنودنا في لبنان وقد أعلمه رابين بذلـك لتـوه. لقـد بـدا لنـا أن كـل خطوة من خطوات التقدم إلى الأمام فـي هـذه المسـيرة، ملطخـة بـالدم، وأن الألـم يمتزج بكل انتصار نحـرزه.

أوضح لنا بيرس، أن رؤسـاء الوفـود سـيوقعون بـالأحرف الأولـى علـى الاتفاقية وتم الاتفاق على أن ينضم إلينا يوآل زينجـر، وحسـن عصفـور. وقـد حيـل دون إلقاء بيرس كلمة، خلال المراسيم أو التوقيع علـى الاتفـاق نظـرا لأن الحكومـة لم توافق على إعلان المبادئ، والحقيقـة هـي أن جميـع الـوزراء-باسـتثناء رابيـن وبيرس- لم يكونوا يعلمون بوجود الإعلان. وقـد قـام الـنرويجيون بتصويـر جميـع الأحداث، على شـريط فيديـو، ثـم نـهض أعضـاء الوفـد لمصافحـة المسـتقبلين والمتمثلين في بـيرس ويوهـان هولسـت، ومريانـة هيـبرج، ولاريسـون ومونـه، وقدرسن، ثم جلست أنا وأبو علاء علـى جـانبي الطاولـة، وجلـس هولسـت بيننـا، وجلس الجميع وراءنا باستثناء بـيرس وهيـبرج وقـد وقـف بـيرس جانبـا، وكأنـه مجرد شاهد فقط. وبعد أن وقعت أنا وأبو عـلاء علـى كـل صفحـة مـن صفحـات الاتفاقية، نهضنا وتصافحنا وتعانقنا. ثم جـاء حسـن عصفـور وزينجـر وجلسـا فـي مقعدينا، ووقعا على الاتفاقية بدورهمـا.

كنا مجموعة صغيرة، ورغم ذلك، تم إلقاء أربعة خطابات بهذه المناسبة، وكنا جميعاً ندرك حجم المفارقة في هذا الاتفاق لشعبينا، وللشرق الأوسط، وربما للعالم بأسره من جانب، ومدى خصوصية هذه المراسيم من الجانب الآخر.

وقد أثنى هولست- أول المتحدثين- على الزعماء وممثليهم في المفاوضات، ووعد بمواصلة مد يد المساعدة النرويجية، وقال:" نحن هنا على أهبة الاستعداد دائماً لتقديم يد المساعدة لكم وخدمتكم إذا ما احتجتم لنا. بيد أن المهمة هي مهمتكم، ويجب عليكم أنتم، إنجاز العمل".

كان أبو علاء المتحدث الثاني، وقد لاحت الدموع في عينيه وهو يتحدث عن التأثر الذي أخذ بزعماء منظمة التحرير، في أعقاب المحادثة التي أجروها مع هولست وبيرس قبل ليلتين، وتوجه إلى بيرس، الذي كان يناضل من أجل إخفاء تأثره-قائلا:" أهلا وسهلا، لقد تابعت بانتباه شديد تصريحاتك، وأقوالك ومقالاتك، والتي أكدت لنا رغبتك في إحراز السلام العادل والدائم والشامل وباسم الوفد الفلسطيني وزعيمه ياسر عرفات، أحييك، وأتمنى لك السعادة في عيد ميلادك السبعين، آملاً أن تتمكن من إحراز الانتصار في معركة السلام الكبيرة".

وأضاف.. "إننا نخوض اليوم حملة جديدة باتجاه مستقبل جديد. في عالم لم يتم بعد بلورة صورته النهائية، والذي لا زال مفتوحاً أمام التغييرات من جميع الأنواع. إن المستقبل الذي نسعى إليه لن يتجسد الا إذا تغلبنا جميعاً على مخاوف الماضي، واستقينا العبر من أجل المستقبل".

وعندما جاء دوري، كان علي أن اضبط مشاعري الجياشة، وقد تحدثت أنا أيضاً عن المستقبل، فقلت:" حقاً أن ما بدأناه اليوم هو بداية المستقبل، المستقبل الذي سترتفع فيه التطلعات الشرعية الفلسطينية للسيطرة على حياتهم في حكم ذاتي بصورة تتساوق مع رغبة إسرائيل للسيطرة على مصيرها بوساطة الأمن. إنها بداية مرحلة انتقالية. تجسر بين فوضى النزاع في الماضي، وتسوية التعايش الدائر في المستقبل".

وعندما جاء دور لاريسون، تحدث إلى المتحـــاورين وعددهــم واحــداً واحــداً بالأسماء، وقال:" شيء واحــد هــو الــذي جمعكــم ووحدكــم هنــا، وهــو مصطلــح الصداقة. وهو المصطلح الذي سترتكز إليه علاقتكم فـــي المســتقبل". كــان لاريســون على ثقة من أن هناك مغزى تاريخيا عالميا للمسيرة الســـلمية التـــي خضناهـــا.

وفي أعقاب انتهاء المراسيم، اجتمع بيرس وأبو عـــلاء لمـــدة نصــف ســاعة، على حدة، لأول مرة. وقد أعربا عن التزامـــهما بالاتفاقيـــة التـــي تـــم التوقيـــع عليـــها، بالأحرف الأولى، وقد أثار بيرس إعجاب أبـــو عـــلاء بحماســـته لتشـــجيع المســـاعدات الاقتصادية الدولية للإطار الفلسطيني الجديد. وناقش بـــيرس ايضـــا وزيـــر الخارجيـــة النرويجي، هولست، بشـــأن المســـاعدات الاقتصاديـــة واقـــترح العمـــل علـــى تشـــكيل جهاز دولي لهذا الغـــرض.

ثم عاد كل منا إلى الفندق -للإخلاد إلـــى الراحـــة فـــي أعقـــاب هـــذا الجـــهد الخارق الذي بذلناه- حاملا معه نســـخة مـــن الإتفاقيـــة، موقعـــة مـــن قبـــل الجميـــع كذكرى. وأخذت أتصفح الأوراق والتي جاء فيـــها:" إعـــلان المبـــادئ بشـــأن التســـوية المرحلية لحكم ذاتـــي".

لقد عكس هذا الإعلان صورة الخطوة، خطـــوة توطئـــة لإبـــرام تســـوية تقـــوم على مبادئ واضحة. لقد كانت كلمة" بالتدريج" هـــي المفتـــاح لوصـــف الانتقـــال مـــن مرحلة الاحتلال إلى الحكم الذاتي، ومن العنف إلـــى التعـــايش بســـلام، مـــن خارطـــة طرق سياسية إلى المصالحة الحقيقيـــة.

ويضيف إعلان المبـــادئ:-

" لقد أخذت إسرائيل على عاتقـــها ســـحب جنودهـــا مـــن قطـــاع غـــزة وأريحـــا فـــي غضون ستة أشهر منذ بدء نفـــاذ مفعـــول إعـــلان المبـــادئ-الثـــالث عشـــر مـــن اب ١٩٩٣.

إعادة الانتشار الجديد للجيش الإسرائيلي فـــي المنـــاطق الأخـــرى مـــن الضفـــة الغربية، والانتخابات لمجلس السلطة الفلسطينية، يجـــب أن تنفـــذ فـــي غضـــون تســـعة أشهر، من تاريخ نفاذ مفعول إعـــلان المبـــادئ.

يجب أن تبدأ المفاوضات حول المكانة الدائمة للضفة الغربية وقطاع غزة في غضون زمن لا يتجاوز العام الثالث للانسحاب الإسرائيلي من غزة وأريحا، وعلى أن تنتهي قبل نهاية خمس سنوات على هذا الانسحاب- بدأ الانسحاب في الرابع من أيار ١٩٩٤، وبدأت المحادثات حول التسوية الدائمة بعد سنتين، في الخامس من أيار ١٩٩٦، أي أن الاتفاقية الدائمة يجب أن توقع حتى الخامس من أيار ١٩٩٩.

يجب نقل الصلاحيات المدنية- ليس جميع الصلاحيات التي كانت بأيدي الحكم العسكري الإسرائيلي- إلى أيدي الفلسطينيين، بادئ ذي بدء، في غزة وأريحا، ثم وبصورة تدريجية في الضفة الغربية. وسيشمل المجال القضائي للمجلس الفلسطيني" مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة-باستثناء المناطق التي سيتم تحديد مكانتها خلال المفاوضات حول التسوية الدائمة- القدس، المستوطنات، والمناطق الأمنية.

سيتم نقل قسم من الصلاحيات الأمنية بصورة تدريجية إلى أيدي "قوة شرطة فلسطينية قوية" في حين تواصل إسرائيل تحمل المسئولية الشاملة لأمن الإسرائيليين والمستوطنات والدفاع ضد التهديدات الخارجية". اتفق الطرفان على التنسيق في المعابر الحدودية بين غزة ومصر، وبين أريحا والأردن-مع السيطرة الإسرائيلية الوحيدة على المناحي الأمنية، كجزء من صلاحياتها للأمن الخارجي.

سيتم توسيع صلاحيات المجلس الفلسطيني على مراحل، ومن المفروض أن تنسحب إسرائيل اولا من أجزاء من قطاع غزة ومنطقة أريحا، ثم تنفيذ إعادة انتشار جديد تدريجيا من قبل القوات الإسرائيلية، في باقي مناطق الضفة الغربية على أن يتم ذلك في البداية من المناطق المأهولة- قبل إجراء الانتخابات للمجلس الفلسطيني، -وفيما بعد- وعلى مراحل- من مناطق غير مأهولة، باستثناء المستوطنات الإسرائيلية" ومناطق محددة"أخرى وفقا لتحديد إسرائيل لها".

الانتخابات للمجلس الفلسطيني ستجري تحت إشراف دولي متفق عليه، وسيتم تحديد صلاحيات المجلس الفلسطيني، وأسلوب انتخابه، والشروط الدقيقة للانتخاب-بما فيها القدس-في اتفاقية التسوية المرحلية".

لقد تطرق بيان إعلان المبادئ أيضاً، بصورة عامة، إلى هدف التسوية الدائمة بالتأكيد، على أن هدف المفاوضات هو"التعايش بسلام واحترام وأمن متبادل" وللتوصل إلى " مصالحة تاريخية" بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني.

وجاء في إعلان المبادئ، أن المفاوضات حول التسوية الدائمة، ستقود إلى "تجسيد قراري مجلس الأمن الدولي رقم ٣٣٨،٢٤٢" وسيشمل "قضايا تم إيقاؤها: بما فيها القدس، واللاجئون. المستوطنات، والترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين، إضافة إلى قضايا ذات اهتمام مشترك".

ونظراً لأن التعاون كان شرطاً ضرورياً في كل مرحلة، فقد تم التأكيد، في الإعلان، على إقامة لجان مشتركة للشئون الأمنية، والاقتصادية، ونازحي عام ١٩٦٧، وتنفيذ الاتفاقية.

لقد تم إعداد الخرائط التي يفترض أن تنقل الشعبين من المواجهة إلى المصالحة، في ظل الأجواء الرائعة في (بيوزديم) القريبة من أوسلو، كي تتمكن من منافسة العوائق والتغلب عليها، ومواجهة، الغضب والكراهية والعنف وعدم الثقة.

لقد أثمرت الجهود الأولية التي بذلناها، وأدت إلى التوصل إلى مصالحة معقولة بين حالتين من حالات التوق إلى الحرية:"التحرر من السيطرة، والتحرر من العداوة. لقد كان طرفا الاتفاق حركتي تحرر وطني، تقاتلا طيلة مائة عام دفاعاً عن وجودهما، وبدتا الآن، على استعداد للتعايش السلمي، وهو الأمر الذي لم يسبق له مثيل على صعيد حدة تحولاته.

بيد أن كل هذه التمخضات والأمور، كانت في تلك الآونة- بين التاسع عشر والعشرين من آب- لا تزال سراً من الأسرار الدفينة. وعندما عدنا إلى فندق أوسلو بلازا كنا شديدي التأثر من الحدث التاريخي، ومتحررين من

الضغوط الشديدة التي عشناها طيلة الوقت الماضي، لذا أخذنا في قتل الوقت، بتقليد بعضنا البعض، كي يبرهن كل منا للآخر، أنه كان يدرك كل ما كان يخفيه في داخله، ويمارسه من حيل ومناورات.

وعندما هممنا بمغادرة، المكان، أشار إلي أبو علاء بأن ألحق به إلى غرفته وهناك أخرج وثيقة من حقيبته، وقال: أشرت في كلمتك، أننا كنا دائماً متفقين حول مسألة واحدة، هي ضمان مستقبل أفضل لأولادنا- ولهذا السبب، اقترحت إهداء هذه الاتفاقية لهم ولأبناء جيلهم في الشرق الأوسط. دعنا نخرج ما قلته إلى حيز التنفيذ الفعلي، فأهدي أنا الكلمة التي ألقيتها لابنتك، وتهدي أنت الكلمة التي ألقيتها لابنتي، فالاثنتان تناهزان العشرين وبمقدورهما فتح أجنحة الأمل للمستقبل".

جلسنا، نحن الإثنان، وكتبنا على أوراق الخطابين عدة كلمات. وعندما قارنا ما كتب كل منا، اتضح انهما متماثلان.

فقد كتب أبو علاء:"

مايه الغالية:

أود أن أهنئك لسببين:-

أولاً: اهنؤك على والدك.

وثانيا: بسبب إنجازه الكبير من أجلك ومن أجل ابنتي منى ومنال. وإنني آمل أن تصبحن صديقات في المستقبل القريب جداً حظ سعيد، لقد انطلق التاريخ الجديد في طريقه.

أبو علاء، ١٩ آب ١٩٩٣

وفي صبيحة اليوم التالي، وحال هبوطي في مطار بن جوريون، توجهت إلى المطعم الذي تعمل فيه ابنتي مايه، كنادلة، في إجازة الجامعة الصيفية. كنت قبل سفري إلى أوسلو قد قلت لزوجتي عليزة ولميه أن من الجائز أن أعود هذه المرة ومعي وثيقة الإتفاق. وحينما شاهدتني ميه من النافذة سارعت للخروج إلى

وعانقتني، ثم ابتعدت عني قليلاً وتـــأملت وجـهي باهتمـــام كـــي تـــرى مـــا تعكســـه ملامحي، فقدمت إليها صيغة خطاب أبو عـــلاء، فتصفحتـــه، ثـــم تصفحـــت الإهـــداء، وتوجهت نحو سيارتي، وجلست فيها، وانفجـــرت بالبكـــاء.



٢- من اليسار الى اليمين : أبو علاء ووزير الخارجية النرويجي هولست، أوي سبير جلوسا، وخلفهم من اليسار الى اليمين : حسن عصفور، يان اجلند، مونة يول، تاريه لارسون، يوئيل زينجر، يائير هيرشفيلد.

Dear Maya
May I congratulate you for two things:
- The first of your great father for the great achievement
- The second for you and for my daughter [illegible]
We made for you and Mona and Maya [illegible] that you will be friends [illegible] very near future [illegible]

Exc. Mr Holst

Exc. Mr Perez

Mr Uri

Ladies and Gentlemen

Mr Holst.

I would like to confirm that we are indebted to Norway, to you personally and to all the women and men who contributed to this great historical breakthrough. Indeed it is our obligation towards your friendly country and towards you personally to recognize here your courage, wisdom and persistence and outstanding role in this back channel.

Mr Perez. Welcome,

I have keenly followed up your declarations, statements and writings which confirmed to us your care to achieve a just, permanent and comprehensive peace. In the name of the Palestinian delegation and its leader Yassir Arafat I would like to welcome you and to congratulate you on your 70th birthday, hoping you all success for the great battle of Peace

We start today a new journey towards a new future, in a world whose final form has not yet been shaped and which is open to all sorts of change. The future which we look for will not materialize unless we both together overcome the fears of the past and learn from the past lessons for our future.

נאום אבו עלא בטקס החתימה החשאי באוסלו בליל ה־19 באוגוסט 1993.
עם ההקדשה למיה סביר.

الخطاب الذي ألقاه ابو علاء خلال مراسيم التوقيع السرية في اوسلو ليلة التاسع عشر من آب ١٩٩٣ مع الاهداء لمية سبير

الفصل الثالث

الاعتراف المتبادل

مرحلة جديدة من العلاقات تستبعد فكرة"كل شيء أولا شيء"

الميثاق٠٠ الانتفاضة ومحاربة الإرهاب كانت أصعب القضايا

كان الاحتفاظ بسرية المحادثات بمثابة معجزة من المعجزات، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن هناك حوالي مائة شخص كانوا مطلعين على خفايا هذا السر، منهم خمسة وسبعون إسرائيليا وفلسطينياً ونرويجياً، وحوالي خمسة وعشرين أميركياً ومصرياً ومغربياً وتونسياً وروسياً.

لقد تم الحفاظ على السر بفضل الشعور العميق بالمسئولية لدى جميع الجهات ذات العلاقة بالأمر من جهة، وللشكوك العميقة التي كانت تراود الكثير من الجهات في إمكانية نجاح مساعينا، وأيضاً للحظ الذي حالفنا. إضافة إلى أننا أدرنا حياتنا طيلة فترة المفاوضات بصورة طبيعية للغاية ظاهرياً.

في أعقاب تعييني مديراً عاماً لوزارة الخارجية، في الأول من أيار ١٩٩٣، أعلنت عن اعتزامي إجراء عملية إصلاح واسعة النطاق في خدمة وزارة الخارجية، والتي أخذت من وقتي واهتمامي جانباً كبيراً جداً. كان علينا أن نبني وزارة خارجية جديدة، متحررة من حالة الدفاع التقليدية التي انتهجناها تجاه ما اعتقدنا أنه عداء دولي تجاهنا، وأن نعمل على الانفتاح تجاه العالم، وكل ذلك بغية خلق شبكة علاقات دولية عملية على الصعيد الاقتصادي والعلمي والحضاري.

كان العالم آخذاً، في التغير تحت أسماعنا وأبصارنا، وبدا أن مهمة الدبلوماسية الإسرائيلية المساعدة في ربط إسرائيل بالبؤر والمصادر الجديدة للقوة العالمية، والاغتراف منها، وتقديم المساعدة لها في كل موقع محتمل.

وقد تم بناء خط واضح بين أوسلو والإصلاحات التي اعتزمت إجراءها في الوزارة، ويتمثل في بناء جسر بين إسرائيل ودول العالم.

واجه يوآل زينجر تحدياً صعباً للغاية ولا شك أنه كان لديه بديل يحل محله، لأنني لا أدري إذا لم يكن لديه بديل، كيف تمكن من الصمود إزاء السفريات والجولات التي كان يقوم بها، كل أسبوعين، بين ثلاث قارات، دون أن يثير الشبهات، هذا، في الوقت الذي كان علينا جميعا أن نعيش تحت وطأة الصمت والكتمان.

لم يبد في أي من التصريحات والكلمات والمقابلات التي كنا نجريها هنا وهناك، ولو إلماحة واحدة إلى ما يحدث على الرغم، أن التفاؤل في نفوسنا كان يبدو واضحا للعيان. وقد عزت الكثير من الأوساط تفاؤلنا إلى الآمال المفرطة التي نحملها، والتي تمكنت من تشويش تفكيرنا الواقعي.

وفي الثاني من آب، كدت أسقط في زلة فظيعة خلال اللقاء المتلفز بيني وبين الناطقة باسم الوفد الفلسطيني حنان عشراوي، عندما قلت:" لننتظر للغد والأيام القادمة، لنرى ما الذي سنقترحه كي نتحرك باتجاه الانتخابات الفلسطينية الديموقراطية الحرة، مع الاهتمام الكامل بأمننا. وأنا أعتقد أن المفاجأة لن تهل علينا عبر وثيقة إسرائيلية بل عبر العمل المشترك، على أرض الواقع. وعندما غادرنا الاستوديوهات في القدس، سألتنا حنان عشراوي: ما مصدر تفاؤلي الكبير؟؟

فقلت لها:سترين أنني كنت محقاً فيما قلته.

مضى أسبوع، منذ توقيعنا على الاتفاقية بالأحرف الأولى، قبل أن تظهر الدلائل الأولية في وسائل الإعلام، حول ما حدث، ورغم ذلك، كانت المعطيات خاطئة، ففي الرابع والعشرين من آب، أي في نفس اليوم الذي عاد فيه بيرس من جولته في الدول الاسكندنافية، همس الصحفي شمعون شيفر في أذني قائلا:" أنا أعرف من مصدر رفيع، أن بيرس اجتمع في ستكهولم مع شخصية

رفيعة من منظمة التحرير، ولا جدوى من إنكار ذلك، لقد أردت أن أوفر عليك المفاجأة، عندما تقرأ صحيفة يديعوت احرونوت صباح الغد".

كنا في هذه المرحلة، قد قررنا، عدم الكذب على وسائل الإعلام، وفي نفس الوقت عدم مساعدتها في معرفة الحقيقة. أو على الأقل حتى إطلاع الحكومة الأميركية على التطورات، وقبل أن تصادق الحكومة الإسرائيلية على إعلان المبادئ.

وبناءً على ذلك، قلت لشيفر:" أنت مخطئ، ورغم ذلك، خرجت جريدة يديعوت في صبيحة اليوم التالي، وهي تحمل عنواناً يقول: "شمعون بيرس يجري لقاءً سرياً في ستكهولم مع شخصية رفيعة من منظمة التحرير".

وفي اليوم التالي، كتب زئيف شيف في جريدة هآرتس،أن شمعون بيرس اجتمع بممثل منظمة التحرير في النرويج، بحضور أوري سبير، بيد أنه لم يتم التوقيع على أي اتفاقيات".

حال عودة بيرس إلى إسرائيل، تم اتخاذ قرار بأن يقوم هو بنفسه بإعلام و زير الخارجية الأميركي، وارن كريستوفر، وجهاً لوجه، بالانفراج الذي تم التوصل إليه في أوسلو.

كان كريستوفر آنذاك موجوداً في كاليفورنيا وقد طلبنا من سفيرنا هناك ترتيب اللقاء.

وفي الثامن والعشرين من آب انطلقت طائرة بيرس إلى هناك، ومعه زينجر، وأفي جيل. وقد هبطت الطائرة في جنيف، حيث التحق بها هولست ولاريسون ومونه. أما أنا وبيلين، فقد بقينا في إسرائيل من أجل معالجة النتائج التي ستنجم عن إعلان النبأ والتي باتت الآن شبه محتومة.

وفي التاسع والعشرين من آب(يوم جمعة) وبعد سبعة أشهر تقريباً، من بدء مسيرة أوسلو وبعد عشرة أيام، من التوقيع على الاتفاقية بالأحرف الأولى، كشفت إذاعة الجيش، النقاب عن أن بيرس في طريقه للالتقاء بكريستوفر، كي

يعرض عليه مسودة اتفاق تم التوصل إليه مع منظمة التحرير خلال مفاوضات سرية أجريت في أوسلو.

اجتمع الإسرائيليون ونظراؤهم النرويجيون مع كريستوفر ودنيس روس، في القاعة الجوية التابعة للأسطول الأميركي(بوينت موجو). وكان هذا اللقاء بمثابة اختبار حقيقي لمعايير الثقة الأساسية القائمة بين إسرائيل والولايات المتحدة، وأيضاً لسياسة الخارجية الأميركية.

كانت الإدارة الأميركية على علم بوجود المسار السري في أوسلو، بيد أنها كانت تشك في إمكانية أن يسفر عن أي شيء كان.

ولم تبد وزارة الخارجية الأميركية أي اهتمام. بتفاصيل المحادثات في أوسلو، فقد كان الأميركيون يسعون إلى بناء استراتيجية مفاوضات مع سورية أولا. وفجأة يأتي شمعون بيرس إلى كاليفورنيا، وبيده، ليس فقط، إعلان مبادئ، موقع، بل أيضا وثيقة اعتراف متبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير.

خشي بيرس من أن يشعر الأميركيون بالإهانة، جراء تركهم خارج الصورة كل هذا الوقت، وبالتالي، يردون ببرود على الفرصة السانحة. أما النرويجيون فخشوا الا يقبل الأميركيون الاتفاقية، مثلما هي عليه.

وحينما عرض بيرس الوثيقتين على كريستوفر، تحدث عن الانفراج التاريخي الذي يجب انتهازه بكل قوة. وألمح إلى أنه، ومنذ الآن، فصاعداً، سيصبح الأميركيون رعاة مسيرة أوسلو.

طلب كريستوفر وروس الاطلاع على الوثائق، وبعد أن قرآها، سأل كريستوفر روس:"ما رأيك؟؟". فقال روس:" هذا إنجاز تاريخي كبير". فعقب كريستوفر بحماس بالغ:" بالتأكيد".

لقد بدا أصدقاؤنا الأميركيون دعاة سلام حقيقيين، وارتفعوا في اللحظة المناسبة فوق الصغائر. لقد كانت اللحظة، بمثابة لحظة مهمة بالنسبة لدولة عظمى وذكية وكريمة.

لقد أعلنت جميع الحكومات الأميركية المتعاقبة منذ عهد الرئيس لندن جونسون، أنه يتوجب على الأطراف أن تتوصل بنفسها إلى حل، وأنه ليس من مهمة الولايات المتحدة، أن تفرض عليهما الحلول التي تراها، وكان هذا أيضا، هو رأي الحكومة الأميركية.

وافق الأميركيون على استضافة مراسيم التوقيع على الاتفاق في البيت الأبيض، وهو الأمر الذي يعني أنه إذا وافقت منظمة التحرير على النقاط السبع، فإن الولايات المتحدة أيضاً ستعترف بهم، وهو الأمر الذي يحتاج إلى موافقة الكونغرس. وتم اتخاذ قرار بالتأكيد، بالموافقة على البند الذي فصّل فيه عرفات حركته عن منظمات الإرهاب العاملة خارج منظمة التحرير.

حال عودته إلى إسرائيل، وجد بيرس بانتظاره دولة مذهولة، فقد تناولت العناوين الرئيسة للصحف نبأ الاتفاق، تحت عنوان"انفراج تاريخي بين إسرائيل ومنظمة التحرير". وشرعت وسائل الإعلام في التطرق إلى رواية بصورة غير دقيقة.

وفي الثلاثين من آب، صادقت الحكومة الإسرائيلية على بيان إعلان المبادئ، بعد أن عرض يوآل زينجر، على الوزراء، مسألة الانسحاب التدريجي من الضفة الغربية، والتي لم تتطرق إليها اتفاقيات كامب ديفيد.

تقابلنا أنا وأبو علاء في أوسلو، لمناقشة شروط الاعتراف المتبادل، وقد قبل الفلسطينيون غالبية مطالبنا والتي كانت شبيهة بالنقاط السبع التي سبق أن طرحتها في الخامس والعشرين من تموز، بعد أن صاغها زينجر بعناية بالغة. ورغم ذلك كانت الخلافات القائمة-رغم قلتها-ذات أهمية كبيرة.

وصلت المحادثات إلى اللحظة الحاسمة، خلال المحادثات التي تم إجراؤها في باريس، في التاسع والعاشر من أيلول. وفي الثالث من أيلول، حاول بيرس وهولست، التحاور مع تونس عبر الهاتف. كان بيرس آنذاك في باريس، من أجل اطلاع صديقه الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران على التطورات. وجرت محادثات

مماثلة في السادس من أيلول بين إسرائيل والقاهرة حينما قام هولست وعرفات بزيارة الرئيس مبارك.

وفي صبيحة اليوم التالي، اتصل بي هولست وقال أنه والرئيس المصري مبارك مقتنعان بضرورة إجراء لقاء آخر بين طاقمي أوسلو. وإذا لم يحدث ذلك، فإن الاعتراف المتبادل سيرجأ في أحسن الأحوال. وطلب أن أتوجه أنا وزينجر إلى باريس، لإجراء جولة مباحثات أخرى، من أجل ترتيب الاتفاق قبل التوقيع على إعلان المبادئ، في واشنطن، في الثالث عشر من أيلول.

طلب مني أن أوصي بعقد اللقاء في فندق (ديسكرني) كي لا تكتشفنا وسائل الإعلام، وإزاء اعتقادي بأن الصحفيين يتغلغلون في كل زاوية مظلمة من باريس، فقد اقترحت إجراء اللقاء في الفندق المعروف بريستول. وقد اتضح فيما بعد، أنني كنت محقاً، فقد أفادت الصحفية أورلي ازولاي كيتس -يديعوت احرونوت- في التاسع من أيلول، عن إجراء حوارات ومباحثات في فندق غامض خارج باريس، وضعته الحكومة الفرنسية في خدمة المفاوضين، في الوقت الذي سجلنا فيه جميعاً أسماءنا العائلية، تحت اسم عائلة لاريسون، وأعطى لكل واحد منا اسم نرويجي خاص، يبدأ بنفس الحرف الذي يبدأ به اسمه، فأسموني أولف لاريسون، وأبو علاء ألف لاريسون، وهكذا دواليك. وحول طاولة في صالون الطابق الثاني من الفندق جلسنا أنا وأبو علاء وهولست ومحمد أبو كرش، ومريانة وهيبرج ومونه ويوآل زينجر. وتم تخصيص هاتف لكل وفد في غرفة ملاصقة للصالون، كي يتمكن من الاتصال بصانعي القرارات في إسرائيل وتونس. وفي اللحظات الحرجة، كان بيرس ورابين يتواجدان سويا، في حين كان ياسر عرفات يتواجد بصحبة أبو مازن وحسن عصفور.

بدأنا المفاوضات في الساعة الرابعة من بعد ظهر الثامن من أيلول، وواصلنا النقاش حتى الساعة الثانية من ظهر اليوم التالي. وقامت مريانة، بطباعة مسودات الاتفاق الواحدة تلو الأخرى.

لقد كانت الساعات الاثنتان والعشرون، أهم الساعات التي قضيناها في التفاوض، نظراً لأننا حاولنا خلالها إبطال النظريات التي غزت النزاع المستمر الذي دار بين حركتينا الوطنيتين. ولم يكن التحدي مسألة شعارات أو كلمات، بل كان مسألة اتخاذ قرارات تتحول إلى التزام دولي جديد، قادر على توجيه العلاقات بيننا، نحو آفاق جديدة.

لقد رسمنا في أوسلو افتراضات براغماتية لإنهاء السيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين، بصورة تدريجية، دون أن يمس ذلك بأمن إسرائيل. وها نحن الآن، نعكف على معالجة الجذور الأيديولوجية للنزاع. لقد كان واضحاً تماماً أن بنود إعلان المبادئ، لن تخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي أبداً، دون أن يطرأ تغيير حقيقي متبادل على وجهات النظر والتفكير، المعمول بهما لدى ممثلي منظمة التحرير وإسرائيل.

وهكذا، وجدنا أنفسنا نقف على أبواب الإعلان عن وضع حد للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني، والانتقال إلى مرحلة العلاقات السياسية الدائمة. ومنذ هذه اللحظة، قد تتعرض هذه العلاقات للمد والجزر، وتصبح سيئة أو جيدة، بيد أنها لن تقوم ابداً تحت شعار" إما كل شيء أو لا شيء".

ولهذا السبب، طلبنا أن تعترف منظمة التحرير بإسرائيل وتقبل قراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢، ٣٣٨ وأن تشجب الإرهاب، وتحاربه، وأن تضع حداً للانتفاضة، وتلغي بنود الميثاق الوطني التي تنكر وجود إسرائيل. وقلنا أنه إذا قبلت منظمة التحرير كل ذلك، فسوف تعترف إسرائيل بها كممثل للشعب الفلسطيني.

وظهرت خلال النقاشات خلافات واسعة فيما يتعلق بمدى المسئولية التي ستتحملها منظمة التحرير بشأن محاربة الإرهاب، ودعوة الفلسطينيين لنبذ العنف.

وقد تساءل أبو علاء:" كيف تريدون منا أن نتعهد بمحاربة ومنع الإرهاب في المناطق التي لا تقع في إطار صلاحياتنا؟؟ وإذا ما دعونا شعبنا للتخلي عن الإرهاب، فإن ذلك سيعني أن شعبنا يمارس الإرهاب، والأمر ليس كذلك".

وقد رد عليه زينجر بالقول: لقد كان الإرهــاب بمثابــة الوســيلة الأساســية التــي استخدمتموها في حربكم ضدنــــا، والآن عليكــم محاربتـــه بجميــع الوســائل الممكنـــة، والتاكيد لأبنـــاء شــعبكم أن الإرهــاب، ليــس وســيلة مشــروعه للنضـــال. ودون أن تلتزموا بذلك، لن نستطيع التوصل إلـــى اتفــاق".

لقد دار معظم الجدل، حول قضية أوسع من ذلــك، وهـــي هــل يجــب أن يكــون الاعتراف المتبــادل مطلقــا؟ أم يجــب ربطـــه واشــتراطه بشــروط التســوية الدائمــة للنزاع؟؟ وقد طالبنا بأن يعـــترف الفلســطينيون بحــق إســرائيل فـــي الوجــود بســلام وأمن. وفي أعقاب المشاورات التي أجراهـــا أبـــو عـــلاء مـــع تونـــس، عـــاد وقـــال:" طلبكم مقبول مع تغيير طفيف:" منظمة التحرير تعـــترف بحـــق إســرائيل فـــي الوجـــود داخل حدود آمنة ومعروفــــة".

رد زينجر على هذا التعديل بغضب قـــائلا:" هـــذه العبـــارة مـــأخوذة مـــن قـــرار ٢٤٢، وهي تعني أن الاعـــتراف ســيدخل حـــيز التنفيــذ الفعلـــي، عندمـــا يتـــم تنفيــذ القرار، أضف إلى ذلك، من هي الجهة التي سترسم حـــدود إســرائيل، بصـــورة تســمح لمنظمة التحرير بالاعتراف بـــها؟؟

تساءل أبو علاء عابساً:" هل تريدون أن نعـــترف بإســرائيل فـــي ظـــل حدودهـــا الحالية؟؟ إن هذا يعني أننا سنعترف بالاحتلال، وهذا ما لن يكـــون إلـــى الأبـــد".

تدخلت في الحديث قائلا:" يجب عليكـــم الاعـــتراف بإســرائيل دون أي شـــروط، وهذه القضية غير قابلة للتفاوض، بمقدورنا مناقشة نقاط الخـــلاف فـــي المســتقبل، أمـــا الاعتراف فيجب أن يكون مســألة مبدئيـــة".

نشب خلاف مماثل بيننا، عندما وصلنـــا إلـــى مناقشـــة بنـــود الميثـــاق الوطنـــي الفلسطيني التي يجب إلغاؤها فقد طالبت إسرائيل بـــأن تتخلـــى منظمـــة التحريـــر عـــن البنود التي تنكر حق إسرائيل في الوجود، بان تعلن أن هـــذه البنـــود، لـــم تعـــد ســـارية المفعول أو عملية. هذا في حين أرادت المنظمة الاكتفاء بـــالإعلان عـــن أن البنـــود لـــم تعد سارية المفعـــول.

قال أبو علاء:" الأمران هما نفس الشيء، فالميثاق الوطني الفلسطيني غير عملي منذ سنوات، ومن الواضح أنه ليس ساري المفعول، فقد قررنا عام ١٩٨٨ الاعتراف بوجود إسرائيل".

بيد أن هذا التنكر السلبي، لم يكن جيدا بما فيه الكفاية. لقد طالبنا بأن يقبل الفلسطينيون إسرائيل ليس كحقيقة واقعة، بل كجوهر سياسي مشروع. وقد قلت لهم:" يجب أن نتأكد، ليس فقط من أن أيديولوجيتكم فقط، قد تغيرت بل أن نقتنع أيضا بأن سياستكم العملية قد تغيرت، لذا يجب أن تعلنوا صراحة بأن البنود التي تنكر حق إسرائيل في الوجود لم تعد نافذة المفعول أو عملية؟ فقال، أبو علاء:" يجب أن اتصل بعرفات وأسأله رأيه".

كنا ندرك أن الفلسطينيين يعانون آلاماً نفسية جسيمة، من كل كلمة واردة في النص. فقد كان مغزى الاعتراف واضحاً لهم، تمام الوضوح، بيد أن التطرق بإسهاب إلى التغييرات وكتابياً بدا لهم أصعب بكثير من التسليم بالسياسة الجديدة.

وفي مرحلة معينة، قال الفلسطينيون أنهم لا يستطيعون العثور على صيغة باللغة الإنجليزية، فأطلعتهم على البنود الجادة الواردة في الصيغ التي أوردناها معنا من إسرائيل، والتي تحدثت عن"تحرير فلسطين" كهدف مقدس، وواجب وطني. من أجل طرد الاجتياح الصهيوني الكبير من الوطن العربي". لقد كان يجب محو مثل هذه العبارات من الواقع الجديد. لقد سبق لجولدا مائير، أن قالت في حينه:.لا يوجد شعب فلسطيني، وهذا يحتاج إلى تعديل. إن المغزى الحقيقي للاعتراف المتبادل، كان يتمثل، بادئ ذي بدء، في الاعتراف بالواقع.

ساد توتر في غرفة الاجتماعات عندما عاد أبو علاء، وقال: أن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير عاكفة على دراسة بيان المبادئ لذا لم يستطع الاتصال بعرفات بشأن بنود الميثاق. لذا قررنا الإعلان عن مرحلة استراحة.

عندما عدنا إلى غرفة الاجتماع، حاول أبو علاء الاتصال بعرفات مرة أخرى دون جدوى، وفجأة قدم أربعة ضيوف غير مرغوب فيهم، في البداية (مايه)، والتي كانت في زيارة لباريس، وقدمت مع صديقة لها، ثم زوجة أبو

علاء وابنه عصام، اللذان كانا ينزلان في فندق آخر، وشعرا بالقلق جراء عدم اتصاله بهما. وقد قدم أبو علاء زوجته وابنه لنا، وعندما قدمت إليه مايه عانقها. ووقفنا حائرين في هذا الوضع الجديد، بيد أن لاريسون خلصنا من المأزق، حينما اقترح أن يتحاور عصام ومايه باسم الطرفين، فضحك عصام، وقال: لا توجد أي مشكلة في ذلك، سنذهب إلى مرقص، ونحل كل المشكلة هناك، في لحظة".

وعندما ذهب الضيوف، عدنا إلى المفاوضات الصعبة التي كنا غارقين فيها، بينما بقيت (مايه) للعمل كعاملة هاتف بالنسبة لنا.

وفي حوالي الساعة الثانية ليلا، تمكن أبو علاء من الاتصال بأبو عمار، وقال: لقد تحدثت معه مطولا، فقال لي: لا أستطيع اتخاذ قرار مهم من هذا القبيل بنفسي، لذا، سوف يعقد اجتماعاً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، ثم يتصل بنا".

اتصلت ببيرس في حوالي الساعة الثالثة صباحاً، وأوضحت له الصعوبات القائمة، فطلب مني أن أطلعه على التطورات في الساعة السابعة صباحاً، قبل اجتماعه مع رابين.

واصلنا النقاش، ونحن بانتظار اتصال أبو عمار، وخلال النقاش طرحنا ثلاث قضايا أخرى:" القدس والانتفاضة، والاستيطان. وقد رغبت منظمة التحرير في أن تلتزم إسرائيل بعدم إغلاق مؤسسات فلسطينية في القدس الشرقية. وقد وافقنا على ذلك، شريطة أن ينطبق ذلك، فقط، على المؤسسات التي لا تعتبر ممثلة لمنظمة التحرير أو بالحكم الذاتي الفلسطيني المستقبلي، أي أننا لن نغلق المؤسسات الاجتماعية والثقافية والدينية، لان مصلحتنا تقضي بتطويرها. وقد طلب بيرس أن لا يتم الإعلان عن التزامنا بهذا الصدد. ورغم أن الموافقة الإسرائيلية، لم تكن تحمل أي تنازلات الا أن كل ما يتعلق بالقدس، كان يثير الرأي العام الإسرائيلي، ويجعل من الصعب أخذ مصادقة الكنيست على الاتفاقية. وقد أصر أبو علاء على أن يقوم بيرس، بإرسال رسالة بهذا الشأن لهولست، بيد أنه وافق على الاحتفاظ بالأمر طي الكتمان.

ثم طالب أبو علاء بتجميد جميع عمليات التوسع الاستيطاني في الضفة والقطاع، وهو الأمر الذي أثار ثائرة بيرس، والذي صرخ في الهاتف قائلا:" ما الذي يطلبه في هذه اللحظات الأخيرة؟؟ قل له أننا لن نوافق على وقف البناء تحت وطأة الضغط الفلسطيني. وقل له أن الحكومة قررت منذ عام ١٩٩٢ وقف عمليات البناء".

وعندما نقلت رد بيرس إلى أبو علاء، قال لي:" لا تهمنا الصورة التي ستوقفون بها البناء في الضفة والقطاع، بيد أن ما يجب أن تدركوه جيدا، هو أن استئناف البناء في المستوطنات، سيؤدي إلى انهيار المسيرة السلمية".

وعندما طرحنا قضية الانتفاضة التي ضعفت جداً، ثارت ثائرة أبو علاء من جديد. وقال:" أنتم لم تصفوا الاحتلال وهو باعث الانتفاضة. وإذا كان الأمر على هذا النحو، فكيف يمكننا أن نوقف الانتفاضة؟؟ إن هذه القضية خارج سيطرتنا".

فقال زينجر:" عليكم أن تختاروا بين العنف، وبين المسيرة السلمية، التي ستمكنكم من بناء مجتمعكم واقتصادكم. ويجب أن تقولوا لنا الآن ما هو خياركم، لأن هذا الخيار سيؤثر إلى حد كبير على طبيعة توجهنا بشأن الاتفاق".

قال أبو علاء:" أنه سيوصي عرفات بدعوة الفلسطينيين للعودة لممارسة حياتهم العادية، والاهتمام بالتطوير الاقتصادي، أو بمعنى آخر أن يوقفوا العنف.

وقد اقترح هولست، أن يتم الإعراب عن هذا الالتزام في رسالة ترسل إليه. وفي حوالي الساعة الخامسة صباحاً وافقنا على ذلك.

لم تتمكن وسائل الإعلام من العثور على مكاننا، باستثناء جين كوربين من شبكة (بي بي سي)، وقد بعثت رسالة إلى غرفتي قالت فيها: إذا أجريت معها مقابلة، فإنها لن تكشف مكان وجودنا، وستحرص على بث المقابلة يوم التوقيع على الاتفاقية في واشنطن. ولم يكن بوسعي سوى الموافقة.

وفي غرفة رقم ٥٣٥ في الفندق، وجدتها هي وطاقمها بانتظاري:

س: ماذا تفعلون في الطابق الثاني؟

-أنا: نعمل على تشييع جنازة النزاع.
س: هل أبو علاء صديقك؟
-إلى الدرجة التي لن أجيب فيها عن سؤالك.

وفي تمام الساعة السابعة، اتصلت ببيرس لأطلعه على المستجدات مثلما اتفقنا، بيد أنه كان نافذ الصبر، وقال لي:" إذا اصبح عرفات عالقا ويراوح مكانه في هذه القضايا الأساسية، فلا شك أن بمقدورنا أن نعيش دون الاعتراف المتبادل. دعنا نترك هذه القضية إلى مرحلة لاحقة، ونوقع على إعلان المبادئ".

حتى الساعة التاسعة، لم يتصل عرفات بأبو علاء، وعرفت منه، أن اللجنة التنفيذية لا زالت منعقدة، فقلت له:" يبدو لي آنفا أننا لن نتوصل إلى اتفاق" فقال:" ليكن، أدار لي ظهره وذهب.

لحق به لاريسون، واقترح أن يتصل هولست بعرفات. وقد اتصل هولست بعرفات وقال له بأدب حاد:" أبو عمار، يجب عليك أن تتخذ قرارا فوعد عرفات، بمناقشة القضية مع مساعديه والاتصال به بسرعة.

واصل بيرس ممارسة الضغوط، وقال لنا:" إن الحكومة ستجتمع في الساعة الخامسة للمصادقة على الاتفاقية، إذا كانت هناك اتفاقية".

لقد استغرقت جلسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ثلاثة أيام متوالية لمناقشة بيان إعلان المبادئ، والآن لم يبق أمامهم سوى ثلاث ساعات فقط، للتوصل إلى قرار حول الاعتراف المتبادل.

لم يكن الفلسطينيون يواجهون أية مشكلة في الاعتراف بإسرائيل في إطار المسيرة السلمية بيد أننا كنا نتحدث عن اعتراف دون أي شروط، أو التطرق إلى حدود اسرائيل، أو لجوهر الحل بيننا. أما نحن فكنا على استعداد للاعتراف بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني لكن ليس كزعامة لدولة فلسطينية. لذا كنا مصرين ووفقا لأوامر من إسرائيل، أن يوقع عرفات على رسالته إلى رابين باسم رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وليس رئيس فلسطين مثلما اعتاد التوقيع على رسائله منذ عام ١٩٨٨.

وفي ساعات الظهر من يوم التاسع من أيلول، تحدث أبو علاء مع أبو مازن والذي أعلمه بموافقة منظمة التحرير بعد نقاش عاصف، على صورة الاعتراف التي طلبناها. ووافق زعماء المنظمة أيضا على تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني، وعلى شجب الإرهاب، والدعوة إلى إنهاء الانتفاضة.

وقد رددنا لهم ذلك بإبداء الاستعداد للاعتراف بمنظمة التحرير، وبالتعهد بأن يعلن بيرس في رسالة يبعث بها إلى هولست، عن التزامه بعدم إغلاق المؤسسات الفلسطينية غير التابعة لمنظمة التحرير في القدس الشرقية. وأن تزود الفلسطينيين بقرار الحكومة عام ١٩٩٢ الذي ينص على تجميد الاستيطان. ولا شك أنه لولا هذه السياسة، لما تمكنا من التوصل إلى اتفاق.

وبعد برهة وجيزة أصبحت رسالة الاعتراف جاهزة للطباعة النهائية وللنقل عبر النرويجيين إلى تونس وإسرائيل. ومن الجدير بالذكر، أن رابين أكد بألا نستهل رسالته إلى الرئيس الفلسطيني بالكلمات المألوفة في رسائله: سيدي الرئيس العزيز، بل فقط الكلمات السيد الرئيس. وقد انطبقت هذه القاعدة على رسالة عرفات إلى رابين أيضا.

كانت مريانة على وشك الانتهاء من طباعة الرسالة، عندما دخلت فيه إلى الغرفة وقالت لي: رئيس الحكومة يرغب في التحدث إليك وإلى زينجر. وقد قال لي رابين أريد أن تبدل كلمة واحدة في الرسالة. التي يجب أن يرسلها عرفات إلي. وكان قد جاء في الصيغة الرئيسية" وفقا لذلك" فإن منظمة التحرير تلتزم بمطالبة المجلس الوطني الفلسطيني مصادقة رسمية للتغييرات الضرورية في الميثاق الفلسطيني". وقد طالب رابين باستبدال كلمة"وفقا" بكلمة"بناءً على ذلك".

وقد قال لي يوآل: لا أجد أي فارق في المعنيين، بيد أنني أدركت أن أبو علاء سيشك في أن لهذا التغيير معنى سياسياً عميقاً.

عدت إلى الصالون- ووجدت النرويجيين في حالة رعب، حتى قبل أن أتفوه بأي كلمة وأطلب من أبو علاء الانضمام إلي في الغرفة المجاورة. وهناك أعلمته بمطلب رابين، وقلت له: ثق أنني لا أفهم معنى هذا التغيير. فابتسم، وقال:

أنا أدرك الأمر جيداً، لديكم هواجس مــن الكلمــات، حســناً دعنــا نخــرج إلــى الذيــن ينتظروننا في الخارج، لقد بات لدينــا اتفــاق".

وجدنا النرويجيين في الصالون شديدي الإحراج رســم أبــو عــلاء علــى وجهــه أكبر تقطيبه ممكنـــة، وقــال للــنرويجيين قلــت لســبير، أن بالإمكــان التوقيــع علــى الاتفاقية، شريطة تغيير كلمة واحدة، بيد أنه رفــض الاســتجابة لــي".

"أية كلمة" صرخ هولست قائلاً، لقــد بــاتت الرســائل مطبوعــة وأنــا مضطــر للسفر بعد نصف ساعة لا يمكنكم أن تضيفوا كل نصف ســاعة شــيئا جديــدا".



٣- المصافحة التاريخية في واشنطن، من اليسار الى اليمين اسحق رابين، بيل كلينتون، وياسر عرفات ١٣/٩/١٩٩٣.

أوسلو أغضبت دولاً عربية كانت آخر من يعلم

الأردن كان محطتنا الثانية وطريقنا إلى القمة الاقتصادية

طلب أبو علاء نسخة رسالة عرفات وأشار إلى الكلمة، وقال: أنا أطالب بتغييرها.

بدأ النرويجيون يتوسلون إلينا أن نتنازل، وبعد عدة مشاورات بيننا في غرف جانبية قلنا أننا توصلنا إلى اتفاق لتغيير الكلمة، وتم طباعة الرسالة من جديد.

وهكذا، اصبح بين أيدينا أربع رسائل: رسالة عرفات لرابين باعتراف منظمة التحرير بإسرائيل، ورسالة عرفات لهولست والتي يوجه فيها نداءً للشعب الفلسطيني لشجب العنف ورسالة رابين لعرفات يعترف فيها بمنظمة التحرير، ورسالة سرية من بيرس لهولست يتعهد فيها بعدم إغلاق المؤسسات الفلسطينية غير التابعة لمنظمة التحرير في القدس. وقد قمنا بإرسال صور عن النسخ الأربع بالفاكس، لإسرائيل، واحتفظنا بالنسخ الأصلية.

وفي الساعة الثانية ظهراً، وبينما صوت إسرائيل يعلن أنه لا زالت هناك صعوبات جمة في المفاوضات، تناول هولست زجاجة شمبانيا من الثلاجة، ودعوت"مايه" للانضمام إلينا، وبدأنا الاحتفال بالعهد الجديد في العلاقات، بين منظمة التحرير وإسرائيل.

***   ***   ***

في نفس الليلة صادقت منظمة التحرير على تبادل الرسائل، وبذلك، أصبح الميثاق الوطني الفلسطيني لاغياً وملغياً على الصعيد العملي، ولا شك أن هذه كانت خطوة كبيرة جداً، على صعيد منظمة التحرير. وبعد سنتين ونصف السنة، وفي نيسان ١٩٩٦، صادق المجلس الوطني الفلسطيني، على تعديل الميثاق، في الجلسة الخاصة التي عقدها في غزة، في الوقت الذي واصلت فيه جهات إسرائيلية يمينية الادعاء–استناداً إلى تفسيرات كلامية لا أساس لها من الصحة–

بأن الميثاق الأصل لا زال ساري المفعول. وتساءلت بيني وبين نفسي، ما الذي بقي على الفلسطينيين عمله بدون الجدار الاستنادي العدائي المعروف والمريح؟ لقد سقط هذا الجدار في العاشر من أيلول عندما وقع عرفات على الرسائل المتعلقة بذلك في تونس، وقام هولست بعرضها على وسائل الإعلام الإسرائيلية والدولية في مراسيم بسيطة، في مكتب رئيس الحكومة في القدس، وقد قام رابين والى جانبيه بيرس وهولست بالتوقيع باسم حكومة إسرائيل على رسالة الاعتراف بمنظمة التحرير، وهكذا كان التحدي التاريخي كله في جملة واحدة جاء فيها:

سيدي الرئيس:

ردا على رسالتك في التاسع من أيلول ١٩٩٣، أود أن أؤكد أمامك، أنه وفي ضوء التزام منظمة التحرير المدرجة في رسالتك، فقد قررت حكومة إسرائيل الاعتراف بمنظمة التحرير، كممثل الشعب الفلسطيني، والشروع بمفاوضات مع منظمة التحرير في إطار مسيرة السلام في الشرق الأوسط.

وبعد ثلاثة أيام- في الثالث عشر من أيلول ١٩٩٣- تم التعبير عن هذا الاعتراف، بأكثر الصور علنية في حدائق البيت الأبيض في تمام الساعة العاشرة صباحا، عندما وقع شمعون بيرس باسم إسرائيل، وأبو مازن باسم منظمة التحرير على إعلان المبادئ. وفي أعقاب التوقيع، طلب الرئيس الأميركي من اسحق رابين وياسر عرفات -اللذين لم يتخيل أي إنسان أن بالإمكان رؤيتهما معا في أي مكان- كي يصافح أحدهما الآخر.

وكما يبدو، فإن هذه المصافحة كانت أكثر مصافحة التقطت لها صور في العالم. لقد عزا العالم بأسره، إلى هذه المصافحة، السحر الذي أدى إلى تسوية أحد أكثر النزاعات تعقيدا في العالم، وأشدها حساسية في التاريخ الحديث، والآمال التي ولدت في قلوب الكثيرين على أرضية هذه المصافحة.

جلست إلى جوار يوسي بيلين- وهو الرجل الذي حرك هذه المسيرة- في الصف الأول، وهمست له :" هل تصدق ما ترى عيناك" فقال" إذا كان ما نراه حقيقيا، فلا شك أنه هائل".

لقد قدم بيرس إلى واشنطن على أهبة الاستعداد، بل ومسرورا لمقابلة أبو مازن، وجهاً لوجه، باسم إسرائيل، ولم يكن متحمساً لوجود رابين وعرفات وقال أن وجودهما سابق لأوانه جداً.

أما رابين البراغماتي، فقد اعتبر الاتفاقية بمثابة أمر وطني، وتعامل مع الفلسطينيين كشركاء في السلام، رغم أنه لا زال يراوده شعور بالإحجام عنهم، وخصوصاً من رئيسهم ياسر عرفات، وقد وجد صعوبة بالغة في إخفاء ذلك. بل وشعر بالاشمئزاز عندما صافح الرئيس الفلسطيني، وربما أنه يكون بذلك قد عكس مشاعر الكثير من الإسرائيليين. ثم جاء دور بيرس لمصافحة عرفات الذي بدا وكأنه هبط من كوكب آخر، رغم مظهره الخارجي الذي بقي على حاله، وقد حظي بتصفيق حاد كالذي يحظى به المبشرون بالسلام. لقد كان بمقدوره أن يترفع ويرتفع إلى مستوى الحدث، بيد أنه، كما يبدو، كان يرى الحدث برمته دليلا على عدالة النضال الذي خاضه حتى الآن، وليس كتحية للتحول الكبير الذي طرأ على القيم.

كانت هناك قواسم مشتركة تربط بين الشخصيات الثلاثة الماثلة على "خشبة المسرح"، عرفات ورابين وبيرس: فقد كانوا زعماء أقوياء ومحنكين، لا يمكن لتشويهات كلامية أن تهزمهم، والثلاثة كانوا وحيدين، ومقتنعين بعدالة طريقهم، ويحملون في أعماقهم حوافز هائلة بغية إنجاز أهدافهم، والثلاثة كانوا يتمتعون بالقدرة على التحمل، وقد تزايد تأثير المسيرة عليهم تدريجياً كلما تقدمت إلى الأمام. وهاهم الثلاثة يقفون على (خشبة المسرح) المتحركة باتجاه مستقبل لا زال في المجهول.

شاهدت أبو علاء في أعقاب انتهاء مراسيم التوقيع واقفاً وسط مجموعة من كبار شخصيات منظمة التحرير، فاتجهت نحوه، لكنه رمقني بنظرة محرجة. لقد شعرنا الآن، ونحن في خضم الواقع، أننا بعيدون عن خصوصية أوسلو وعزلتها، إننا غرباء. وبدا أننا تحولنا من شركاء سريين إلى أعضاء في معسكرين مختلفين وعلى وشك الانطلاق في مسيرة مشتركة.

وقفت إسرائيل ومنظمة التحرير الان علـــى خـط الانطـلاق، وكـان عليـهما أن يترجما إعلان المبادئ إلى واقع عملي. ترى هل سـيتمكنان مـن العمـل معـاً؟ هـل سيستطيعان اتخاذ الاستعدادات اللازمة لبدء الجـدل حـول إقامـة الحكـم الذاتـي فـي غزة واريحا؟؟ وكيف سـيعالجان ردود الفعـل الداخليـة لديـهما؟؟ ولا شـك أن الـرد على هذه التساؤلات كان يحتاج إلى جدول أعمـال كـامل وجديـد.

عقدت أول جلسة عمل بين إسرائيل ومنظمـة التحريـر فـي سـاعات مـا بعـد ظهر الثالث عشر من أيلول في أحد أجنحة الطابق الخـامس مـن فنـدق(مـاي فلـوا) والذي كان بيرس يحل فيه مع عائلته. وقد شارك فـي الجلسـة أبـو مـازن وبـيرس ويوسي بيلين وأبو علاء وحسن عصفور ويوآل زينجر وأنـا- قـرر رابيـن وبـيرس عدم ضم هيرشـفيلد وفونـدك إلـى الوفـد الرسـمي للمراسـيم- حيـث اعتقـدا أن هيرشفيلد وفوندك بالغا في الإدلاء بتصريحـات حـول الـدور الـذي قاما بـه فـي المسيرة وكان ذلك خطـأ.

استهل بيرس حديثه بتحديد المقدمات الثـلاث التاليـة"

"أولا: من المهم تشكيل طاقم المفاوضات لتجسـيد الاتفاقيـة.

ثانيا: علينا أن نسلط الأضواء فـي النقـاش علـى القضيـة المركزيـة الخاصـة بالتطوير الاقتصادي في الضفة والقطاع، وقد تحدثـت مـع الـنرويجيين وقـالوا لـي: أنهم أعدوا قاعدة اسـكندنافية لتقديـم المسـاعدات الدوليـة، والأمـيركيون سـيؤيدون هذه الخطوة، وقد ضمنت خلال زيارتي لبروكسـل، تعـاون الاتحـاد الأوروبـي بـهذا الصدد، سوف يتم تشكيل تنظيـم دولـي مـن أجـل دعمكـم ونحـن نتـوق لرؤيـة نجاحكم، لأننا مهتمون بالعيش إلى جانب جـيران، يتمتعـون بالازدهـار الاقتصـادي. ولا يوجد لدينا أي اهتمام في إدارة حياتكم بيد أننا نرغب فـي تقديـم المسـاعدة لكـم.

ثالثا: أنا واثق أن علينـا أن نجـري اتصـالات يوميـا فيمـا بيننـا، واقـترح أن يصبح أبو علاء وسبير ضابطين هـذا الاتصـال".

وفي مستهل كلامه، قال أبو مازن: أنه كان دائمـا يقـدر الجـهود التـي يبذلـها من أجل السلام. ورغم أنه انتهج أسلوبا أقل عملية مـن بـيرس الا أنـه وافـق علـى

أهمية التعاون بين الطرفين. وأضاف:" يجب علينا أن نعمل معاً على معالجة الوضع الاقتصادي الحالي، لان شعبنا بحاجة لأن يشعر بالفروق".

كان هذا اللقاء، هو الأول مع الرجل الذي يوازي يوسي بيلين لدينا، على صعيد مبادرة حوار أوسلو في الجانب الفلسطيني. ولم يكن هذا الرجل قد مني، ولو بقدر صغير من العصبية التي مني بها نظراؤه.

ولم ندرك في تلك المرحلة، أن ضبط النفس السودي الذي يتحلى به، وعدم وضوح ردوده كانا يعكسان عدم استعداد الفلسطينيين للشروع بسرعة في تطبيق الاتفاقية. كانت المشكلة بالنسبة لهم تتجلى في عدم توفر مصطلحات ومعدات جاهزة للحكم، إضافة إلى تركيز غالبية الصلاحيات بين أيدي عرفات.

وخلال الاحتكاكات التي جرت مع مستشاريه وفي معرض التطرق إلى عامل الزمن، اتضح لنا لدهشتنا أن الفلسطينيين يعتقدون أن الزمن يعمل لمصلحتهم، في الوقت الذي كنا نحن نشعر بالضيق الشديد جراء مرور الزمن دون أن نستغله.

وكان من الصعب علينا، أيضا، في تلك الآونة، أن نحدد ما الذي يتوجب على كل طرف عمله وحده، وما الذي يجب أن نفعله بالتعاون معا؟ وهكذا، وجدنا أنفسنا نراوح بين بقايا النزاع من ناحية والتعاون فيما بيننا من الناحية الأخرى.

رافقت أعضاء الوفد الفلسطيني حتى باب الفندق، وهناك أخذت أرقام هواتفهم، وأخذوا رقم هاتفي، وقال أبو علاء: يمكنكم أن تتصلوا بنا مباشرة في تونس، أما نحن فلا نستطيع بعد الاتصال مباشرة بالضفة الغربية أو غزة. لقد آن الأوان للعودة إلى البيت" فقلت له:" أهلا وسهلا" فرد قائلا: أهلا وسهلا، ولربما أنه اراد أن يقول لي بذلك: لستم أنتم الذين تستضيفوننا.

غادرنا واشنطن، ونحن لا ندري أن هذا اللقاء سيكون آخر لقاء لفترة طويلة. فقد قطع عرفات العلاقة معنا لعدة أسابيع، دون أن نتلقى أي مكالمة من أبو علاء. وفجأة وصلتنا مكالمة من أبو كرش- الرجل الثالث لمنظمة التحرير

في أوسلو، وطلب أن يجتمع بي في فرانكفـورت وحـال وصولـي، أعلمنـي رسـمياً، أنه تم تعيينه ضابطاً للاتصال للمنظمة مـع إسـرائيل.

أدهشني ذلك، بيد أن هذا التعيين كان بالنسبة لنـا، أحـد أسـاليب عرفـات، فـي الإخلال بتوازن مقربيه لقد قدم عرفات الدعـم لأبـو عـلاء إبـان اتفاقيـات أوسـلو، والان نحاه جانباً بيد أن هذه المرة، كانت آخر مرة أشـاهد فيـها أبـو كـرش. كـانت الاتصالات تجري معي من قبل شـخصيات فلسـطينية مختلفـة، بيـد أن أبـو عـلاء كان يعود للظهور، كلما أصبحت المحادثـات جديـة.

والى جانب الطرفين، كان هناك مجتمع دولي مذهـول مـن رؤيـة المصافحـة، ويتوق إلى رؤية الازدهار الناجم عن التعـاون الجديـد.

اجتمع فـي الأول مـن تشـرين الأول وزراء الخارجيـة والماليـة مـن جميـع أنحاء العالم في واشنطن، بمبادرة من شـمعون بـيرس، بغيـة الاتفـاق علـى صفقـة مساعدات للفلسطينيين، ووافقـت الجـهات المشـاركة، علـى تضميـن هـذه الصفقـة هبات وقروضاً بقيمة ٢،٥ مليـار دولار، والتـي ازدادت، فيمـا بعـد، حتـى بلغـت ثلاثة مليارات دولار، من الولايات المتحدة والاتحـاد الأوروبـي واليابـان- أمـا دول الخليج فعادت لتخيب آمال الاخوة الفلسطينيين مـن جديـد.

وتم اختيار النرويج- بطلة المفاوضـات- لـتروس مبـادرة المسـاعدات تحـت إشراف هولست ولاريسون. وقد سألني لاريسون: هل فكرت، فـي يـوم مـن الأيـام، أن وزراء إسرائيليين يقومـون بجمـع الأمـوال لمنظمـة التحريـر؟؟ وقـد الـتزمت إسرائيل نفسها بتقديم مساعدات للحكـم الذاتـي الفلسـطيني بقيمـة خمسـة وعشـرين مليون دولار على مدى خمس سـنوات.

أذهل الاتفاق العـالم العربـي، وكـان مـن البديـهي أن تصـب دول الرفـض العربية عليه جام غضبها، أما الدول المؤيدة فكـانت تلـك الـدول التـي تـم إشـراكها في سر أوسلو: مصر، والمغـرب وتونـس. وبيـن هذيـن النوعيـن، كـانت هنـاك بعض الدول العربية التي فاجأها اتفـاق أوسـلو ايضـا. وكـانت هـذه الـدول تؤيـد الفلسطينيين أخلاقيا، بيد أنها تتحفظ على تطلعاتـهم السياسـية.

كان الأردنيون يخشون علــى مصــالح مملكتــهم، أمــا دول الخليــج، فكــانت لا تزال تكن الحقد على عرفات، جــراء تــأييده لصــدام حســين إبــان حــرب الخليــج. ورغم ذلك، فقد شعر العديد مــن هــذه الــدول أن الاتفــاق أزاح عــن ظــهرها عبئــاً ثقيــلاً.

ولا زلت أذكر، أن أبو علاء قــال لــي إبــان المفاوضــات فــي أوســلو:" أنتــم ستمنحوننا المفاتيح إلى الولايــات المتحــدة ونحــن ســنفتح البــاب لكــم إلــى العــالم العربي" وهذا ما حدث بالفعل، فقد بدأ الباب نحو العــالم العربــي فــي الانفتــاح. فبعــد يوم واحد من إجراء مراسيم التوقيع على الاتفاقية فــي واشــنطن، تــم تحديــد جــدول أعمال للتفاوض بين ممثلي الأردن وإسرائيل، ذلك الجــدول الــذي أســفر فــي نهايــة المطاف عن إبرام اتفاقية السلام المستقبلية بيــن الدولتيــن.

وفي طريق العودة من واشنطن، هبطــت طائرتنــا فــي الربــاط، وقــام الملــك الحسن الذي يعتبر أحــد رواد الســلام العربــي-الإســرائيلي بــإعداد اســتقبال ملكــي لرابين وبــيرس".

إن التوق الإسرائيلي لوضع حد للاحتلال واعترافنــا بمنظمــة التحريــر، أحلــت العديد من الدول العربية من تحفظاتــها مــن إســرائيل تلــك التحفظــات التــي كــانت ناجمة عن تأييدها للقضية الفلســطينية.

ونظــرا لأن نزعتنــا نحــو التــأثر بــالعرب الذيــن يوجــهون الانتقــادات إلــى الفلسطينيين، فقد استحال علينا أن ندرك أنــه طالمــا بقــي اليــهود يســيطرون علــى العرب فإن السلام لن يسود أبدا في الشــرق الأوســط.

وخلال مراسيم التوقيع على الاتفاقيــات فــي واشــنطن اتضــح لــي، وليوســي بيلين أننا كنا نجلس إلى جوار الأمير بندر-ســفير الســعودية فــي واشــنطن- والــذي يعتبر شخصية بارزة جدا في الولايات المتحــدة منــذ الثمانينــات.

وفي نهاية المراسيم، توجه إلينا قائلا: لقد ســمعت عنكــم الكثــير، وأنــا أحبيكــم" وفي أعقاب وجبة العشاء التي أقامــها وزيــر الخارجيــة كريســتوفر، تحــدث الأمــير بندر مع بــيرس.

وقد أخبرني مسئول أميركي، فيما بعد، أن السعوديين سمحوا لبندر بالمشاركة في المراسيم، بيد أنهم اشترطوا عليه أن لا يعرب عن تقديره لعرفات. هذا رغم أنه لولا عرفات، لما كان لقاؤنا مع بندر أو مع أية شخصية عربية أخرى لتحدث.

حطت طائرتنا في إسرائيل، في الساعة الرابعة فجر عيد رأس السنة العبرية، لقد استغرقتنا مهمتنا منذ بدايتها وحتى نهايتها اثنتي وسبعين ساعة.

كنا شديدي التعب والإرهاق، ورغم ذلك، طلب منا بيرس أن نمثل في مكتبه الساعة السابعة من صبيحة الغد. وعندما وصلنا أنا وبيلين وجيل، كنا مرهقين تماما، بيد أن بيرس بدا في قمة حيويته ونشاطه. وقد جلس أمامنا، وقال بجدية تامة:" هذه هي الساعة المناسبة للهجوم على الأردن . فانفجرنا نحن الثلاثة بالضحك، وأخذنا نشرح شكوكنا حول ذلك، بيد أن مبرراتنا لم تغير رأيه، وقال:" الملك لن يبقى في الخلف" وطلب من بيلين أن يمهد الأرضية للقاء.

في الأول من تشرين الأول اجتمع بيرس علنا ولأول مرة، مع ولي العهد الأردني الأمير الحسن تحت رعاية الرئيس الأميركي في واشنطن.

وبعد أربعة أسابيع اجتاز ثلاثة إسرائيليين هم: بيرس الذي حاول إخفاء شخصيته باعتمار قبعة وشارب، وآفي جيل، وافرايم هيلفي-رئيس الموساد حاليا-جسر الملك الحسين على نهر الأردن، في طريقهم إلى القصر الملكي في عمان. لقد هاجم بيرس حقا الملك الحسين بتنبؤاته حول السلام والازدهار في المنطقة كلها، وأسهب في القول حول دور المملكة الهاشمية في تجسيد هذه النبوءة.

وفي نهاية الحوار، توصل الملك وبيرس إلى تفاهم حول معايير اتفاقية السلام المستقبلي، ووقعا بالأحرف الأولى على وثيقة مؤلفة من أربع صفحات.

ونظراً لأن التطوير الاقتصادي، احتل رأس جدول اهتمامات بيرس، فقد سارع لتقديم اقتراح للملك، قائلا: ما رأي جلالتك، في دعوة أربعة آلاف رجل أعمال إلى عمان لمناقشة الاستثمار في الشرق الأوسط الجديد؟؟

وأسهب بيرس في شرح خطته، بما فيها عمليات نقل الضيوف من إسرائيل واليها بطائرات الهليوكبتر. وقد أعرب الملك عن موافقته على الفكرة، والتي تم ضمها إلى وثيقة التفاهم التي تم إنجازها بين الصديقين الحميمين. كان ذلك في الثاني من تشرين الثاني ١٩٩٣.

عاد بيرس إلى إسرائيل وهو يشعر بالإعجاب الشديد بنفسه. ومن البديهي القول: أن اللقاء جرى بمباركة رابين، رغم أنه أعرب عن شكه في أن يسارع الملك الحسين، إلى دفع الحوار بين الأردن وإسرائيل إلى الأمام في أعقاب (الصفقة) التي تم تنفيذها مع الفلسطينيين من وراء ظهره.

والأميركيون أيضا، لم يكونوا يتوقعون إحراز أي تقدم، خصوصاً على أرضية معارضة السوريين للصفقات المنفردة، ومواقفها التهديدية تجاه الأردن . كنت في تلك الآونة في باريس، وخلال تناولي طعام العشاء مع مارتن اينديك ودنيس روس، قرأت تفاصيل الوثيقة التي تم إنجازها في عمان. وبدا روس مندهشا، وقال:" لقد توقفت عن الشك في قدرة بيرس على عمل المعجزات أرجو أن تنقل له تهنئتي: لقد لمست في هذه الأقوال تغييرا في لهجة الأميركيين وتعاملهم تجاه بيرس، الذي كان من وجهة نظرهم، يشع بالأفكار الخلاقة، بيد أنه ليس (أرثوذكسيا جدا) ومنذ تلك اللحظة، أصبحت اتصالاته مع طاقم السلام الأميركي شبه يومية.

في الرابع من تشرين الثاني اجتمع بيرس في القدس مع كلاوس شفاب، وجريجوري بلات رئيس الهيئة الاقتصادية العالمية في "دافوس" وأطلعهما على المبادرة التي ناقشها مع الملك الحسين، وأعلمهما بموافقة الملك، وطلب منهما العمل على تنظيم عقد مؤتمر قمة اقتصادي وقد وافق شفاب على تحمل مسئولية تنظيم هذا المؤتمر.

وقد افترض عليه أن يعمل بالتعاون مع (السلي جلب) رئيس مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك، في الوقت الذي لم يؤمن أي من المقربين لبيرس، بإمكانية عقد مؤتمر بالحجم الذي يتحدث عنه بيرس في الزمن المنظور.

لذاء كنا نتحدث من خلف ظهر بيرس، عن مؤتمر الأربعيـــن والذيـن يعنـي أن عـدد المشاركين فيه لن يتجاوز أربعيـن شـخصاً.

بيد أنه لم يمض سوى عام حتـى عقـد فـي كازابلانكـا المؤتمـر الاقتصـادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيـا، بمشـاركة أربعـة آلاف ممثـل عـن عـالم رجـال الأعمال والماليين، لقد قرر الأردنيـون عـدم اسـتضافة المؤتمـر الأول، بيـد أنـهم دعوا المؤتمر الثاني للانعقاد علـى اراضيـهم.

ولا شك أن كل هذه الأحـداث وقعـت بفضـل التوقيـع علـى اتفاقيـة إعـلان المبادئ مع منظمة التحريـر.

*** *** ***

بدت المسيرة وهي تنطلق بعد ذلك مختلفة تماما عمـا تـم التخطيـط لـه سـابقا. فالعمل الذي بدا لمنظمة التحريـر ومؤيـدي السـلام كنقطـة انطـلاق جديـدة، أثـار معارضة شديدة ومتطرفة ومهددة من قبل ائتلاف هـش مؤلـف مـن القـوى المعنيـة بتدمير المسيرة السـلمية.

لقد اعتبر الأصوليون الإسلاميون المسيرة بمثابـة كارثـة، نظـرا لان حركاتـهم كانت تنمو، فقط، وسط اللااسـتقرار الاجتمـاعي والاقتصـادي.

وعارضها كذلك حاملو لـواء القوميـة العربيـة مـن خـلال رؤيتـهم الضيقـة لمصالحهم، ومن خلال عدم الثقة المتجذرة في أعماقـهم تجـاه إسـرائيل.

وقد سارع هؤلاء وأولئك إلـى نفـض غبـار الصدمـة الأولـى عـن أنفسـهم، وبدأوا يعدون العدة للعمل العنيف ضد"خطـر السـلام".

كان هناك، في الجانب الفلسطيني، معـارضون يحظـون بتـأييد سـوريا، مثـل جورج حبش،الذي قال: يجـب الإلقـاء بعرفـات إلـى حاويـة القمامـة" أمـا أحمـد جبريل، فقد تنبأ لعرفات بمصير مماثل لمصير السادات. وأقسـم نـايف حواتمـة بـان يدمر اتفاقية السلام بالوسائل العنيفـة والوحشـية.

وكان هناك أيضاً في داخل منظمة التحرير من اعتبر الاتفاقية بمثابة خنوع ياسر عرفات، للإملاءات الإسرائيلية، وقد ترأس هذا الجناح رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير فاروق القدومي.

لم تشعر الحكومة السورية بالارتياح من الاتفاقية التي ولدت بعد أيام معدودة من التطورات الحقيقية(والسرية) التي طرأت على المفاوضات بينها وبين إسرائيل وشك الرئيس الأسد، بوجود مؤامرة لمنعه من معارضته إعلان المبادئ. بيد أنه وبتشجيع من الإدارة الأميركية، التي وعدت بمواصلة جهودها الرامية إلى عقد اتفاقية إسرائيلية سورية سمح للناطقين السوريين بتقديم التهاني الفاترة على الاتفاق.

أما الدول المتشددة في العالم العربي: العراق، وليبيا، والسودان-نصيرة وحامية الإرهاب، إيران- فقد شرعت في كيل السباب والشتائم لعرفات على خنوعه المخزي لإسرائيل، وتعهدوا بمواصلة النضال.

وبدأت حركة حماس، حليفة إيران باتخاذ الاستعدادات اللازمة توطئة للقيام بعمليات إرهابية تشد الرأي العام العالمي، وتثير ثائرة الرأي العام الإسرائيلي، ضد الاتفاقية ولهدم أي أمل بالمصالحة ولم تكتف هذه القوى بالصراخ فقط، فقد أعطت لتهديداتها طابعا عملياً.

وعلى طول الهامش الزمني للسنوات الثلاث التالية، قامت كتائب الموت ببناء قنابلها، في الوقت الذي كان فيه الزعماء القوميون يتخذون قرارات صعبة، ويفاوضون، ويواصلون حواراتهم ويوقعون الاتفاقيات.

لقد بدأت ساعتان زمنيتان تدقان على مسرب الصدام:" الأولى هي تلك الساعة التي تعمل على تحريك المسيرة السلمية باتجاه التسوية الدائمة، والثانية هي التي تدق للاقتراب من ساعة الصفر لانفجار القنبلة الموقوتة الرامية لإشاعة الخراب واليأس والخوف، وفي الوقت الذي خرج فيه الدبلوماسيون وهم يحملون حقائبهم التي تغص بالمواد الناسفة.

ولم يقتصر هذا الوضع على الفلسطينيين والعرب فقط، بل كانت هناك في إسرائيل أيضاً أوساط تعمل على إحباط المسيرة السلمية قولاً وعملاً. فقد بلغ الغضب ذروته في نفوس المعارضة اليمينية المتطرفة، وزعامة المستوطنين، الذين اعتبروا اتفاقيات أوسلو بمثابة خطر على أيديولوجيتهم أكثر مما هي خطر على أمنهم الشخصي. وقد وصف حنان بورات -عضو الكنيست عن حزب المفدال- التنازل عن غزة وأريحا كخيانة للوطن. وقد أسهمت مثل هذه التصريحات الهوجاء في زرع بذور الشيطان والشغب. وقد انضم إلى المستوطنين، نصف أعضاء الكنيست تقريباً برئاسة رئيس الليكود، عضو الكنيست بنيامين نتنياهو.

وفي اليوم الذي وقف فيه رابين على حشائش البيت الأبيض وقال: يكفينا دماء ودموعاً". أخذ نتنياهو يتحدث عن الخطر الذي لم يسبق له مثيل، والمحدق بإسرائيل، وأن الحكومة تسمح لمنظمة التحرير بتنفيذ خطتها الرامية إلى تخريب إسرائيل. وهكذا، فإن نفس القضية التي اعتبرها بعض الإسرائيليين أملاً للسلام، اعتبرها إسرائيليون آخرون خطراً على وجود إسرائيل.

لقد أرغمت عملية التوقيع على إعلان المبادئ معارضي ومؤيدي أوسلو، على اتخاذ موقف عملي، وذلك نظرا للتحركات التي بدأت في أعقاب التوقيع على الاتفاقية، باتجاه إحداث تغييرات على أرض الواقع. لقد وقفت المنطقة كلها، أمام تغيرات جذرية، مما حدا بكل جهة لتحديد مصالحها الحيوية، وتحديد كيفية الدفاع عنها.

لقد بدأت دوامة المصالح المتعارضة والمتضاربة تعصف بالمكان في الثالث عشر من أيلول ١٩٩٣. فاتفاقيات أوسلو مكنت من دق إسفين بين الإيمان بالواقع الجديد، الآخذ في التطور، وبين الشبهات والشكوك القديمة ذات الجذور الضاربة طولاً وعرضاً، دقت إسفيناً بين المصالح الاقتصادية البراغماتية المشتركة، وبين النظريات التقليدية والدينية والتربوية. بيد أن أصعب الخصومات نشبت بين مؤيدي مسيرة السلام المعقولة، والمبلورة، وبين المعارضين الأيديولوجيين، بين

الشريكين اللذين قررا تقسيم الشراكة كـهدف اسـتراتيجي، وبيـن القـوى التـي قـالت" كلها لي"، بين أولئك الذين تاقوا لرؤية أسوار الكراهيـة والحقـد وهـي تنـهار، وبيـن أولئك الذين اعتبروها بمثابة دفاع عن القيـم التقليديـة.

ومن الجدير بالذكر، أنه ومنذ المصافحة التي جـرت فـي واشـنطن بيـن عرفـات ورابين، ومصر والشرق الأوسط، لم يعد رهناً باتفاقيـات أوسـلو فقـط، بـل بـالنزاع الذي أخذت بوادره تبدو في الأفق بين مؤيديـها ومعارضيـها.

بعد ثلاثة أشهر من مراسيم التوقيع، دعيت أنـا وأبـو عـلاء إلـى أوسـلو لتلقـي شهادة تقدير من هيرالد ملك النرويج. وفي ظل هـذا الوضـع اجتمعـت عائلتانـا. فقـد جاء أبو علاء وبصحبته زوجته، وابنته منى، وابنـه عـلاء، وعروسـة ابنـهم دليلـة، وحفيدتهم زينة. أما أنا فقد قدمـت مـع زوجتـي علـيزة، وابنتـي مايـه، وصديقتـها (أبيطـل).

وسرعان ما عثر الجيل الشاب على قواسم مشـتركة، وعلـى وجـه الخصـوص مايـه ومنى، وقمنا بجـولات فـي الثلـج النرويجي، واسـتمعنا إلـى الموسـيقى الشـرقية، وعندما قمنا بزيارة مكان لقائنا الأول، أدركت أن العدو رقـم واحـد، أصبـح صديقـا.

وعندما استقبلنا الملك وحدنا، قال له أبو علاء: " يـا صـاحب الجلالـة، لقـد جئنـا هنا كوفد واحد، كي نشكركم على الـدور الـذي قـامت بـه الـنرويج فـي محادثـات السلام وعلى العمل الرائع الذي قام بـه لاريسـون ومونـه، وبصـورة خاصـة علـى الدور الذي قام به وزير الخارجيـة هولسـت".

الباب الثاني

تعارضات وتناقضات

الفصل الرابع

الفلسطينيون استقبلوا الاتفاقية بمزيج من الارتياح والشكوك

القادمون من تونس شكلوا مصدر قلق لزعامة الداخل

بعد مائة سنة من الاقتتال الدموي الشرس وجد الفلسطينيون والإسرائيليون أنفسهم يسيرون معا في مسيرة مصالحة طويلة، لقد تمسك ياسر عرفات طيلة ثلاثين عاما، بسياسة الإرهاب، ولا شرعية، وجود إسرائيل.

واتخذ إسحاق رابين وشمعون بيرس، اللذان شغلا منصب رئيس الحكومة ووزير الدفاع، إبان العمليات، التي نفذها الفلسطينيون، ردود فعل شديدة جدا، وحاربا الإنتفاضة بمنتهى الشدة والعنف.

وقد اعتاد كل من الطرفين على وصف الطرف الآخر بالبربرية، والتصقت هذه الأوصاف في ذهن الطرفين، ويصعب القول أن هناك عائلة فلسطينية أو يهودية، لم تصب بجرح من جروح الإقتتال الذي بدا أنه بلا نهاية، مما جعل الشعبين يحملان بصمات دامية على الصعيدين المادي والنفسي، والتي بقيت نازفة دائما.

وبصورة فجائية، طلع زعماء الشعبين على أبناء شعبيهما بإتفاق يحول الشعبين المحاربين الى حليفين، يملؤهما الأمل بصورة لم تتح لأي منهما بالشعور أنه مهزوم، وهكذا، إمتزج الماضي والحاصر والمستقبل في خضم نظرية جديدة وأحاسيس جديدة.

لقد صفق الطرفان للاتفاق التاريخي، وكل طرف بدأ يتحدث عن الآمال التي انبعثت في قلوب أبناء شعبه على أرضية الاتفاق بيد أن أيا من الطرفين لم يبد تغييرا في أحاسيسه تجاه عدو الأمس، لقد أدت عملية المراوحة بين العادة المألوفة، منذ زمن طويل، وترقب حدوث التغير، خلق نوعا من أنواع الحركة

الذاتية، ذات الذبذبات العالية، والمراوحة بين العودة إلـــى مـــا هـــو معـــروف ومنتـــهج تارة، وتفجر المشاعر البناءة، تـــارة أخـــرى.

وفي أعقاب التوقيع علـــى إعـــلان المبـــادئ، كـــان علـــى الطرفيـــن مواجهـــة جهات داخلية لم يتم إشـــراكها فـــي المســـيرة، والتـــي وجـــهت انتقـــادات شـــديدة إلـــى الاتفاقية، ووجد عرفات نفسه يواجه صعوبات لم يســـبق لـــه أن عرفـــها، فـــي محاولتـــه للحصول على موافقة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير علـــى الإتفاقيـــة، فقـــد عمـــد ســـتة أعضاء من بين أعضاء اللجنة الثمانيـــة عشـــر، إلـــى الاســـتقالة، احتجاجـــا علـــى مـــا أسموه بالخنوع بيد أنه تمكـــن مـــن تحييـــد المعارضـــة والتغلـــب عليـــها بالمنـــاورات السياسية الذكية، التي انتهجها وعندما لم تكف هـــذه المنـــاورة لتحقيـــق المطلـــوب، لـــم يتحرج عرفات في اللجوء إلى الضغوط التحذيرية والإشـــارة بحـــدة، إلـــى عـــدم وجـــود أي بديل آخر لزعامتـــه.

قام عرفات بعرض الاتفـــاق علـــى زملائـــه، واصفـــا إياهـــا بصـــورة غـــير صحيحة- بأنها ضمانة لإقامة الدولة الفلسطينية، وفقا لجـــدول زمنـــي ثـــابت، وتجـــاهل عرفات التفاصيل طالما كان ذلك ممكناً، ولم يكـــن فـــي عجلـــة مـــن أمـــره بالشـــروع بمفاوضات حول تطبيق الإتفاقيـــة.

عندما سمع بيرس كيـــف وصـــف عرفـــات إتفاقيـــة إعـــلان المبـــادئ أمـــام وسائل الإعلام، عقب قائلاً : إن عرفات يتعامل مـــع الإعـــلان مثلمـــا يتعـــامل غالبيـــة المسافرين للاتفاقية المعقودة بينهم وبين شركة الطـــيران، والتـــي يتـــم صياغتـــها خلـــف تذكرة السفر، فقـــد قـــال عرفـــات : "الـــهدف المـــهم بالنســـبة لـــي، وليـــس الأحـــرف الصغـــيرة".

في أعقاب التوقيع على الاتفاقية في واشنطن عمـــد عرفـــات إلـــى إبعـــاد كـــل من أبو مازن وأبو علاء عن مراكز اتخـــاذ القـــرار، حيـــث اعتقـــد أن الأثنيـــن حظيـــا باهتمام دولي كبير جداً، وقد رد أبو مازن علـــى ذلـــك، بالإعتكـــاف فـــي بيتـــه لأكـــثر من سنة، أما أبو علاء الذي كـــان مـــهتماً بتعزيـــز العلاقـــات بيـــن منظمـــة التحريـــر والدول العربية المجاورة، فقد كرس جهده في مجـــال التوصـــل إلـــي إتفـــاق اقتصـــادي

مع الأردن ونجح في التوصل إلى وثيقة متفق عليـها تضمـن لـلأردن مكانـة مفضلـة في الاقتصاد الفلسطيني الآخذ في التطور، بمـا فيـها اعتبـار الدينـار عملـة قانونيـة إلى جانب الشيكل الإسرائيلي، بيد أن عرفات منعه مـن التوقيـع علـى الإتفاقيـة رغـم أنه طلب من فاروق القدومي- أحد معارضي اتفاقيـات السـلام، التوصـل إلـى إتفـاق مماثل مع الأردن، فيما بعـد.

إستقبل الفلسطينيون الإتفاقية المبرمـة مـع إسـرائيل، بمزيـج مـن الارتيـاح والشكوك، فرغم أن الوثيقة تجعلهم يحظون، فـي نهايـة المطـاف، بحكـم ذاتـي، فقـد كانوا يشكون في حدوث تغيير حقيقي لـدى إسـرائيل فـي أعقـاب سـنوات الاحتـلال الست والعشرين. وقد قال معظم الفلسـطينيين الذيـن أجريـت معـهم مقـابلات بـهذا الصدد :"أنهم يأملون بأن يطرأ تحسـن علـى حياتـهم". أي نفـس الجملـة الإسـرائيلية المستخدمة، والتي تقول "إن شاء الله سيكون كل شيء علـى مـا يـرام".

ورغم ذلك تغيرت ألـوان الشـوارع الفلسـطينية بصـورة مفاجئـة، وأخـذت الأعلام الفلسطينية تبرز وترفرف في كل مكان وشـرفة وسـطح. ولـم تعـد إسـرائيل تتخذ سياسة غبية، وتأمر جنودها بإنزال الأعلام، لقد تعلمنـا بأسـلوب صعـب للغايـة، استحالة هزيمة علم، وبدأت صورة عرفـات تظـهر فـي كـل مكـان، فـي المقـاهي، وواجهات المحلات والشـوارع.

وعندما بات من المتوقع أن يتحـول الرمـز الوطنـي إلـى قـائد علـى أرض الواقع، أصيبت عدة جهات فلسطينية بحالـة فـزع، خشـية أن تقـوم الزعامـة القادمـة من تونس، بإقصاء الزعامة المحليـة، عـن مراكـز السـلطة، ولا نفـرد لـها زاويـة معقولة في قاعة الحكـم.

أضف إلى ذلـك، أن الطبقـات المثقفـة بـدأت تلمـح إلـى ضـرورة اتخـاذ الخطوات اللازمة لبناء (مجتمـع مدنـي) فـي الضفـة والقطـاع لمواجهـة متطلبـات الحكم الذاتـي.

وتوجه الدكتور حيدر عبد الشـافي رئيـس وفـد المفاوضـات فـي مدريـد - إلى تونس في محاولة لأخذ تعـهد مـن الزعامـة الفلسـطينية لانتـهاج نظـام التعـدد

الحزبي، بيد أنه عاد من هناك خـاوي الوفـاض، فعرفـات لـم يكـن يعـتزم السـماح بتشكيل قاعدة لقوة معارضـة.

لقد بـذل عرفـات جـهداً كبـيراً لتحسـين الاتفـاق فـي أعيـن الجمـاهير الفلسطينية، آخذاً بعين الاعتبار، مزاج هذه الجمـاهير، وتحـدث عـن إعـلان المبـادئ بفخر، لوصفها الخطـوة الأولـى علـى صعيـد الانتصـار، وأكـد أهميتـها بالنسـبة للفلسطينيين، فقال : "لقد وضعنا هذا الإعلان، علـى الخارطـة السياسـية والجغرافيـة.

أدى التناقض القائم بين العداء العميـق الـذي يكنـه الفلسـطينيون لإسـرائيل، والتوقيع على إتفاقية المبادئ إلـى إحـراج الفلسـطينيين، وإبطـاء اسـتعداداتهم بشـأن تنفيذ الإتفاقيـة.

تمكن الطاقم الإسرائيلي المشـكل لخـوض المفاوضـات علـى الإعـداد لـه، وقد عين رئيس الأركان أمنون شاحك رئيسا للطـاقم، واللـواء عـوزي ديـان رئيـس شعبة التخطيط في هيئة الأركان، رئيساً للجنة القضايـا الأمنيـة، وعيـن اللـواء دانـي روتشيلد منسق الأعمال في المناطق، رئيسـا للجـان الشـؤون المدنيـة، وعيـن يـوآل زينجر، مشرفاً على الجانب القضائي فـي المباحثـات.

وعلى عكـس عرفـات تمامـا، لـم يجـد إسـحق رابيـن أي صعوبـة فـي الحصول على موافقة زملائه على إعلان المبـادئ، وكـانت الحكومـة آنـذاك مركبـة من ممثلي العمل ومـيرتس فقـط، ممـا جعلـها أكـثر حكومـة تناسـقاً فـي تـاريخ إسرائيل، وقد استقبل أعضاء الائتـلاف الحكومـي إعـلان المبـادئ بحمـاس بـالغ، واعتبروه بمثابة إنجاز تاريخي، وعليه فقـد اتخـذت، جميـع القـرارات فـي الفـترة التي تلت اتفاقيات أوسلو، وفقاً لرأي شخصين فقط، همـا رابيـن وبـيرس، بـل وقـد تم استبعاد يوسي بيلين من هذا الإطـار، خصوصـا جـراء مواصلـة اعتبـار نفسـه، هو وهيرشفيلد وفوندك العراب الوحيد للمسيرة السلمية، وبالتالي لـم يتـم ضمـه إلـى الجهاز السياسي والأمني الذي بناه رابيـن وبـيرس.

اسـتقبلت الجمـاهير الإسـرائيلية الإتفاقيـة، وفقـا لتقسـيماتها السياسـية والحزبية، وقد تحدث رابين عن الإتفاقيـة كتطـور إيجـابي، إجبـاري، سـيؤدي إلـى

تقريب إسرائيل من هدفها المبدئي، وهو الأمن بيد أنه تجاهل ضرورة المصالحة، وتحدث عن الاتفاق علناً، كوسيلة جديدة لإحراز أهداف أخلاقية، بينما لازالت بأيدينا وسائل أخرى لتحقيق هذه الأهداف.

وأضاف.."إذا لم ينجح الفلسطينيون في اختبار تنفيذ ما يتوقع منهم، فإننا قادرون، وفي غضون برهة زمنية قصيرة جداً، في السيطرة على كل ما ينحرف عن الطريق المرسوم.. وإزاء عدو مر، فإن أفضل الطرق تتمثل في العثور على أسلوب للتفاهم".

في الوقت الذي كان فيه كل طرف، يناضل من أجل بلورة نقطة انطلاقه في المفاوضات بدت هناك ضرورة للعمل على بلورة إطار لتنفيذ المبادرة المشتركة. وفي السادس من تشرين الأول – أي بعد ثلاثة أسابيع من التوقيع على إتفاقية إعلان المبادئ في واشنطن، اجتمع رابين وعرفات، في أول لقاء عمل بينهما في القاهرة.

كان اللقاء موضوعيا، وفي إطار موسع، من تلك الأطر الذي لا يسمح بأكثر من تبادل وجهات النظر العامة، وليس إجراء حوار منطقي. وقد برز في الوفد الفلسطيني ثلاث شخصيات محلية هم : فيصل الحسيني، وحنان عشراوي، وزياد أبو زياد، وهو من القدس، ومعروف بعلاقاته مع اليسار الإسرائيلي.

أما الوفد الإسرائيلي فقد شمل مساعدي رابين الثلاثة المقربين : رئيس مكتبه ايتان هابر، ومدير مكتب رئيس الحكومة شمعون شييس، والمستشار السياسي جاك نيريا.

وتمثل الإنجاز الرئيسي لهذا اللقاء في خلق إطار لإجراء المفاوضات حول الماهية الدقيقة للحكم الذاتي في غزة وأريحا، وهو الإجراء الذي كان يجب أن يخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي في طابا.

رغب الفلسطينيون في أن تستضيف مصر هذه المحادثات، نظرا لأن الرئيس المصري، حسني مبارك كان بين المؤيدين المتحمسين لقضيتهم أضف إلى ذلك، أن إجراء المحادثات في طابا، كان ذا مغزى رمزي بالنسبة لهم، حيث

أنها قطعة من شبه جزيرة سيناء، التي عادت إلى المصريين إثر التحكيم الدولي بينها وبين إسرائيل عام ١٩٨٦، هذا في حين اختارت إسرائيل طابا لقربها المكاني المريح ، ونظرا لإمكانية عودة المفاوضين الإسرائيليين يوميا إلى إسرائيل وإجراء النقاشات اللازمة دون خشية التنصت عليهم، أما المفاوضات حول الوضع الاقتصادي، فقد تم الاتفاق على عقدها في أوروبا (باريس) بإشراف وزير المالية أبراهام شوحط وأبو علاء.

وفي أعقاب الاتفاق على هذه الأمور، ألقى رابين محاضرة على عرافات، حول الأمن الذي تتطلع إليه إسرائيل كاختبار حقيقي يجب على الفلسطينيين أن ينجحوا في اجتيازه، في حين طرح عرفات أمام رابين عدة قضايا، مثل إطلاق سراح المعتقلين الأمنيين، بيد أن رابين، رفض هذا المطلب، وقال : "يجب مناقشة جميع الأمور في الأطر المخصصة لها". بيد أنه استجاب لمطلب رمزي لعرفات ينص على عدم نقل الفلسطينيين في غزة، بعد ذلك، إلى إسرائيل.

وفي الثالث عشر من تشرين الأول عقدت في القاهرة أول جلسة مراسيم خاصة للجنة الارتباط المشتركة العليا بحضور أبو مازن وبيرس وفي نفس الوقت، بدأت الحوارات في طابا حول غزة وأريحا، وقد ترأس الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي، المفاوضان نبيل شعث وأمنون شاحك، ورغم أن شاحك كان شديد الحرص جدا على مصالح إسرائيل، إلا أنه سرعان ما اكتسب ثقة وتقدير الفلسطينيين، ربما أكثر من أي ممثل إسرائيلي آخر، جراء إنسانيته وقدرته على التعامل مع مطالبهم وأحاسيسهم دون تكوين رأي مسبق أو عجرفة.

أما شعث الذي أسر وسائل الإعلام بالإنجليزية القوية، فقد اتضح أنه نوع من أنواع (أبا ايبان) فلسطيني، وسرعان ما تمكن من كسب تقدير محاوريه، بسبب مبرراته القوية وتفهمه الدقيق للمجتمع الإسرائيلي، أكثر بسبب قدرته وحنكته في المفاوضات.

وفي أعقاب الخطابات الافتتاحية، توجه رئيس الوفدين في جولة على طول ساحل البحر الأحمر.

بيد أن شهر العسل في طابا، كان قصيراً جداً، فقد أدى طرح المواقف الافتتاحية للوفدين، إلى إدراكهما البون الشاسع القائم بين وجهتي نظرهما حول إعلان المبادئ.

فقد أكدت القراءة الإسرائيلية لإعلان المبادئ على الصلاحيات العسكرية والمدنية التي ستبقيها إسرائيل في قبضتها في أعقاب انسحاب الجيش الإسرائيلي من غزة وأريحا، وقد فهم من ذلك أن إسرائيل "مصدر الصلاحيات الرسمي"، ستمنح للفلسطينيين صلاحيات محدودة، والأهم من ذلك أنها ستسيطر بصورة مباشرة، على معابر الحدود بين غزة وإسرائيل ومصر، بما فيها حقها في اتخاذ قرار حول من الذي تسمح له بدخول غزة أو الخروج منها.

واعتزمت إسرائيل، أيضا، مواصلة السيطرة المباشرة على ثلاث قطاعات من قطاع غزة والتي تتضمن المستوطنات وأراضيها الزراعية، والطرق المؤدية إليها، والمسارات الأساسية المؤثرة على أمنها.

أما الفلسطينيون، فقد طالبوا بالعكس تماما، حيث طالبوا بالانسحاب التام من غزة وأريحا، وتسليم السيطرة على المعابر الحدودية إليهم، وترتيب دوريات مشتركة بينهم وبين الجيش الإسرائيلي على طول الخطوط الحدودية الدولية ذات الصلة بهم. وتلبية مطالب الفلسطينيين، كانت المستوطنات ستحظى بالحماية، فقط من داخلها، وطالبوه بعدم الانتقاص من الحقوق الفلسطينية بدعوى أمن المستوطنات.

وطالب الفلسطينيون أن يتم تسليمهم الصلاحيات المدنية بالجملة وليس بالقطاعي، ونظرا لأن مطالبهم كانت انعكاسا إستراتيجيا لهدفهم الأساسي، من المسيرة السلمية، فقد جاء في إحدى الوثائق التي قدموها في طابا : "هدفنا يتمثل في إقامة دولة فلسطينية داخل حدود ١٩٦٧".

كانت تلك المواقف الافتتاحية، والتـــي أعيـد طرحـــها فـــي المحادثـــات التـــي جرت بعد ذلك، ولـــم يجـد زينجـر صعوبـــة فـــي تقديـم أســـاس قضـــائي للموقـــف الإسرائيلي، بيد أنه قال في التقرير الذي قدمه لي ولبـــيرس فيمـــا بعـــد : أنـــه يعتقـــد أن فرص التقدم في طابا ضئيلة، وقال : إن ما جـــرى هنـــاك لـــم يكـــن مفاوضـــات، بـــل استعراضات كلامية لا نهاية لها، وتشـــتمل علـــى منـــح تصريحـــات لوســـائل الإعـــلام الإسرائيلية، وفي عقد المؤتمـــرات الصحفيـــة.

بقيت المواقف التي يتخذها، الطرفان كما هي عليـــــه، بيـــد أن الفـــوارق بينـــها أخذت تتقلص رويداً رويداً، لصالح الجانب الأقـــوى، وقـــد تمكـــن الجيـــش الإســـرائيلي عبر الحرص على أولوية الوضع الأمنـــي، مـــن إمـــلاء الموقـــف الإســـرائيلي، وهكـــذا حدث أن المسيرة الســـلمية ومـــن أساســـها فرضـــت لســـد احتياجـــات أمنيـــة قصـــيرة المدى، وليس أدل على ذلك من النقاش الإسرائيلي الداخلي الـــذي عقـــد فـــي تـــل أبيـــب في تلك الآونة حول مطلـــب الفلســـطينيين الخـــاص بإقامـــة محطـــة تلفزيـــون وراديـــو رسمية، وقد كان ثمانية من العشرة الذين شاركوا في النقـــاش مـــن كبـــار الشـــخصيات في الجيش وجهاز الأمن العام، وقد تمحور النقاش، بغالبيتـــه العظمـــى، حـــول الجـــانب الأمني وإمكانيـــة اســـتخدام الشـــبكتين للتحريـــض ضـــد إســـرائيل- وليـــس بـــالجدوى السياســـية التـــي ســـيجنيها الحكـــم الذاتـــي الفلســـطيني الجديـــد، واحتمـــال التعاون مع إســـرائيل.

شعر مسئولو وزارة الخارجية، الذيـــن أصبحـــوا لأول مـــرة، خـــارج التـــأثير السياسي بصورة مؤقتة – بالقلق الشديد جـــراء تصعيـــد الـــدور العســـكري، بيـــد أنـــهم امتنعوا عن الإعراب عن هذه المخاوف علنا وقـــد بعـــث بـــيرس إلـــى رابيـــن تقريـــرا وضعته شعبة التخطيط السياسي في الـــوزارة وأشـــار فيـــه إلـــى نقـــاط الضعـــف فـــي التوجه نحو المفاوضات، وقد كتب (هاري مـــارني طـــل) رئيـــس الشـــعبة يقـــول : إن الفلسطينيين يتمتعون بالمسيرة التي يمنحـــها لـــهم هـــدف إســـتراتيجي واضـــح، أضـــف إلى ذلك، أن الإتمام الإسرائيلي في المفاوضات ينصب علـــى معالجـــة قضايـــا يوميـــة.

وأضاف .. إن النهج الإسرائيلي يعمل حقا على الحد من الحركة الفلسطينية بيد أنه يسهم أيضا في إلحاق الأضرار بالمصالح الإسرائيلية التي تقضي بتطوير علاقات مع الفلسطينيين ولا شك أن هذا النموذج من التعامل هو دلالة على العداء ولا شك أنه كان محقاً في ذلك.

لقد أسفرت محادثات طابا عن مفارقة تفاقمت بمرور الزمن، حتى أصبحت مثيرة للقلق.

ومن الجدير بالذكر، أن إسرائيل، وفي إطار محاولاتها لتقاسم الصلاحيات مع الفلسطينيين، حاولت أن تفرض عليهم نظرية أمنية تنص على أن تبقي إسرائيل بيدها وتحت سيطرتها كل شيء كانت إسرائيل تعزو له أهمية، في الوقت الذي رغب الفلسطينيون فيه بتحقيق المستحيل، والمتمثل في الانفصال الكامل عن إسرائيل ودون أن يأخذوا بعين الاعتبار المصالح الإسرائيلي الحيوية جداً، مثل النضال ضد معارضي المسيرة السلمية والذين يلجأون إلى العنف، كي يصبح هذا النضال صورة من صور الإستراتيجية المشتركة.

وهكذا وعلى عكس الأسس الموجهة التي تم انتهاجها في أوسلو، فقد حاول كل طرف من الطرفين استخلاص أقصى ما يستطيع استخلاصه من الطرف الآخر بدلا من استغلال المزايا الناجمة عن الشراكة.

وبرزت خلافات عميقة أيضا في الحوار والمفاوضات الاقتصادية الجارية في باريس، فقد وضع وزير المالية أبراهام شوحط نصب عينيه، حقا، العمل من أجل الشراكة الاقتصادية التي ينص عليها إعلان المبادئ، بيد أنه حرص على أن يستفيد الاقتصاد الإسرائيلي أكثر.

وهكذا اقترح شوحط أن تبقى مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني كوحدة جمركية واحدة وحيدة مع إسرائيل، وأن يتم تحديد التجارة التي يقوم بها هذا الحكم مع الدول العربية بقائمة منتجات محددة سابقة، وأن تصبح المعايير والنوعية للمنتجات الزراعية والبيئة في الحكم الذاتي، متناغمة مع ما هو مقبول لدى إسرائيل.

بيد أن شوحط كان يريـــد أن يوضـــح للفلســطينيين أن تحركــات المواطنيــن الفلســطينيين، وبضائعـــهم ســتكون خاضعـــة للتقديـــرات الأمنيـــة الإســـرائيلية. أي أن الفلســطينيين وتحركاتـــهم وتحركــات بضائعـــهم، ســتكون متعلقـــة تمامـــا بالاقتصـــاد وبالأمن الإسرائيلي، أو أكثر دقة للإحســـاس الإســـرائيلي بـــالأمن.

بيد أن الفلسطينيين كانوا يتطلعـــون إلـــى حريـــة تجـــارة أوســـع مـــع الأردن ومصر، والى شروط جمركية وضريبة قيمة مضافـــــة، أقـــل مـــن جارتـــها ذات القـــوة الاقتصادية الكبيرة، وكانوا يولون أهمية أكبر لحريـــة حركـــة عمالـــهم وبضائعـــهم مـــن الحكم الذاتي إلى إسرائيل والعكـــس.

إن الشخصية الوحيـــدة الـــذي حـــذر مـــن مغبـــة التـــأثير الســـلبي للسياســـات الإســـرائيلية، كـــان ممثـــل وزارة الخارجيـــة فـــي المحادثـــات الاقتصاديـــة عوديـــــد عيران(ســـفير اســـرائيل فـــي الاردن حاليـــا) وعـــيران صـــاحب التفكـــير والشـــخصية المستقلة والذي كان علـــى صلـــة بالمفاوضـــات، أكـــثر مـــن أي شـــخصية إســـرائيلية باستثنائي أنا وزينجر- طالب وبحق وإن لم يحرز نجاحـــا علـــى هـــذا الصعيـــد- منـــح الفلسطينيين قدرا كبيرا من الحرية والاســـتقلال الاقتصـــادي.

وعندما قابلت أبو علاء في باريس، خـــلال فـــترة المحادثـــات السياســـية، قـــال لي : أن شوحط ترك لديه انطباعا، بأنه رجـــل يقـــف علـــى أرض الواقـــع بثبـــات، وأن بالإمكان بناء علاقات ثقة معـــه، وتحـــدث عـــن الجـــهود التـــي بذلـــها بغيـــة لتحســـين شروط الإتفاقية الاقتصادية بصورة تتيح للاقتصـــاد الفلســـطيني الفرصـــة لنيـــل فرصـــة حقيقية لرفع رأسه، بيد أنه كان واقعيا جـــدا، فيمـــا يتعلـــق بفـــرص تعزيـــز قـــوة هـــذا الاقتصاد دون أن تكون إسرائيل – كشريك قـــوي – كريمـــة وذكيـــة، بمـــا يكفـــل لـــها تقدير المزايا الكامنة في منح الاقتصاد الفلســـطيني إمكانيـــة النمـــو.

وأضاف أبو علاء قـــائلا تذكـــر أن الأمـــن لـــن يتحقـــق دون تطـــور ونمـــو إقتصاديين، يجب علينـــا أن نســـير قدمـــا بوتـــيرة أســـرع. ولاشـــك أن شـــاحك هـــو شخصية ممتازة، وسيتوصل إلى إتفاق مع شعث، بيـــد أنـــه يتوجـــب علينـــا أن نفكـــر، بما بعد إتفاقية غزة وأريحـــا.

قلت له متذمرا : "جماعتكم لا يسارعون في ترتيب أمورهم". فقال : "زعامتنا موجودة الآن في الخارج، فأبو مازن في دول الخليج وعرفات في أوروبا، وهم يستقبلون هناك بصورة جيدة، ويحاولون الحصول على أكبر دعم ومساعدات للسلطة الفلسطينية، بيد أن المسألة المهمة، هي السير قدما"، لذا فإنني أقترح أن نشرع إلى جانب كل هذا بمحادثات سرية، لوضع أسس التسوية المرحلية، التي تعتبر، في حقيقة الأمر، المسألة المهمة. إن الآخرين يرون الأشجار، بيد أنهم لا يرون الغابة : الشراكة التي اتفقنا حولها في أوسلو، وإنني أعتقد أن حسن عصفور وزينجر، هما الوحيدان اللذان يدركان الوضع".

وعدت أبو علاء بمناقشة بيرس حول إمكانية إجراء محادثات سرية موازية للمحادثات الجارية، بيد أنني ذكرت أبو علاء، بأن القضية المهمة تتمثل في التوصل إلى إتفاق حول غزة وأريحا، وإحداث تغيير حاسم على أرض الواقع، فوافق على ما قلته، وقال لي : لقد وافق الطرفان على التوصل إلى إتفاق حتى الثالث عشر من كانون الأول.

وقلت له : إنكم تضيعون الوقت سدى، على التفاصيل، فما الذي فعلتموه حتى الآن، على صعيد إعداد المجتمع الفلسطيني لاستقبال الحكم الذاتي، عبر بناء مؤسسات هذا الحكم، إن هذه الخطوة هي أهم من إثارة الجدل معنا.

فقال أبو علاء : "أنا أوافقك الرأي، لكنني و-ح-د-ي.

ضحكنا، نحن الاثنين، واتفقنا على الحفاظ على اتصال هاتفي أفضل، ولم يكن أي منا يعتقد أن الظروف ستجعلنا نتقابل أكثر.

إضافة إلى العلاقة الخاصة التي تطورت بيني وبين أبو علاء في أوسلو، فقد تطور تفاهم مفاجئ بين شخصيات أمنية إسرائيلية رفيعة والشخصيات الفلسطينية، التي كانت تجري معها لقاءات سرية في جنيف، وقد كشف أمنون شاحك لي هذه الحقيقة عندما توجهت أنا وهو إلى القاهرة منتصف كانون الأول.

ففي غضون الأسابيع التي سبقت هذه المرحلة إلى القاهرة، اجتمع هو ويعقوب بيري رئيس جهاز الأمن العام، مع محمد دحلان وجبريل الرجوب واللذين تم اختيارهما لترؤس جهاز الأمن الوقائي في غزة والضفة الغربية.

كان الإسرائيليان ضابطين رفيعين، بتجربة واسعة، في حين كان الفلسطينيان مقاتلي شوارع سبق لهما أن حاربا، حسب وسائلهما الخاصة، ضد "جيش الاحتلال" الإسرائيلي، مما جعلهما يقضيان فترة طويلة جداً من حياتهما في المعتقلات الإسرائيلية.

وقد حكم على دحلان بالسجن لمدة خمس سنوات، وفي أعقاب خروجه من السجن، توجه إلى تونس، وعمل رئيساً لإحدى وحدات الحماية للرئيس الفلسطيني وتأسيسا على هذا الوضع، أصبح مقربا لعرفات، وتمكن من بناء قوة مركبة، بصورة رئيسية من الأشخاص المبعدين عن المناطق.

ويقول شاحك : إن الشيء المميز في جبريل الرجوب، هو صوته العميق والغامض الذي يشبه مارلين براندو، في فيلم "العراب".

كان الرجوب ودحلان يتحدثان اللغة العبرية بطلاقة ولكنة إسرائيلية، ويعرفان جميع مناحي المجتمع الإسرائيلي، بدءا من السياسة وحتى كرة القدم. فقد عمل الإثنان- الرجوب كان محكوماً لمدة خمس عشرة سنة- تعلم ودرس كل شيء حول العدو الصهيوني. وقد أعجب الرجوب بشكل خاص بكتاب مناحيم بيغن "التمرد"، وأكثر من القول أن بيغن جعل من هذا الكتاب، نموذجا لنضاله الصلب، والذي لا يعرف الكلل ضد الاحتلال.

كان هؤلاء الأربعة يناقشون كيفية عمل قوات الأمن الفلسطينية في الضفة وغزة، وكيفية تنسيق الجهود المشتركة لكسر حدة الإرهاب ومقاومته. وربما أفضل النتائج التي أسفرت عنها هذه المحادثات هو تطوير لغة مشتركة بينهم، لقد كانوا أعداء الأمس من نوع غريب. كانوا مضطهدين (بكسر الدال) ومضطهدين (بفتح الدال) في عين أحد الأطراف، فيما كانوا إرهابيين وجنودا في أعين الطرف الآخر، بيد أن الفلسطينيين كانوا قادرين على كبح جماح غضبهم،

في حين لم يبد الإسرائيليون أي دلالة من دلالات التعاظم، وشاعت المفارقات العجيبة أن يشعر الفلسطينيون بالثقة في إمكانية التأثير على أبناء شعبهم، تأثيرا واسعاً، في حين قصر الإسرائيليون أمورهم على القضايا الأمنية.

وعلى أية حال، فإن سيطرتهم المشتركة على لغة القوة الممزوجة بالأحاسيس الإنسانية، هي التي أكسبت العلاقات بينهم تلك الصفات المميزة، ومنحتهم القدرة والكفاءة اللازمتين في اللحظات الحرجة من المسيرة.

كانت العلاقات بينهم حقاً مميزة، بيد أن الصورة الأوسع لمفاوضات غزة أريحا كانت تغص بالتناقضات بين الالتزام بالشراكة الجديدة وبين الذهنية التي كانت قائمة لمعادلة نتيجتها صفر.

مثلما هي العادة، في المواقف الافتتاحية، فقد آلت محادثات طابا بسرعة إلى طريق مسدود، وقد بذل زينجر قصارى جهده، من أجل إقناع الطرفين وحثهما على التوقف عن توجيه الإتهامات، والإتهامات المضادة، والانتقال إلى مرحلة إعداد الوثائق كأساس لإعداد المسودات المشتركة، بيد أن الخلافات، كانت واسعة جداً، وبلغت درجة احتاجت فيها إلى تدخل الزعامة العليا لتحريك المسيرة.

اجتمع بيرس وعرفات في الحادي عشر من كانون الأول على هامش، اجتماعات لجنة اليونسكو للعلاقات الثقافية، والتي عقدت في إسبانيا.

وبعد يومين – أي في الثالث عشر من كانون الأول، وهو التاريخ الذي تم تجديده في إعلان المبادئ لاستكمال اتفاقية غزة – أريحا عقد اجتماع رسمي في القاهرة، بمشاركة رابين وعرفات لم تكن هذه اللقاءات لطيفة، بيد أنها كانت ضرورية.

حاول بيرس في إسبانيا، أن يوضح لعرفات إصرار إسرائيل على القضايا الأمنية، وبشكل خاص في كل ما يتعلق بالأمن الخارجي، والمعابر الحدودية، وقال : "سيدي الرئيس، سأطرح أمامك الحقيقة بصورة مباشرة ودون أي زخارف، أنا ورابين ندرك الصعوبات التي تواجهها، ونحن معنيان بنجاحك، بيد أنه يتوجب عليك أن تدرك أي محاولة عنف تقوم بها حماس، ستواجه برد

فعل شديد من جانبا ولن نتهاون في المفاوضات حـول المعـابر الحدوديـة علـى نـهر الأردن والحدود المصرية، ونحـن نخشـى مـن عمليـات تـهريب السـلاح، فعشـرة مسدسات قادرة على إسقاط العديد من الضحايـا، وهـذه المسـألة مـن وجهـة نظرنـا، هي مسألة حيوية لأمننـا".

وقد فسر عرفات هذه اللهجـة علـى أنـها تعنـي حصـار الفلسـطينيين مـن جميع الجهات ووضعهم في قفص، قـال : لسـت علـى اسـتعداد للنضـال مـن أجـل بنتوستان – وهي دولة تابعـة وكـانت محاطـة بجنـوب أفريقيـا فـي عـهد حكومـة التمييز العنصري– من فضلكم، فتشوا عن صيغة أخـرى، ألا تعتمـدون علـي؟؟

وبيرس : "لا نعتمد على حمـاس".

عرفات: "وأنا آخذ بعين الاعتبار المعارضة تقـف أمـامي، والانتقـادات التـي يوجهـها زملائي فأنا لا أستطيع الموافقة على مـا تقـول– هـذه مسـألة كرامـة– ونحـن لـن نسمح بوقوع عمليات أمنية وسنستخدم القبضة الحديدية بهذا الصـدد، أكـثر ممـا كنتـم تفعلون، وبمقدورنا تنسيق نشاطاتنا مـع نشـاطاتكم".

بيد أن بيرس، قال بلهجة أكـثر حـدة : "لا نسـتطيع أن نتـهاون أو نتوصـل إلى تسوية بهذا الصـدد".

عرفات : "أنتم حقا الأقوى، لكن لا تدفعوني إلى الزاويـة، إننـي أقـف وظـهري إلـى الحائط ولا أستطيع أن أقول للفلسطينيين أنكم ستسيطرون علـى جميـع نقـاط الدخـول الحدودية بالاتجـاهين".

بيرس : "إتفاقية التسوية المرحلية تبقي الأمن الخارجي فـي قبضـة إسـرائيل".

عرفات : "لكنني لا أحكم اليوم بنـاءً علـى حصولـي علـى أغلبيـة الأصـوات فـي الانتخابات، بل بناءً على تخويلـي الشـخصي".

بيرس : "ولدينا مصلحة واضحة في الحفاظ على هذا التخويـل، وسـنعمل الكثـير مـن أجله".

عرفات : "لكنكم تعرضون علي وضعاً مماثلاً لبنتوسـتان فكيـف يمكننـي العمـل فـي ظل وضع كـهذا".

بيرس : "نحن نتحدث عن بداية مسيرة، وعن التسوية المرحلية، وبمقدورك أن توضح ذلك للفلسطينيين".

إن النقاط آنفة الذكر، والتي أكدها بيرس خلال لقائه، والتي أصرت عليها إسرائيل : الإصرار على السيطرة على حدود الحكم الذاتي، والتأكيد على أن إسرائيل ستدعم عرفات، والإشارة إلى أن هذه هي شروط التسوية المرحلية، طرحت، المرة تلو الأخرى، خلال المفاوضات وفي نهاية المطاف، انتصرت نظرية الأمن التي طرحناها.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو : ترى هل كانت الاستجابة لمطالب عرفات القائلة بتعزيز صلاحياته ومسئوليته ستؤدي إلى تحسين أمن إسرائيل؟ أعتقد أننا لن نتمكن من الرد على هذا السؤال أبداً. لقد تم التأكيد على نفس هذه القضايا خلال الاجتماع الذي عقده رابين وعرفات في القاهرة بعد يومين، ففي أعقاب المحادثات التي أجرياها مع الرئيس المصري حسني مبارك، بقي الاثنان وحدهما لأول مرة وقد استغرق حوارهما ثلاث ساعات، فيما كان الرئيس مبارك ينتظر خارج الغرفة.

وفي الوقت الذي قال فيه الرئيس مبارك لأبو علاء "الآن سنرى من منهما الأقوى"، بدا رابين في الناحية الأخرى من الباب مذهولا لتفسير عرفات لإعلان المبادئ، وخصوصا للمبادئ المتعلقة بالأمن الخارجي.

وكما يبدو، فإن عرفات شعر إثر لقائه مع بيرس، والجلسة التحضيرية التي أجراها مع المستشار السياسي لرئيس الحكومة جاك نيريا، أن هناك ضرورة لاتخاذ موقف متشدد تجاه رابين نفسه ولهذا السبب قال لرابين : إن العلاقات بين الفلسطينيين ومصر والأردن بما فيها الوضع الحدودي مع الدولتين ليست من شئون إسرائيل.

وأضاف .. من حقكم الدفاع عن أنفسكم ضد الأخطار الإستراتيجية، بيد أن السيطرة على الحدود، ونقاط الدخول والخروج هي قضية فلسطينية بحتة، وكما يبدو فإن هذا كان فهمه لإعلان المبادئ.

وقد عمد رابين- الذي أدرك بأنه لا توجد لدى عرفات أي مفاهيم حول معنى الأمن الخارجي بالنسبة لإسرائيل، إلى توضيح معنى هذا المصطلح، بالنسبة لإسرائيل، والذي تضمن ضرورة وضع المعابر الحدودية في قبضة إسرائيل.

ومن الجدير بالذكر، إن وضع المعابر الحدودية تحت سيطرة إسرائيل كانت له أهمية بالغة جدا على الصعيد الإسرائيلي من ناحيتين :

* إن كل من يدخل إلى الضفة الغربية أو غزة من الأردن أو مصر، يدخل أيضا إلى الأراضي الإسرائيلية، نظرا لعدم وجود حدود بين إسرائيل والضفة وغزة، أو بمعنى آخر، فإن تسليم المعابر الحدودية إلى ياسر عرفات سيحرم إسرائيل من حقها في اتخاذ قرار حول من الذي يدخل أو لا يدخل إلى أراضيها.

* ثانيا : إن الحكم الذاتي كان سيحظى بشرطة قوية "من أجل" ضمان النظام العام والأمن الداخلي، أي أن هذه القوة هي أقل كثيرا من جيش قادر على الدفاع عن الحدود، وبالتالي فإن المنطق ينص على أن تتولى إسرائيل مهمة الدفاع عن الحدود والمعابر الحدودية ضد أي تهديد مسلح.

ولا شك أنه لو أصر عرفات على موقفه لكانت المسيرة قد آلت إلى الموت المحتوم، بيد أن رابين كان مصرا على ألا يسمح للأمور للوصول إلى هذا الحد، ولهذا السبب، تم إعلام وسائل الإعلام أن الزعيمين لم يتوصلا إلى إتفاق لكسر الجمود، لكنهما سيواصلان الحوار بعد عشرة أيام.

عاد رابين إلى إسرائيل ونفسه تمتلئ بالشكوك، جراء تفسير عرفات لإعلان المبادئ، ولم يكن يرغب في العودة للجدال مع عرفات حول هذه النقطة، لذا فضل عقد جلسة للجنة الارتباط العليا برئاسة بيرس من الجانب الإسرائيلي، من أجل توضيح الخلاف، وهكذا، فإن إعادة بيرس إلى الصورة كان يعني أن مسار أوسلو على وشك العودة إلى الحياة مجددا.

اجتمع بعض "منتدى أوسلو"، في تلك الآونة في فندق انتركونتيننتال في باريس، وقد استهللنا الاجتماع بتناول طعام العشاء في منزل لاريسون، وقد قدم أبو علاء وبصحبته ابنه عامر وجئت أنا وبصحبتي زينجر من إسرائيل مباشرة،

وتم توجية دعوة إلى الصحفية البريطانية جين كوربيـــن التـي اسـتكملت لتوهـا كتابـا حول مفاوضات أوسلو للانضمام إلينـــا.

وتطرقنا خـــلال الاجتمـاع، إلـى ذكريـات مـن أيـام مفاوضـات أوسـلو، وأعربنا عن تذمرنا من المفاوضات الحالية، لقــد انقلبـت الأمـور رأسـا علـى عقـب منذ ذلك الحين، وبقينا نحن خـارج الصـورة مـع قـدر ليـس قليـلاً مـن الإحسـاس بالإحبـاط.

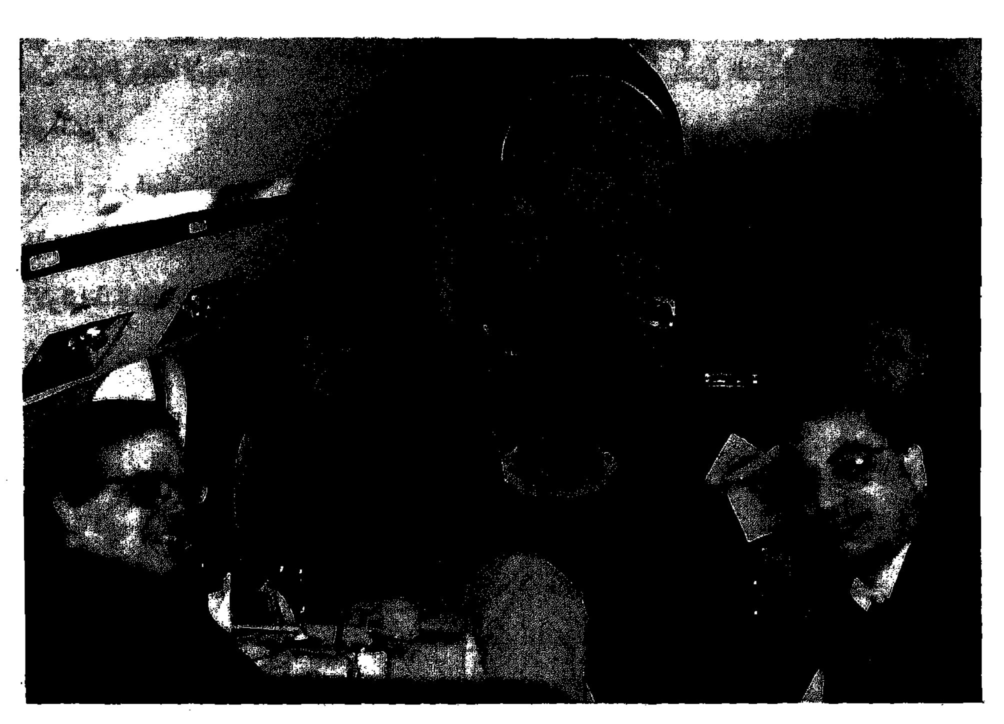
كان أبو علاء مشاركاً فـي المفاوضـات الاقتصاديـة، وأبـو عـامر متذمـراً من عدم رؤيته لأبيه فقال : "أنا أفتقـر إلـى الأب، وأفتقـر إلـى المـال وأفتقـر إلـى الوطـن".

وفجأة، دق جرس الهاتف، وكانت تلـك (مونـه) زوجـة لاريسـون- والتـي قالت : إن الجهود التي بذلها النرويجيون أسفرت عن اتخاذ قـرار بعقـد جلسـة للجنـة الارتباط العليا المشتركة برئاسة بيرس وأبو مـازن، وأن اللقـاء سـيعقد فـي غضـون ثمان وأربعين ساعة في أوسلو، لذا علينا أن نفتش عـن أبـو مـازن.

نهض أبو علاء، وحاول الاتصال بأبو مازن فـي تونـس، كنـت قـد عرفـت مصادفة أن أبو مازن فـي المغـرب ويحـل ضيفـا علـى صديقـي، رجـل البنـوك اليـهودي المغربـي المعـروف أندريـه أزولاي، وأحـد أخلـص مستشـاري الملـك المغربي الحسن، والذي كان من أصدقاء أبو مازن وبعـد عـدة محـاولات يئـس أبـو علاء في العثور على أبو مازن في تونـس فنـهضت أنـا وقلـت لـه : دعنـي أعـثر عليه أنا، وبعد عدة دقائق كان أبو مازن على الناحية الأخـرى مـن الخـط فـي فنـدق "هيات" في الرباط. وبدا من التعابير التي إنعكست علـى وجـه أبـو عـلاء أن تقديـره للمخابرات الإسرائيلية، قد ازداد إلى حد كبير جداً ولم أوضـح لـه أنّ عـامل الصدفـة الذي جعلني أعرف مكان أبو مـازن.

تناول لاريسون السماعة مني وطلب من أبـو مـازن أن يطـير إلـى أوسـلو حالاً، بيد أن أبو مازن رد عليه بالرفض التـام، تنـاول أبـو عـلاء السـماعة وتحـدث

مع أبو مازن بصــوت غــاضب، بيــد أن جميــع الجــهود التــي بذلــها ذهبــت أدراج الريـاح.



٤- عيد ميلاد أمنــون شــاحك، مــع أوري ســبير، ويوئيــل زينجــر، وجــاك نيريــه ١٩٩٤/٣/١٨.

بيرس يقترح على الفلسطينيين صفقة"الأمن مقابل التاريخ"
عرفات كاد ينسف اتفاق القاهرة. ومبارك انقذ الموقف

لقد كان أبو مازن مصراً، في تلك الآونة، علـــى عـدم تقديـم أي مسـاعدة أو أي خطوة على صعيد المسيرة السلمية، والذي لـــم يعـد اتجاهــه يــروق لــه. عــدا عن أن علاقاته مع عرفات، لم تكن، آنذاك، على مـــا يــرام.

عدنـــا إلـــى مـــائدة الطعـــام لمناقشـــة الطـــرق التـــي تُســهل العــودة إلـــى المفاوضات، بانتظار أن تتصل بنا(مونـــه) لإعلامنـــا بـــالتطورات. ولـم نكـن نعلـم أن هولست، في تلك الساعات بالضبط، أصيب بسـكتة دماغيــة فــي مدريــد، ونقــل بالطائرة إلى أوســلو.

استهل أبو علاء الحديث بالقول:" يجـــب علينـــا، بـــادئ ذي بـــدء، أن نفصــل القضايا الأساسية: المعابر، وحجم مساحة أريحـــا، ونقــل الصلاحيـــات".

وعقبت أنا قائلاً:" وأقترح أن يتم ترجمة وثيقـــة إعــلان المبـــادئ إلـــى اللغــة العربية، لأنني أعتقد أن قسماً من رجالكم لـــم يقرأهـــا.

فرد علي قائلا: ومن الجائز أن يكون رجالكم أيضـــا قــد ترجمــوه إلـــى اللغــة العبرية بتصرف إلى حد ما". هبط وفدنا فـــي الليلـــة التاليـــة، فـــي مطـــار عســكري بالقرب من أوسلو، ونقل إلـــى بيـــت الضيافـــة (ساربســـبيرج) والـــذي أجرينـــا فيــه بعض المفاوضات السرية فـــي صيـــف ١٩٩٣. وقـــد تـــوارد عشـــرات الصحفييـــن إلى المكان على أمل أن يتم تسريب شيء مـــا، بيـــد أن مجيئـــهم كـــان عبثـــاً، فقـــد عدنا إلى المفاوضات الســـرية.

شارك في هذه المحادثـــات بـــيرس، ووزيـــر البيئـــة يوســـي ســـريد وأمنـــون شاحك ويوآل زينجر وأنا. أما الوفـــد الفلســـطيني، فقـــد ترأســـه ياســـر عبـــد ربـــه، وشمل نبيل شعث وأبو علاء وحســـن عصفـــور.

أمـــا القضايـــا التـــي تـــم تناولـــها، خـــلال الاجتمـــاع، فتمثلـــت فـــي الأمـــن الإسرائيلي الخـــارجي، بمـــا فيـــه المعـــابر الحدوديـــة. ومســـاحة منطقـــة أريحـــا،

والترتيبات الأمنية للمستوطنات، وعملنا بصورة رئيسية على ترجمة الخلافات في وجهات النظر بيننا حول البدائل، بغية العثور على أسس للتسوية.

بدا بيرس، غاضبا جدا، جراء مطالبته بالمشاركة في هذا اللقاء الخاص، وقد عكس غضبه برفض التحفظات الفلسطينية ووصفها بالصغائر، والتأكيد على أن النظرية الإسرائيلية الأمنية، لا تشوبها شائبة. لقد جاء إلى أوسلو لسبب بسيط للغاية، فقد أراد أن يقترح على الفلسطينيين صفقة تنص على: "الأمن مقابل التاريخ".

وعندما أصبحنا في النرويج، أملت أن نعود إلى المسار الصحيح. كانت الجلسة مصبوغة بروحية أوسلو. بيد أن الخلافات العميقة بقيت على ما هي عليه، فالفلسطينيون لم يكونوا على استعداد لإحداث تغيير، ولو قيد أنملة، في مواقفهم بشأن المعابر الحدودية –رغم أنهم كانوا على استعداد لمناقشة احتمال السيطرة المشتركة عليها. أما بالنسبة لمساحة أريحا، فقد واصلوا المطالبة بمساحة من الأرض تعادل عشرة أضعاف ما تبدي إسرائيل استعدادا لمنحه.

أما إسرائيل، وفي إطار الإصرار على نظرية الدفاع الإقليمية، فقد طالبت بالسيطرة على ما نسبته ١٥% من مساحة قطاع غزة بغية التمكن من الدفاع عن المستوطنين الباقين في منطقة يقطنها مليون فلسطيني.

حاول بيرس إقناع الفلسطينيين بأنه لن يكون هناك أي طعم أو جدوى لمعارضتهم الدائمة لكل حاجة من احتياجات إسرائيل الأمنية.

وقد حاول –رجل اليسار– سريد تأييد وجهة نظر بيرس، بكل قوته. أما شاحك، فقد حافظ على أعصابه ورباطة جأشه طيلة النقاش، تاركا حسم الأمر للسياسيين، خصوصا وأنه كان يدرك أن بيرس لم يوافق على جميع مطالب الجيش، فيما يتعلق بالتسوية مع الفلسطينيين، واعتبر أنها مبالغ فيها، رغم أنه لم يستخف بها أبدا.

ورغم أن لجنة الارتباط لم تتمكــن مــن تســوية الخلافــات فــي أوســلو، الا أنها عادت والتقت أربع مرات في باريس والقــاهرة، ودافــوس، ومــرة أخــرى فــي القــاهرة.

وقد جاء لقاؤنا التالي، في السادس عشر مــن كــانون الأول، فــي فنــدق فــي (فرساي). وقد قبل الفلســطينيون، خــلال هــذه اللقــاءات، اقــتراح بــيرس القــائل بتقسيم المعــابر الدوليــة إلــى جنــاحين الأول: يخصــص لجميــع القــادمين إلــى إسرائيل والضفة الغربية-باستثناء أريحا- ويجــب أن يوضــع هــذا الجنــاح تحــت المســئولية الإســرائيلية الكاملــة، والثــاني مخصــص للقــادمين إلــى الســلطة الفلسطينية-غزة وأريحا- والــذي ســيوضع تحــت إشــراف مشــترك مــن رجــال الجيش الإسرائيليين والمدنييــن الفلســطينيين.

وفي اجتماعات باريس، بدأت العلاقات بيــن الطرفيــن تصبــح أقــل رســمية مما كانت عليه. وفي إحدى الجلسات سأل بــيرس أعضــاء الوفديــن: فيمــا إذا كــان الرئيس السوري حافظ الاســد، ســيصنع الســلام حقــا أم لا؟ وقــد أعــرب غالبيــة الفلسطينيين عن شكهم في ذلك ولربما جــاء ذلــك تعبــيراً عــن مصلحتــهم أو نجــم عن الشعور بالعداء تجاه الرئيس الســوري- وأكــدوا أن الرئيــس الأســد، ســيحاول كسب الوقت بعدم إبداء المرونة اللازمة. أما عبد ربه، الــذي كــان يعــرف النظــام السوري، أكثر من أي جهة أخرى، فقد أعرب عن اعتقاده بــأن الأســد ســيلجأ إلــى مناورات الإرجاء والتعليق حرصا على ثبــات نظامــه واســتقراره.

إن الإصغاء إلى العرب، وهم يتحدثون عــن عــرب آخريــن أعطانــا شــعوراً قريبا من الجار الذي يشعر بإمكانية التجســس علــى جــاره وأثــار لدينــا مشــاعر مثيرة للاهتمــام.

لم تخط المفاوضات ولو خطــوة واحــدة إلــى الأمــام، وبقيــت تــراوح فــي مكانها، وعندما عدنا واجتمعنا في القاهرة، شــعر بــيرس بــالضجر الشــديد، وبــأن السيل بلغ الزبى، لذا قرر العمل على تســريع هــذه المحادثــات عــبر شــن هجــوم على الوفد الفلسطيني، فاستهل الحديــث قــائلا:" إننــي أعــتزم منــح هــذه القضيــة

فرصة واحدة أخرى، أنا لم آت إلى هنا كي أتسلى". بدا صوت بيرس مرتفعاً وشديداً، وهو الأمر الذي أذهل الفلسطينيين وكذلك الإسرائيليين.

وأضاف بيرس:" أنتم تضيعون وقتاً ثميناً وبمقدوركم عمل ذلك بدوني. ومن ناحيتي بمقدوركم البقاء هنا شهراً، فأنتم تتشاجرون على التفاصيل ولا ترون المهم".

كان صراخ بيرس مسألة تكتيكية، بيد أنه كان أيضا تعبيرا عن الغضب الحقيقي. فرغم أن بيرس معروف بالصبر والأناة، الا أنه كان نافذ الصبر جداً، عندما يتعلق الأمر بما يعتبره صغائر لقد كان يرى في موقف الفلسطينيين مجرد تصلب من أجل التصلب، أضف إلى ذلك، أنهم كانوا بمثابة المتنفس الوحيد لغضبه وشعوره بالإحباط.

لقد تعذر عليه إرسال الفلسطينيين للتحاور مع طاقم المفاوضات الإسرائيلي دون أن يحدث مشكلة داخلية.

وعندما بدأنا النقاش حول أريحا، اقترح شاحك بتوسيع رقعتها إلى ٥٥كم مربعا. فقد كانت مسألة المعابر الحدودية، القضية الرئيسية التي تحتاج إلى حل، نظرا لأنها كانت تشكل صورة مصغرة لمصطلح الحكم الذاتي كله.

كان جسر(اللنبي) الملك حسين مفتوحا في وجه الحركة السكانية والبضائع منذ الأشهر الأولى التي تلت حرب عام ١٩٦٧، على الرغم من أن الأردن وإسرائيل كانتا، على الصعيد الرسمي، في حالة حرب. وقد اجتاز الجسر عشرات الاف الفلسطينيين، بيد أن عمليات التفتيش الشخصية وتفتيش الأمتعة كانت مذلة للغاية من قبل اسرائيل. وكان على المسافرين الفلسطينيين أن ينتظروا ساعات. واحيانا يوما كاملا، قبل ان تتم عمليات التفتيش الدقيقة لهم شخصيا ولأمتعتهم. وقد أصبحت ساعات الانتظار تلك، إحدى أكثر مظاهر الاحتلال كراهية لدى الفلسطينيين. لذا، كان مسألة إزالة هذه المظاهر وامتلاك موطئ قدم على الجسر، أهم للفلسطينيين من أي شيء اخر. وقد اكد شركاؤنا

في المحادثات ضرورة وضع حد لعمليات الإذلال، وبـــدت أصواتـــهم شـــديدة التـــأثر ومليئة بالغضب الحقيقـــي.

وأضافوا: هناك ضرورة لأن تشعر الجماهير الفلســـطينية بـــأن هنـــاك تغيـــيراً راديكالياً على عملية الدخـــول إلـــى وطنـــهم. ولـــهذا الســـبب، طـــالبوا (بفلســـطنة) الجسور عبر وضع رموز فلسطينية، كوجـــود موظـــف فلســـطيني، وإعـــادة النظـــر في عمليات التفتيش والإجـــراءات الإداريـــة.

واصلنا الإصرار على موقفنا القـــائل: أن أي فلســـطيني يرغـــب فـــي دخـــول مناطق الحكم الذاتي، وبالتالي يجب أن يدخـــل إســـرائيل، يجـــب أن يخضـــع لتفتيـــش إسرائيلي. وقد قال بيرس لهم:" نحن سنضمن أمننا، وســـنحافظ علـــى احـــترامكم".

بيد أن المشـــكلة أن هذيـــن العـــاملين" الأمـــن والاحـــترام" كانـــا يصطدمـــان أحدهما بالآخر بصورة محتومة في جميـــع المعـــابر-مثلمـــا يحـــدث فـــي أي مكـــان آخر. لذا لم نجد مناصا، سوى البحث عن حـــل خـــلاق ، بيـــد أن هـــامش المنـــاورة لدينا كان ضيقـــا.

لم يقتنع الضباط الإســـرائيليون بمزاعـــم الفلســـطينيين بشـــأن عمليـــات الإذلال على الجسور، وقالوا: أن المنطقة لا زالت تعـــج(بـــالمخربين). لـــذا، لـــم يكـــن مـــن المستهجن أن يتحول لقاؤنا الأول في القاهرة إلى جدل عقيـــم يطـــرح فيـــه الطرفـــان مواقف متشددة وغير قابلة للحـــل.

قال شعث لامنون شاحك:" أنت ترى الأشـــياء فقـــط، فـــي صـــورة احتياجـــات فورية، ولا تولي اهتماما أبدا بمغزاهـــا علـــى المـــدى البعيـــد". فـــرد عليـــه شـــاحك قائلا:" طالما بقي الإرهاب قائما لن يكون هناك مـــدى بعيـــد".

طلب بيرس ورقه وقلما، ووضعـــهما علـــى الأرض، وشـــرح فكرتـــه والحـــل الذي يراه بشأن المعابر، ثم طلب من شعث وشـــاحك ترجمتـــها علـــى أرض الواقـــع العملي. وفجأة، فتح الباب ودخل أبو مـــازن، الـــذي اســـتجاب مؤخـــرا، وعـــاد إلـــى المفاوضـــات.

كان من المفروض-مثلما أوردنا- أن يكون هناك مدخـــلان لكــل معـــبر، لقــد فهم الفلسطينيون أن بمقدور إسرائيل أن تفعـــل كــل مـــا يحلـــو لـــها فـــي النصـــف الخاص بها من المعبر، وبالتـــالي بـــدأ الجـــدل حـــول الإجـــراءات التـــي يجـــب أن تنتهج في النصف الفلســـطيني.

نشـــب نـــزاع حـــاد فـــي البدايـــة، حـــول الســـؤال عمـــا إذا كـــان سيســـمح للفلسطينيين برفـــــع علمـــهم ووضـــع شـــرطي علـــى مدخلـــهم. والحقيقـــة هـــي أن الفلسطينيين أرادوا أن يتم عرض هذين الرمزين علـــى جســـر(اللنبـــي) كدلالـــة مـــن دلالات السيادة، بيد أننا رفضنا ذلك. ورغم ذلك، نجحنـــا فـــي بعـــض القضايـــا، فـــي خلق نموذج مقبول لدى الطرفين. واتفقنا على وضـــع شـــرطيين علـــى جـــانبي بـــاب التفتيش الإلكتروني، والـــذي يتوجـــب علـــى جميـــع المســـافرين اجتيـــازه، أحدهمـــا إسرائيلي والاخر فلسطيني. فإذا ما أطلق الجـــهاز صفـــارة إنـــذار حـــال عبـــور أي مسافر فلسطيني، يتم تفتيشه في غرفـــة خاصـــة مـــن قبـــل شـــرطي -أو شـــرطية- فلسطيني، وبحضور نظير إسرائيلي. أما الحقائب، فيتـــم نقلـــها إلـــى مكـــان مغلـــق، حيث تقوم إسرائيل بتفتيشها إلكترونيـــا. أمـــا الحقـــائب المشـــبوهة، فيقـــوم شـــرطي إسرائيلي بفتحها بحضور صاحبها وحضـــور شـــرطي فلســـطيني.

في أعقاب التفتيش الأمنـــــي، ينتقـــل المســـافرون الفلســـطينيون إلـــى مرحلـــة فحص الجوازات، ويقدمونها إلى شـــرطي فلســـطيني. بيـــد أن الاراء اختلفـــت حـــول هذه النقطة. فقد طالبنا نحن بأن يقـــوم المســـافر أيضـــا، بتقديـــم جـــواز ســـفره إلـــى شرطي إسرائيلي، وإذا كان هناك سبب للاشتباه به، يحـــق لشـــرطتنا التحقيـــق معـــه دون تواجد شرطي فلســـطيني، بيـــد أن الفلســـطينيين احتجـــوا بشـــدة علـــى فكـــرة فحص الجوازات المنفردة، وأكدوا على أن كل فلســـطيني يرغـــب فـــي العـــودة إلـــى مناطق الحكم الذاتي، يجب أن يشعر بارتياح إيـــان هـــذه العـــودة. وعـــارضوا بشـــدة فكرة التحقيق مع أي فلسطيني دون وجود شرطي فلســـطيني، وقـــالوا: مـــن المفـــزع حقا أن يتم التحقيق مع فلسطيني عـــائد إلـــى وطنـــه مـــن قبـــل الغربـــاء. بيـــد أننـــا

أصرينا على موقفنا، وقلنا أن أي فلسطيني يرغب في دخول مناطق الحكم الذاتي يستطيع بعد ذلك الذهاب إلى إسرائيل.

نفذ صبر بيرس، في هذه المرحلة، خصوصا وأنه حضر أيضا جلسة المفاوضات السابقة والتي استغرقت ثماني ساعات متواصلة، لذا قرر العمل على فرض تسوية، فاستدعي يوني بيلد، وهو موظف صغير في وزارة الخارجية، وبدأ يملي عليه الحل الذي يعتقد أننا توصلنا إليه خلال الجلسة بسرعة هائلة. وكي يحول دون تمكين الفلسطينيين من مناقشة ما يقول بصوت مرتفع، بينهم وبين أنفسهم، كان يصرخ فيه قائلا:" اكتب-أسرع وعندما حاول شعث التدخل لتصحيح صيغة في قضية معينة، قال له بيرس بصورة حادة" لا تتدخل". لقد قبل مطالب الفلسطينيين بشأن العلم والشرطي في مجمع المسافرين والبضائع، وليس على الجسر، وأكد على المطالب الإسرائيلية بشأن الرقابة على الجوازات والتفتيش الأمني. وهكذا ولدت وثيقة (يوني) وقد حصل الفلسطينيون على نسخة مصورة من الوثيقة مكتوبة بخط(يوني بيلد) غير الواضح، وسارعوا إلى مطار القاهرة، لاستقبال عرفات الذي عرج على المطار، لإعلامه بالتطورات.

ومرة أخرى، أثبت عرفات لمفاوضيه وأيضا للمفاوضين الإسرائيليين، أنه هو فقط، صاحب القرار، ورفض الوثيقة رفضا تاما.

وعندما عاد الفلسطينيون من المطار، وأعلنوا رفض عرفات للوثيقة، هب بيرس من مقعده وقال: إن الوفد الإسرائيلي سيغادر القاهرة، وليبعث الفلسطينيون. احتجاجاتهم إليه هناك.

وفي الثلاثين من كانون الأول، تلقى بيرس وشاحك رسالة بالفاكس من نبيل شعث تحمل إجمالا-حسب فهم الفلسطينيين- لما تم إنجازه وتسويته في أوسلو وباريس والقاهرة- وثيقة يوني- وفي أعقاب هذا الإجمال، تم إرفاق مجموعة من المطالب التي يريدها عرفات، ومن ضمنها: وضع شرطي

فلسطيني على جسر الفلسطينيين، وتوسيع مساحة أريحا بصورة كبيرة-شرقا حتى نهر الأردن، وجنوبا باتجاه البحر الميت.

ومن الجدير بالذكر، أن الفلسطينيين لم يكفوا- منذ أيام مفاوضات أوسلو- عن النضال بغية الحصول على موطئ قدم على حدود المملكة الأردنية.

وفي رده الشديد، قال بيرس: أن إسرائيل لن توافق على إجراء أي تغييرات، باستثناء تغييرات الصياغة في التفاهم الذي تم إحرازه في القاهرة.

اقترح شعث استئناف المفاوضات في طابا. وكنت آنذاك أنا وأبو علاء وعائلتانا في أوسلو، وقد حاولنا العثور على تفاهم أقوى وكان أبو علاء مقتنعا بأن الإحراج الذي ساد أوساط الوفد الفلسطيني، بسبب الاحتكاكات بين عبد ربه وشعث وأبو مازن، يتطلب إدخال عرفات في الصورة بشكل مباشر، وهذا ما حدث فعلا، بعد ثلاثة أسابيع.

في العشرين من كانون الثاني تواجد عرفات وبيرس في أوسلو لتشييع جثمان هولست ولربما كان تواجدنا هناك، حيث بدأت المسيرة هو الذي أعادنا أكثر إلى المفاوضات المثمرة. وقد اجتمع بيرس وعرفات مرتين في أوسلو، واتفقا على السماح لزينجر وأبو علاء بالعمل على وضع مسودة قضائية للاتفاقية، وترك القضايا التي لا زالت محل خلاف، دون حسم. والتزم الاثنان بالاجتماع بعد ذلك حتى حل جميع المشاكل، وعملا على تشكيل طواقم جديدة خاضعة لهما.

عقدت الجلسات الحاسمة بشأن المعابر الحدودية يومي ٢٨-٢٩كانون الثاني في دافوس- على هامش اجتماعات مؤتمر الهيئة الاقتصادية العالمية، الذي عقد هناك- وخلال يومي ٧-٩شباط في القاهرة. وقد شمل الوفد الذي ترأسه أبو علاء، أكرم هنية والجنرال عبد الرزاق اليحيى. أما بيرس فشكل طاقما بموافقة رابين وشاحك، مؤلف من عوزي ديان، ويوآل زينجر وأنا-

كرئيس للمجموعة- ومن الجدير بالذكر أن هــذا الطــاقم اصبــح، فيمــا بعــد، نــواة الوفد الإسرائيلي لمحادثات التســوية المرحليــة.

لقد ورث عوزي ديان الكثـــير مــن الجــرأة والذكــاء والســحر عــن عمــه موشيه ديان. وقد اتضح كمحنك في الحوار مع مفاوضيـــه الفلســطينيين. وقــد وجــد الفلسطينيون فيه، بداية، إنسانا متعجرفا ومتشــددا، بيــد أنــهم تــأقلموا مــع مزايــاه كإنسان متشدد وذكي وحســـاس.

ومن الجدير بالذكر، أننـــي اختلــف اختلافــا بينــا عــن عــوزي فــي نمــط أفكاري، بيد أننا سرعان ما أصبحنـــا صديقيــن. وقــد أدت قدرتنــا علــى أن يكمــل أحدنا الآخر، إلى ولادة نظرية أمنية سياسية قوية. وقد شـــجع رابيــن وبــيرس هــذا التعاون فيما بيننــا.

لقد تفاوضنا أياما وليالي في دافوس ثم فــي القــاهرة، وناقشــنا جوهــر الحكــم الذاتي، وهو المعابر الحدودية مع الأردن ومصر، وفــي أعقــاب كــل هــذه الجــهود التي بذلناها، بقيت هناك أربع قضايا عويصة" فقــد أصــر الفلســطينيون علــى رفــع علمهم ووضع شرطي على الجســور الحدوديــة، وأن يديــروا الأجنحــة الفلســطينية في المجمعات الحدودية، وعـــارضوا بمنتــهى الشــدة، التحقيــق بصــورة منفــردة، ودون وجود شرطي فلسطيني مع أي مواطن فلسطيني، وطـــالبوا بــأن يســمح لــهم بإصدار تصاريح دخــول إلــى منــاطق الحكــم الذاتــي، حتــى تســعة اشــهر دون الحاجة إلى موافقة إســـرائيل. بيــد أننــا عارضنــا مطالبــهم، تقريبــا، فــي جميــع القضايا فرفضنا رفضا باتــا قضيــة الشــرطي الفلســطيني علــى المعــابر أو العلــم الفلسطيني على الجسر، لأننــا كنــا نصــر إصــرارا قاطعــا، علــى الحيلولــة دون وجود أي تواجد فلسطيني على الحـــدود مــع الأردن، وشــددنا علــى التحقيــق مــع المشبوهين الفلسطينيين دون تواجد شرطي فلسطيني ووافقنا علـــى تمديــد مــدة نفــاذ مفعول التصاريح الفلسطينية، حتى ســتة أشــهر.

كانت الحوارات وحشية للغايــة، واصطدمنــا مــرة أخــرى بالــهوة الواســعة القائمة بين المصالحة، وترتيب الأولويات لـــدى الطرفيــن.

كان الأمن بالنسبة لإسرائيل مسألة حاسمة جداً. في حين كان الفلسطينيون يضعون نصب أعينهم الكرامة الشخصية والوطنية والسياسية. ورغم ذلك تمكنا من إحراز تقدم معين خلال ليالي الحوار الطويلة في دافوس، خصوصاً فيما يتعلق بصياغة التفاصيل.

بلغ الجدل حول (الألغام الرئيسية) في المفاوضات، ذروته في القاهرة، في السابع من شباط. ففي حوالي الواحدة فجراً، جلس عرفات وبيرس للتفاوض في وزارة الخارجية المصرية، في حين انتظر الوفدان في الخارج تساورهما الشكوك في أن يخلد الاثنان في نهاية الحوار إلى النوم، ويأمراننا بمواصلة العمل.

وفي حوالي الساعة الثانية، قدم عرفات وبيرس النبأ وابتسامة على وجهيهما، وأعلن بيرس: اتفقنا الرئيس عرفات وأنا، على أن يعمل الوفدان طيلة الأربع وعشرين ساعة بغية التوصل إلى اتفاق بسرعة. وإذا ما اصطدمتم بمشكلة لا تستطيعون حلها، يسمح لكم بإيقاظنا في كل وقت تشاءون".

تبادلنا نظرات حذرة، فقد كنا قد أقسمنا بيننا، أنه إذا قالا لنا واصلوا العمل، ونحن ذاهبان إلى النوم، أن نرفض ذلك. وقد تجرأ شخص ما، وقال: حسناً سنبدأ العمل غداً بعد أن نكون قد ارتحنا. فنظر إليه بيرس مبتسماً، وقال:" يا صديقي العزيز ستنهون العمل، حتى صباح الغد".

خضعنا لأوامره، وتوجهنا إلى الجناح الفلسطيني في فندق الأندلس، وجلسنا حول الطاولة. وقد استهل أبو علاء الحوار قائلا:" إذا وافقنا على عمل عدد من الأشياء بصورة مشتركة، فسوف نتوصل إلى اتفاق. لقد قال لي الرئيس اليوم: علينا أن نتقدم، على صعيد جميع القضايا الأمنية، وأن نصر على مسألة واحدة. وهي أن نعطي لشعبنا شعوراً بأن الاتفاق غيّر أشياء. ويجب أن يشعروا بالفخر حينما يصلون إلى الوطن دون إذلال إسرائيلي على طول الطريق، فإذا كنتم تشاطروننا هذه الرغبة، فسوف يكون بمقدورنا أن نخلد نحن أيضا إلى النوم، قبل بزوغ الفجر.

عقبت على أقوال أبو علاء قائلا:" أبو علاء أنت تعرف أننا بذلنا قصارى جهودنا من أجل تغيير الوضع، وكرامة المواطن الفلسطيني مهمة بالنسبة لنا أيضا، وإحساسه بأن الاتفاق غير الأشياء، هو مسألة مهمة له، بيد أنني أؤكد لك، أننا لن نتهاون في كل ما يتعلق بالأمن. أنتم تفتقرون حتى الآن إلى التجربة. إن المعابر الحدودية تقود إلى الأراضي الإسرائيلية أيضا وليس إلى الحكم الذاتي فقط. وإذا ما تم تهريب قنبلة عن طريق هذه المعابر، فلن تفيد الكرامة الشخصية والوطنية شيئا في إنقاذ الاتفاقية". ثم اقترحت أن يعرض عوزي ديان مطالبنا، فنغمة صوته كانت ناعمة أكثر مما هو مألوف.

وقد استهل ديان حديثه قائلا:" ليس لنا مصلحة يا أبا علاء في جعل حياة ٩٩،٩% من أبناء شعبك مرة، والذين هم دعاة سلام- وفقا لجميع الآراء- ومن أجلهم وأجلنا، علينا أن نحول دون دخول أسلحة وإرهابيين يرغبون في تدمير اتفاقية السلام التي توصلنا إليها. ولدينا نحن تجربة واسعة على صعيد منع مثل هذه الحالات، لذا، نحن نرغب في فحص الحقائب بأنفسنا، ونحن نصر على تحديد المشبوهين والتحقيق معهم وحدنا، إذا كانت هناك ضرورة لذلك".

ضحك أكرم هنية، وقال بمرارة:" وتجندونه كعميل لجهاز الأمن العام؟".

-عوزي:" أكرم، بمقدورك أن تخرج كما تشاء". بيد أنه لن يكون هناك أي تهاون بهذا الشأن.

-أبو علاء:" أوري، أنت تعرف أننا طلبنا منذ أوسلو، شراكه في المسئولية على المعابر الحدودية، ونحن على استعداد للاقتراب من مواقفكم، وأن نترك لكم السيطرة على الجانب الأمني. بيد أنني لن أوافق على إذلال أبناء شعبي. أنت هنا، وأنا أثق بكم، لكن قد يأتي غدا أو في المستقبل ضابط أو أحد مسئولي حرس الحدود التواقين لإذلال وإهانة الفلسطينيين. ولا شك أن بمقدوركم عمل ذلك دون موافقتنا، بل أنتم تمارسون ذلك الآن، دون موافقتنا، فإذا كان هذا هو ما ترغبون فيه، حسنا، واصلوا عمله.

اقترح زينجر، في محاولـــة لتخفيـف التوتـر أن نسـتعرض جميـع مراحـل العبور على الجسور التي لم يتم حتى الان التوصـل إلـى حلـول بالنسـبة لـها، وأن نحاول العثور على حل" وإذا لم ننجح، سنوقظ الزعيمين، همــا يسـتحقان ذلـك".

ضحك الجميع من أقواله الأخيـرة، ويبـدو أن الضحـك نقـى الأجـواء إلـى حد ما، وانتهز أبو علاء هذا النقاء، وقـال: أنـا أوافـق علـى أن تقومـوا بفحـص الحقائب في جانبكم من المجمـع الحـدودي، بيـد أن فتـح الحقـائب يجـب أن يتـم بصورة مشـتركة".

-عوزي:موافـق.

-أبو علاء:" لكن لن أسمح بفحص أي فلسطيني تشـتبهون فيـه وحـده".

-عوزي:" المتهم هو المتـهم، ويجـب عليكـم أن تثبتـوا أنكـم تدركـون مسـتوى الخطر".

-أبو علاء: نحن ندرك ماهية شـعور الفلسـطينيين، وإذا كنتـم لا تدركـون ذلـك، لن يكون هناك سـلام.

-عوزي: أنا على علم بمشاعركم، وأيضـا بالتزامـاتكم لـذا بمقدوركـم اسـتجواب سكان غزة وأريحا في جنـاح فحـص الجـوازات الخـاص بكـم، بيـد أنـه علـى إسرائيل، بعد ذلك، أن نفحص الجوازات وتطـرح الأسـئلة المناسـبة.

-أبو علاء:" إذا لم يكن الإسرائيلي باديا للعيـان، بمقدورنـا الموافقـة؟.

_اوري سبير: بمقدور الإسرائيلي أن يقف خلف مرآة ذات وجـه واحـد، لكـن بعـد أن يفحص الجوازات التـي سيسـلمها لـه الشـرطي الفلسـطيني، يجـب أن يكـون بمقدوره تقديم الاسـتجوابات.

انفجر أبو علاء بالضحك، وقال:" هل تعـرف مـا الـذي يمكـن أن يحـدث لامـرأة عجوز إذا ما بدأت مرآة بـالتحدث معـها؟؟ لا شـك أنـها سـتصاب بسـكتة قلبيـة فورا. وسوف يكون ذلك ذنبكم". ضحكنـا جميعـا.

-عوزي: قد نتمكن من التوصل إلى حـل يجعـل الإسـرائيلي لا يـرى ولا يسـمع، على أن لا يحرمه من حقه في فحص الوثائق، واسـتجواب المشـبوهين فـي مكـان مغلق".

-أبو علاء: سمعنا أنكم تسـمون هـذا المكـان المغلـق "منطقـة التطـهير"، إنكـم تتعاملون مع الفلسطينيين كما تتعاملون مـع الحيوانـات.

-أنا:" رفعت صوتي عالياً، وقلت:" إذا كنتم ترغبـون فـي الجـدل لمجـرد الجـدل، فإن بمقدورنا الانضمام إليكم. أرجو أن تتذكر أننـا نتحـدث عـن إحبـاط الإرهـاب، ولا ننوي إهانة أبناء شعبك، إننا نعمل مـن أجـل الحيلولـة دون تدمـير المسـيرة. والآن لنعد إلى القضية، ما رأيكم فـي الموضـوع؟؟

-أبو علاء: يجـب أن أتشـاور مـع الرئيـس، لقـد بـزغ الفجـر، فلنـأخذ فـترة استراحة، وأتحدث خلالها مع عرفات، ثم نعود إلـى الحـوار.

بعد عدة ساعات، وفي قاعة الطعام اصبح بمقدورنا التحـدث عـن قـدر مـن التقدم، وأجمل زينجر الوضع فـي مسـودة جديـدة، فامرنـا بـيرس بـأن نواصـل الحوار. على أساس حديث الليلـة الماضيـة.

واتضح بيرس، من خلال الحديث مع عـوزي، أن فحـوى مـا يـدور ينقـل إلى هيئة الأركان العامة عبر أحد الضباط الذين يسـاعدون عـوزي، وهنـاك يقـوم طـاقم مـن شـعبه التخطيـط تـم تعيينـه مـن قبـل رابيـن وأهـود بـراك بدراسـة كل ما يقـال.

وقد شعر بيرس، أن رابين لا يمنحـه الدعـم الكـافي، رغـم أنـه اسـتجاب لجميع توجيهاته، ودافع بكل قوته، على الخط الذي حـدده الجـهاز الأمنـي.

تمتم بيرس بغضب، . . .:" المفاوضات لا تـدار علـى هـذا النحـو"، وغـادر الطاولة بغضب، وتوجه نحو غرفته مصحوبـاً بـآفي جيـل. وبعـد قليـل سـمعناه يصرخ في الهاتف قائلا:" اسحق، إذا كان هناك فـي تـل أبيـب مـن يرغـب فـي وضع رقابة علي، فإنني على استعداد للعودة فورا، الأمر الوحيـد الملـزم، هـو مـا تم الاتفاق عليه بيننا، إننا ندير هنا معركة صعبة، ولن أعمـل بـهذه الصـورة هـل

الطاقم الموجود في إسرائيل، يدير مفاوضات مـــع نفســه؟؟ لمــاذا لا ترســلونه إلــى هنا؟؟ وسنرى كيف يقنعــون الفلســطينيين؟؟".

وكما يبدو حاول رابين تهدئته، وهكذا توقف الطاقم الموجــود فــي تــل أبيــب عن إرسال ملاحظاته الصغيرة إلى القاهرة. كانت تلــك الأقــوال، بالنســبة لبــيرس، تعني أن ما تم الاتفاق عليه مع رابين هو الأمر الوحيد الملــزم للجميــع، وقــد بقــي الغليان في نفسه طيلة صبيحة ذلك اليوم. فقد كــان يرغــب فــي التقــدم، وشــعر أن هناك زخما، لذا دعا وزير الخارجية عمرو موسى، واشركه فـــي بعــض أفكــاره.

-بيرس: الفلســطينيون يضجروننــا بالكلمــات، أرجــو أن تقــول لــهم: أن وقتــي ضيق، قل لهم أنه يتوجب عليهم السير قدمــا، وعــدم التمســك بمواقــف غــير ذات بال أو قيمة، والا فلا معنى لوجــودي هنــا".

حاول عمرو موسى تهدئــة غضبــه، ووعــد بــالتحدث مــع عرفــات بــهذا الصدد. وقد اجتمعت أنا بأبو علاء، وقلت لــه: أن صــبر بــيرس أوشــك أن ينفــذ، فقال أبو علاء:" أنا أتفهمــه بيــد أن المطــالب التــي يقدمــها غــير معقولــة، أنتــم ترغبون في مواصلة توجيه الإهانات لنا، مع تغيير اســم هــذه الإهانــة إلــى"الأمــن" إننا على استعداد لتسريع المفاوضات، بيد أننا لا نستطيع القفــز عــن المشــاكل".

عادت الوفود إلى الاجتماع في ســاعات الظــهر، وعمــد ديــان إلــى جعــل التسوية الأساسية أكثر وضوحا. وجاء فــي افــتراض: أن فلســطيني الحكــم الذاتــي سيصطدمون، بداية، بالرقابة على الجــوازات، ويقــوم موظــف فلســطيني بتوجيــه الأسئلة اللازمة لهم. ومن خلف مرآة ذات وجــه واحــد يجلــس شــرطي اســرائيلي لا يرى ولا يسمع، ويتم نقل الجوازات إليه في صنــدوق، وإذا مــا ثــارت شــبهات، يتم إرسال الفلسطيني المشبوه إلى غرفة لا يوجــد فيــها ســوى إســرائيلي، ويحــق لإسرائيل اعتقال أي مشبوه بعد إعلام الشــرطة الفلســطينية.

بدا أن أبو علاء ليس راضيا، وقال:" أنــا أطــالب بــالتحديد المســبق لمعــايير اختيار المشبوهين، وتضمينها في الاتفاق، مثل أي إنســان يحــاول تــهريب أســلحة،

أو يخطط لاعتداء، أو يحمل أوراقا مشبوهة، وبذلك نضمن الا تتمكنوا من اعتقال كل من ترغبون في اعتقاله".

اقترح زينجر أن تتم صياغة هذا البند بصورة مقبولة لدى الطرفين: ثم ذهب أبو علاء للتشاور مع عرفات، وحال عودته، قال: الحل مؤلم جدا للفلسطينيين، بيد أنهم يقبلونه. ورغم ذلك واصل الفلسطينيون المطالبة بإيكال إدارة الجناح الفلسطيني من المجمع الحدودي إلى الفلسطينيين، على أن يتواجد ضابط أمن إسرائيلي هناك.

عارض عوزي ديان هذا المطلب بشدة، وقال: المكان منطقة أمنية، ويجب على إسرائيل إدارته".

وهكذا، غرقنا في مشكلة جديدة، وغادرنا المكان، للتشاور، وقد اقترح بيرس أن نحاول، أنا وأبو علاء، حل هذه المشكلة على انفراد وهذا ما فعلناه فعلا. واتفقنا على أن يكون مديرو المجمع- في رفح وجسر اللنبي- إسرائيليين وأن يتحملا مسئولية الجناحين، على أن يكون لكل مدير إسرائيلي نائب فلسطيني يحمل لقب مدير، ويكون مسئولا عن الجناح الفلسطيني.

قال أبو علاء، المدير الفلسطيني سيستعين بمساعدين في الشئون الإدارية والأمنية وهكذا، توصلنا في نهاية المطاف إلى حل مرض للطرفين.

أصبحت اتفاقية المعابر الحدودية جاهزة، وقد استخدمت كنموذج- في جانبه المثير للمشاكل، وفي أسلوب حل المشكلة- لشبكة العلاقات الآخذة في التبلور بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني بأكمله. وتمت صياغة الاتفاقية حول المعابر الحدودية في (١٨٠) صفحة. وقد مكنا إسرائيل من مواصلة الإشراف على كل ما يتعلق بأمنها، ومكنا الفلسطينيين من إبراز رموزهم الوطنية ونيل أكبر قدر من الحافظ على كرامتهم.

لقد وضع هذا الاتفاق قواعد العمل العملية، والتي تتطلب التعاون الوطيد على أرض الواقع.

حال تغلبنا على هذه الصعوبــــة، انتقلنــا للعمــل علــى حــل مجموعــة مــن المشاكل الأمنية الأخرى وأهمها السيطرة علــى محــاور الطــرق العرضيــة الثلاثــة المؤدية من إسرائيل إلى الكتل الاســتيطانية فــي قطــاع غــزة. وكــان حــل هــذه المشكلة يتوجب التحاور مع عرفات بصــورة مباشــرة.

وفي ساعات ما بعد الظهر جرى وضع خارطة أمــام مجموعــة كبــيرة مــن الفلسطينيين والمصريين، والإســرائيليين، والذيــن تجمــهروا فــي غرفــة الطعــام. وكشفنا النقاب، خلال هذا الاجتمــاع، عــن الخطــة الإســرائيلية الكاملــة لمعالجــة الأمن الإسرائيلي في قطاع غــزة.

-بيرس: دون سيطرة إسرائيل علــى المحــاور العرضيــة، لا نســتطيع التوصــل إلــى أي اتفاق فهي شديدة الأهمية لحماية الاستيطان، ولــن نــترك لكــم هــذه المهمــة. بــل لماذا أصلا تريدون تولي مثل هــذه المهمــة؟؟

وافق عرفات مبدئيا، بيد أنه تحفظ من وضع علامــات علــى المحــاور علــى أنــها أراض إسرائيلية لأن ذلك، سيعني كسر سيطرته علــى غــزة. وطــرح بديــلا لذلــك، ينص على أن يبني الفلسطينيون مواقع للدفــاع عــن وســائل المواصــلات الإســرائيلية من وإلى المستوطنات. وقد همس أحد الحاضرين:"هل مــا أســمعه صحيــح"؟؟.

وفي نهاية الجدل، اقترح زينجر الصيغة التي تم قبولــها والتــي تنــص علــى :" توكل إلى إسرائيل جميــع الصلاحيــات والمســئوليات المطلوبــة للقيــام بنشــاطات أمنية مستقلة في محاور الطرق العرضية الثلاثة وعلى الأرصفــة المحاذيــة لــها".

طلب بيرس التوقيع بالأحرف الأولى على هــذه الاتفاقيــات، للتــأكيد علــى حــدوث الانفراج ولإتاحة الفرصة للانتقال إلى التفاوض فــي قضايــا أخــرى.

أعرب أبو علاء عن تذمره، نظرا لأننــا أطلعنــا الوفــد الفلســطيني علــى الخرائــط في اللحظات الأخيرة، وبالتالي وضعنــا أمامــهم حقــائق جــاهزة. وقــد جلــس إلــى جواري في المراسيم التي تم إجراؤها في المساء بينمــا وقــف خلفنــا عرفــات وبــيرس والرئيس المصري حسني مبارك، وحــاول الامتنــاع عــن التوقيــع بــالأحرف الأولــى على الخارطة الملحقة بالتفاهم. ولم يصدر عرفات الأمــر بــالتوقيع الا بعــد أن تدخــل

الرئيس المصري حسني مبارك في القضية. لقد كـــانت هــذه الحادثــة، توطئــة لحادثــة أكبر ستحدث فيما بعــد.

بدا الرئيس مبارك متفائلا خـــلال مراســيم التوقيــع، وقـــال: أن المفاوضـــات حــول باقي القضايـــا الخاصـــة باتفاقيـــة غـــزة -أريحـــا، ستســتكمل فـــي غضـــون أســـابيع معدودة. وحينما سمع زينجر ذلك، جذب بيرس جانبـــا، وقـــال لـــه: لقـــد توصلنـــا حقـــا إلى انفراج، بيد أن غالبية العمل لا زالـــت أمامنـــا.

بيرس:" هل تستطيعون إكمال العمل فـــي غضـــون أســـبوعين"؟.

زينجر:" سنحتاج إلى شهرين علـــى الأقـــل.

بيد أنه ومنذ اللحظة التي عـــاد منـــها شـــاحك لإدارة مجموعـــة العمـــل فـــي طابـــا، أخذت المفاوضات تتقدم بسرعة. وقد نجح زينجر وشعث فـــي كتابـــة كـــم هـــائل مـــن الأوراق، وفي غضون أسبوعين، بـــدا أن الاتفاقيـــة تلـــوح فـــي الأفـــق. وبـــدأ الجيـــش الإسرائيلي فـــي وضـــع مخططـــات للانســـحاب مـــن غـــزة. وفجـــأة! وقعـــت الـــهزة الأرضيـــة.



٥- خلال مراسيم المصادقة على اتفاقية السلام مع الأردن في بيت جبرائيل على ضفـــاف بحيرة طبريا، من اليسار الى اليمين : الملك الحســـين، اســـحق رابيـــن، أوري ســـبير ١٩٩٤/١١/٢٦.

الفصل الخامس

من تونس إلى غزة

سفاح الخليل أوقف المفاوضات وأحرج الزعامة الإسرائيلية

ذهول فلسطيني لقرار عرفات باستئناف مفاوضات غزة_أريحا

ارتدى الدكتور باروخ جولد شتاين – وهو مستوطن متدين من كريات أربع كان قد ولد وتربى في حي بروكلين الأميركي – في تمام الساعة الخامسة، من يوم الجمعة الموافق الخامس والعشرين من شباط – زيه العسكري- فهو ضابط في الاحتياط – وتسلح ببندقيته من طراز عوزي، وتوجه إلى الحرم الإبراهيمي في الخليل، وعندما وصل إلى قاعة صلاة المسلمين، فتح النار على جماهير المصلين، مما أسفر عن مقتل واحد وثلاثين مصليا في هذه المذبحة التي لم تتوقف، إلا عندما قتل جولدشتاين نفسه.

انتشرت أنباء المذبحة انتشار النار في الهشيم في قطاع غزة والضفة الغربية، والعالمين العربي والإسلامي والعالم بأسره. وجاءت ردود الفعل فزعة، غاضبة، وفي أوساط الفلسطينيين، كان هناك شعور رهيب بالرعب.

كان جولدشتاين- الذي وصفه جيرانه بأنه طبيب هادئ وطيب القلب- ناطقا سابقا لحركة (كاخ) التي ترأسها الحاخام مائير كهانا في الولايات المتحدة، ولازال منتميا إلى ممثلي هذه الجماعة في كريات أربع.

ورغم أن الشخصيات السياسية والدينية في إسرائيل شجبت هذه الحادثة المرعبة، إلا أن جولدشتاين سرعان ما وجد معجبين في أوساط المستوطنين، فقد شارك المئات في جنازته، ومدحه الكثيرون منهم، واصفينه (بالبطل، والشهيد)، بل لقد شبهه الحاخام ارئيل -حاخام مستوطنة ياميت السابق- بشمشون البطل، ويهودا المكابي.

وقالت وسائل الإعلام أن جميع سكان كريات أربع الذين شجبوا المذبحة، تلقوا تهديدات، والأفظع من كل ذلك، أن قبر جولدشتاين في كريات أربع، أصبح محجا ومكانا مقدسا.

ولا شك أن الأشخاص الذين تحدثوا عن المذبحة بمصطلحات مزدوجة، كانوا إخطر- في الحقيقة- من المتطرفين.وفي تعقيبها على المذبحة قالت يهوديت كتسوفر زوجة رئيس مستوطنة كريات أربع: "أن جولدشتاين قام بعمل ذي مغزى مهم، رغم أنها لا تعتزم تعليم أولادها تفكيره وتتبع خطاه.

أسهمت هذه الأقوال المرائية، في تعزيز الموقف الأخلاقي الذي انبثق جولدشتاين منه، والذي يقول: أن القتل يصبح بناء إذا ما قام الفرد بتنفيذه لصالح الجماعة. ومن الجدير بالذكر، انه لا توجد معطيات إحصائية حول مدى الدعم في أوساط الإسرائيليين بوجهة النظر آنفة الذكر. وحتى لو كان المؤيدون للمذبحة هم قلة قليلة، فان الأيديولوجية التي خلقت الوحي لها استشرت بشكل واسع في قطاعات كبيرة من اليمين المتطرف، والمتدين، بصورة أساسية، في إسرائيل.

لقد تركت الأحداث التي تلت المذبحة انطباعا يفيد بأن إسرائيل ستضطر، منذ الان، لمكافحة الإرهاب على جبهتين، وبدأت المسيرة السلمية تواجه خطر الأصوليين المسلمين والإسرائيليين.

أصيبت الجماهير اليهودية بالذهول، وهي تسمع عن قيام أحد الإسرائيليين بتنفيذ مذبحة من هذا القبيل. وقد سارعت إلى عقد اجتماع لرؤساء الشعب في وزارة الخارجية. وقد أوضح ديفيد افك، مدير مركز الأبحاث والتخطيط السياسي في الوزارة، مدى الخطورة الكامنة في المذبحة، وقال أن من المتوقع أن تفهم العملية على أنها اعتداء على الإسلام، وتسجل في التاريخ الإسلامي. وقال إن عرفات يعيش حاليا أزمة خطيرة، إزاء وقوع المذبحة، في أوج المفاوضات التي تعتبر بعيدة كل البعد، عن إرضاء التطلعات الوطنية الفلسطينية.

أجرى رابين وبيرس مشاورات فيمـــا بينـــهما، وبعثـــا بـــأحر التعـــازي إلـــى عرفات. وعندما اندلعت أعمال العنف في الخليل، وقتـــل الجيـــش الإســـرائيلي خمســـة مواطنين فلسطينيين آخرين، قررت القيادة العســـكرية إســـكات الضجـــة عـــبر فـــرض نظام حظر التجول على المدينة. وقد نظر العالم بخطـــورة بالغـــة إلـــى هـــذه الخطـــوة، وفقا لأقوال الفلسطينيين أن إسرائيل تعمد إلى معاقبة الضحايـــا مـــرة أخـــرى.

اعتقلت الحكومة الإســـرائيلية متطرفيـــن مـــن اليميـــن الإســـرائيلي، وعملـــت على اعتبار حركتي كاخ وكهاناحي خارجتين عـــن القـــانون.

رد عرفات على هذه المذبحـــة، بـــإعلان وقـــف المفاوضـــات مـــع إســـرائيل، وقد سارع رابين إلى إرسال مستشاره السياســـي، جـــاك نيريـــا لمقابلـــة عرفـــات فـــي القاهرة، وعندمـــا عـــاد قـــال: إن مـــزاج عرفـــات متكـــدر للغايـــة، ونقـــل شـــروطه لاستئناف المفاوضات: إبعاد المستوطنين من الخليل إلى كريـــات أربـــع، تشـــكيل قـــوة شرطة فلسطينية في المدينة، وإدخال قوة طوارئ دوليـــة إلـــى المدينـــة، كـــي تســـاهم في تهدئة مخاوف ســـكانها.

وفي نفس الوقت، طـــالب عرفـــات بعقـــد اجتمـــاع فـــوري لمجلـــس الأمـــن الدولي، كي يشجب إســـرائيل، ويتبنـــى مطالبـــه لاســـتئناف المفاوضـــات ممـــا حـــدا بجبهات إسرائيلية للاعتقاد، بان عرفات يستغل الأزمـــة، لتعزيـــز مصالحـــه السياســـية بيد أن بيرس ورابين شعرا أن أزمته حقيقية، ورغبا في مـــد يـــد المســـاعدة لـــه، فـــي محنته، أمام أبناء شـــعبه.

أدت الأزمة التي ولدتها المذبحة إلـــى إدخـــال دنيـــس روس، فـــي الصـــورة، حيث اتصل بعرفـــات، ولاريســـون، وبـــي، مـــرات عديـــدة للتشـــاور، حـــول كيفيـــة الخروج من الأزمـــة.

لم أستطع، في تلك الأيام العصيبـــة الاتصـــال بـــأبو عـــلاء، وتخيلـــت مـــدى الإحباط الذي يشعر به، وقد اخبرني لاريســـون أن أبـــو عـــلاء، اعتكـــف فـــي بيتـــه، فهو يشعر انـــه مســـؤول عـــن اتفاقيـــات أوســـلو، وان جميـــع الانتقـــادات الموجهـــة

لأوسلو، موجهة له شخصيا، ونصحني بأن لا أتصل به، وقـد أدركـت انـه قـال لـي ذلك، تلبية لطلب صريح من أبو عـلاء.

في الرابع عشر من آذار، قرر بيرس ورابيـن إرسـال عـوزي ديـان وجـاك نيريا وأنا إلى تونس في نفس الوقـت الـذي كـان دنيـس روس يتجـه إلـى هنـاك أيضا، بعد أن سبقه لاريسون. وقبل خروجنا، قـال لـي رابيـن: أن علـي أن أوضـح لعرفات، مدى صعوبة قبول شروطه، وطلب منا أن نـدرس بدائـل أخـرى لإمكانيـة استئناف مفاوضات غزة – أريحا. كما طلب من بـيرس، أن نمـهد الطريـق لإجـراء لقاء بينه وبين عرفـات.

أقلعنا عند منتصف الليل، وكرسنا سـاعات الرحلـة لإعـداد العـدة لمواجهـة عرفات. وعندما أصبحت الطائرة في سماء مالطا، تلقـى الطيـار أمـرا بالـهبوط فـي روما. وفي المطار، وجدنا من ينتظرنا، وتم نقلنا إلى قاعـة الاسـتقبال فـي المطـار، ومن هناك إلى ليل روما البـارد.

اتصلت بمكتبي في القدس، فوجدت مديـره رافـي بـراك مسـتيقظا، بانتظـار مكالمتي، رغم أن الساعة كانت قد تجاوزت الثانيـة ليـلا.

براك : ماذا تفعلون فـي رومـا؟ "يجـب أن تكونـوا الآن فـي سيسـيليا. التونسـيون يرفضون هبوط الطائرة في مطاراتهم نظـرا لأنـها تحمـل علامـات إسـرائيلية. لـذا وافق روس على إرسال طائرة وزارة الخارجية الأميركية إلـى إحـدى قواعـد سـلاح الجو الأميركي في سيسيليا لنقلكـم".

-أنا: وكيف نصل إلى هنـاك؟

– براك: هل تعتقد أنني أعرف كيف يجـب أن تصـل إلـى هنـاك؟؟ سـأصلك مـع روس في تونس عبر مركزية وزارة الخارجيـة الأميركيـة.

بدا روس مرهقا ونافذ الصبر، على عكس عادتـه، وقـال باختصـار حـاد: " توجهوا إلى سيسيليا، لقـد أرسـلت لكـم الطـائرة، ونصـف الطـاقم المسـاعد لـي، ستجدون بانتظاركم اهارون ميلر، ودان كرتسر، بانتظارنا هنـا عمـل كبـير".

ثم قام روس بإيصال طيارنا بضابط أمنه الذي أوضح له كيفية الوصول إلى مطار سيسيليا وفي حوالي الساعة الرابعة فجرا، أقلعت طائرتنا، وبحثت عن المطار حتى عثرت عليه. وعندما هبطنا، وجدنا كرتسر وميلر غاضبين، فهما لم يناما منذ يومين.

أملنا أن نتمكن من الاستراحة في تونس خصوصا وأننا كنا ندرك، أن يوم عرفات يبدأ في ساعة متأخرة من الليل. وفي تونس، قامت سيارة تابعة للسفارة الأميركية بنقلنا إلى فندق هلتون وما كدت اصل حتى توجه إلى شاب ملتح، وقال لي:" انتم من تل أبيب"؟، قلت : "نعم". قال: "أهلا وسهلا، الرئيس عرفات بانتظاركما سجلا نفسيكما في الفندق، وانتظرا في الغرفة، حتى اتصل بكما.

وما كدت اصل إلى غرفتي، والقي بنفسي على السرير معتقدا انه سيكون بمقدوري أن اخلد للراحة بعض الوقت، حتى دق جرس الهاتف وعندما رفعت السماعة، جاءني من الطرف الآخر صوت يقول: سيد سبير، سيارة الرئيس عرفات بانتظارك خارج الفندق.

نقلتنا سيارة عرفات إلى بيت الضيافة، وجلسنا بالانتظار، ونحن في غاية التوتر. وفجأة سمعنا صوتا عاليا لشخص ما – كما يبدو انه كان يقول "انتباه"، ودخل عرفات إلى الغرفة، وعانق جاك نيريا وصافحني أنا وعوزي ودعا إلى الجلوس، ثم بدأت تتوافد إلى الغرفة حاشيته: ياسر عبد ربه، ونبيل شعث، اكرم هنية، وأبو علاء. وقد صافحونا ببرود، في حين امتنع أبو علاء عن التحديق نحونا وجعل أعيننا تلتقي.

ضغط عرفات على زر خاص، فجاء حارس وحيا عرفات، الذي طلب منه أن يقدم واجب الاحترام للضيوف، فخرج وعاد محملا بالبقلاوة والفواكه والكعك والشاي والقهوة، وقد أهاب بنا عرفات، كي نأكل ونشرب. بل وقدم قطعة بقلاوة مغرقة بالعسل إلى ديان الذي رفضها، بيد انه سرعان ما لاحظ الأزمة الدبلوماسية التي قد يحدثها، فقال: "سيدي الرئيس أنا أحترمك جدا، بيد أن خوفي

من زوجتي اكبر". وقد ابتسمنا جميعـــا، لأول مــرة، خـــلال هــذه الزيـــارة، بيــد أنـــها كانت آخر ابتسامة أيضـــا.

أعربنا عن تعازينا في مذبحـــة الخليـــل، ثـــم أضفـــت قـــائلا: "الوضـــع كـــدر للغاية، وإســـرائيل أيضـــا غارقـــة فـــي صدمـــة عنيفـــة، والطرفـــان يفقـــدان إيمانـــهما بالمسيرة السلمية. ومهمتنا سيدي الرئيس تتمثل في العثور علــــى طريقـــة لإعــــادة هـــذا الإيمان، لان المســـيرة الســـلمية هـــي الطريـــق الوحيـــد الممكـــن. ورئيـــس الحكومـــة ووزير الخارجية، يريدان منك أن تقول لنا كيف تـــرى الأســـابيع القادمـــة".

وأضفت: "أمس، ولأول مرة في تــــاريخ إســـرائيل، أخرجـــت الحكومـــة عـــن القانون مجموعات متطرفة يهودية تســـعى إلـــى إحبـــاط المســـيرة الســـلمية، بأســـاليب العنف، وقد طلب مني رابين أن أؤكد لــــك، أننـــا ســـنحارب المتطرفيـــن بـــلا هـــوادة. وبيرس ورابين، يرغبان أن تسرع المفاوضات – بعيـــدا عـــن أعيـــن وســـائل الإعـــلام، من اجل إحلال تغيير حاسم علـــى ارض الواقـــع".

استهل عرفات كلمته بالقول: اسمحوا لــــي بـــادئ ذي بـــدء أن ارحـــب بكـــم، لقد اهتممت بكم طيلة الليلة بينما ذهب زملائي للاســـتراحة، والشـــخص الوحيـــد الـــذي بقي ساهرا طيلة الليل، هو رئيس منظمـــة التحريـــر، وعلـــي أن أشـــير هنـــا، إلـــى أن لدينا هرما مقلوبا، أنا اعمل وهم يخلدون إلـــى النـــوم".

توقف عرفات هنيهة، ثم عاد إلـــى صلـــب الموضـــوع فقـــال:"حقـــا الوضـــع خطير للغاية. وعندما اتصل بـــي رابيـــن كـــي يعلمنـــي بقدومكـــم كنـــت أتحـــدث مـــع زملائي على الخط الآخر في الخليل، وقـــد قـــالوا لـــي: أن الجيـــش الإســـرائيلي أطلـــق النار هناك على الجماهير التي ثارت ثورة مـــبررة ومفهومـــة، علـــى أرضيـــة المذبحـــة وقتل عددا من الناس. أنا لا أســـتطيع أن افـــهم منطقكـــم، لقـــد قتلتـــم تســـعة وثلاثيـــن فلسطينيا، منذ الخـــامس والعشـــرين مـــن شـــباط، وأصبتـــم أربعمائـــة شـــخص آخـــر بجراح، وفي نفس الوقت، تعمدون إلـــى فـــرض نظـــام حظـــر التجـــول علـــى الضفـــة الغربية!!؟؟ إنكم تعاقبون الضحايا، هل شاهدتم المظاهرات فـــي الربـــاط، فـــي عمـــان، القاهرة، إندونيسيا، إيران، طشقند، تونس، وفـــي كـــل مكـــان؟؟".

أصبح صوت عرفات حزينا وهو يضيف: " في الأردن ولبنان وسورية يتهمونني بالخيانة، أنا خائن سادتي. أبناء شعبي غارقون في الخوف خشية وقوع مذبحة أخرى. ويجب عليكم أن تتخذوا خطوات لكسب ثقتنا وإلا فإن مسيرة السلام ستموت، بدلا من أن تفعلوا ذلك، يقوم جيشكم بإطلاق النار على شعبي".

قلت بصوت ناعم: "سيدي الرئيس، عامل الزمن يعمل ضدنا جميعا، والوضع لم يتحسن طيلة السبعة عشر يوما الماضية، وقد جئنا نفتش عن أسلوب للخروج من هذا الوضع وليس كي نقترح حلولا جمالية".

وقال ديان: "أنا أسمع نغمة الحزن في صوتك سيدي الرئيس، هذا لقاء حزين، ولديك من الأسباب ما يجعلك تحزن، وأنا نفسي حزين وخجل جراء ارتداء القاتل الملابس العسكرية، وقد تم تشكيل لجنة لفحص الخطوات التي قام بها الجيش، ونحن نتحمل مسئولية ما حدث، فنحن لم نحل دون وقوع المذبحة. وسنبذل قصارى جهدنا، كي لا يتكرر مثل هذا الحادث. بيد أننا سمعنا أن هناك مخططات فلسطينية للانتقام، الفلسطينيون غاضبون وجنودنا شديدو التوتر، ولهذا السبب، قررنا فرض حظر التجول، وسوف نلغيه بصورة تدريجية، ورجالنا على اتصال دائم بالزعماء في الخليل".

سأل عرفات (وهنية) عن أوساط اليمين المتطرف في إسرائيل، وعن المستوطنين العاملين في الاحتياط في الضفة الغربية. وعاد عرفات لتكرار نظريته القائلة بقيام ضباط إسرائيليين بالتآمر ضد قادة الجيش، والتعاون مع متطرفين فلسطينيين.

ولست أدري، فيما إذا كان عرفات قد قال ما قال وهو يؤمن به حقا، نظرا لعيشه في أجواء تآمرية أم أنه قاله لأسباب تكتيكية، بيد أن (عوزي) رد على هذه الأقوال بشدة، فقال: "الجيش الإسرائيلي يعمل وفقا لأوامر الحكومة فقط، والجيش يتحمل مسئولية فرض الأمن، بيد أن القرارات نفسها بأيدي الحكومة. إننا نتحمل مسئولية الفلسطينيين والإسرائيليين، ويجب علينا أن نعمل على إعادة الأمل إلى السكان في المناطق، فهم في أمس الحاجة له الآن". قال عرفات: أنا لا زلت

متمسكا بإعلان المبادئ، والسؤال الذي يطرح نفسه هـو كيـف يمكننـا أن نعيـد الثقـة المتبادلة؟؟ وكيف تعود للإحساس بالمشاعر التي كنا نشـعر بـها معـا فـي واشـنطن، في الثالث عشر من أيلول؟ تخيلوا ما الـذي كـان سـيحدث، لـو أننـي كنـت وقـت المذبحة في أريحا؟؟ يجب علينا أن نضمـن الأمـن الفلسـطيني".

كان عرفات يبدو مرهقا، اكثر من أي وقـت مضـى ومتوتـرا، وقـد واصـل طيلة الوقت قرع قدمه بالأرض، ولاحظت أن يديـه ترتعـدان. وتسـاءل قـائلا: " مـن الذي يستطيع الآن ضمان أمن المواطنين الفلسـطينيين فـي الخليـل؟؟ ربمـا سـتوافقون على وجود قوة دوليـة؟؟ هـل بالإمكـان إبعـاد المسـتوطنين مـن الخليـل؟؟ فجميـع المستوطنين في الخليل لا يتعدون اثنتين وأربعين عائلـة ومائـة وأربعيـن طالبـا دينيـا لماذا لا تنقلونهم إلى كريات أربع؟؟ وضعهم هناك سـيكون أكـثر أمنـا. إن جماهيرنـا في الخليل هي جماهير ذات سمات خاصة، وهي اكـثر تدينـا. ويوجـد فـي أوسـاطهم أيضا متطرفون. إن الخليل تثير القلق، ربما نسـتطيع إرسـال قسـم مـن قواتنـا إلـى هناك، بالتعاون مع جيشكم، أو مع قـوة دوليـة؟؟".

واضاف بصوت ضعيف "يجـب عليكـم أن تتفـهموني أنـا شـديد الاهتمـام بالتقدم، بيد أنني بحاجة إلى ثقة شـعبي. لديكـم حكومـة منتخبـة، وبرلمـان وقوانيـن واضحة. والثقة ليست هي الشيء الوحيد بيـن الإسـرائيليين وزعمائـهم، بيـد أن الثقـة هي العامل الوحيد القائم بيني وبيـن شـعبي".

انفجر عبد ربه قائلا: "انتم تضعفون الرئيـس انتـم تخدعونـه، ولا اعتقـد أن شيئا قد تغـير".

قررنا عدم تصعيـد الجـدل، والعـودة إلـى الفنـدق. وفـي هيلتـون، أفـاد الصحفيون أن مسـاعدي عرفـات ليسـوا معنييـن بتطبيـق إعـلان المبـادئ فـورا. فالكثيرون منهم لم يرغبوا في التخلـي عـن الحيـاة المريحـة فـي تونـس، وخـوض الصعوبات في الحياة التي سيلاقونها في غـزة، وعلـى وجـه الخصـوص فـي إطـار اتفاقية مرحليـة.

اجتمعنا بعد الظهر بروس ومستشاريه، كما قمت أنــا ونيريــا بـإعلام رابيــن بما حدث، وبدا لنا بوضوح أننــا لا نحــرز تقدمــا، وان علينــا العــودة إلــى إســرائيل للتشاور. وعندما أعلمت عرفات بقرارنا، طلب مني أن نعود لتونـــس بعــد عــدة أيــام، وحينها قد نستطيع مناقشة إمكانية ترتيب لقاء بينــي وبيــن بـيرس.

لاحظت خلال وجودي تغيب أبو عـــلاء، وقــد فــهم عرفــات ذلــك، فقــال: "أرسلت أبو علاء إلى الأردن، لإجراء حوار مع رجــال أعمــال فلســطينيين مــهمين".

قرر دنيس روس ممارســة ضغــط علــى أبــو عمــار فــي المســاء، عــبر الإلماح له بان الولايات المتحدة ســتتخذ حــق النقــض الفيتــو ضــد أي قــرار شــجب يتخذه مجلس الأمن الدولي ضد إسرائيل علـــى خلفيــة المذبحــة، إذا لــم تعــد منظمــة التحرير إلى طاولة المفاوضات. وقد أثارت الإلماحة غضـــب عرفــات. وهكــذا بــاءت مهمتنا بالفشــل.

غادر نيريا تونس بصحبة الوفد الأميركي إلى واشـــنطن التــي كــانت تنتظــر قدوم رابين إليها، فيما عدت أنا وعوزي ديان إلى قــاعدة ســلاح الجــو الأمــيركي فــي سيسيليا، ومن هناك إلى تل أبيب، في حين بقي لاريســـون فــي تونــس مصــرا علــى تقديم يد المساعدة لاستئناف المفاوضات. وأجرى محادثات مع أبـــو مــازن، كمــا كــان يجري اتصالات هاتفية معي بصورة دائمة، وفي النهاية تمكــن هــو وأبــو مــازن مــن إعداد ورشة عمل تنص على نقـــل المســتوطنين إلـــى كريــات أربــع مثلمــا يطــالب الفلسطينيون، بيد أننــي أوضحــت لــه أن هــذا المطلــب مســتحيل التنفيــذ، لأســباب سياسية، وقرأت عليه صيغة الحل التــي اقترحناهــا، والتــي تنــص علــى قبــول قــوة دولية محدودة في الخليل، إلى جانب شرطة فلســـطينية غــير مســلحة. وهكــذا اصبــح بحــوزة لاريســون وثيقتــان: الأولــى لاريســون -١ وهــي مطــالب الفلســـطينيين، ولاريسون -٢ وهي موقفنـــا.

عمد دنيس روس، في تلك الآونـــة، إلــى تخطيــط مســيرة افتتاحيــة جديــدة، تضم الرئيس السوري حافظ الأســـد إلــى المســيرة السياســية. وقــد اتصــل الرئيــس الأميركي بالأسد، واتفق معه على عـــودة ســورية إلــى طاولــة المفاوضــات، مقــابل

عدم فرض الولايات المتحدة حق النقض الفيتو على قرار مجلس الأمن الدول
وهكذا حصل عرفات على الشجب المطلوب لإسرائيل، بيد انه فقد القدرة ع
تجميد المسيرة السلمية، حتى تفي إسرائيل بمطالبه.

قرر رابين في العشرين من آذار إرسال وفد آخر إلى تونس يضم ج
نيريا وأمنون شاحك ويوآل زينجر وأنا. وقبيل خروجنا، أعلمنا رئيس شع
الاستخبارات العسكرية اوري ساجي، عن تقديره بأن عرفات قرر إرجاء است
المحادثات حول اتفاقية غزة وأريحا لمدة ثلاثة أسابيع، حتى استكمال المفاوض
حول الخليل.

وقد أعرب نائب وزير الدفاع، مردخاي جور، ورئيس الأركان أه
براك، عن شكهما في ضرورة سفر الوفد إلى تونس. بيد أن رابين وبيرس ك
مصرين على مواصلة إبقاء الصلة مع عرفات، ولم تكن سوى قلة قليلة على عل
بان رابين وبيرس اتفقا في الليلة الماضية، على إخلاء قسم من مستوطني الخلي
ومن ضمنهم طلبة المدارس الدينية، من اجل تخفيف حدة التوتر، وكان م
المفروض أن يتم تحديد موعد الإخلاء، بالتشاور مع الجهات الأمنية.

توجهنا إلى تونس أيضا عبر سيسيليا في طائرة تابعة لوزارة الخارج
الأميركية، وقد توجه روس أيضا إلى هناك. وجاء لاريسون المرهق جدا إل
غرفتي، فطلبت منه أن يكف عن أي عمل من أعمال الوساطة. لقد عارضنا م
اليوم الأول لمحادثات أوسلو، تدخلا من طرف ثالث في الجانب الجوهري م
المفاوضات. رغم أننا رحبنا بأي تدخلات تؤدي إلى تهيئة أجواء صح
للتفاوض، وفي إقناع الأطراف لإبداء المرونة اللازمة. فقد كنا نعتقد انه يتوج
على الطرفين التوصل بقوتهما الذاتية إلى الصيغ الحقيقية للاتفاق. وهكذا تخل
لاريسون – الذي كان دائما يحترم إرادة الأطراف – عن فكرة إعداد وثي
لاريسون –٣.

عندما التقينا عرفات بعد الظهر، استهل الحوار بلهجة عدوانية، وقا
"لا نستطيع استئناف المفاوضات قبل أن تخلوا المستوطنين من الخليل، وقبل

تسمحوا لنا بإرسال رجال شرطة فلسطينية مع القـــوة الدوليـــة. إن البنـــد الـــذي يحتـــل رأس جدول الأعمـــال الآن، ليـــس اتفاقيـــة غـــزة وأريحـــا، بـــل قضيـــة الخليـــل. ولا نستطيع العودة إلى طاولة المفاوضات، قبـــل معالجـــة هـــذا البنـــد. ورئيـــس الحكومـــة رابين يفهم ذلك، وقد قال لـــي بالـــهاتف، أنكـــم قدمتـــم إلـــى هنـــا بنـــاء علـــى وثيقـــة لاريسون، ثم لوح بورقة كانت في يـــده بتـــأثر.

تساءلت بيني وبين نفسي، فيمـــا إذا كـــان عرفـــات علـــى علـــم بردنـــا علـــى وثيقة لاريســـون-٢؟؟.

شعرنا بالضيق جـــراء ســـوء التفـــاهم الـــذي حـــدث علـــى أرضيـــة وثيقـــة لاريسون، وحاولت فورا حل هذه المشكلة، فقلـــت لعرفـــات : " عندمـــا تحـــدث معـــك رابين حول وثيقة لاريســـون، كـــان بحوزتـــه وثيقـــة أخـــرى، وبمقـــدورك أن تســـأل لاريسون فهو غير بعيد عن هنـــا.

تشاور عرفات بعض الوقت، مع عبد ربه، ثـــم قـــال: دعونـــا نضـــع الأوراق جانبا، ونرى كيف يمكـــن حـــل المشـــكلة، مـــا الـــذي تقترحونـــه؟؟ ومـــا صلاحيـــاتكم بـــالضبط؟؟.

إبان تشاور عرفات وعبد ربه سألت شـــاحك: عـــن طبيعـــة التواجـــد الدولـــي في الخليل؟؟ فقال لي: يوجد هناك الصليـــب الأحمـــر. ووفقـــا لذلـــك قلـــت: بمقدورنـــا التحدث عن نوع معين من التواجد الدولـــي فـــي الخليـــل، ونـــوع مـــن أنـــواع تواجـــد رجال الشرطة الفلســـطينية".

* شاحك : بيد أنه يجب عليك أن تتذكر، أن مسئولية الأمن ســـتبقى فـــي أيدينـــا.

*عرفات: أنتم تدفعون بي إلى الزاوية، وماذا بشأن المســـتوطنين فـــي الخليـــل؟؟

* شاحك: هذا قرار سياسي ، بمقدور رابيـــن وحـــده اتخـــاذه، ولا أعتقـــد أن هنـــاك أي فرصة لنقل المستوطنين من الخليل نتيجـــة للتفـــاوض معكـــم، أنـــا جـــنرال ولا أتدخـــل في مثل هذه الأمـــور.

*عرفات: ما هو نوع التواجد الدولي الذي تتحدثـــون عنـــه؟؟

*أنا: "اعتقد أن رابين قد يوافق على زيادة حجم وحدة الصليب الأحمر". وقد اتضح أن ما قلته كان خطأً قد ارتكبته.

حملق عرفات بي بدهشة، ثم اقترب من الطاولة بجسمه، وقال: أي وحدات؟

*أنا : الصليب الأحمر، إن وحداته قادرة على التأثير وتهدئة الأمور.

لم نكن على استعداد لمواجهة ما حدث بعد ذلك، فقد ارتفع صوت عرفات حد الصراخ، وهو يوجه الحديث إلى عبد ربه: "هل سمعت ما قال؟؟ ربما لم أسمع ما قال جيدا، سبير يقترح الصليب الأحمر".

ثم توجه إلي، وأعطاني محاضرة مجانية "الصليب الأحمر، الصليب الأحمر" -قال وهو يرغي ويزبد "ما الذي تريد أن تفعله؟؟ هل تريد أن تحضر ممرضات لإعطاء حقن مهدئة لسكان الخليل؟؟ لا أستطيع القول بأنني سمعت ما قلته جيدا، تريد جلب ممرضات إلى الخليل من الصليب الأحمر لإعطاء الحقن المهدئة؟؟ إنهم يحرقون صوري في الخليل، والإسرائيليون يتحدثون عن ممرضات. لماذا لا نحضر أخي فتحي عرفات ومعه الهلال الأحمر الفلسطيني. لا اصدق، أنت تمعن في إهانتي".

قرر شاحك انه لم يعد هناك معنى لمواصلة الحوار، لذا نهضنا وتوجهنا نحو فندقنا، ولم نقل للصحفيين المنتظرين شيئا، مما أعطاهم انطباعا بان المسيرة السلمية أصبحت في حالة النزع الأخيرة، وقد عقب أحدهم قائلا: "عرفات سيبقى هنا".

قابلت في الفندق المبعوث الروسي فيكتور بسيفاليوك، والذي بدا متشائما بنفس القدر، وقال: "ليس بمقدور عرفات الان استئناف المفاوضات،لأن مكانته في الضفة والقطاع باتت متدنية إلى أدنى درجة. لقد رأيته لتوي، وأستطيع أن أقول لك، انه يشعر بحالة إحباط شديدة وتشاؤم بسبب موقفكم".

وفي المساء، تناولنا طعام العشاء مع دنيس روس، والذي بدا، هو الآخر، شديد التشاؤم ولا يرى أي أمل في الأفق. وقد أصر خلال لقائه مع روس على أن يقبل الإسرائيليون شروطه.

اتفقنا، أنا وشاحك، على أن المسيرة السلمية في حالة خطرة جداً، وخصوصاً بعد أن علم شاحك بأن رابين لا يعتزم إخلاء المستوطنين، خشية حدوث مالا تحمد عقباه على أرضية الاستعدادات التي بدأ اليمين يعد لها للتظاهر. لذا قررنا أن نقول الحقيقة ببساطة لعرفات: إن رابين غير مؤهل للاستجابة لمطالبه، وانه سيكون قادرا على تخفيف حدة أزمته، بيد أن الامر سيحتاج بعض الوقت. وتمكنا من إعداد صيغة لتواجد دولي في الخليل ولقوة شرطة فلسطينية بلدية. بيد أن المفتاح كان بيد عرفات وقدرته على قيادة أبناء شعبه، وكان عليه اتخاذ قرار صعب. واقترحت على شاحك، أن يتحدث معه على انفراد كجنرال لجنرال – مثلما كان عرفات يحب تقديم نفسه.

في صبيحة اليوم التالي، توجهنا في الساعة العاشرة إلى منزل ضيافة منظمة التحرير، وطلب شاحك الحديث مع عرفات، فتوجها نحو المطبخ، وتحدثا لمدة عشرين دقيقة. ويقول شاحك أنهما جلسا إلى طاولة المطبخ، وحينها قال لعرفات انه لا يجب أن يتوقع المستحيل، فرابين سيتخذ قرارات أخذت بعين الاعتبار مكانته السياسية هو، وهذه القرارات، لن تكون قابلة للتفاوض مع منظمة التحرير، وان من واجب عرفات أن يكون زعيم شعبه، وان يعده لاستئناف المفاوضات.

لقد جلس أمام شاحك، عرفات مختلف عن عرفات الذي تعرفه، كان متكدرا جدا، ومنطويا على نفسه، وسارحا في القرار الصعب، الذي كان عليه اتخاذه، ثم قال : "قل لرابين إنني أتفهم الصعوبات التي يواجهها، وأتوقع منه أن يفعل ما يجب أن يفعله، حينما يصبح الوقت ملائما".

قال شاحك: "بمقدورنا التقدم علـــى صعيــد قضايــا أخــرى، بمقدورنـــا تشــكيل لجنـــة لمعالجة مشكلة الخليــل، وفـــي نفــس الوقــت تواصــل الحــوار حــول اتفاقيـــة غـــزة وأريحـــا".

استمع عرفات لأقوال شاحك، ولـــم يعقــب عليـــها، وطلـــب مـــن شـــاحك أن يعلم رابين بأنه علم مـــن مصـــادره، أن رابيـــن يتعـــرض للخطـــر مـــن قبـــل ضبـــاط إسرائيليين رفيعي المستوى، وبمقدورهم تدبـــير انقـــلاب. ومـــن الجديـــر بـــالذكر، أننـــا جميعا، كنا ندرك أن عرفات كان احيانا يجيـــد التحليـــق بيـــن الواقـــع (والميلودرامـــا). أرجو أن تعود إلى الغرفة للانضمام إلى زملائك، وبعد قليـــل ســـأعلمكم بقـــراري.

عاد شاحك، وجلس إلى جواري متوتـــرا، وكـــان واضحـــا للفلســـطينيين فـــي الغرفة، أننا قدمنا اقتراحا مـــا لعرفـــات. وبعـــد لحظـــات عـــاد عرفـــات إلـــى الغرفـــة وجلس في مقعده، وقال: بعد أن تحدثت مـــع الجـــنرال شـــاحك، قـــررت العـــودة إلـــى المفاوضات. رئيس الحكومة رابين، أيضا، واقـــع تحـــت الضغـــط، وأنـــا أثـــق باتخـــاذه القرار الصحيح بشأن المستوطنين، في الوقـــت المناســـب.

أما فيما يتعلق بالتواجد الدولـــي والشـــرطة الفلســـطينية فـــي الخليـــل، فســـيتم تعيين لجنة لبحث ذلك، واقترح أن يمثلنا في هـــذه اللجنـــة نبيـــل شـــعث، وياســـر عبـــد ربه.

وقد أعلن شاحك فورا أنني وزينجر، سنمثل إسرائيل فـــي هـــذه اللجنـــة.

استطرد عرفات قائلا: "يجب على أعضـــاء اللجنـــة أن يتوصلـــوا إلـــى قـــرار بهذا الشأن الليلة وغدا، وفي نفس الوقت، ستســـتأنف المفاوضـــات حـــول اتفاقيـــة غـــزة وأريحا. هذا هو واجبي في هذه اللحظات الصعبـــة، وبمقـــدور مفاوضينـــا العـــودة إلـــى القاهرة، وأنا آمل وأتوقع أن يجد رابين الأسلوب الذي يجعلـــه قـــادرا علـــى الـــرد علـــى مطالبنا، وسوف أعلم الأميركيين والمصرييـــن والـــنرويجيين".

أصيب الفلسطينيون في الغرفة بذهـــول تـــام، فقـــد اتخـــذ عرفـــات قـــرارا لا يحظى بالشعبية أبدا، فالفلسطينيون في الضفـــة الغربيـــة وأوســـاط مختلفـــة فـــي العـــالم الإسلامي، طالبوا بطرد المســـتوطنين مـــن الخليـــل كشـــرط لا يمكـــن التنـــازل عنـــه

لاستئناف المفاوضات وإذا لـــم يحـــدث ذلـــك، فســـوف يبـــدو أن الفلســـطينيين عـــادوا لممارسة الحياة كالمألوف، رغم المذبحة التي نفذها اليـــهود فـــي أحـــد أقـــدس الأمـــاكن الإســـلامية.

كان عرفات يأمل أن يتمكن في نهايـــة المطـــاف، مـــن تحقيـــق هـــذا الـــهدف، بيد أن شاحك أوضح له أن إرجاء المفاوضات حول غـــزة واريحـــا حتـــى يتحقـــق هـــذا الهدف، لن يكون مجديـــا.

لقد شهدنا عرفات في غضون اربـــع وعشـــرين ســـاعة وهـــو يشـــع ضعفـــا ويأسـا

أصبحت مشكلة الخليل منتهيـــة، وأثبـــت عرفـــات فـــي وقـــت الأزمـــة، أنـــه شريك حقيقي لنا في مســـيرة الســـلام، وانـــه الرجـــل الوحيـــد فـــي منظمـــة التحريـــر المؤهل لاتخاذ القرارات الصعبة. لقـــد أدت هـــذه المزايـــا إلـــى تعزيـــز علاقاتـــه مـــع الشخصيات الوحيدة في الجانب الإسرائيلي، القادرة علـــى فعـــل ذلـــك.

وهكذا، بدا أن بالإمكان تطبيـــق اتفاقيـــات المبـــادئ، رغـــم المشـــاكل الجديـــة التي كانت لا تزال تقف في الطريـــق أمامنـــا.

في تلك الليلة بلورنا الجانب الأكبر من التفـــاهم الخـــاص بتواجـــد دولـــي فـــي الخليل، واتفقنا على بلـــورة الوثيقـــة النهائيـــة فـــي القـــاهرة، إضافـــة إلـــى تواصـــل المفاوضات حول غزة وأريحا. كما قررنا مطالبـــة الـــنرويجيين بالمشـــاركة فـــي القـــوة الدولية. وقام يوآل زينجر ونبيل شعث، بـــإعداد مســـودة اتفـــاق.

وهكذا، عندما التقـــى دنيـــس روس مـــع عرفـــات فـــي نفـــس الليلـــة، وجـــده مصرا على مواصلة التفاوض حول غـــزة وأريحـــا.

وعندما عدنا إلى إسرائيل، وقدمـــت تقريـــري إلـــى بـــيرس ورابيـــن، ســـألت رئيس شعبة الاســـتخبارات العســـكرية، اوري ســـاجي : عـــن الأســـباب التـــي حـــدت بعرفات لتغيير رأيه؟ فرد علي ســـاجي قـــائلا: " انـــه يســـير باتجـــاه معـــاكس لقـــراره الأول". ومن الجدير بالذكر، أن هـــذه، ليســـت هـــي المـــرة الأولـــى التـــي يجـــد فيـــها

رؤساء أذرع استخبارية صعوبة في حـــل ألغــاز ديناميكيــة مســار اتخــاذ القــرارات للزعماء. خلال الفترات الانتقالية بين الحـــرب والســلام.

وفي نفس الأسبوع حصلنا على تذكـــار جديـد لمـدى الصعوبـات المحتملـة التي تواجه الانتقال إلى الســلام.

ففي الوقت الذي جمعنا فيه العديـــد مــن المعلومــات حــول الخليـل توطئـة لخوض المفاوضات، وفيما قام شـــاحك بإعطـــاء التوجيـهات الأخـيرة لطاقمـه بشـأن المرحلة الأخيرة في محادثات غزة – أريحـــا. علمنـا أن خمسـة مسـلحين فلسـطينيين قتلوا في غزة في صدام مع جنودنا. وفي صبيحة اليـــوم التـالي، ونحـن فـي طريقنـا في الطائرة من تل أبيب إلى القاهرة، أوضح لنا شاحك مـــدى خطـورة الحـادث. كـان الخمسة من حركة فتح، وقد اوهم محمد دحـــلان رئيس جـهاز الأمـن الوقـائي فـي القطاع بالعمل على تمهيد الأرضية، توطئة للانســحاب الإسـرائيلي مـن غـزة، وقـد كانوا عائدين من أحد الأفراح، وأطلقوا النـار فـي الـهواء. ورغـم أن إطـلاق النـار كان دلالة على الفرح، إلا أنه اعتبر بمثابة انتــهاك للاتفاقيـات المبرمـة معنـا، والتـي تنص على عدم استخدام البنادق التـي بحـوزة الفلسـطينيين فـي أيـة مناسـبة. وقـد خشي شاحك من أن يؤدي هذا الحادث إلى ردود فعل ســيئة لـدى الفلسـطينيين.

نقلنا في القاهرة إلى مكان سري، وبعـد قليـل وصـل الفلسـطينيون مقطبـي الجبيـن، وفورا طلب شاحك التحدث مع دحلان وشـعث علـى انفـراد، بيـد أن دحـلان شـعر بوعكة، وعاد إلى فندقـه.

لقد كان من الصعب تخيل حـدوث تقلبـات جذريـة أكـثر مـن القفـز مـن مرحلة التنازع إلى مرحلة التعـاون، ثـم مذبحـة الخليـل، وقـرار عرفـات اسـتئناف المفاوضات، والصدام القاتل بين رجال دحـــلان والجنـود الإسـرائيليين، ثـم اسـتئناف المفاوضات "والتي كان يجب على دحـلان وشـاحك أن يناقشـا قضيـة التعـاون فيمـا بينهما. وأنا اعتقد، أن دحلان، حينما شاهد شاحك، لم يكـن يعـرف فيمـا إذا كـان قـد جاء للتحاور مع نظير فـي المفاوضـات، أم مـع عـدو يعتـبر مسـئولا عـن مقتـل رجاله؟؟ ويخيل إلي انه رأى فيه الأمريـن معـا.

أوضح شاحك لنبيل شعث ما حدث ليلة الأمس، ثـــم توجــه الوفــد الفلســطيني إلى الفندق لعيادة زميلهم المريــــض. وفـــي المـــاء تحـــدث شـــاحك ودحـــلان بـــهدوء، وعلى انفراد، وانتهى حوارهما بمصافحة حارة، واســتئناف الحـــوار. وقـــد تـــم الاتفـــاق على أن تكون للنرويج وإيطاليا والسويد تواجد دولي مؤقـــت فـــي الخليـــل، مـــن اجـــل تهدئة الأوضاع في المدينـــة.

قاد شاحك طاقم مفاوضاته بصورة ممتازة، في حيـــن أشــرف عــوزي ديـــان على التفاصيل الأمنية، وفي نهايـــة الحـــوار، حصلـــت إســـرائيل علـــى مبتغاهـــا فيمـــا يتعلق بالترتيبـــات الأمنيـــة. لقـــد بقيـــت فـــي أيدينـــا صلاحيـــات ذات أهميـــة كبـــيرة: المسئولية عن الأمن الخارجي، الجـــانب الأمنـــي للمعـــابر مـــن والـــى الحكـــم الذاتـــي، والسيطرة على الطرق العرضية الثلاثة في قطاع غـــزة، وفـــي المنـــاطق التـــي تضـــم المستوطنات. بيد أن غالبيـــة أراضـــي غـــزة، وضواحيـــها، والمســـئولية عمـــا يحـــدث داخلها، نقلت إلى الفلسطينيين. كما أسهم الاتفاق فـــي خلـــق إطـــار التعـــاون. فقـــد تـــم اتخاذ قرار بتشكيل لجنة عليا إسرائيلية فلســـطينية للتنســـيق الأمنـــي والتعـــاون، وثلاثـــة مكاتب تنسيق إقليمية (DCO) والتي يجب أن تعمـــل أربعـــا وعشـــرين ســـاعة يوميـــا، ودوريات مشتركة، ووحدات متحركة مشتركة للإشراف علـــى الوضـــع مـــن الحركـــة، والتوجه إلى المناطق اللازمة عنـــد الضـــرورة.

وهكذا، وبعد أقل من سنة من اللقـــاء الرســـمي الأول، بيـــن ممثلـــي إســـرائيل ومنظمة التحرير، تمكن الأعـــداء الســـابقون مـــن إنشـــاء جـــهاز معقـــد للتعـــاون فـــي المجالات الأمنية. ولا شك أن الاتفاق هـــز الإيمـــان الإســـرائيلي المتحـــذر، والقـــائل أن بمقدورنا الاعتماد فقط على أنفسنا. لقد كانت هناك أهميـــة كبـــيرة لتحررنـــا مـــن هـــذا الإيمان، فلو لم نفعل ذلك، فلسوف يكون مـــن الصعـــب التحـــرر مـــن الســـيطرة علـــى الفلســـطينيين.

بيد أن استيعاب هـــذا التغيـــير وهضمـــه كانـــا مـــن الصعوبـــة بمكـــان فـــي المجتمع الإسرائيلي، وخصوصا العسكريين، وذلك بعـــد أن كـــان مـــن البديـــهي القـــول أن الاعتماد على أنفسنا هو حجر الأساس في قدرة الدولة علـــى البقـــاء والنجـــاة.

لقد اصبح "إرهـــابيو الأمــس" شـــركاءنا فـــي محاربـــة الإرهـــاب: أعضــــاء حركة فتح والقوة –١٧ الذين تورطوا في أعمال القتل ضــــد الإســـرائيليين. لقـــد اعتقـــد الكثيرون: أن هذا التحول كبـــير جـــدا، وقـــد اتضـــح حينمـــا آن أوان ذلـــك أن تجســـيد المهمة ليس صعبـــا.

كـــانت المشـــكلة الرئيســـية التـــي يتوجـــب علينـــا مواجهتـــها هـــي الرمـــوز الوطنية، ورموز السيادة، التي طالب الفلسطينيون بها. وقد اعتقد بـــيرس انـــه لـــم يعـــد من المجدي، آنذاك شن حرب أو خوض معركة على هـــذا الصعيـــد. فقـــد كـــان يقـــدر اكثر من أي شخص آخـــر معنـــى منـــح الشـــرعية لمنظمـــة التحريـــر وللفلســـطينيين. واعتقد أيضا، انه إذا كنا نصر على قضايـــا معينـــة كالمســـئولية الأمنيـــة مثـــلا، فـــان علينا أن نكون أسخياء في جوانب أخرى، لان الاتفاق من وجهـــة نظرنـــا كـــان بمثابـــة وسيلة لتحقيق هدف مشترك، وليس مجـــرد وثيقـــة.

طالب الفلسطينيون بجوازات سفر لسكان الحكـــم الذاتـــي. وقـــد أصررنـــا فـــي البداية، على عدم منحـــهم جـــوازات لان صـــرف الجـــوازات يعنـــي أن هنـــاك دولـــة، وأصررنا علـــى أن يكتفـــوا ببطاقـــة (Laisses Passes). واقنـــع بـــيرس رابيـــن بضرورة أن تتم طباعة هاتين الكلمتين علـــى جـــواز الســـفر الفلســـطيني، إلـــى جـــانب كلمة (جواز). ورغم ذلك، كان هنـــاك مـــن وجـــد أن مـــن الصعـــب اســـتيعاب هـــذا التغير، وطالبوا بان يتـــم طباعـــة كلمـــة (Laisses Passes) بـــأحرف اكـــبر مـــن كلمة (جواز). وهكذا لاول مـــرة اصبـــح للفلســـطينيين جـــوازات ســـفر خاصـــة بـــهم. ومن الجدير بالذكر، أن الأردن ومصر لم توافق علـــى ذلـــك، عندمـــا كانتـــا تســـيطران على الضفة وغزة. لكن بـــيرس اعـــترف بـــه كحـــق لبنـــي البشـــر الذيـــن يســـتحقون الاعتراف بهويتـــهم.

لقد مكنتنا اتفاقية غزة – أريحا من الإشـــراف والرقابـــة علـــى المداخـــل إلـــى إسرائيل لاعتبارات أمنية، وكذلك على مداخل الحكم الذاتي، وهـــو الامـــر الـــذي خلـــق تناقضا، حسب رأي أولئك الذين كـــان يفـــترض أن يحظـــوا بالحريـــة، ويعـــبروا عـــن

هويتهم الوطنية لكن حركتهم العملية قيدت وحددت، لقد إلتحمت الحرية وتقييد الحركة معا، في إطار هذه البنية المعقدة للحكم الذاتي الفلسطيني الجديد.

وقد تم أيضا في هذه المرحلة النهائية إحداث تغيير شديد الأهمية : حيث تم التأكد على أن تنقل منظمة التحرير ورئيسها مقرهما إلى منطقة الحكم الذاتي كي يتمكنا من قيادة شعبهما عن قرب. كان من المفروض أن ينقل ياسر عرفات، الذي يعتبر رمزا لنضال الفلسطينيين ضد إسرائيل، مقره، إلى غزة أو أريحا، وقد حرصنا على أن ينتقل كرئيس لمنظمة التحرير أو السلطة الفلسطينية، وليس كرئيس لدولة فلسطين، وقد استجاب الفلسطينيون لهذا الطلب.

وتم التاكيد أيضا، على إنشاء مجلس مؤلف من أربعة وعشرين عضوا لمساعدة عرفات في إدارة الأمور حتى يتم إجراء انتخابات حرة – في أعقاب التوصل إلى اتفاق التسوية المرحلة للضفة الغربية – كما وافقنا على إطلاق سراح خمسة آلاف معتقل، شريطة الا يكونوا قد قتلوا إسرائيليين.

صادقت إسرائيل على دخول زعامة منظمة التحرير إلى الحكم الذاتي، بمن فيهم أولئك الذين كانت تعتبرهم مطلوبين – وفقا للقائمة التي سلمتها الجهات الأمنية الفلسطينية لإسرائيل.

لقد أسفر هذا الاتفاق في حقيقة الامر، على الصعيد العملي، عن ولادة حكومة فلسطينية – رغم الاسم المختلف الذي أطلق عليها – وحصلت على صلاحية إدارة شئون الفلسطينيين ومواصلة المفاوضات مع إسرائيل.

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الخطوة، كانت أحد أهم التعابير ذات المغزى في التغيير الجذري الذي أسفر عنه اتفاق أوسلو.

وكانت هذه الخطوة تعني أن إسرائيل ستتفاوض مع نظام فلسطيني ذي صلاحيات. ومنذ ذلك الحين، بدأ يقترب ذلك اليوم، الذي ستوقع فيه دولتان على اتفاقية التسوية الدائمة، ولم يبق سوى بناء شروط العلاقات الجديدة بين الطرفين.

هذا ولم يكن الطرفان يدركان كم يخبئ الغيب لهما من أعمال عنف، ستقع بين التوقيع على الاتفاق المبدئي وبين إنجاز الاتفاق النهائي.

نصت الإتفاقية أيضا، على تاريخ محـــدد لإنجـــاز اتفاقيـــة التســـوية الدائمـــة – خمس سنوات منذ التوقيع على اتفاقيـــة غـــزة وأريحـــا. ونظـــرا لتوقيـــع اتفاقيـــة غـــزة واريحا في الرابع من أيار ١٩٩٤، فـــان مـــن المفـــروض ألا يتجـــاوز توقيـــع اتفاقيـــة التسوية النهائية الرابع من أيار ١٩٩٩ لقد بدأ العد العكسي باتجـــاه الســـلام الكـــامل.

وقبل وضع اللمسات الأخيرة على الاتفاقية، عقد اجتمـــاع حاســـم بيـــن القـــادة أنفسهم. ففي الثالث من أيار، اجتمع عرفات مـــع رابيـــن فـــي قصـــر الرئيـــس مبـــارك وبوجوده، وبحضور وارن كريستوفر وبـــيرس ودنيـــس روس ورؤســـاء الوفـــود، وقـــد كانت الجلسة عاصفة، وتواصل النقاش خلالها خمـــس ســـاعات. وقـــد أهـــاب الرئيـــس مبارك بالمجتمعين التوصل إلى اتفاق حول القضايا التـــي لا زالـــت عالقـــة. وقـــد عـــاد عرفات إلى طرح ثلاثـــة مطـــالب معروفـــة : زيـــادة مســـاحة أريحـــا زيـــادة كبـــيرة، المسئولية المدنية عن القسم الجنوبي من ساحل غزة، وضـــع شـــرطي فلســـطيني علـــى جسر اللنبي. وطـــالب رابيـــن بـــالحصول علـــى قائمـــة بأســـماء الأعضـــاء الأربعـــة والعشرين في المجلس الذي سيشكله عرفات، والتـــي كـــان مـــن المفـــروض أن تضـــم إلى الاتفاقية كملحق. وعندما أعرب عرفات عـــن احتجاجـــه نظـــرا لانـــه يســـمع هـــذا الطلب لاول مرة – رغم انه طرح أمامه سابقا– ابتســـمت أنـــا وشـــاحك.

وحينها قال عرفات: أنـــا اعـــرف أننـــي أبـــدو أمـــامكم كمـــهرج، وإذا كـــان الامر كذلك، واصلوا الابتســـام".

–رابين: سيدي الرئيس، نحن نتعامل معك باحترام كبـــير جـــدا، بيـــد انـــه يتوجـــب عليك احترام التفاهم الذي نتوصل إليـــه.

–عرفـــات: "لقـــد وعدتمونـــي بتقديـــم رد بشـــأن الشـــرطي علـــى جســـر اللنبـــي، وعدتموني برد على مســـاحة أريحـــا، وهـــا انتـــم تـــهينونني بـــاقتراح كيلومـــتر هنـــا وكيلومتر هناك، انتم الأقوى، وانتم الذيـــن تقـــررون".

وفي نهايـــة الجلســـة، وافـــق رابيـــن علـــى توســـيع مســـاحة أريحـــا بســـتة كيلومترات أخرى، ومنح السيطرة المدنية لعرفـــات علـــى خمســـة كيلومـــترات أخـــرى من القسم الجنوبي لساحل غزة رغم قرب المنطقة من المســـتوطنات بيـــد انـــه لـــم يكـــن

على استعداد بأي حال من الأحوال، للموافقة على وضع شرطي على جسر اللنبي، رغم الاتفاق على استئناف المفاوضات بهذا الصدد وهكذا اختتم هذا الاجتماع في حوالي الساعة الثانية ليلا، وقام الطرفان بإعداد الاتفاقية النهائية.

في الرابع من أيار، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة ظهرا، بدأت مراسيم التوقيع على الاتفاقية في القاهرة. وبعد إلقاء عدة خطابات وقع عرفات ورابين على اتفاقية الحكم الذاتي في غزة واريحا.

وخلال التوقيع لاحظ رابين أن عرفات لم يوقع على الخرائط المرفقة، فنهض من مكانه وتوجه إليه، واشار إلى مكان التوقيع وطلب منه التوقيع فورا، بيد أن عرفات رفض ذلك.

وكما يبدو، فانه اعتقد أن التفاهم الذي تم إنجازه قبل عدة ساعات حول إعادة النظر في قضية الشرطي على جسر اللنبي، ستعكس نفسها في الخرائط، بيد انه اخطأ وقد أدرك ممثلوه في المفاوضات ذلك. سارع شعث وشاحك للوقوف وراء الزعيمين على المنصة، وهناك انطلقت عاصفة عاتية وتم تسجيلها بالكامل بكاميرات الفيديو في نقل حي ومباشر إلى جميع أنحاء العالم.

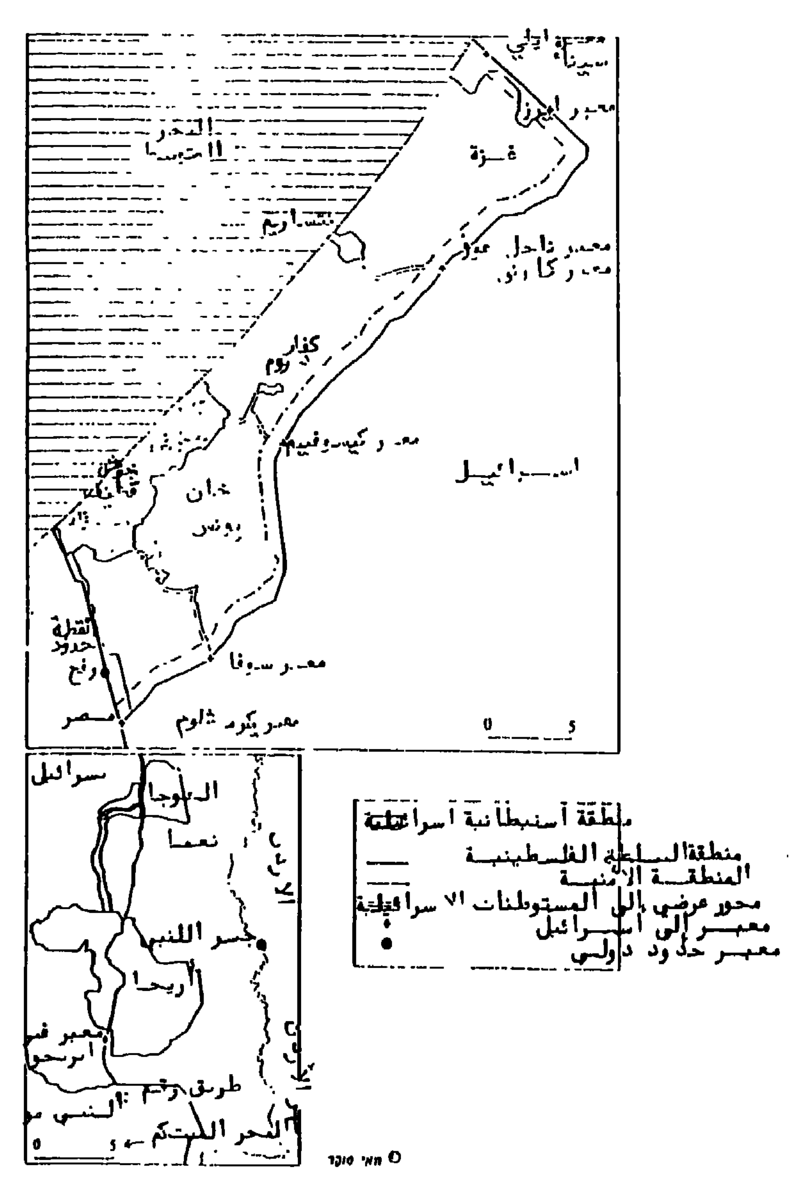
كان جميع الحاضرين يتوسلون إلى عرفات كي يوقع، بل وكادوا يهاجمونه جسديا لإرغامه على التوقيع، بيد انه أصر على موقفه، وفي النهاية تغلبت عليه ضغوط مبارك الذي طلب منه، بلغة حادة الا يحرج مصر المضيفة. ولم يوقع عرفات على الخرائط، قبل أن يستخلص من رابين وعدا بإرسال رسالة إليه تتضمن المشاكل التي لا زالت تحتاج إلى إجراء مفاوضات حولها، وعلى وجه الخصوص قضية الشرطي على الجسر.

تركت المسرحية التي نفذها عرفات على المنصة في أفواهنا مرارة شديدة. فالأمر يتعلق برجل أحرز لشعبه إنجازا لم يسبق له مثيل. وفي نفس الوقت، تصرف بصورة جعلت الأعراف المعمول بها في العلاقات بين الزعماء الوطنيين والعلاقات الدولية بأكملها – تبدو أضحوكة.

بيد أن تقديرات عرفات كانت مختلفــة. فقــد شــعر انــه وقــع علــى اتفاقيــة ستجعل الكثــير مــن الفلســطينيين ينظــرون إليــه بعيــن الاحتقــار، نظــرا لســماحه لإسرائيل بالإمساك بين يديها بقدرة تأثير حاسمة علــى شــؤون حياتــهم. فــهذه الوثيقــة التي تم التوقيع عليها تؤكــد ســيطرة إســرائيل علــى المعــابر، وحــق الفيتــو علــى التشريع الفلسطيني، وقبول أو رفض اسم أي شــرطي مــن المفــروض أن يدخــل إلــى الحكم الذاتي. وبالتالي اراد عرفات أن يــرى أبنــاء شــعبه، انــه ينــاضل مــن اجــل مصالحهم رغم الضغوط الدولية الشديدة، ولهذا الســبب كــان علــى اســتعداد لإحــراج شركائه في المسيرة الســلمية.



٦- حول طاولة المفاوضات في طابا، أيلول ١٩٩٥ من اليســار الــى اليميــن : ياســر عرفات، أبو علاء، أوري سبير، أيلان بيران، شمعون بيرس، شمطوف ساميه.



خارطة ٢ : اتفاق غزة أريحا ١٩٩٤/٥/٤

انسحب الجيش الإسرائيلي من غـزة واريحـا فـي الخـامس والعشـرين مـن أيار ١٩٩٤- أي بعد ثلاثة أسابيع من مراسيم التوقيـع علـى المراسـيم العاصفـة فـي القاهرة، وفي الأول من تموز ١٩٩٤ دخل ياسـر عرفـات إلـى قطـاع غـزة بعـد أن استقبله ضابط إسرائيلي في معبر حدود رفح وفي ميـدان غـزة كـان بانتظـاره مائـة ألف فلسطيني وعندما ألقى كلمته فيهم، أصغى إليـه الكثـيرون فـي إسـرائيل والعـالم كلـه.

ولدهشة الجميع فان قلة قليلـة مـن الإسـرائيليين هـي التـي خرجـت عـن طورها بسبب قدومه إلى غزة فقد اسـتقبل خـروج الجيـش الإسـرائيلي مـن القطـاع لدى الإسرائيليين كبركة لدى الجميـع.

وقد استقبل الإسرائيليون بحر الإعـلام الـذي بـدا فـي الميـدان، والخطـاب الهادئ الذي ألقاه عرفات، بتفـهم صـامت ..

لقد أثمرت الفكرة التي طرحها شمعون بـيرس عـام ١٩٩٢، وبـدت ثمارهـا ناضجة عام ١٩٩٤ واصبح عرفـات زعيمـا فـي مكانـه، وعليـه أن يبنـي مجتمعـا واقتصادا، وقد تعهد بزيادة المعايير الأمنية، إضافـة إلـى تعـهده بالتعـاون والتفـاوض مع جارته الجديدة - إسـرائيل.

الصلة الهاتفية مع أبو علاء تواصلت فـي أعقـاب مراسـيم التوقيـع. وكـان قد وقع على الاتفاقية الاقتصادية في باريس في التاسـع والعشـرين مـن نيسـان. وقـد أصبحت هذه الاتفاقية جزءا من اتفاقية غـزة واريحـا علـى أن يتـم إخضاعـه وفقـا للاتفاق بين عرفات ورابيـن- للقسـم الأمنـي مـن الاتفاقيـة، إذا مـا بـرزت هنـاك خلافات بين الجـانبين.

ومن الجدير بالذكر، أن هذا الوضع مـس مساسـا خطـيرا جـدا فيمـا بعـد، بالاقتصاد الفلسطيني إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفترات الطويلـة مـن الإغـلاق الـذي فرض على مناطق الحكم الذاتي، في أعقـاب العمليـات الإرهابيـة، التـي وقعـت فـي إسـرائيل.

وبعد عدة اشهر- وفي أوج المفاوضات توفي والد أبـــو عــلاء فـاتصلت بـه وعزيته، وكان آنذاك فـــي بـــاريس، وعرضـــت عليـــه أن يـــأتي لحضـــور الجنـــازة - رغم انه ســـيضطر للقدوم ســــرا - فقال لـــي: انـــه اختـــار أن يفـــي بـــإجراءات الحداد على والده في تونـــــس. فهو لم يكن يرغب في العـــودة إلـــى أبـــو ديـــــس طالما لم يتم توقيع الاتفاقية، وطالما لم يكن قـــادرا علـــى العـــودة، علنـــا، كعضـــو فـــي زعامة منظمة التحريـــر.

وفي منتصف شهر تمــوز، دق جـــرس الــهاتف، وكـــان أبـــو عـــلاء علـــى الطرف الآخر من الخط. وقال لي: "أنا اتصل بك من أبـــو ديـــس، لقـــد عـــادت العائلـــة كلها، أم علاء والأولاد إلى منزل والدي، ونحن نرغب باشـــراكم فـــي فرحتنـــا.

قلت له: أهلا وسهلا أبو علاء، نحـــن ســـعداء بعودتكـــم، هـــانحن فـــي نهايـــة المطاف قد أصبحنا جـــيران.

كان صوت الفرح باديا تماما في صوته، ولم اكن أتخيـــل طيلـــة حيـــاتي، بـــل وحتى سنة واحدة مضـــت- أننـــي سأســـعد إذا مـــا علمـــت أن أحـــد زعمـــاء منظمـــة التحرير سيسكن على بعد عدة كيلومترات مـــن بيتـــي.

حددنا فورا موعدا للاجتماع في تـــل أبيـــب لتنـــاول طعـــام الغـــداء، ودعونـــا لاريسون معنا، وقد تحدثنا ساعات طويلة، حول التعاون فيمـــا بيننـــا، وخصوصـــا فـــي الشئون الاقتصادية، ثم سرنا باتجاه يافا القديمة، فقال أبـــو عـــلاء: لا أكـــاد اصـــدق انـــه آن الأوان الذي نستطيع فيه الالتقاء في تل أبيب. ســـنحتاج وقتـــا طويـــلا حتـــى نتمكـــن من عمل ذلك، بيد انه كلي أمل، في حدوث ذلك. وهـــذا هـــو تفســـير الاتفـــاق بالنســـبة لي شخصيا. هناك الكثير من المشاكل التـــي لا زالـــت بانتظارنـــا علـــى الطريـــق، بيـــد أن هناك مسألة واضحة تماما، وهي أننا لن نتجه إلـــى الـــوراء أبـــدا".

الفصل السادس

أوسلو فتحت أبواب الشرق الأوسط أمام إسرائيل
إسرائيل انطلقت عبر أوسلو إلى الأردن

دخل عرفات وزملاؤه إلى غزة من اجل قيـادة شـعبهم، وهـو الامـر الـذي كان بمثابة سابقة في تاريخ الشعب الفلسطيني. وفـي البدايـة ارتكبـوا جميـع الأخطـاء والعثرات جراء الافتقـار إلـى التجربـة والخـبرة لـدى منظمـة التحريـر فـي إدارة المجتمع والاقتصـاد.

كانت إسرائيل قـد احتلـت غـزة قبل سـبع وعشـرين سـنة مـن أيـدي المصريين خلال حرب ١٩٦٧. وعندمـا حـان الأوان، كـي تغـادر إسـرائيل غـزة، تركت خلفها مستوطنين وتركت جنـودا إسـرائيليين لحمايتـهم، إضافـة إلـى التـأثير الاقتصادي، بيد أن غزة أصبحت الان فلسـطينية، بعـد مئـات السـنوات مـن الحكـم الأجنبـي: العثمـاني، والبريطـاني، والمصـري، الإسـرائيلي، اصبـح الفلسـطينيون أنفسهم مسئولين عن المنطقـة.

كانت غزة – فلسـطين، التـي سـلمت إلـى عرفـات بائسـة للغايـة، رغـم الإصلاحات النسبية التي دخلتـها، مقارنـة بوضعـها عندمـا احتلتـها إسـرائيل عـام ١٩٩٧.

كـانت المدينـة وضواحيـها مصابـة بعـدة أمـراض عضـال: الانفجـار السكاني، البطالة الرهيبة، انعدام البنيـة الاقتصاديـة. أضـف إلـى ذلـك، أن الوضـع الاقتصادي تدهور بصورة أسوأ، قبل قـدوم عرفـات بسـنة، بسـبب الإغـلاق الـذي كانت إسرائيل تفرضه بين الفينـة والأخـرى، علـى المنـاطق. وقـد أدى ذلـك، إلـى خفض الناتج الوطني الخام في غـزة، بنسـبة ٢٥% وازديـاد معـايير البطالـة بنسـبة ٥٠% كانت مخيمات اللاجئين تفيـض بشـرا، ونسـبة الزيـادة الطبيعيـة مـن أعلـى النسب في العالم. وإضافة إلـى كـل هـذه المشـاكل، كـانت غـزة والقـرى والمـدن

الأخرى في القطاع، تفتقر إلـــى شـبكات المجـاري، وشـبكات الكــهرباء، والطــرق، وحتى مياه الشــرب.

وقد أدت المقارنـة بيـن هـذا الوضـع المـزري والازدهـار الـذي تعيشـه إسرائيل، على بعد خطوات معدودة إلى زيـادة حـدة اليـأس فـي نفـوس المواطنيـن هناك. ولا شك أن هذا اليأس، كان الأرض الخصبة التـي نمـت فيـها حركتـا حمـاس والجهاد الإسلامي. وقد انضم إلى صفـوف هـاتين الحركتيـن عشـرات آلاف الشـبان الفلسطينيين الباحثين عن عالم افضـل فـي الإيمـان الأصولـي. وقـد فـهمت هاتـان الحركتان اتفاقية أوسلو، ككابوس تسـوية مهنيـة مـع عـدو ابـدي، وكتـهديد علـى الحركات الدينية والاجتماعية التي حاولت التمترس ضـد أي تـأثيرات خارجيـة.

استهل عرفات عمله كرئيس للسـلطة الفلسـطينية باسـتخدام نفـس الأسـاليب التي سبق أن خدمته في الماضي : محاولة تثبـت قوتـه عـبر انتـهاج أسـلوب "فـرق تسد". وكان أول الأهداف التي سعى إليها، تشكيل جـهاز شـرطة فـي غـزة واريحـا، من رجاله المخلصين، وبأعضـاء جيـش التحريـر الفلسـطيني، الذيـن وصلـوا مـن الخارج. وقد تم دمجهم مع مؤيديه المحليين، ونظمهم في عشـرة أجـهزة أمنيـة، منـها أجهزة لا لزوم لها أصـلا.

لقد عمل عرفات على إنشاء هـذه الشـبكة مـن الأجـهزة الأمنيـة، بصـورة رئيسية، كركيزة لسـلطته.

كان العالم- الذي واصل العمل علـى مـد يـد المسـاعدة للرئيـس- مطالبـا بتزويده بالتمويل من اجل تمكينه مـن إقامـة نظامـه، والمتمثـل فـي : قـوة شـرطة قوية، ونظام بيروقراطي مدني لتنفيذ الصلاحيات الجديـدة. ومـن الجديـر بـالذكر، أن قضية تخصيص مبالغ ماليـة لتوظيفـها فـي دفـع إحـدى الـدول نفقاتـها الشـاملة، تتعارض مع سياسـية المسـاعدات التـي تنتهجـها غالبيـة الدولـة المانحـة. بيـد أن القواعد والأسس آنفة الذكر، لم تتغير نظرا لان تلك الـدول، كـانت تعلـم، أن عرفـات يعمل على بناء أسس سلطته. فالسلطة الفلسطينية لم تكـن تمتلـك ولـو جـهازا لجبايـة الضرائـب.

اقترح بيرس – الذي كـــان يـــدرك حقيقـــة، ووضـــع الســـلطة الفلســـطينية – إنشاء صندوق دولي خـــاص باســـم وزيـــر الخارجيـــة الـــنرويجي هولســـت، علـــى أن تستغل أمواله للإنفاق على المناحي الخاصة بكلفة إنشـــاء الســـلطة الفلســـطينية. وتولـــى النرويجيون عملية إقامة الصندوق باســـم هولســـت، فـــي حيـــن عمـــل البنـــك الدولـــي كسكرتير للإشراف على المشروعات المختلفة، وصندوق النقـــد الدولـــي قـــدم التوجيـــه والرعاية النقديـــة.

أشـــرفت الولايـــات المتحـــدة علـــى كـــل هـــذه الجـــهود، ذات المؤسســـات المتعددة، مستعينة بالخدمـــات التـــي قدمـــها دنيـــس روس، وتونـــي فســـتندبخ الممثـــل الأميركي الديناميكي لمؤتمر الدول المانحة. والتي انضمت إلـــى طـــاقم الســـلام، الـــذي شكلته وزارة الخارجية الأميركيـــة.

وتعهدت الولايـــات المتحـــدة، أيضـــا، بمنـــح الفلســـطينيين خمســـمائة مليـــون دولار – أي اكثر من أي دولة أخرى مانحـــة –. بيـــد أن خيبـــة الأمـــل الكبـــيرة تبـــدت بأجلى معانيها في الدول العربية، والتـــي رفعـــت النضـــال الفلســـطيني إبـــان محاربـــة منظمة التحرير لإسرائيل، إلى مســـتوى المعجـــزة ودعمـــت الاخـــوة الفلســـطينيين فـــي أوقات الحرب، بيد انـــهم تجـــاهلوهم عندمـــا آن الأوان، كـــي يبنـــوا وطنـــهم القومـــي. وتحت وطأة ضغط الأميركيين أسهمت الســـعودية بمبلـــغ مائـــة مليـــون دولار ســـنويا، بيد أن الضغوط الأميركية لم تجـــد نفعـــا فـــي دفـــع دول الخليـــج الأخـــرى، لمـــد يـــد المساعدة لـــهم.

لم يستطع عرفـــات الصمـــود إزاء "كشـــوف الحســـاب" التـــي بـــدأت الـــدول المانحة تعرضها عليه، لان هذه المصطلحات كانت غريبـــة عليـــه تمامـــا، فقـــد تعـــامل مع التعويضات كأموال مستحقة لشعبه بصـــورة طبيعيـــة، بســـبب الظلـــم الـــذي وقـــع عليه طيلة تاريخه، وخصوصا تحت وطأة نـــير الاحتـــلال الإســـرائيلي.

اخذ الفلسطينيون، في هذه الآونة، يعملون علـــى تطويـــر مؤسســـات سياســـية قوية، وليست مؤسسات اقتصادية. وخـــلال مؤتمـــر الـــدول المانحـــة الـــذي عقـــد فـــي باريس خلال الفترة الواقعة بين ٧–٩ أيلـــول ١٩٩٤، طـــالب نبيـــل شـــعث بتخصيـــص

أموال المانحين للمؤسسات الفلسطينية في القدس، بيد أنني قلت للاريسون – رئيس المؤتمر – أن الوفد الإسرائيلي لن يدخل إلى المؤتمر، إذا لم يتراجع الفلسطينيون عن طلبهم انف الذكر، وفي أعقاب النقاش الطويل الذي أجريناه، وافق شعث على إزالة هذا المطلب، عن جدول أعمال المؤتمر، بيد أن عرفات طلب منه الا يفعل ذلك وبناءً عليه، قررت تخريب المؤتمر، فقد شعرت بالغضب الشديد لاستغلال الفلسطينيين للوسيلة التي ساعدناهم نحن، في الحصول عليها، من اجل مصلحتهم.

وهكذا، عدنا جميعا إلى منازلنا، بعد أن طلبنا من النرويجيين أن يستدعوا ممثلي الطرفين إلى أوسلو في الثالث عشر من أيلول من اجل إحياء الذكرى الأولى لتوقيع اتفاقية المبادئ، والعمل للعثور على حل للمشكلة. اتفق بيرس وعرفات، في أوسلو، على استبعاد جميع القضايا موضع الخلاف بينهما من قاعات مؤتمر الدول المانحة. وكي نؤكد ذلك، وقعنا معا على "بيان أوسلو" رسميا، وشاهدنا العرض الذي قدمته جوقات من الأولاد الإسرائيليين والفلسطينيين أمام النرويجيين المصفقين. وهنا، توجه عرفات إلى بيرس بمناداته "يابن عمي". وقد خرج بيرس بانطباع من هذا اللقاء، يفيد أن عرفات معني بتثبيت مكانته السياسية والذاتية، اكثر مما هو معني ببناء اقتصاد أو مؤسسات حيوية أخرى لمجتمع مدني.

لقد اتضح لنا، في غضون الأسابيع الأولى للحكم الذاتي الفلسطيني بغزة –وبصورة لا تقبل الجدل– أن عرفات لا يستغل قوته الجديدة من اجل نزع سلاح حماس ومنظمات المعارضة العنيفة الأخرى بصورة منهجية. وقد طالب رابين، خلال اللقاء الذي عقده مع عرفات، في العاشر من آب، بان تعزز السلطة الفلسطينية جهودها من اجل كبح هذه الجهات والمنظمات، وقال لعرفات بصوت مهدد: "هذا هو اختبارك".

وحال سماع عرفات لهذا المطلب، قال : أن عليه أولا أن يبني دعما فلسطينيا قويا له، قبل أن يشرع في مثل هذه الخطوة بكامل جهده وقد حرص

الكثير من مقربيه، على أن يوضحوا لنا، أن أساليب عرفات، تختلف عن أساليبنا في العمل.

وفي تعقيبه على هذا المطلب، قال لي حسن عصفور، حينما تقابلنا في غزة: "لقد حاربتم الإرهاب بالقوة، وفشلتم، بيد أن عرفات يستخدم استراتيجية مختلفة، وسينجح فيها، اعتمدوا عليه وادعموه، وسترون. إننا نجري حوارا مع حماس، والكثيرون من رجال حماس ينتقلون إلى جانبنا".

كان الجهاز الأمني، يمارس ضغوطا على عرفات لإرسال قواته من بيت إلى بيت لمصادرة أسلحة حماس، بيد أن قادة الجهاز كانوا يدركون أن هذه الحركة تحظى بتأييد شعبي واسع، وانه يتوجب علينا أن نمنح عرفات فرصة معالجتها بالدمج بين القوة والحوار.

وفي منتصف عام ١٩٩٤، قال لي: أن هناك اتفاقا آخذا في التبلور بين حماس وحركة فتح يتضمن حظر استخدام العنف، واعتراف الطرفين بصلاحية مركزية، يمكنها أن تمنح الشرعية للتعددية السياسية.

لقد أمل عرفات، في أن ينجح إنجازه الذي لم يسبق له مثيل في السيطرة على قطاع غزة، في جذب مؤيدي حماس نحوه. وكانت جميع الدلائل تشير إلى انه محق في اعتقاده.

ويقول لاريسون – الذي عين في حزيران ١٩٩٤ نائب سكرتير الأمم المتحدة لتنسيق المساعدات للفلسطينيين. كما عينت زوجته مونه، نائبا للسفير النرويجي في إسرائيل – إن اكبر تغيير طرأ على مدينة غزة، تمثل في حياة الليل على شاطئ البحر. ففي أعقاب كل ذلك الأمن الطويل من حظر التجول الليلي، تمكن السكان من السهر ليلا أو نهارا، على شاطئ البحر، والاستفادة من شبكة الفنادق التي أقيمت هناك.

وبدأت أيضا تختفي الأغطية عن رؤوس النساء، وقصرت الفساتين من الجزء الأسفل، وهو الامر الذي استقبله لاريسون بالترحاب، معتبرا إياه اتجاها نحو التطبيع مع الغرب.

بيد أن حركة حماس، خشيت من أن تـــؤدي هـــذه البـــادرة الصغـــيرة، باتجـــاه إسرائيل والغرب، إلى جانب تعـــاون ياســـر عرفـــات مـــع إســـرائيل والغـــرب – إلـــى تصفية حركة حمـــاس.

وهكذا، وبينمـــا الســـلطة الفلســـطينية تجـــري مفاوضاتـــها، اســـتكمل رجـــال حماس – وبتشجيع من جهات مختلفة فـــي إيـــران وســـورية والأردن، نشـــاطاتهم فـــي مخيمات اللاجئين واعدت العدة للشروع بعمليات إرهابيـــة، مـــن اجـــل "كشـــف أخطـــار السلام المزيـــف".

قتل المسلحون الفلســـطينيون فـــي غضـــون الأشـــهر الســـتة الأولـــى لتولـــي السلطة الفلسطينية شئون غزة، خمسة عشـــر إســـرائيليا – ثمانيـــة منـــهم بـــالقرب مـــن غزة وقد جاء رد رابين شديدا جـــدا.

لقد حرص رابين حقا على التفريق بيـــن حمـــاس وفتـــح، واوضـــح للجمـــاهير الإسرائيلية، إن حركة فتح تعمل ضد الإرهاب، الا انـــه اعلـــم عرفـــات، بـــان عليـــه أن يعزز جهوده الخاصة بالقضاء على المتطرفين الأصوليـــين وقمعـــهم. وكـــي يزيـــل أي شكوك عن مدى الخطـــورة التـــي ينظـــر بـــها إلـــى هـــذه العمليـــات، اغلـــق الضفـــة والقطاع، في تشرين الأول ١٩٩٤، وقطعهما نـــهائيا عـــن إســـرائيل. وقـــال: إذا كـــانت السلطة الفلسطينية لا تستطيع منـــع الإرهـــاب، وطالمـــا كـــان الجيـــش الإســـرائيلي لا يستطيع العمل في المناطق الواقعة تحـــت ســـيطرة الســـلطة الفلســـطينية، فـــلا منـــاص من منع الفلسطينيين من دخول إسرائيل أو العمـــل فيـــها.

الخطأ يجر الخطأ. لقد فشـــل عرفـــات منـــذ البدايـــة فـــي تجذيـــر صلاحياتـــه بشكل كامل، ولم ينجح في قمع القوى التي تميل إلى اســـتخدام العنـــف، ثـــم قمنـــا نحـــن بسياسة الإغلاق ليس بمعاقبـــة المســـلحين والقـــوى العنيفـــة، بـــل عاقبنـــا الفلســـطينيين كلهم. وقد تعاملت الجماهير الإسرائيلية مـــع الإغـــلاق كحـــاجز فـــي وجـــه الإرهـــاب، في حين لم يكن الجهاز الأمني يعتبر الإغلاق وسيلة فعالـــة لـــهذا الغـــرض. بـــل ربمـــا كان الامر على العكس تماما، فالإغلاق طويل الأمـــد كـــان يســـهم فـــي تعزيـــز قـــوى الإرهاب، ليس فقط لانه أتاح لـــها الفرصـــة لوصـــف اتفاقيـــة غـــزة واريحـــا كاتفاقيـــة

لاستمرارية الاحتلال بأساليب أخرى. بل لانـه كلمـا تدنـت مسـتويات الحيـاة، كلمـا ازداد الدعم والتأييد للتطرف والعنف وازدهر فـي أوسـاط الفلسـطينيين.

وفي خريف عام ١٩٩٤، تلقـت مسـيرة السـلام ضربـات موجعـة للغايـة. مما جعل جهات فلسطينية وإسرائيلية تتسـاءل: "هـل هـذا هـو السـلام". وبـدأ كـل جانب يكيل التهم للآخر، واخذ الوضع يتدهـور مـن الوعـود والآمـال الكبـيرة إلـى الصعوبات الاقتصادية، إلى العنـف والإرهـاب، والتصريحـات المعاديـة حتـى آلـت في نهاية المطاف، إلى طريق سياسـي مسـدود.

ويتذكر الكثـيرون، يـوم الرابـع عشـر مـن تشـرين الأول ١٩٩٤، كيـوم التعارضات الحادة بين الوعود التـي حملـها إعـلان المبـادئ التـاريخي، وبيـن الآلام المرتبطة بتحويله إلى واقـع. فقبـل خمسـة أيـام تـم اختطـاف الجنـدي الإسـرائيلي (نحشون فاكسمان) من قلب إسـرائيل، وكـادت الدولـة كلـها توقـف أنفاسـها عندمـا شرع الجيش بالبحث عنه وأجرى رابين اتصالات مكثفة جـدا مـع عرفـات، بوسـاطة الدكتور احمد الطيبي، حول هذه القضية بـل وجـرى الحديـث عـن إمكانيـة إطـلاق سراح الشيخ احمد ياسين، زعيـم حركـة حمـاس مـن المعتقـل الإسـرائيلي، مقـابل إطلاق سراح فاكسـمان.

وفيما كان أعضاء كنيست عرب يقومـون بأعمـال الوسـاطة بيـن عرفـات والحركات الإسلامية، اتضح للجيـش الإسـرائيلي، أن فاكسـمان ليـس محتجـزا فـي غزة – مثلما اعتقد اسحق رابين في البداية- بل في (بـير نبـال) القريبـة مـن رام الله والواقعة تحت السيطرة الإسـرائيلية.

وإضافة إلى الاتصالات المكثفة مع عرفات في غـزة، بـدأ رابيـن ومسـئولو قوات الأمن بدراسة إمكانية القيـام بعمليـة إنقـاذ سـريعة لفاكسـمان، واعلـم رابيـن بيرس بما يحدث، بيد أن جميع هـذه الاتصـالات دارت مـن وراء الكواليـس. وبعـد أسبوع من انتظار تطورات جديدة، ساد إسـرائيل توتـر لا يطـاق.

وشاءت المفاوضات، أن تعلن لجنة جائزة نوبـل للسـلام، فـي الرابـع عشـر من تشرين الأول – أي في نفس الفترة- عن قرارهـا منـح الجـائزة لرابيـن وبـيرس

وعرفات. ولم يعرف بيرس بهذا القرار، الا قبل ساعة واحدة من إعلانه، لقد كنت طيلة النهار معه، وحينما علم بالقرار بدا أن تقاطيع وجهه لم تتغير، بيد أنني تعلمت خلال سني العمل مع هذا الرجل، الذي لا يترك لمشاعره فرصة للإفصاح عن نفسها، أن المح بما يشعر به. وقد أدركت أن القرار اثر فيه إلى ابعد الحدود.

تواصلت الجهود الرامية لتحرير فاكسمان طيلة ساعات ما بعد الظهر. وعندما بدا فشل فرص نجاح أعمال الوساطة، قرر رابين القيام بعملية إنقاذ عسكرية لفاكسمان.

في ساعات المساء المبكرة، اتصل بي رئيس شعبة العمليات في وزارة الخارجية (رون بروشاور) وقال لي: "قتل فاكسمان إبان محاولة قوة إسرائيلية اقتحام المنزل الذي كان محتجزا فيه، كما قتل ضابط إسرائيلي يدعى "نير بوراز".

باتت الدولة كلها، تلك الليلة، تحت وطأة الصدمة، لقد نجح إرهاب حماس في تحقيق هدفه، ولا شك أن المناظر التي تبدت حينما تم إعلام عائلة فاكسمان بمقتله، ونداءات الغضب التي أطلقت في أعقاب ذلك، تغلبت على إدراك حقيقة أن المسيرة السلمية جاءت لتخليص الأجيال القادمة من حالات الرعب والموت، التي كنا نشهدها انذاك.

كانت تلك الليلة، بمثابة ليلة اختبار لزعامة رابين. وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده، بدا عابسا، مقطب الجبين، وشرح بشجاعة بالغة، الجهود التي بذلت من اجل إنقاذ فاكسمان، وأكد انه يفرق بين (القتلة) من رجال حماس، وبين شركائه الفلسطينيين، في محاربة الإرهاب.

وفي صبيحة اليوم التالي، قلت لبيرس: إذا ما وصفنا الإرهاب بأنه المشكلة الرئيسية التي نواجهها، فسوف نسهم في تعزيز قوة القتلة ومعارضي السلام من الداخل والخارج، لانهم سيدركون مدى حجم القوة الهائلة الموجودة بين أيديهم لمحاربة المسيرة السلمية. لذا، علينا أن نحاربهم، في نفس الوقت الذي يجب أن نكون اكثر برودا من (البريطانيين)، وان نعض على نواجذنا، ونقول

للجماهير الحقيقة البسيطة: "الإرهاب سيتواصل حتى ننجز السلام الكامل، ولا يجب، بأي حال من الأحوال، أن نخضع أو نستكين له".

ورغم أن بيرس وافق على ما قلته، الا انه بدا متشككا بالصورة التي اقترحتها عليه، وهو يرى المنافسة والتحدي القائمين بين الخوف والأمل.

كان بيرس محقا في اعتقاده فبعد خمسة أيام من إطلاق أعضاء حماس النار على فاكسمان، قام انتحاري بتفجير نفسه في الحافلة (رقم -٥) إبان سيرها في شارع ديزنجوف في تل أبيب، مما أسفر عن مقتل واحد وعشرين شخصا.

هز الإرهاب إسرائيل، وافقدها صوابها، وانطلقت جماهير المعارضة في مظاهرات صاخبة ضد سياسة (أوسلو) واتهمت الحكومة علنا بالإسهام في مقتل الإسرائيليين.

وفي المظاهرة التي نظمت في الثاني والعشرين من تشرين الثاني - والتي شارك فيها بنيامين نتنياهو ورفائيل ايتان وزبولون هامر، أطلقت شعارات مثل : "هذا السلام يقتلنا" ، "رابين قاتل".

ورغم هذه المظاهرات والنداءات، فان ياسر عرفات لم ينجح في إدراك عمق الخطر الناجم عن الإرهاب، ولم يجند جميع الوسائل التي يمتلكها كي يبدو كشريك حقيقي في وقف أعمال العنف ضدنا. لقد اخذ تخطيطه الاستراتيجي بعين الاعتبار وضع المجتمع الفلسطيني، وقام على أساس الافتراض القائل: أن بالإمكان هزيمة الأصولية، بعمل تدريجي اقل عدوانية، انه لم ير التعارض القائم بين هذه الاستراتيجية وبين التزامه بالعمل مع إسرائيل.

وهكذا، شاءت الأقدار أن تتحمل المسيرة السلمية مصاعب جمة، ورغم ذلك بدا واضحا إن المسيرة ستواصل انطلاقتها إلى الأمام استنادا إلى الإصرار وتفهم إمكانية القضاء على الإرهاب، عبر الحل السياسي بصورة أساسية، إلى جانب النشاطات الشديدة، على ارض الواقع، والضغط على عرفات لدفعه للعمل بصورة اكثر حزما وحدة.

واجه النصف الثاني من عام ١٩٩٤ مفارقة أخرى كان المسار الفلسطيني الإسرائيلي في أمس الحاجة حقا إلى تعديل، بيد أن إسرائيل كانت قد بدأت تتمتع بثمار السلام التي نمت بصورة مباشرة على أغصان الانفراج الحادث مع الفلسطينيين. لقد بدأت اتفاقيات أوسلو تفضي إلى التطورات الإقليمية التي أملنا فيها. ففي تشرين الأول والثاني، فتحت أبواب أمامنا في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

ففي أعقاب شهور طويلة من التفاوض السري مع المملكة الهاشمية – والتي اشرف عليها بصورة أساسية، مساعدو رابين إليكيم روبنشتاين ورجل الموساد افرايم هليفي وايتان هابر– وقعت إسرائيل والأردن في الرابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٩٤ على اتفاقية سلام رسمية بينهما.

لعبت الولايات المتحدة دورا مهما في ضمان هذا السلام، وتحقيقه. وقد تمكن رابين وبيرس من إقناع الرئيس الأميركي بمحو ديون أردنية لأميركا بقيمة ستة مليارات دولار، والتعاون مع الدولتين في مجال إنشاء مشاريع اقتصادية مشتركة. ترأست أنا وروبنشتاين الوفد الإسرائيلي للمحادثات الثلاثية التي بادر إلى طرحها بيرس، والتي أسفرت عن مخططات ومشروعات واعدة بشكل خاص لغور الأردن على جانبي النهر. وهكذا، حظي الأردن بخطوط حدودية ثانية، بعد أن حظي بخطوط حدودية أولى مع مصر وتعهدنا للأردن، بحل مشكلة المياه التي يواجهها. ورغم استياء الفلسطينيين الكبير، فقد حظي الأردن بمكانة خاصة في الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس. وتطورت علاقات وطيدة بين رئيس الحكومة رابين والملك الحسين والتي انبثقت من خلال التفاهم الشخصي، والتطلعات الاستراتيجية المشتركة بشأن ضرورة ضمان استقرار النظام الهاشمي– والتعاون عند اللزوم ضد التهديدات الخارجية–.

ضمن السلام مع الأردن، السلام، دون مشكلة (التدريج)، فقد ولد مباشرة من قلبي زعيمي الدولتين، واللذين أعربا عن ذلك بصورة دائمة وواسعة.

كان الحسين، الزعيم العربي الذي احب الإسرائيليون أن يحبوه، فهو سيد دولة منظمة تميل إلى الغرب، وبالإمكان الوصول إليها، أضف إلى ذلك أن إسرائيل التي كانت تتوق إلى القفز من العداء إلى المحبة، عثرت في الأردن على الشريك النموذجي. ولا شك أن مراسيم التوقيع على الاتفاقية في السابع والعشرين من تشرين الأول ١٩٩٤، في المعبر الحدودي الجديد بين العقبة وايلات، ابرز هذه المشاعر. فالجنرالات الذين قاتل، أحدهم ضد الآخر، تصافحوا، وتبادلوا الهدايا. وقدم الرئيس كلينتون، ووزير الخارجية الروسي كوزيريف للمشاركة في المراسيم، بل إن أوساط اليمين الإسرائيلي تبنت الاتفاقية مع الأردن بحماس، تلك الاتفاقية التي لم تكن تهدد أهدافهم الأيدلوجية الإقليمية.

أثنى رابين والحسين أحدهما على الآخر، بمحبة متبادلة وحقيقية. وتحدث الحسين بحرارة عن السلام الصادق، وليس الاتفاق القائم فقط كحبر على ورق. ولم توجه الدعوة إلى عرفات للمشاركة في هذه المراسيم، بسبب تحفظ الحسين منه، ذلك التحفظ الذي لم يكن في تلك الأيام غريبا أيضا على رابين، على الرغم من انه كان واضحا، أن السلام مع الأردن، ما كان لينجز لولا انفراج أوسلو، ولولا هذا الانفراج أيضا، ما انفتحت أمام إسرائيل قنوات أخرى إلى العالم العربي.

وفي الثاني من تشرين الثاني ١٩٩٤- أي بعد سنة من طرح شمعون بيرس فكرة المؤتمر الدولي الاقتصادي، وقع حدث تاريخي آخر في كازبلانكا. فقد تدافع زعماء العالم، وبصحبتهم الالاف من رجال الأعمال من جميع أنحاء العالم نحو المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ولأول مرة، منذ قيام إسرائيل، اصبح بمقدور إسرائيليين وعرب، الاجتماع في حدث دولي مفتوح ومناقشة صفقات تجارية، بل والاتفاق على صفقات أولية. لقد انهارت جدران الكراهية، وأصبحت المقاطعة العربية مجرد تاريخ قديم.

وفي الخيمة الخاصة التي وضعها الملك الحسن الثاني ملك المغرب، تحت تصرفنا، اجتمع شمعون بيرس مع زعماء ووزراء خارجية خمس عشرة

دولة عربية، وامتزجت الكوفيات والجلابيات والأزياء والملابس والبذلات في منظر سريالي، نظرا لإغراق إسرائيل في إطار، بدا حتى ذلك الحين، انه عربي خالص.

وفي أعقاب استقبال الملك الحسن لنا، بدأنا بيرس وأنا حوارا مع ياسر عرفات، تحت أسماع وأبصار الكثيرين المندهشين، كانت الصورة مذهلة حقا، لقد أتاح التعاون الإسرائيلي الفلسطيني، إمكانية مزاوجات جديدة في المنطقة.

وفي الوقت الذي جلس فيه الزعماء واصغوا إلى عدة خطابات قصيرة، جلست أنا في الصف الثاني مع دنيس روس. وفي حقيقة الامر، فان مؤتمر كازابلانكا جذب قوى كبيرة وقوية على الصعيد الاقتصادي في المنطقة، بدءا بالإصلاحات على صعيد الاقتصاد العربي، ونمو نخبة اقتصادية جديدة ومثقفة، وتعاون بين رجال أعمال إسرائيليين وعرب، والعمل على إنشاء مؤسسات إقليمية، وانتهاء بإنشاء بنك تطوير إقليمي.

لقد عملت بالتنسيق مع شخصيات فلسطينية – أبو علاء – ومصرية وأردنية، من اجل إقامة مؤسسة إقليمية كهذه.

وبعد بضعة أسابيع، من مؤتمر كازابلانكا مثلنا –نحن ممثلي الأطراف الأربعة– أمام مسئولي وزارتي المالية والخارجية، الأميركيتين –كوفد شرق أوسطي، وطالبنا باسم المنطقة، بإنشاء جهاز مالي لتمويل المشروعات. وبعد أن تمكن بيرس من إقناع الرئيس كلينتون بمدى أهمية البنك الإقليمي، بدأت مراسيم إنشائه. وانطلق الشرق الأوسط الجديد في طريقه.

اقتصرت مشاركة رابين في المؤتمر على عدة ساعات فقط. وقد تطرقت كلمته –تماما ككلمة عرفات– إلى قضية القدس. وقبل عودتنا، عقد اجتماع بين رابين وبيرس وأعضاء وفدنا المفاوض، وبين عرفات ووفده المفاوض في إحدى الفيلل الفاخرة في كازابلانكا. وقد استهل رابين الحديث بلهجة شديدة قائلا: "سيدي الرئيس: يجب علينا مواصلة محاربة الإرهاب، لانه لا

توجد قضايا ذات أبعاد وانعكاسات اخطر من الأبعاد التي يمكن للإرهاب أن يعكسها على الطرفين".

وقد رد عرفات على ذلك قائلا: "نعم، علينا أن نحارب المتعصبين الذين يملكون كما هائلا من المال، لكن وبدلا من أن تعاقبوهم، فإنكم تعاقبوننا بصورة غير مباشرة. ففي غزة يوزعون منشورا ضد كلينتون، بيد ان مصدر هذا المنشور هو دمشق. أرجوك كفوا عن العقوبات الجماعية. أنا أدرك انه لم يكن من السهل عليك أن تعلن في أعقاب المأساة التي وقعت في تل أبيب التزامك بالمسيرة السلمية. وأنا أشكرك على ذلك، بيد أنني اعتقد أن إطلاق سراح الشيخ ياسين سيكون مجديا، فهو سيؤثر على المتطرفين، أنا اعرفه، وسيدعو لوضع حد لأعمال العنف".

فقال رابين: "لقد فحصنا هذه النقطة، وهو ليس على استعداد لعمل ذلك. وعلى أية حال، فان من الحيوي أن تواصل أنت محاربة الإرهاب، هذا هو أهم نضال، إن الرأي العام الإسرائيلي تأثر، وهناك نداءات في إسرائيل لقتلي".

عرفات : "وأيضا أنا، في الرأي العام الفلسطيني".

رابين : "إذا كان الامرعلى هذا النحو، فنحن في نفس القارب".

لقد كان هذا اللقاء، هو الوحيد الذي حضرته لرابين، وسمعته يتطرق فيه ليس فقط إلى مشاعر الجماهير الإسرائيلية الغاضبة، بل أيضا إلى الدعوة لقتله. لقد قال ذلك بالضبط قبل سنة ويومين من قيام شاب متعصب بإخراج هذه النداءات إلى حيز التنفيذ.

وتواصلت موجة الإرهاب، ووقعت عمليتان في تشرين الثاني بالقرب من المستوطنات في قطاع غزة، مما أسفر عن مقتل عشرة إسرائيليين منهم سبعة جنود.

وجد رابين وبيرس نفسيهما أمام مأزق، فهما لم يكونا ليشكا للحظة في مصداقية طريقهما أو إيمانهما بان المسيرة السلمية ستعزز، على المدى البعيد، أمننا الوطني: كما انهما كانا يعتقدان اعتقادا جازما، بان إيقافهما لمسيرة أوسلو،

سيؤدي إلى تعزيز قوة حركة حماس، وسيقوض جميع المزايا التي كسبتهما إسرائيل من الاتفاقية. هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى، فقد بدأت شكوك الجماهير الإسرائيلية- وليست فقط أوساط اليمين- تتزايد تجاه قدرة عرفات، بل ومدى رغبته في السيطرة على (المخربين)، وهكذا بدا هامش المناورة يتضاءل.

وعلى أرضية هذا الوضع، طرح بيرس فكرة جديدة. فقد اقترح على عرفات خلال لقائهما في غزة، في الثامن والعشرين من تشرين الثاني تغيير جدول العمل المحدد في إعلان المبادئ بحيث تجري الانتخابات للسلطة الفلسطينية، قبل إعادة الانتشار الإسرائيلي في الضفة الغربية مع الحرص على تقليص تواجد الجيش الإسرائيلي – يوم إجراء الانتخابات- إلى حد كبير جدا، في المناطق الفلسطينية، وقال بيرس: في أعقاب الانتخابات ستقوم إسرائيل بتوسيع الحكم الذاتي تدريجيا، وستبدأ من جنين. وقد تحدث بيرس مع عرفات عن خطته تلك، على أن لا يتم الإفصاح عنها ونشرها. ولم يرفض عرفات الفكرة بل طلب منحه مهلة زمنية للتفكير والتشاور مع مقربيه.

أمل بيرس في قبول عرفات للفكرة في نهاية المطاف، نظرا لان الانتخابات كانت ذات أهمية كبيرة جدا، لدى عرفات، كوسيلة لاضفاء الشرعية على حكمه.

اعترضت على هذا التوجه، وقلت لبيرس لا اعتقد أن هناك أي فرصة لموافقة عرفات على إحداث أي تغيير في اتفاقية إعلان المبادئ، أضف إلى ذلك، انه لا يستطيع إجراء الانتخابات في ظل الاحتلال. وأضفت : لقد أتيحت لنا الفرصة، في نهاية المطاف، للتخلص من السيطرة على شعب آخر. وطالما لم يتم وضع حد للاحتلال، فسوف تكون هزيمة الإرهاب مستحيلة. فالإرهاب سينهار إذا ما دمرت القاعدة الشعبية التي يتغذى منها. ولا شك أن هذه العملية طويلة بيد انه لا بديل لها.

ومن الجدير بالذكر، أن أعمال العنف الأصولية لم تكن نتاجا لسيطرتنا على المناطق فقط، بل كانت أيضا نتاجا للصراع العنيف الدائر بين المنظمات

الأصولية، وبينها وبين عرفات، ولا شك أن الإرهاب حظي بتأييد واسع في أوساط الجماهير الفلسطينية نظرا لان تلك الجماهير كانت مسلوبة الحرية.

وافق بيرس على الأهداف التي أشرت إليها، بيد انه لم يكن مقتنعا بإمكانية إنجازها. إزاء التأثير الكبير للعمليات الإرهابية على الرأي العام في إسرائيل.

طلبت من بيرس بان يسمح لي بمواصلة الحوار مع الفلسطينيين، حول اتفاقية التسوية المرحلية، شريطة أن يعملوا معنا لتعزيز حربهم ضد الإرهاب. وبعد نقاش مطول، قرر رابين وبيرس دراسة هذه الإمكانية مع الفلسطينيين والشروع بمحادثات التسوية المرحلية.

شارك في هذه المحادثات التي عقدت في القاهرة عوزي ديان – والعميد جادي زوهر رئيس الإدارة المدنية في الضفة الغربية، ويوآل زينجر، وأنا. وقد طلب منا رابين أن نعمل أولا على تحديد القضايا بالتعاون مع الفلسطينيين، وكان علينا أن نطالب بمواصلة السلطة الفلسطينية العمل بحزم ضد الإرهاب. وعندما جمعنا أوراقنا استعدادا للتوجه إلى المطار، سأل عوزي ديان :"من الذي يترأس الوفد؟؟" فأجاب رابين :"اوري سبير".

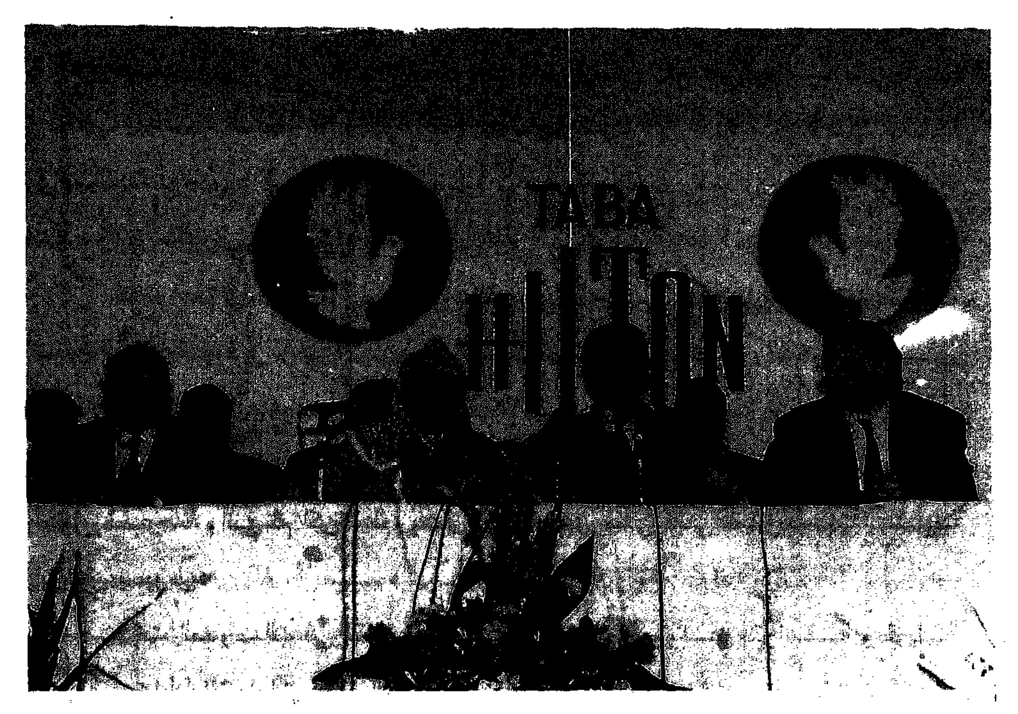
كنت اعلم أن بيرس أوصى بان يتم تعييني رئيسا لوفد مفاوضات التسوية المرحلية، بيد أن رابين تردد في ذلك. وقد اخبرني امنون شاحك– الذي كان انذاك قد حل محل أهود براك، في رئاسة الأركان انه أيضا أوصى بتعييني رئيسا للوفد، وأكد أهمية تعيين مدني رئيسا، بيد أنني لم اكن اعرف ذلك، لذا فوجئنا، خصوصا وأنني لم اكن اعلم، بمدى ثقة رابين بي في المفاوضات، بسبب قربي من بيرس.

كانت المفاوضات في القاهرة مع نبيل شعث ووفده متواصلة وطويلة ومضنية، وتبادلنا الاتهامات حول الجهة المسئولة عن الإرهاب.

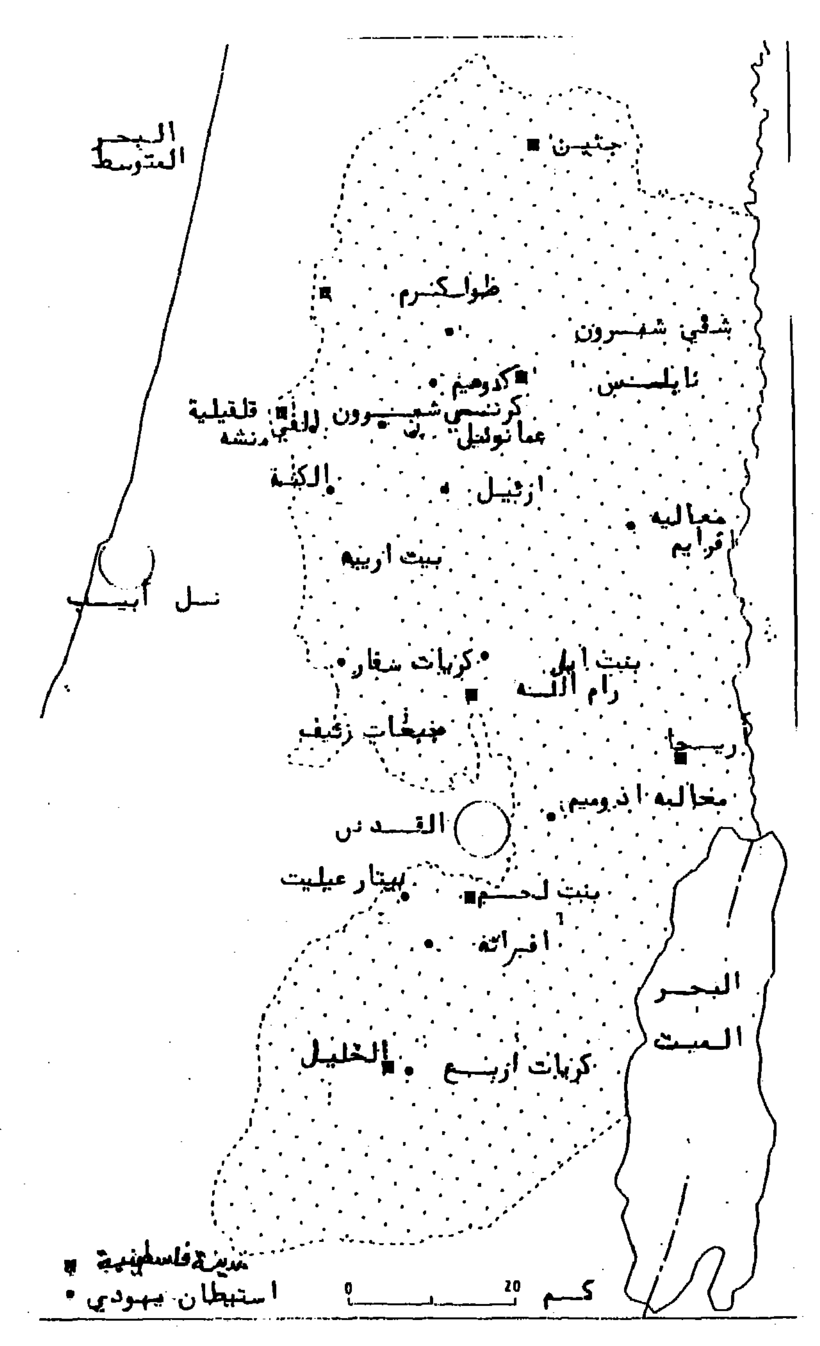
وحال عودتنا من القاهرة، إنضممت إلى الحاشية المصاحبة لبيرس، التي توجهت لحضور حفل تسليمه ورابين وعرفات جائزة نوبل للسلام، في أوسلو.

وعندما اجتمع الوفدان في أوسلو، إثر تسلم الجوائز لإجراء مفاوضات بحضور المضيفين النرويجيين، ألقى رابين محاضرة على عرفات بشأن الإرهاب، وعرض عليه أحد احتمالين : "لا اعتزم تغيير التزامي الخاص باتفاقية المبادئ. ونحن على استعداد – إذا رغبتم في ذلك– لإجراء مفاوضات حول جميع مركبات الخارطة الأمنية في الضفة الغربية في أعقاب الانتشار الإسرائيلي، وتنفيذها فيما بعد. بيد أنني أخشى أن مثل هذا الاجراء، سيتطلب زمنا طويلا جدا، هذا في الوقت الذي يواصل فيه معارضو السلام، تنفيذ أعمال عنف".

أما الاحتمال الثاني، فيتمثل في التقدم تدريجيا، مثلما عرض عليك بيرس، أي أن تجري الانتخابات للسلطة الفلسطينية، وتترك للمجلس المنتخب إمكانية إجراء المفاوضات حول إعادة الانتشار".



٧- التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية التسوية المرحلية في طابا ١٩٩٥/٩/٢٣.



الخارطة الثالثة - الضفة الغربية

لم يتح بيرس ورابين الفرصة لعرفات للتفكير وحاول الاثنان إقناعه بجدوى الخيار الثاني. وفي النهاية، قال عرفات انه سيفكر في القضية ، واقترح أن نواصل التفاوض.

عمل النرويجيون الذين شاركوا في الحوار إلى دفع الطرفين إلى عدم الانشغال فقط بالمشاكل، بل العمل على دفع المسيرة إلى الأمام.

وحال عودتنا من أوسلو، عرفت انه قد ألقيت على عاتقي مهمة جسيمة، ومنحت فرصة كبيرة للمساعدة في تجسيد السياسة التي كنت أؤمن بها. لقد كنت أؤمن بان حل النزاع يكمن في تخلينا عن السيطرة على الفلسطينيين. وإن بالإمكان التغلب على الإرهاب وأخطار الحرب عبر المشاركة في ائتلاف إقليمي يتناسب مع احتياجات الأمن الإسرائيلية، الناجمة عن الخطر الحقيقي الكامن في الأصولية. وكان مفتاح كل ذلك، حسب اعتقادي، يكمن في احترام الطرفين لاتفاقيات أوسلو.

بيد أنني لم اكن لأجد في تلك الأونة شريكا لي في إيماني بإمكانية إجراء مفاوضات وتجسيد اتفاقية التسوية المرحلية في الضفة الغربية. فيوسي بيلين مثلا، كان يعتقد أن هذه التوقعات لم يعد لها وجود. على ارض الواقع، لذا، فان من الأفضل لنا أن نواصل المفاوضات مباشرة، باتجاه التسوية الدائمة وكان يجري هو هيرشفيلد وفوندك محادثات سرية حول ذلك، مع أبو مازن ووفد مرافق له في ستوكهولم. ورغم انه تم إحراز تقدم مثير الا أن هذا التقدم لم يصل إلى مرحلة الاتفاق.

وعندما اعلم بيلين بيرس بتلك المفاوضات طلب منه بيرس أن يوقفها فورا، واعلم عرفات بان المحادثات لم تجر تلبية لرغبته.

وإزاء الهوة الواسعة جدا والقائمة في مواقف الطرفين، لم اصدق أنا وبيرس احتمالات وجود طرق قصيرة ولا شك أن عمليات جس النبض، ستمكن الفلسطينيين من دراسة مدى المرونة الإسرائيلية، وكان الفلسطينيون سيعمدون إلى

فرض جمود سياسي دائم، دون أن يكون هناك مقابل عميق ومرغوب في الضفة الغربية.

شرعت وسائل الإعلام في تلك الآونة برثاء اتفاقيات أوسلو، والاستعداد لتشييع جثمانها، واعتقد الكثير من الفلسطينيين أنها كانت بمثابة خطأ جسيم ومأساوي. وان إسرائيل لن تتقدم بعد ذلك إلى الأمام أبدا، لانها حققت مبتغاها، ودفعت بعرفات إلى ما كانوا يسمونه "معتقل غزة".

كان أبو علاء يشاطرني الرأي في أن التمسك بقوة بالاتفاقيات، هو وحده الكفيل بإتاحة الفرصة للطرفين للازدهار من جديد. وحال عودتنا من مراسيم تسلم جائزة نوبل، اجتمعت به في فندق الملك داوود بالقدس للتحاور. وقد استهل حديثه بالقول :"أوري، يجب علينا العمل بغية إنقاذ المسيرة وجل ما أخشاه هو أن ينجح أعداء السلام في تحقيق أهدافهم، واشعر بالقلق الشديد جراء احتمال انهيار الشراكة بين شعبينا، والتي هي مفتاح النجاح. لقد كان مؤتمر كازابلانكا حدثا تاريخيا، بيد انه ما كان ليعقد لولا اتفاقيات أوسلو".

ثم قال لي: في أعقاب لقائي بعرفات في تونس ونحن في طريق العودة من أوسلو، اقترح أبو مازن أن أدير أنا المفاوضات في المستقبل.

واضاف: عرفات يشك في أنكم لا ترغبون في استئناف المسيرة السلمية، ونخشى من أن تتجول "غزة أولا"، إلى غزة أولا وأخيرا. واسمح لي أن أقول لك: إن فكرة بيرس واقتراح رابين القائل بان يختار عرفات بين التجسيد الكامل الذي يحتاج إلى وقت أو خوض الانتخابات فورا، تعزز هذه الشكوك لديه".

وتحدث أبو علاء عن ضرورة استخلاص العبر المناسبة من الخبرة التي تم اكتسابها في غزة، وحول بذل جهد فعال واكثر منهجية ضد الإرهاب، كمصلحة فلسطينية وليس كخدمة نؤديها من اجل إسرائيل.

وأكد ضرورة الحفاظ على التقدم، وتوفير الأمل لشعبه في مستقبل اقتصادي وسياسي افضل. ثم طرح نظرية جديدة، لبلورة اتفاقية التسوية المرحلية، حيث تحدث عن إنشاء ثلاث مناطق أمنية في الضفة الغربية : الأولى

تحت السيطرة الفلسطينية والثاني تحت السيطرة الإسرائيلية، والثالثة يديرها الطرفان بالتعاون.

واضاف أبو علاء: "إسرائيل ستعد خارطتها الأمنية وفقا لاحتياجاتها، ومع التمسك الكامل بإعلان المبادئ، وعلى أن يتم تجسيد هذه الخارطة على مراحل داخل المناطق الثلاث آنفة الذكر وعبد الرزاق اليحيى يؤيد هذا الفهم، وقد ناقشه مع عرفات".

اقترح أبو علاء، أن نعود لفتح مسار سري لمناقشة القضايا شديدة الحساسية، وبصورة خاصة القضايا ذات العلاقة بالأمن، لا يمكننا أن نجري مفاوضات، وكأنها مؤتمر صحفي.



٨- رؤساء اللجنة الثلاثية الإسرائيلية الأمريكية الفلسطينية، من اليسار الى اليمين : أوري سبير، دنيس روس، أبو علاء خلال لقاء في فندق (لاروم) في القدس.

مسار سري جديد

أبو عمار مع متطلبات إسرائيل الأمنية مقابل إعادة انتشار تدريجية

وعدت أبو عــــلاء أن اعــرض اقتراحاتــه علـــى المســئولين عنـــي وان أرد عليه بشأن قضية فتح مسار سري جديـــد. وعندمـــا أعلمـــت بـــيرس بفحـــوى مـــا دار بيني وبين أبو علاء، وافق على إحياء مسار على غـــرار مســـار أوســـلو، إلـــى جـــانب المحادثـــات العلنيـــة فـــي القـــاهرة، بيـــن يـــوآل زينجـــر وصـــائب عريقـــات، بشـــأن الانتخابات الفلســـطينية.

وقام بيرس بمناقشة هذه القضيـــة مـــع رابيـــن والـــذي أعـــرب عـــن تـــأييده، واقترح على بيرس أن يستغل مقابلته القادمة مع عرفـــات، للاتفـــاق معـــه علـــى مســـار ســـري.

قام لاريسون – الذي كان يتمتع بثقة الطرفيـــن بـــالإعداد للقـــاء بيـــن بـــيرس وعرفات في غزة في الحادي والعشرين مـــن كـــانون الأول. وقـــد دار معظـــم الحـــوار بينهما، على انفراد، ثم انضم إلى مساعدوهما في الغرفـــة التـــي.جعـــل عرفـــات منـــها مكتبه، وأعلـــن بـــيرس، انـــه اتفـــق مـــع عرفـــات علـــى مواصلـــة التفـــاوض حـــول الانتخابات ببنيتها القائمـــة وعلـــى أن يتـــم إجـــراء لقـــاءات دوليـــة مســـتقبلا لتســـوية القضايا التي لا زالت محل خـــلاف.

غمزت بعيني لأبو علاء، لكن بيرس لاحظ ذلـــك بوضـــوح، فتنـــاول ورقـــة (مروســـة) بشعار النسر الفلسطيني وبالكلمـــات "منظمـــة التحريـــر الفلســـطينية" الســـلطة الوطنيـــة الفلسطينية-مكتب الرئيس"، وكتب عليـــها عـــدة كلمـــات وناولـــها لـــي، فوجـــدت انـــه كتب: "مثلما ترى اتفقنا على مسار سري، والكادر الرفيـــع هـــو للتغطيـــة".

PALESTINE LIBERATION ORGANIZATION
Palestinian National Authority
Office of the President



منظمة التحرير الفلسطينية
السلطة الوطنية الفلسطينية
مكتب الرئيس

الرقم ________
التاريخ: ________

٣

[illegible]

مثلما ترى وافقنا على مسار سري والكادر الرفيع هو مجرد تغطية

كانت تلك استهلالة اكثر المراحل تعقيدا في المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين. فقد كنا نرمي للتوصل إلى اتفاق لتطبيق اتفاقية المبادئ في أوسلو على الضفة الغربية. وكان مغزى هذه الاتفاقية المرحلية واضحا لنا جميعا، والذي يعني: تحديد مصير اكثر المناطق موضع الخلاف بين إسرائيل والفلسطينيين، أضف إلى ذلك أننا كنا سنخوض اكثر مشاحنات الجدل مرارة في تاريخ الحركة الصهيونية، ذلك الجدل الدائر بين الصهيونية الإصلاحية، وحزب العمل. ففي حين أصرت الأولى على التمسك الكامل بأرض آبائنا التاريخية على أسس أيديولوجية دينية وطنية، فان الحركة الثانية عارضت السيطرة على مليوني فلسطيني بما تعكسه هذه السيطرة من آثار مدمرة على المجتمع الإسرائيلي.

ومن الجدير بالذكر، أن كل حركة من الحركتين كانت تشعر أن الحركة الأخرى تعرض وجود إسرائيل وحياة سكانها للخطر.

كان يجب على المفاوضات أن تقدم ردودا شافية للقضايا التالية بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني:

* مدى المسئولية الفلسطينية عن الأمن – على أرضية تجربة غزة واريحا-.

*المدن والمناطق التي ستنفذ فيها إسرائيل إعادة الانتشار في المرحلة الأولى من اجل إتاحة فرصة إجراء الانتخابات الحرة والديموقراطية لمجلس السلطة الفلسطينية.

*الإجراءات الخاصة بانتخابات المجلس الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة، والصلاحيات ومجالات المسؤولين لهذا المجلس.

*نقل الصلاحيات المدينة إلى المجلس الفلسطيني،مع إبقاء صلاحيات جزئية معينة بأيدي إسرائيل، كالصلاحيات الخاصة بالبنى التحتية ذات الاستخدام المشترك – المياه- الطرق، الكهرباء وغير ذلك.

*الوضع القضائي للسلطة الفلسطينية وعلاقتها مع إسرائيل.

*إعادة الانتشار، والعمل بصورة تدريجيــــة فـــي المســـتقبل، والتـــي ســـتتيح الفرصـــة لانسحاب الجيش الإسرائيلي إلى أماكن أمنيـــة محـــددة، المســـتوطنات- والتـــي ســـتبقى على ما هي عليـــه الان".

* العلامات الاقتصادية بين السلطة الفلســـطينية وإســـرائيل، والتعـــاون فـــي المجـــالات الأخـــرى.

وبناء على إعلان المبادئ، فقد تم التأكيد على الشـــروع فـــي مفاوضـــات فـــي الرابع من أيار ١٩٩٦ حول التسوية الدائمة، والتـــي ستســـلط الأضـــواء علـــى قضايـــا كالقدس والمستوطنات واللاجئيـــن والحـــدود والمنـــاطق الأمنيـــة، وهـــذا القســـم مـــن المفاوضات سيقود إلى اتفاقية ومصالحة تاريخية بين الشعبين حتـــى الرابـــع مـــن أيـــار ١٩٩٩.

وإذا ما أخذنا بعيـــن الاعتبـــار، حجـــم التحديـــات علـــى ارض الواقـــع، فـــان مفاوضات التسوية المرحلية قد تستمر ســـنوات. ومـــن الجديـــر بـــالذكر، أن الكثـــيرين أعربوا عن اعتقادهم انه حتى لو تم ذلك، فلن يكون بالإمكان التوصـــــل إلـــى اتفـــاق.
فقد زعم نقيض البديهيات (مـــيرون بنبنســـتي)، أن المســـتوطنات فـــي الضفـــة الغربيـــة خلقت وضعا سياسيا غير قـــابل للتغيـــير. واقـــترحت جـــهات أخـــرى حلـــولا ســـريعة والتي تراوحت بيـــن (الفصـــل) الفـــوري- وفقـــا لاقـــتراح وزيـــر الشـــرطة موشـــيه شاحل- وبين القفز عن التسوية المرحلية، والشـــروع فـــورا بالتفـــاوض حـــول التســـوية الدائمة- مثلما اقترح يوسي بيليـــن .

اعتقد أبو علاء وأنـــا، أن المحادثـــات المبكـــرة بيننـــا ســـتكون حرجـــة، وان اتفاقنا على العبر التي يجب استقاؤها من اتفاقية غـــزة واريحـــا وعلـــى اتجـــاه مناســـب بشأن الضفة الغربية، هو وحده الكفيل بخلـــق الفرصـــة للتوصـــل إلـــى اتفاقيـــة تســـوية مرحلية في غضون هامش زمنـــي معقـــول.

وعلى غرار ما كان الوضع في أوســـلو، مكنـــا لأنفســـنا، هـــذه المـــرة أيضـــا البداية: أن الالتزام بالشراكة الحقيقية هو الذي ســـيمكننا مـــن العمـــل بفعاليـــة وجـــدوى.

وأدركنا أيضا، أن أي محاولة للقيام منذ البداية بمعالجة قضايا شديدة الحساسية مثل إعادة الانتشار والسيطرة على المياه، ستوصلنا إلى طريق مغلق خطر.

واتفقنا على أن أي نقاش في القضايا ذات العلاقة بالتسوية الدائمة، كالقدس والمستوطنات وما شابه ذلك هو دلالة على الكارثة المؤكدة القادمة. لقد كنا ندرك بوضوح تام حجم التحديات التي وجدنا أنفسنا في خضمها.

وإذا ما نجحنا في مهمتنا، فسوف تبدأ مسيرة تتسم بالتحرير التدريجي للجماهير الفلسطينية من السيطرة الإسرائيلية، ويتم إنجاز الفرصة الحقيقية لامن إسرائيل، وسيتم دفع المسيرة السلمية في المنطقة كلها إلى الأمام.

أما إذا فشلنا، فان مسيرة السلام بين إسرائيل والفلسطينيين- وإمكانية توسيعها بحيث تشمل المنطقة كلها- ستنهار. لقد منحتنا المصلحة المشتركة العميقة، والتجربة المتراكمة لدينا، أملا بان بالإمكان حقا الوصول إلى اتفاق.

كانت السرية التامة هي أحد الشروط الأساسية للنجاح وكان طاقم أوسلو يجيد الحفاظ عليها. وكنا في حاجة إلى مسار علني كي نبعد الأنظار عن مسارنا السري، والدفاع عن مسارنا السري.

وقررنا أن يكون المسار العلني في القاهرة بين يوآل زينجر وصائب عريقات حول الانتخابات وبين العميد جادي زوهر – وبعده اللواء اورن شاحور منسق أعمال الحكومة في الضفة والقطاع، والذي حل محل اللواء داني روتشيلد- وجميل الطريفي بشأن نقل الصلاحيات المدنية.

كان يجب أن تتمحور المحادثات السرية حول القضايا الأمنية. ومنذ اللحظة التي ستتوصل فيها إلى اتفاقيات على هذا الصعيد سيصبح بمقدورنا السير باتجاه مفاوضات مفتوحة وتتناول قضايا اكثر.

كان الحفاظ على السرية اصعب بكثير مما كان عليه إبان محادثات أوسلو، فقد كانت وسائل الإعلام تدري أن المسيرة بدأت، وبذلت محاولات لا تكل، لمعرفة ما إذا كانت المحادثات العلنية في القاهرة تخفي خلفها محادثات

سرية في مكان ما؟؟ أضف إلى ذلك أن عـدد المشـاركين هـذه المـرة، فـي الإعـداد والتحضير والتفاوض كان اكبر بكثير مما كان عليه في عـهد اتفاقيـات أوسـلو.

عثر موظفو مكتبي، وسـكرتيرتي النشـطة سـتيلا شـو سـتك علـى مكـان مناسب لحوارنا، في فندق (يميت) الواقع علـى (كورنيـش) تـل أبيـب – رغـم أننـا تتقلنا بين العديد من الفنادق الأخـرى – كفنـدق الملـك داود، وهيـات، وموريـه فـي القدس.

أعلمت ستيلا مسئولي الفندق، أنها ستسـتضيف بيـن الفينـة والأخـرى فـي الفنـدق، رجال أعمال من البحرين، وان عليهم الحفاظ على ذلـك سـرا. وكـانت سـتيلا تـأتي قبل أي لقاء بساعتين إلى الفندق، وتعمل بالتعاون مـع الرائـد عـبري رئيـس مكتـب عوزي ديان، على تحويل الغرفة إلـى غرفـة جلسـات. وحـال اقـتراب الفلسـطينيين من الفندق، كانوا يعمدون إلى اسـتدعاء سـائقي عوديـد عنـابيم، كـي يقودهـم إلـى الباب الخلفي والذي كان بالإمكـان الوصـول منـه مباشـرة إلـى الغـرف المناسـبة، حيث نكون بانتظارهم في أعقاب اللقاءات التحضيرية التـي كنـا نجريـها مسـبقا مـع رئيس الحكومة رابين ووزير الخارجية بيرس. ثم كنـا ننتقـل إلـى غرفـة الجلسـات: أبو علاء وعبد الرزاق اليحيى وحسـن عصفـور، وحسـن أبـو لبـدة – وهـو شـاب لامع، كان يترأس مكتب الإحصـاءات الفلسـطيني، واللـواء عـوزي ديـان والعميـد جادي زوهر، ويوآل زينجر وأنا. وكانت جلساتنا تطـول حتـى تغطـي احيانـا نهايـة الأسبوع كلـه.

بدأ المسار السري بالعمل في الرابع مـن كـانون الثـاني ١٩٩٥، ولـم تعلـم وسائل الصحف أي شيء عنه طيلة اشهر. وفي نهاية كـل جولـة حـوار، كنـت اسـلم بيرس ورابين تقريرا مكتوبا، حيث استخدماه كأساس للتشـاور التـالي مـع المجموعـة المؤلفة من رئيس الأركان امنون شاحك ورئيـس شـعبة الاسـتخبارات اوري سـاجي، ورئيس جهاز الأمن العام كرمي جيلـون، وسـكرتير رابيـن العسـكري اللـواء دانـي يتوم، وطاقم المفاوضات. ومن الجديـر بـالذكر أن رابيـن كـان يسـمي هـذا الطـاقم

باسم (طاقم سبير) وقد انضم إليه فيما بعد، مستشاره رئيس الحكومة للشئون القضائية، عليزة جورن.

وفي نفس الوقت كان اللواء عوزي ديان يستخدم طاقما أمنيا كبيرا، ويوآل زينجر عمل مع مستشارين قضائيين للعديد من الوزارات الحكومية، وقام زوهر- وبعده شاحور – بعقد جلسات لإعداد عمل الطاقم توطئة لنقل الصلاحيات المدنية إلى الفلسطينيين وكانت لجنة التوجيه تلتقي مرتين أسبوعيا في وزارة الخارجية أو في مكتب عوزي ديان. بيد أن الشخصين الوحيدين اللذين كانا يتخذان القرارات الحاسمة، هما رابين وبيرس، وتمكنا بمرور الزمن، من تطوير شراكة رائعة ومفاجئة.

وكانت هناك لجنة وزارية أيضا ذات علاقة بالمفاوضات، مؤلفة من موشيه شاحك ويوسي سريد – وفيما بعد،اهود براك، حينما تم ضمه إلى الحكومة. كان نظراؤنا الفلسطينيون يكتفون بالتشاور مع أنفسهم، ومع ياسر عرفات، وكان أبو علاء يتوجه إلى تونس، كل عدة أسابيع، لإعلام أبو مازن بما يجري.

العبر الأمنية لاتفاقية غزة – أريحا:

خصصت الجلسات الأولى في فندق (يميت) لاستعراض العبر الأمنية التي تم استقاؤها من تجربة غزة – أريحا. وقد طرح عوزي ديان النتائج التي خلصت إليها بوضوح وحده على النحو التالي: "انتم تفتقرون إلى سياسة أمن منطقية ومترابطة، انتم تعالجون قضايا محاربة الإرهاب على أسس فردية، ولا توجد لديكم بهذا الصدد سياسة شاملة، مثلما ينص عليه لاتفاق. وإذا لم يطرأ تغيير فوري على الوضع الساري في غزة، فإنني- وبوصفي مسئولا عن معالجة القضايا الأمنية- لا أستطيع أن انصح رابين بالشروع في مفاوضات مفصلة حول التسوية المرحلية، أو ببساطة يستحيل أن نسمح بان يكون الأمن في الضفة الغربية مهلهلا.

ويجب عليكم أن تثبتوا تحسنا كبيرا جدا على صعيد السياسة والإصرار والفعالية، فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب، أنا لست سياسيا، لذا، فإنني أتحدث إليكم من وجهة نظر عسكرية بحتة، بيد أنني أؤكد لكم أن الكادر السياسي لدينا، يأخذ بعين الاعتبار وجهة النظر العسكرية ويولي توصياتنا أهمية كبيرة جدا.

واضاف عوزي ديان: كما يجب أن نتطرق إلى الجماهير الإسرائيلية التي ستطرح على رئيس الأركان سؤالا بسيطا: "هل ستوفر لنا التسوية الجديدة الأمن أم لا؟؟".

رد أبو علاء على إجمال ديان بالقول: "أوافقك الرأي فيما يتعلق بأهمية القضية الأمنية، وهي شديدة الأهمية، أيضا بالنسبة لنا، ونحن نبذل جهودا كبيرة على صعيدها ونحرز نجاحات لا تستطيعون إحراز اكثر منها. وأنا اعتقد أن علينا أن نطور سياسات اكثر شمولية، بيد انه يجب عليكم أن تدركوا، أنكم حولتم الحكم الذاتي إلى معتقل، وتحولتم من محتلين إلى حراس سجون تراقبون تحركاتنا. وهذا الوضع يضعف السلطة الفلسطينية وقدرتها على معالجة الفلسطينيين الذين يحرزون فوائد من الأزمتين الشخصية والاقتصادية للجماهير. هناك خيبة أمل كبيرة في جانبنا أيضا من الاتفاقية، ويجب أن نرى لجماهيرنا بصيصا من الأمل. ولسنا هنا بصدد التحدث عن أسلوب (خذ وهات)، بل عن ميزان علاقات جديدة انتم فيه الأقوى".

رد عوزي ديان على ذلك بالقول: "لا توجد لدينا أي نية في تنغيص حياتكم، بيد انه إذا ما رغبتم في إحداث تغيير في طبيعة علاقتنا معكم، يجب عليكم اتخاذ خطوات حاسمة: أولا يجب أن توضحوا أن الشرطة الفلسطينية هي الجهة الوحيدة التي تتمتع بالصلاحيات العسكرية، وثانيا يجب أن تصادروا جميع الأسلحة غير المرخصة وثالثا: من واجبكم وقف عمليات التحريض على العنف وهناك أهمية أيضا للعامل النفسي والإعلامي، كما يجب عليكم أن تستنكروا تماما لعمليات قتل الإسرائيليين".

قال أبو علاء محتجا: "نحــن نفعــل ذلــك، فغالبيــة الجمــاهير الفلســطينية – وليس حسب رأيي، بل أيضـــا حســبما تفيــد اســتطلاعات الــرأي العــام – تعــارض العنف، ولا شك أن هذا التغيير هو كبير جدا. لقد كـــانت أعمـــال قتــل الإســرائيليين – بسبب الاحتلال– أعمال بطولية مشروعه، بيد انـــه يجــب علــى الجمــاهير، أن تؤمــن بمصداقية نواياكم وإذا ما رأوا المسيرة السلمية وقد آلـــت إلـــى طريـــق مســدود، ورأوا أنفسهم يعانون من البطالـــة فممـــا لا شــك فيــه أن هــذا الوضــع سيســهم فــي قتــل حوافزهم، لان هذين العاملين يسيران جنبا إلى جنب. وانتــم لــم تحــترموا الكثــير مــن البنود في اتفاقية غزة واريحا مثل فتح ممر آمن بيــن غــزة واريحـــا".

وهكذا، تواصل الجدل، لقد كان لدى الطرفيـــن مصـــالح مشــتركة ومتناقضـــة أيضا وقد آن الأوان لتشريح أخطائنا وهي المهمة التي يبدو أنها لـــم تكــن ســهلة. بيــد أن حقيقة التطرق إلى هذه الأخطاء بصورة مشـــتركة، إعادتنـــا إلـــى روحيــة أوســلو، والى الشراكة في حل المشـــاكل.

وفي إحدى اللقاءات السرية، فتـــح عــوزي ديـــان خارطـــة رام الله، محـــاولا أن يؤكد مدى تعقيد الوضع الأمني في الضفـــة الغربيـــة، وقــد أكــدت رام الله مـــا اراد التأكيد عليه، واستهل حديثه قـــائلا:

دعونا نطبق الوضع السائد فــي غــزة حاليــا علــى رام الله بصــورة نظريـــة في أعقاب الانسحاب. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبـــار الخطـــوات التــي تتخذونـــها حاليـــا ضد الإرهاب واذا ما انسحبنا من رام الله والواقعة على بعـــد عـــدة دقـــائق ســفر مـــن القدس، فلا اعتقد أن هناك أي فرص في صـــد تيـــار الإرهـــاب، الـــذي ســيتدفق مـــن هذه المدينة. فغزة محاطـــة بســـياج، وليـــس كالضفـــة الغربيـــة، إن انطـــلاق إرهـــاب مجنون من مكان مثل رام الله سيؤدي إلى تدمير الاتفـــاق فـــورا. واشـــار عـــوزي بعـــد ذلك، إلى المستوطنات، والتي تطـــل إحداهـــا علـــى المدينـــة مباشـــرة، وتحـــدث عـــن الاحتكاكات المعقدة، التي تندلع عندما يسكن شـــعبان مختلفـــان بصـــورة متقاربـــة إلـــى هذا الحد فـــي منطقـــة واحـــدة: كـــانت فكـــرة إخـــراج جنودنـــا مـــن رام الله بالنســـبة لإسرائيل تبدو مســـتحيلة.

بدأ أبو عـــلاء مـــن جانبـــه يرســـم علـــى ظـــهر ورقـــة مـــن أوراق وزارة الخارجية الإسرائيلية، خارطة تقسيم المسئوليات فـــي المنطقـــة، فـــي محاولـــة لإثبـــات أن بالإمكان السيطرة على الوضع علـــى ارض الواقـــع.

وفـــي إحـــدى الجلســـات أوضـــح عبـــد الـــرازق اليحيـــى النظريـــة الأمنيـــة الفلسطينية، فقال: "لقد أثبتت نظريتكـــم الأمنيـــة فشـــلا وليـــس نظريتنـــا نحـــن، وانتـــم ترغبون في فرض نظريتكم الأمنية علينا من خلال رؤية ضيقـــة لمغـــزى الأمـــن، بيـــد انه يتوجب عليكم أن تدركوا أن الحل يكمـــن فـــي تغيـــير الأجـــواء النفســـية، وإذا مـــا أرغمتمونا على عمل شيء ما، فان عرفـــات لـــن يكـــون قـــادرا علـــى الصمـــود فيـــه طويلا. وإذا ما عينتـــم أنفســـكم قضـــاة لتحديـــد مـــا هـــو صحيـــح أو غـــير صحيـــح ستدمرون النوايا الحسنة القائمة بيننا وبيـــن شـــعبنا ان الطريـــق المـــؤدي إلـــى إحـــداث تغيير راديكالي في الأجواء بصورة تخدم في نهايـــة المطـــاف، الطرفيـــن، يتمثـــل فـــي خلق شراكة أمنيـــة".



٩- مايا سبير ومنى قريع – ابنة أبو علاء – في حفل زفـــاف مايـــا / كـــانون الثـــاني ١٩٩٨.

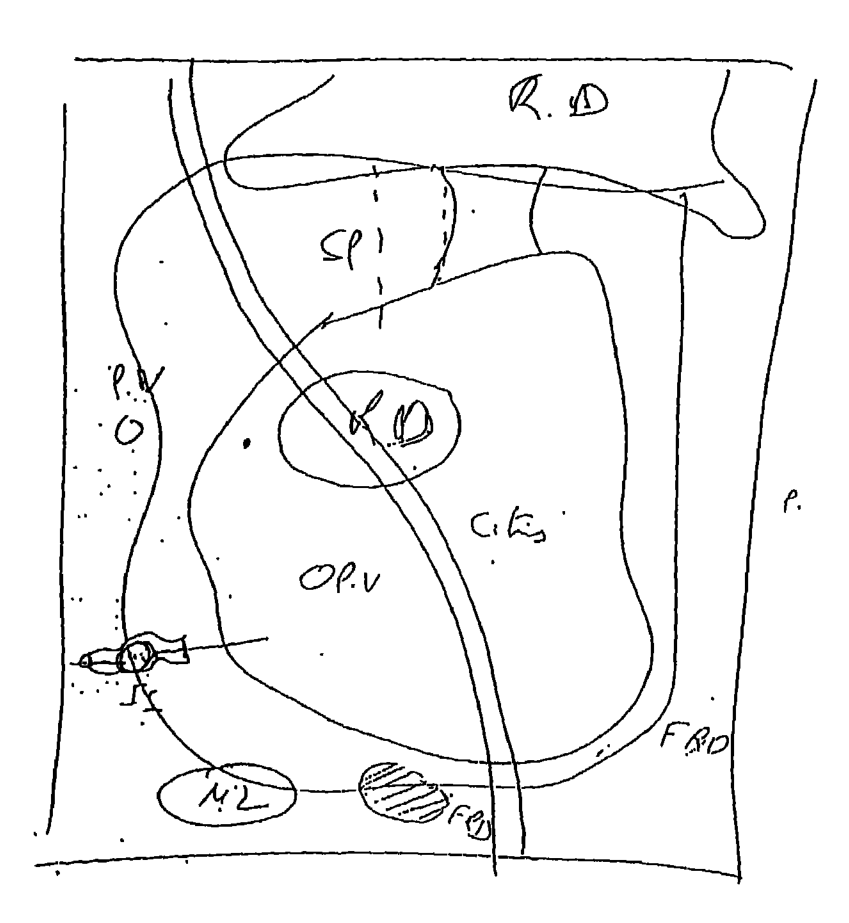


CONFERENCE OF HEADS OF MINISTRIES FOR FOREIGN AFFAIRS

DIPLOMACY IN TRANSITION

Jerusalem, Israel, 29-31 March 1995

Notes



رسم كاريكاتوري لتوزيع الصلاحيات الأمنية، رسمه أبو علاء على ورقة

وزارة الخارجية الاسرائيلية خلال مفاوضات يأميت/شباط ١٩٩٥

وفاجأنا هذا الجنرال المحنـــك بـالقول : أننـا نقـترح تشكيل قـوة شـرطة إسرائيلية – فلسطينية مشتركة للقيام بأعمال الدوريـــة فـي الضفـة الغربيـة، ولا شـك أن جهدا مشتركا من هذا القبيـل، سيسـهم فـي إحـداث تحـول كبـير فـي المفـاهيم وسيؤدي إلى هدوء في المنطقـــة".

عقب أبو علاء قائلا :"نعم، التعاون هو مفتـــاح النجـاح. بيـد أنكـم لا زلتـم تتصرفون وكأنكم أسيادنا، ويخيـل الـي أن كثـيرا مـن جنودكـم لا يدركـون طبيعـة الشراكة المنبثقة من الاتفاقية ففي كل مـــرة، يجـب أن نجتـاز أحـد حواجـز جيشـكم وهي كثيرة فان جنودكم هنـــا يمسـون بكرامتنـا مسـا خطـيرا، عندمـا يضطروننـا للانتظار ساعات طويلة، أو بإلقاء بطاقات هوياتنا علـــى الأرض، كـي نركـع أمامـهم علنا. وأنا لا ابدي تذمرا تجاهكم انتم، فنحن نجلـس هنـا متسـاويين، بيـد أن جنودكـم يتعاملون خارج هذه الغرفة وكأن شـيئا لـم يتغـير. إن غالبيتنـا يصلـون إلـى هـذه المقابلات بعد أن يكون الجنود الإسـرائيليون قـد أهـانوهم بصـورة أو أخـرى، نحـن أناس ذوو مكانة في مجتمعنا، وحتى نحـن نحمـل بطاقـات "شـخصية مهمـة"، يقـوم جنودكم بإهانتنا أمام العديد من الفلسـطينيين الآخريـن، فكيـف سـيكون الامـر حينمـا يتعلق بفلسطيني عـــادي؟؟".

رددت على ذلك قـائلا : أوافقـك الـرأي علـى ضـرورة أن نـأمر جنودنـا بالتعامل بصورة مناسبة، بيد أن علي أن أؤكـد أن هـذا الوضـع نـاجم عـن أسـباب أمنية، فجنودنا شديدو التوتر دائما خشية أن يمر أمامهم فلسـطيني يحمـل قنبلـة".

– أبو علاء: "أنا أدرك أن التغيـير يتطلـب زمنـا، ولربمـا نسـتطيع الصـبر علـى الإهانات، لكن كيف يمكن أن نفسر الطريـق المسـدود الـذي آلـت إليـه المفاوضـات السلمية؟؟".

–عوزي ديان: "كي يمكن فتح هـذا الطريـق عليكـم أن تـبرهنوا لنـا أنكـم غـيرتم توجهاتكم على الصعيد الأمني فـي غـزة".

إضافة إلى الحوارات التي كنا نجريـها فـي فنـدق يميـت، كنـت أنـا وأبـو علاء نعقد العديد من الجلسـات المنفـردة فـي محاولـة لإعـداد النظريـة الأساسـية

للتسوية المرحلية. وقد تمحورت النقاشات التي جرت في واشنطن والقدس وتل أبيب، حول الأمور التي يجب أن ننجزها معا، وبالتالي، كانت كلمة السر هي "التعاون". وقد أكد أبو علاء، أن هذا العامل الحيوي للغاية، والذي برز بصورة واضحة جدا في إعلان المبادئ، ثم تمييعه في اتفاقية غزة أريحا. وهكذا حاولنا بناء منظومة اكثر شمولية من التعاون في إطار العلاقات الأمنية والاقتصادية، والمدنية المستقبلية، واتفقنا على أن تكون هذه المنظومة بمثابة البنية التحتية لجوهر الاتفاقية المرحلية ولتجسيدها.

قال لي أبو علاء في إحدى اللقاءات الليلية التي عقدناها في واشنطن في تلك المرحلة: "سنوافق على التأقلم مع مطالبكم الأمنية، بيد انه سيتوجب عليكم إقناعنا بان قضيتكم هي حقا قضية أمنية، إن ما يهمنا هو أن تتركوا بين أيدينا غالبية السيطرة، مثلما هو وارد في إعلان المبادئ مما يعني أن تسلمونا غالبية الصلاحيات في الضفة الغربية. وإذا ما جرى الامر على هذا النحو، فلن نعارض التسويات الأمنية. فالأرض هي القضية المهمة بالنسبة لنا، وانتشار المستوطنات يرمي لسد الخيارات في وجوهنا نحو المستقبل، وهو ما لن نوافق عليه بأي حال من الأحوال. لقد قامت مفاوضات أوسلو على قرار حكومتكم بتجميد المستوطنات، وإذا لم تحترموا هذا الجانب، ولم تتفهموه فلن يكون هناك أي اتفاق في المستقبل".

قلت له: إذا أردت أن تعرف ما يحدث في المستوطنات، فيكفي أن تصغي لتصريحات المستوطنين، الذين وصفوا -ولهم الحق من وجهة نظرهم- كأعدائهم الأيديولوجيين، أما فيما يتعلق بالتعاون بين السيطرة والأمن، فان الامر مفتوح للنقاش.

وقد انتهزت هذه الفرصة كي أوضح لأبو علاء أنني وعوزي ديان وبيرس ورابين متفقون في الرأي تماما على الصعيد الأمني.

ومن الجدير بالذكر أن الفلسطينيين كانوا يعتقدون أن الكلمة الأخيرة في المفاوضات معهم هي للجيش. والحقيقة هي أننا لم نكن لنتقدم دون تدخل الجيش

وباقي الأجهزة الأمنية، والتي كانت ذات تأثير كبير جدا. بيد أن الضباط لم يتدخلوا ولو مرة واحدة طيلة المسيرة، في اتخاذ القرارات السياسية.

كانت اللقاءات بين يوآل زينجر وصائب عريقات في القاهرة، والمتعلقة بالإجراءات الانتخابية تدور على نار هادئة. وقد أوصى زينجر في مرحلة معينة بان يتم إجراء هذه المحادثات أيضا في مكان قريب كتل أبيب مثلا. وكان عريقات نفسه يستعين خلال هذه المفاوضات بموظفين تابعين للاتحاد الأوروبي، والذين وافقوا على مد يد المساعدة في إعداد الفلسطينيين للانتخابات. وفي نهاية آذار تمكن عريقات وزينجر من صياغة مسودة رائعة، تقلصت الخلافات فيها بين الطرفين إلى الدرجة التي اقتصرت فيها فقط على إدارة عملية التصويت في القدس الشرقية.

كان الكثير من الإسرائيليين يتعاملون باستخفاف مع الانتخابات الفلسطينية، وقد تبدى هذا الوضع حتى خلال النقاشات التي جرت في مكتب رابين، والذي أعرب عن اعتقاده بان ليس من مهمتنا أن نفرض على الفلسطينيين صورة ديموقراطية كصيغة (جفرسون). بيد أن يوآل زينجر، والذي قدم تقارير حول الخلافات القائمة في أوساط الزعامة الفلسطينية حول التعددية السياسية، أقنعنا بالتعامل مع الانتخابات بجدية.

وفي الوقت الذي كان فيه الكثير من الفلسطينيين يتابعون النمط الإسرائيلي، رغب البعض الإخر في الإبقاء على الصيغة المركزية.

إن لقاءات القمة التي جرت منذ هذا الوقت وما تلاه بوتيرة سريعة ومكثفة، أصبحت إحدى أهم فصول المحادثات، فقد اجتمع رابين وبيرس مع عرفات على انفراد، مرات عديدة، خلال شتاء ٩٤-١٩٩٥، وكانت هذه اللقاءات ترمي لإقناع عرفات باستحالة التوصل إلى اتفاقية التسوية المرحلية، إذا لم تحسن السلطة الفلسطينية أداءها وأداء قوات أمنها، على صعيد مكافحة الإرهاب".

وفي إطار هذه اللقاءات العلنية، انضم إلى المفاوضات مبعوث سري، كان يتنقل بين عرفات ورابين، وكان رابين قد طلب من يوسي جينوسار – أحد

كبار مسئولي جهاز الأمن العام، في مطلـــع عــام ١٩٩٤، أن يعمــل كمبعــوث ســري بينه وبين عرفات، وكانت الرســائل التــي يحملــها جينوســار، تتعلــق بقضايــا أمنيــة محددة : تحذيرات، مطالب واقتراحات تعاون بيــن الأطــراف. وكــان جينوســار علــى اتصال مع الأجهزة الأمنية، عبر السكرتير العسكري لرئيــس الحكومــة، اللــواء دانــي يتوم، وقد ضم إليه في بعض الاحيان بعض مســئولي هــذه الأجــهزة.

أدت مكوكيــة جينوســار آنفــة الذكــر، إلــى ولادة عــامل مفيــد للغايــــة. فالاستلطاف بين عرفات ورابيــن لــم يكــن كبــيرا، بيــد أن جينوســار قــام بترجمــة شخصية كل واحد منهما للآخر، مما أدى إلى نمو تفـــاهم افضــل بينــهما.

ونجح جينوسار في بناء صـــورة واضحــة للمشــاكل الداخليــة التــي تواجــه كلا من الطرفين، وساعد بذلك في بنـــاء نــوع معيــن مــن الثقــة التدريجيــة بينــهما. وهكذا بدأ عرفات في اتخاذ خطوات تؤدي إلى تعزيـــز الثقــة بيــن الطرفيــن، وعلــى رأسها اعتقال المشـــبوهين.

لم تكن لقاءات بيرس مع عرفات لطيفــة، بيــد أن بــيرس كــان قــادرا علــى موازنة نضاله مـــن اجــل المواقــف الإســرائيلية مــع التقديــر العميــق للاحتياجــات الفلســطينية.

وتعتبر أهم القرارات التــي اتخذهــا بــيرس وعرفــات هــي تلــك القــرارات التي تم اتخاذها في تلك الأشهر . فمنذ اللحظة التـــي اقتنــع فيــها بــيرس أن بالإمكــان إنجاز تسوية مرحلية كاملة، تحول إلى القـــوة المحركــة والدافعــة للمســيرة السياســية. لقد كان مطلعا علـــى أدق تفــاصيل مفاوضــات "يميــت"، وقضـــى وقتــا طويــلا فـــي التحاور والتنسيق مع رابين على انفراد، واجتمـــع فـــي بعــض الاحيــان مــع عرفــات بغية اتخاذ القرارات التي أصبحت بمثابة نقطة تحـــول فـــي المســيرة السياســية. وقــد تم دق أحد الحجارة الأساسية في التاســـع مــن آذار ١٩٩٥، أي بعــد أســبوع ونصــف الأسبوع. من انتهاء لقـــاءات جــس النبــض فــي فنــدق يُميــت. لقــد أجملــت تلــك المحادثات في رسالة شخصية لبيرس، وضمنــت تلــك الرســالة اقتراحــا لعقــد صفقــة شاملة تنص على : انه إذا ما انتهج الفلسطينيون حقـــا سياســة أمنيــة شــاملة، وابــدوا

إصرارهم على محاربة الإرهاب، فسوف نكـون علـى اسـتعداد لتشـريع المفاوضـات بغية استكمالها حتى الأول من تمـوز ١٩٩٥. والاتفـاق سـيتطلب تعاونـا فـي جميـع المجالات – على أن يتصدر الأمن هذه المجالات– ويتـم تطبيقـه تدريجيـا.

وتحدثت في اقـتراحي أيضـا، عـن إعـادة الانتشـار للقـوات الإسـرائيلية خارج مدن الضفة الغربيـة – المنـاطق المكتظـة بالسـكان– وعـن تسـويات أمنيـة خاصة يتم تجسيدها في الخليل كمرحلة أولـى علـى صعيـد تسـليم المنـاطق للسـلطة الفلسطينية. وأضفت إلى اقتراحي استمرارا لـهذا المسـار: يـأتي دور إعـادة انتشـار آخر إضافي في المناطق غير المأهولـة. والتـي سـتنفذ علـى مراحـل علـى مـدى سنتين – نصف مرحلة التسوية المرحلية، بما يتـلاءم واحتياجـات إسـرائيل الأمنيـة.

كان اللقاء الذي أجراه بيرس مع عرفات فـي التاسـع مـن آذار جيـدا، وقـام على أساس نتائج جميع مناحي محادثات يميت. وفـي أعقـاب انتـهاء هـذه المحادثـات أعلن عرفات عن سياسـة السـلطة الفلسـطينية الأمنيـة الشـاملة. وقـد تضمـن هـذا الإعلان: أن الشرطة الفلسطينية هي الجهة الأمنيـة الوحيـدة ذات الصلاحيـات للعمـل فـي المنـاطق، ولتحديـد السياسـات المنهجيـة لإحبـاط الإرهـاب وصـور العنـف الأخرى. ويحظر علـى المواطنيـن الفلسـطينيين حمـل الأسـلحة دون تصريـح مـن السلطة الفلسطينية، و الالتزام بتعزيز التعـاون الأمنـي مـع إسـرائيل. أعلـن بـيرس بهذه المناسبة عن أن الطرفين سيبذلان قصـارى جـهدهما مـن اجـل التوصـل إلـى التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية فـي الأول مـن تمـوز ١٩٩٥.

ومن الجدير بالذكر، أن اسحق رابين صادق علـى هـذا التـاريخ، بعـد تـردد لبعض الوقت على الرغم من انه لم يكف عن تـرداد مقولتـه بأنـه لا توجـد تواريـخ مقدسة.

وأنا في حقيقة الامر أؤيد تحديـد تـاريخ هـدف، لان تحديـد التـاريخ يجعـل الطرفين يتجاوزان الجدل الذي لا ضرورة له، ويتجـهان مباشـرة إلـى الـهدف، علـى أمل إنجاز الاتفاق في التاريخ المحـدد.

لقد دفع اللقاء- في التاسع من آذار- المفاوضات من مرحلة الحوارات المبدئية إلى المرحلة البراغماتية، وفي نهاية هذا اللقاء، طرح عرفات مطالبه الثلاثة التي تظهر في كل لقاء، دون أن تحظى ببرد يريح باله: إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية، إزالة الإغلاق عن غزة والضفة الغربية، والتجميد التام للبناء في المستوطنات.

كانت كل نقطة من هذه النقاط شديدة الأهمية للجماهير الفلسطينية، بيد أننا لم نتعامل معها بجدية، نظرا لأننا اعتبرنا توقيع اتفاقية التسوية المرحلية، بمثابة انفراج تاريخي، ولهذا السبب ركزنا جهودنا على المفاوضات في الكثير من الاحيان اكثر مما ركزنا هذه الجهود في معالجة قضايا الواقع. بل لقد أبدينا إستخفافا، إلى حد ما، بمطالب الفلسطينيين على هذا الصعيد. وحينما انظر إلى الوراء الان، أدرك أننا أخطأنا، لان حلنا لهذه المشاكل، في حينه، كان سيؤدي إلى خلق نوايا حسنة بصورة افضل، مما سيساعدنا في مناقشة جوانب أخرى، وفي شبكة العلاقات مع الفلسطينيين بصورة عامة.

<u>تقسيم الضفة الغربية إلى مناطق:</u>

تمحورت لقاءاتنا في الأشهر التالية حول قضيتين رئيسيتين :

* المتابعة الشاملة لتنفيذ السياسات الأمنية التي أعلنها عرفات في التاسع من آذار.

*دراسة المبادئ القائمة خلف التسوية الأمنية، والتي سيتم تطبيقها في الضفة الغربية مستقبليا.

وفي السادس عشر من نيسان – وعندما تأكدنا من أن هناك تقدما على صعيد تنفيذ السلطة الفلسطينية لالتزاماتها الأمنية- طرح عوزي ديان موقفنا الأمني الأساسي وفقا للفروق القائمة بين الضفة الغربية وقطاع غزة سواء ما كان منها على ارض الواقع، أو في اتفاقية إعلان المبادئ.

وقد تمت الإشارة، في هذه النظرة، إلى النقل التدريجي للصلاحيات في مجال الأمن الداخلي للسلطة الفلسطينية، ومواصلة سيطرة إسرائيل على المناحي التالية:

* الأمن الخارجي – بما فيه نهر الأردن.

*المستوطنات ، والمستوطنات المحيطة بها، والطرقات التي تستخدمها لحركة الإسرائيليين، بما فيها الطرق الالتفافية التي تم شقها لاستخدام المستوطنين.

* الدفاع عن إسرائيل على طول الخط الأخضر.

كان يفترض أن ينتشر الجيش الإسرائيلي على مراحل خارج جميع المناطق المحتلة باستثناء مناطق ذات أهمية أمنية، وإسرائيل هي التي ستقرر مساحة هذه المناطق.

وكان يفترض، أن يتم تنفيذ المرحلة الأولى من الانسحاب –الانسحاب خارج المناطق المأهولة بالسكان – عشية الانتخابات الفلسطينية وكان من المتوقع أن تتم انسحابات أخرى فيما بعد.

طرح الفلسطينيون نظرية أمنية مختلفة تماما. وقام عبد الرزاق اليحيى بوصفها في التاسع عشر من أيار في نقاش آخر جرى في تل أبيب. وقد استهل طرحه بالقول: "اسمحوا لي أن أقول: إن نظريتكم الأمنية تفتقر إلى المعيار السياسي. فالأمن سيتحقق مع التحسن الذي سيطرأ في العلاقات بين الطرفين. والنظرية التي طرحتموها، توفر لكم حقا بسيطرة اكبر على المناطق، بيد أنها ستؤدي إلى هز العلاقات، مما سيؤدي بالنتيجة النهائية إلى الانتقاص من الأمن.

"ونحن نقترح تقسيم المناطق إلى ثلاثة أنواع من المناطق: إحداها تقع تحت سيطرتنا، والثانية تقع تحت سيطرتكم – مثلما جاء في اتفاقية إعلان المبادئ–، والثالثة– واسعة–والتي ستوضع تحت إدارة قوة أمنية مشتركة .

ونحن نصر على حرية الحركة للفلسطينيين على الطرقات وإذا كان عليهم التنقل بين حاجز لآخر، فسوف تقومون بإهانتهم وإذلالهم، وتسميم الأجواء.

ويجب عليكم أن تتذكروا، أن نوعية الحياة اليومية للمواطنين هي التي ستحدد كل شيء؟؟

بدا عوزي ديان شديد الضيق من التهمة التي وجهت إلى إسرائيل بأنها تسمم الأجواء، لذا رد قائلا: "نحن لا نبدأ من الصفر، إن طبيعة مسلكيتكم في غزة واريحا، غير مريحة أو مرضية، ولم يطرأ تحسين على هذه المسلكية والتنفيذ الا في الآونة الأخيرة، ونحن تحت وطأة الضغوط التي مارسناها عليكم".

-أبو علاء: "لقد ارتكبنا جميعنا أخطاء، بيد انه يتوجب علينا أن نستقي العبر اللازمة من اجل الاتفاق القادم. وإذا ما قطعتم الضفة الغربية طولا وعرضا، لن يكون هناك أي أمن".

-سبير : "نحن نتحدث عن مسار تدريجي، مثلما أكدنا على ذلك في أوسلو. لقد احتجتم إلى تسعة اشهر من اجل معالجة المشاكل الأمنية في غزة، أما في الضفة الغربية، فسوف يتوجب عليكم السيطرة على الوضع الأمني منذ اليوم الأول. وإذا لم تفعلوا ذلك، فان الاتفاقية ستنهار. لذا، فان الأهمية لا تعزى فقط إلى الاتفاق، بل أيضا لنظرية التنفيذ للاتفاق من وجهة نظر الأطراف".

" وما دمنا قد وصلنا إلى مرحلة إعادة الانتشار وتطبيقه، ربما يكون قد آن الأوان لإجراء نقاش هادئ بعيدا عن هنا".

-أبو علاء: "نحن نؤيد هذا الاقتراح، وسوف نناقش هذه القضية الليلة مع الرئيس عرفات".

كانت هذه النقاشات هي أول النقاشات التي عرفت، فيما بعد، في مجموعتنا باسم " عملية طورينو" : جولتان من المحادثات السرية الشاملة في إيطاليا حول نظرية إعادة الانتشار وحول الملحق الأمني للتسوية المرحلية.

قام الطاقم في باقي الأيام من شهر أيار وحزيران بالتشاور مع رابين وبيرس وكبار رجال الجهاز الأمني، حول تفاصيل موقفنا الأمني، وحول إعادة الانتشار. لقد افتتحت هذه النقاشات -بصورة عامة- باستعراضي العام لوضع

المفاوضات، واستعراض عوزي ديان ويوآل زينجر واورن شاحور، حول مجالات أعمالهم.

هناك احتكاك في كل مفاوضات بين هيئة الإشراف والطاقم المعالج للمفاوضات على ارض الواقع، والذي يتوجب عليه أن يتحمل صعوبات المفاوضات مع الطرف الآخر. لذا، لم يكن من العجيب أن تتسم النقاشات بحالات غضب وانفعال. ولهذا السبب طورت لدى الطاقم فهما عميقا، بأن يتفاوض حول القضايا المصيرية للأمن القومي دون خوف من مواجهة المسئولين عنهم، في الوقت الذي أتاح لنا رابين وبيرس وشاحك فرصة التعبير عن مواقفنا وآرائنا المختلفة.

كان هناك خيط رفيع يفصل بين القضايا السياسية والعسكرية خلال تلك الجلسات. لقد كانت أوسلو أساسا، قرارا سياسيا، بيد أن تطبيقها تطلب حلولا أمنية، ووفقا لذلك شجع اسحق رابين -بوجود رجال الأمن – التفكير العسكري حول المصالح الأمنية الإسرائيلية بعيدة المدى، في إطار التقدم باتجاه حل سياسي.

وفي نهاية كل لقاء، اعتاد بيرس وضعنا واطلاعنا على الصورة الأوسع للقضايا المطروحة، ثم كان رابين يقوم بإجمال النقاش بكامله وكثيرا ماكان الاثنان يتطلعان إلى الصورة من نفس الزاوية، ويريان نفس الأشياء، كما أصر الاثنان على حماية المصالح الإسرائيلية الأساسية، مثلما تراها الجهات الأمنية، رغم انهما كانا يدركان مدى ضرورة تطوير علاقات سياسية مع شركائنا الفلسطينيين. وكانا يدركان أيضا، أن الاتفاق الذي سيميل إلى جانب أحد الأطراف اكثر مما ينبغي، محكوم عليه بالفشل.

واعتاد بيرس أن يدعو لإضافة زائدة وسخية على الصعيد القيمي، مثل حرية الحركة للفلسطينيين مثلا، أما رابين، فكان يميل إلى الخط البراغماتي، مع تقدير قدرة عرفات، والقوة المطلوبة منه لقبول مطالبنا ورغم ذلك، كانت استنتاجاتهم التي يخلصون إليها متماثلة بصورة تامة تقريبا.

وفي أوقات الأزمات، كان بيرس هو الذي يشجعنا، ويعرب عن ثقته التامة في أننا نسير بالاتجاه الصحيح. وكان يصل إلى القرارات بسرعة كبيرة

نظرا لانه يرى المفاوضات كمعالجة لمشاكل الماضي، في حين يرى أن التحدي الحقيقي يتمثل في بناء ائتلاف إقليمي لمواجهة أخطار المستقبل وفرصه.

أما رابين، فتمثلت قوته في التفاصيل، وبرؤية التقدم التدريجي، وبعملية القرارات.

إن الشراكة بين الرجلين اللذين يستطيع أولهما رؤية الغابة كلها، في حين يرى الآخر الأشجار، كانت المصدر الأساسي لقوة اتخاذ القرارات المتميزة. وبدا أن هذه الشراكة تتطور تطورا متميزا جدا، إبان الجدل حول التسوية المرحلية. فبينما كان رابين ينحو في بداية المفاوضات، نحو تجاوز بيرس، بل والعمل على إبعاده من الصورة، كلما كان ذلك ممكنا. فقد عمد الاثنان – خلال المفاوضات– إلى إبداء التقدير والاحترام العميق أحدهما للآخر. وكانا يتبادلان المذكرات بينهما، ويلتقيان على انفراد قبل وبعد الجلسات التي نعقدها.

طلبنا – كطاقم – أن يوضح الكادر السياسي الأهداف التي يسعى إليها، وقلت لرابين : "ستجد الأسلوب الذي يوصلنا إلى أهدافنا، بيد أن من الأفضل إعلامنا بطبيعة ونوع التسوية التي تسعى إليها". وقد علمنا شيئا ما عن هذه التسوية خلال الجلسة التي عقدت في حزيران، عندما وضع عوزي ديان على طاولة النقاش الخارطة الأمينة التي أعدها الجيش للتسوية المرحلية. فقد تم تكوين اربع مدن من المدن الفلسطينية السبع في الضفة الغربية، باللون البني، وهي: جنين ونابلس وطولكرم وقلقيلية. كمناطق سيتم تسليمها للسلطة الفلسطينية تسليما كاملا قبل الانتخابات الفلسطينية.

ولونت مدينتا رام الله وبيت لحم أيضا باللون البني على أن يتم إخلاؤها من الجيش فيما بعد، عندما يتم شق الطرق الالتفافية التي ستمكن المستوطنين من التحرك داخلها أو الالتفاف حولها بأمان.

أما مدينة الخليل والتي لونت باللون الأبيض، فقد كانت حالة خاصة، وتم اتخاذ قرار بإبقائها تحت السيطرة الإسرائيلية العسكرية الكاملة.

لقد كانت المدن الست الملونة بـــاللون البنـــي بمثابـــة جـــزر صغـــيرة وســـط بحر من المناطق التي تسيطر عليـــها إســـرائيل. وكـــان يفـــترض أن يتـــم تغيـــير هـــذا المنظر بصورة تدريجيـــة، مـــع بـــدء إعـــادة الانتشـــار القـــادم، ومـــع توســـع مجـــال الصلاحيات الفلســـطينية.

وفي أعقـــاب هـــذا العـــرض، تطـــور نقـــاش جـــدي شـــاركت فيـــه جميـــع الأطراف. وعندمـــا ســـأل رابيـــن شـــاحك عـــن رأيـــه، قـــال : إن الخارطـــة تعكـــس الأسلوب الذي سيمكن الجيش الإســـرائيلي مـــن طـــرح افضـــل الحلـــول الأمنيـــة مـــع الأخذ بعين الاعتبـــار، بقـــاء جميـــع المســـتوطنات فـــي مكانـــها. الجيـــش الإســـرائيلي يتحمل مسئولية أمن المستوطنين، وعليه أن يقـــول لـــهم بثقـــة الآن:

"إن أمنكم سيبقى في أيدينا، ونحـــن المســـئولون عنـــه".



١٠- الملك الحسين والملكة نور وأوري سبير إبـــان مفاوضـــات الاتفاقيـــة الأردنيـــة - الإسرائيلية.

"بريستيج فلسطيني ومكاسب إسرائيلية"

رابين حرص على عدم الحديث عن حجم الانتشار الإضافي

المستوطنات فرضت إيقاع التسويات الأمنية وعرفات وافق

لقد تطرق قسم كبير من التسويات الأمنية التي تـم التخطيط لـها ومناقشتها في المفاوضات إلى المستوطنات، وكانت ذات علاقة بـها وغالبيـة المـوارد التـي تـم استثمارها في الأمن كانت هي الأخرى ذات علاقـة بـأمن المسـتوطنين.

وعندما جاء دوري للحديث، قلـت أننـي اقبـل النظريـة الأمنيـة الأساسـية، بيد أنني أخشى ألا يكون مكان للحديث عن التميـيز بيـن المـدن الفلسـطينية وحـذرت من أن عرفات لا يستطيع التوجـه لخـوض الانتخابـات إذا لـم تحـظ جميـع المـدن الفلسطينية بتعامل متشابه. وتطرقت بصورة رئيسية إلى إرجـاء إعـادة الانتشـار فـي رام الله وبيت لحم، بيد أنني تطرقت أيضا إلـى مكانـة الخليـل.

هب رابين قائلا: "إذا خرجنا مـن الخليـل سـيحدث هنـاك انفجـار، فـهناك يعيش أسوأ المتطرفين من الطرفيـن".

وبدا بيرس أيضا. متشددا، حيث انطلق قـائلا: "مـا الـذي يُريـده عرفـات؟؟ هل يريد تفجير كل شيء؟؟ إن ما يأخذه منا لم يسبق لأي جهـة أن أعطتـه لـه".

قلت في تعقيبي: إنني اعتقد أن عرفات سيسـتجيب لمطالبنـا الأمنيـة، وانـه يجـب أن تركز الأمور حول هذه النقطة. بيد انـه لـن يسـتطيع إقنـاع مؤيديـه بقبـول التميـيز القائم بين المدن الفلسطينية. إن إجراء الانتخابات فـي ثـلاث مـدن مـن بيـن المـدن الفلسطينية هو غير مقبول وليس عمليـا. أن الانطلاقـة المتطرفـة فـي المفاوضـات، لا تؤدي دائما إلى إحراز المبتغـى".

طلبت أيضا مناقشة المطلـب الفلسـطيني المفـاجئ والخـاص بتشـكيل قـوة مشتركة، بيد أن هذه المسالة لاقت معارضة شديدة لـدى الحـاضرين، وقيـل لـي: "إن المسئولية الأمنية غير قابلة للتقاسـم. وأعـرب اللـواء ايـلان بـيران – قـائد القطـاع

الأوسط عن تحفظه من إعادة انتشار آخر في رام الله وبيت لحم، في المرحلة الأولى.

وقال: "ستكون السلطة الفلسطينية، على بعد خمس دقائق سفر من القدس، لذا فإنني أوافق على الاكتفاء بإعادة، انتشار في أربع مدن فلسطينية قبل الانتخابات".

وفجأة اخذ رابين زمام الأمور بصورة مفاجئة وقال: "على أية حال، يجب علينا أن نبدأ التفكير بإعادة، انتشار الجيش الإسرائيلي خارج قواعده الثابتة في شوارع القرى بالضفة الغربية والتي تشكل ٦٥% من مجموع الجماهير الفلسطينية. وإذا كان بالإمكان التوصل إلى نظرية ثالثة، تسمح بتسليم الفلسطينيين الصلاحيات المدنية في المناطق القروية، وعلى أن نتسلم نحن المسئولية الأمنية، فلا شك في أن اقتراحنا سيكون اكثر معقولية، وسيتساوق مع إعلان المبادئ".

طلب رابين من ديان وزينجر أن يدرسا قضية المنطقة الثالثة. أما فيما يتعلق ببيت لحم ورام الله، فقد طلب من نائب رئيس الأركان متان فلنائي أن يدرس كم من الوقت نحتاج لشق الطرق الالتفافية بالقرب من هذه المدن. وفيما يتعلق بالخليل، قال رابين: سنصر على تنفيذ إعادة الانتشار التي اقترحتها وزارة الدفاع الإسرائيلية، والتي تنص على إبقاء الجيش الإسرائيلي في مكانه بيد أننا سنوافق على اتخاذ إجراءات معينة يوم إجراء الانتخابات.

وأعرب رابين عن تحفظه من تشكيل قوة مشتركة، لكنه أيد فكرة إنشاء أطر مقلصة للتعاون الأمني.

اجمل زينجر قرار رئيس الحكومة في وثيقة خاصة، أعلن فيها عن وجود منطقة ثالثة وهكذا، تضمنت خارطتنا المقترحة منطقة بنية اللون هي المنطقة (A) وتقع تحت السيطرة الفلسطينية على الصعيدين العسكري والمدني، ومنطقة ذات لون اصفر (B) وتقع تحت السيطرة العسكرية الإسرائيلية والسيطرة المدنية الفلسطينية، ومنطقة ذات لون ابيض، وهي المنطقة (c) وتقع تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة على الصعيدين العسكري والمدني.

وعندما شاهد رابين الوثيقة والخارطة المرافقة لها، طلب أن نعمل على توسيع المناطق ذات اللون الأصفر على أن نأخذ بعين الاعتبار الأراضي المملوكة للفلسطينيين، والعديد من المناحي المتعلقة بالصلة بين القرى، وفي نفس الوقت، طلب أن نخرج من هذه المنطقة، الطرق التي تخدم الإسرائيليين في تحركاتهم. وإزاء الحديث عن الانسحاب الأول جرى الحديث عن انسحاب بنسبة ٢،٥% من الضفة الغربية على اعتبار أن هذه النسبة، هي المنطقة (A)، و٢٥% على اعتبارها المنطقة (B) مع بقاء ٧٢،٥% من المنطقة ضمن إطار (c) – أي أنها ستبقى كلها في أيدينا.

أصبحنا على أهبة الاستعداد لخوض المعركة حول إعادة الانتشار. وكان قد تم الاتفاق سابقا، على إجراء المفاوضات في إيطاليا. ولهذا السبب، استدعي بيرس سفيرنا في روما (آفي برنر)، وطلب منه أن يعثر على مكان مناسب لإجراء المفاوضات، وكان عليه أن يعمل بسرية بالغة، وان يكون على صلة بهذا الصدد مع وزيرة الخارجية الإيطالية سوزانه انيلي، التي كانت علاقاتها مع بيرس وطيدة.

سافرنا والوفد الفلسطيني في طائرة تابعة لشركة فيات حتى روما، وهناك تم نقلنا إلى مركز الندوات التابع للشركة في سيارات منفردة. والمبنى المذكور هو مبنى كبير من أربعة طوابق.

وفي ساعات ما بعد الظهر، تجمعنا في إحدى غرف المحاضرات في الطابق الأرضي، وفورا قدمنا إلى الفلسطينيين نسخا من اقتراحنا للملحق العسكري لاتفاقية التسوية المرحلية.

عمد الفلسطينيون إلى مراجعة المسودة، والخارطة، وتسجيل ملاحظاتهم على هامش الصفحات. كان الملحق الذي يتضمن تسع فقرات، يؤكد على سياسة محاربة الإرهاب التي ستنتهجها السلطة الفلسطينية. كما تطرق إلى قيام السلطة الفلسطينية بمصادرة الأسلحة غير المشروعة، في كل مدينة يتم تسليمها لها. وتقديم الإرهابيين إلى المحاكمات، واتخاذ أساليب منهجية أخرى، لمنع الإرهاب

والتحريض على العنف. وتضمن الملحق أيضا تفصيلا واضحا لمسئولية إسرائيل عن ضمان الأمن في الضفة الغربية كلها، باستثناء المدن التي كانت ستسلم للفلسطينيين. وتطرق الملحق إلى اقتراح إقامة منطقة ثالثة-المنقطة القروية- والتي ستتحمل فيها إسرائيل المسئولية الأمنية، ويتحمل الفلسطينيون المسئولية المدنية ونص الملحق أيضا، على تنفيذ عمليات إعادة الانتشار الرامية إلى توسيع المنطقة الخاضعة للسيطرة الفلسطينية الكاملة، بصورة تدريجية، وبالتناسب مع الوضع الأمني.

وفي صبيحة اليوم التالي رد أبو علاء على وثيقتنا باعتدال -كأسلوبه دائماً في المرحلة الأولى، كي يرينا أنه يتطرق إلى مواقفنا بجدية- وطلب بعض التوضيحات. وقد دار الجدل حول مساحة المنطقة (B) بيد أننا رفضنا مناقشة مسألة المساحة، وقلنا أننا سنقدم إليهم خارطة مفصلة بعد أن يتم الاتفاق على مبادئ النظرية الأمنية.

وخلال التشاورات التي أجريناها فيما بيننا، اقترحت ألا يتم كشف الخارطة للفلسطينيين حتى نهاية المفاوضات كي لا نطرح قضية تؤدي إلى تدني مستوى التفاهم، فقد كنت أدرك أن التطلعات الفلسطينية، أكبر بكثير مما قررنا اقتراحه عليهم.

ثم انتقلنا إلى غرفة مجاورة، وأخذنا نجمل النظريات الأساسية للمناطق، على ورقة بيضاء دون أن نكشف مساحتها، مما أثار ثائرة الفلسطينيين، وخصوصاً حسن عصفور، الذي استهل حديثه قائلا:" وفقا لاتفاقيات أوسلو يجب أن نتسلم جميع الصلاحيات الأمنية والمدنية عشية الانتخابات.كفوا عن مضايقتنا بهذه المصطلحات القضائية، يجب عليكم أن تسلمونا غالبية الضفة الغربية".

رد عليه يوآل زينجر بإسهاب، حول نظرية تسليم الصلاحيات الأمنية بالتدريج، بيد أن رأي الفلسطينيين بقي على ما هو عليه. لذا، اقترحنا عليهم أن يعودوا إلينا وهم يحملون ردا لملاحظاتنا على الملحق الأمني، واتفقنا خلال محادثات (تورينو) على مزج اتفاقية غزة أريحا في اتفاقية التسوية المرحلية.

وفي ساعة متأخرة، طلبت، أنا وزينجر، من أبو علاء أن يقوم بجولة معنا في الحديقة. وأوضحنا له خلال النزهة، استحالة أن نحصل على موافقة رابين على المنطقة (B)، الا إذا تحملت إسرائيل المسئولية الأمنية.

قال أبو علاء:" أنا أتفهم ضرورة الأمن، بيد أن من المستحيل أن نوافق على أن تعيش غالبية جماهير الضفة الغربية تحت نير السيطرة الإسرائيلية الكاملة" وعاد أبو علاء لطرح فكرة التعاون الشامل في هذا المجال، واشار إلى أن إعلان المبادئ وعد الفلسطينيين بالسيطرة الكاملة على مصير شعبهم.

طرحنا، أنا وزينجر، فكرة إمكانية اندلاع مواجهات بين المستوطنين والفلسطينيين وقلنا له: إذا حدث ذلك، فإن الجيش الإسرائيلي وحده هو الذي سيكون قادرا على معالجة هذا الوضع.

وأضفت:"بمرور الزمن سيعتاد الطرفان هذا الوضع، وحينها_مثلما جاء في صيغتنا- سنستطيع توسيع مسئوليتكم الأمنية".

-أبو علاء:" سأتحدث مع زملائي ومع الرئيس أبو عمار، حينما أعود، وعندما تصل الأمور إلى الشئون الأمنية، فإننا على استعداد للاستجابة لاحتياجاتكم. لكن لا تنسوا أن كل ذلك سيكون رهنا بأن نقتنع بأن هدفكم هو حقاً الحفاظ على الأمن، وليس أن تسرقوا منا أرضنا".

أدركنا في أعقاب هذا الحديث، أن المفاوضات ستكون شديدة جدا، بيد أننا كنا نتمتع على الأقل، بميزة أننا قدمنا وثيقة إسرائيلية مفصلة وحددنا معايير التسوية المرحلية بوجود السيطرة العسكرية الإسرائيلية في المرحلة الأولى على غالبية الضفة الغربية دون الانتقاص من قدرة الفلسطينيين على توسيع المناطق الواقعة تحت سيطرتهم تدريجيا.

كانت نواة التسوية المرحلية على النحو التالي: كان الفلسطينيون على استعداد للتنازل عن صلاحيات أمنية بصورة اسهل من التنازل عن مناطق، أو بمعنى آخر كان أمن المستوطنات مسألة مقبولة لديهم، كمصلحة يجب أن يأخذوها بعين الاعتبار لكنهم ليسوا على استعداد للقبول بتوسيعها.

كانت صيغة الحل، تقوم على خلق منطقة سيطرة مشتركة خلال مرحلة التسوية المرحلية، والنقل التدريجي لمناطق أخرى إليهم. ولم يبق الان سوى التفاوض حول مركبات هذه الصيغة.

حدد رابين الأول من حزيران، كبداية لإجراء المشاورات. كان راضيا عن محادثات تورينو ووقف بحزم خلف التكتيك الذي اتبعه الوفد الإسرائيلي. واتخذ قرارا بضم اورن شاحور إلى طاقم المفاوضات، وأمر بطرح مسألة نقل الصلاحيات على جدول الأعمال.

عدنا في نفس اليوم إلى تورينو وقدم الفلسطينيون، وهم يحملون ملاحظات مكتوبة، حول صيغة الملحق الأمني، كانت الخلافات بين الطرفين عميقة للغاية فقد أصر الفلسطينيون على المسئولية الأمنية المشتركة في المنطقة(B)، وطالبوا بأن تشمل المنطقة(A) المدن الفلسطينية كلها، وجميع القرى البلدية في الضفة الغربية. كما طالب الفلسطينيون بأن يتم وصف إعادة الانتشار كإجراء غير قابل للتغيير.

وقدم الفلسطينيون لنا مدخلا جديدا للملحق الأمني. وأكد أبو علاء أنه إذا ما قبلنا هذه الصيغة فسوف يبدي الفلسطينيون مرونة في كل ما يتعلق بباقي الصيغة.

أكد المدخل المذكور على حرية الحركة للفلسطينيين داخل الضفة الغربية"والمعبر الآمن". بين الضفة الغربية وغزة.

وقال أبو علاء:" لن نسمح لكم بالسيطرة على حرية حركتنا، ولن نوافق على وجود أي حواجز عسكرية للجيش الإسرائيلي داخل الضفة الغربية".

كان الفلسطينيون يرغبون أيضا، في ضمان تسليمهم الصلاحيات المدنية بوتيرة سريعة في غالبية مناطق الضفة الغربية. وقد حاول أبو علاء القيام بمناورة ذكية، حيث اكتفى برد شفهي على وثيقتنا المفصلة دون الالتزام بموقف دقيق، وفي بلورة غالبية المصالح الفلسطينية في مدخل الملحق الأمني.

حاولنا، أنا وزينجر خلق مزاوجة بين صيغتي الطرفين، وقد تم استخدام هذه الصيغة كأساس للمفاوضات المستقبلية، هو المبادئ الأمنية. وقد تم الإشارة إلى الملاحظات والتعليقات العامة الفلسطينية في صيغة الملحق الأمني. ولم تتقدم الا بعد أن وافق الفلسطينيون على المناطق الثلاث في الضفة الغربية ومنطقة فلسطينية(A) ومنطقة إسرائيلية (c)، ومنطقة تحت السيطرة المشتركة (B) على أن يتم تحديد ذلك خلال المفاوضات. وهكذا، اصبح بأيدينا بداية وثيقة مشتركة.

عدنا إلى إسرائيل، ونحن نشعر أننا أحرزنا تقدما حقيقيا. وفي الطرق سلينا أنفسنا أنا وأبو علاء، بتقليد حوار بيرس وعرفات لقد كنا بحاجة إلى قسط من الراحة، بعد كل هذا التوتر الكبير.

وحال عودتنا اتفق رابين وبيرس، على أنه آن الأوان كي نكشف للفلسطينيين النقاب عن المدن التي نعتزم الانسحاب منها، وأن يكشفوا لهم أيضا المطلب الإسرائيلي القائل، بضم جميع المناطق القروية الفلسطينية، في المنطقة (B) وليس (A) مثلما أراد الفلسطينيون.

تمحورت الخلافات، حتى تلك اللحظة، في مواقفنا، حول مسئولية كل طرف في كل منطقة من المناطق الثلاث في الضفة الغربية، وهكذا بدأ النزاع يدور حول مساحة كل منطقة.

قدمت مونه لنقلنا –ديان وزينجر والعميد شلومو بروم نائب ديان–وأنا– إلى منزل الملحق النرويجي، حيث كان الفلسطينيون بانتظارنا هناك. واتفقنا على أن يبيت الفلسطينيون هناك، على أن نعود نحن إلى منازلنا.

بدأت الحوار بالقول: أن الجيش الإسرائيلي سيعيد انتشاره الأول، عشية الانتخابات الفلسطينية، خارج الحدود القضائية للمدن: جنين وطولكرم وقلقيلية ونابلس، والتي سيطلق عليها المنطقة(A). على أن يتم فيما بعد –وفي أعقاب استكمال شق الطرق الالتفافية لتحركات الإسرائيليين– تنفيذ إعادة انتشار جديد في منطقتي بيت لحم ورام الله. أما الخليل فسوف تعتبر حالة خاصة، نظرا لوجود مستوطنين داخلها، واقترحت أن يتم تشكيل لجنة توكل إليها مهمة إعداد ترتيبات

خاصة للانتخابات الحرة في هذه المدينة. أما المناطق القروية ٠(B)، فتتم إدارتها بالتعاون بين الجهتين، على أن تتحمل إسرائيل المسئولية الأمنية، وتتحمل السلطة الفلسطينية مسئولية الشئون الإدارية. أما المناطق غير المأهولة، وكذلك المناطق التي توجد فيها المستوطنات، فسوف تبقى تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة، بوصفها المنطقة(C).

وفي أعقاب إجراء الانتخابات، تقوم إسرائيل بتسليم السلطة الفلسطينية- وفقا لتقديرات إسرائيل- صلاحيات أمنية في المنطقة (B)، وفي المناطق غير المأهولة من المنطقة (C). والتي لا أهمية أمنية لها. ولا ينطبق ذلك بحال على أي منطقة من مناطق المستوطنات.

سجل الفلسطينيون ملاحظات على أقوالي، ثم طلبوا وقف المفاوضات لبعض الوقت. وسمعنا أصوات نقاشهم الغاضب وهو ينبعث من غرفة المفاوضات.

أدركنا هذه المرة، أن الأزمة قادمة لا محالة، ولم نعرف مدى تأثير هذه الأزمة على الطرفين بيد أننا اعتقدنا أن التاريخ الهدف-الأول من تموز- سيضغط على الفلسطينيين لدفعهم إلى التقدم.

عدنا إلى طاولة المفاوضات، وقال الفلسطينيون أنهم على استعداد للرد على اقتراحاتنا، واستهل أبو علاء الحديث بلهجة شديدة قائلا:

"نحن على استعداد لتطبيق اتفاقية إعلان المبادئ معكم، بيد أن ما تطرحونه بعيد كل البعد عما وقعنا عليه. فأنتم تريدون تقريبا ٩٠% من المناطق، و١٠٠% من المسئولية الأمنية ولا تبدون أي التزام، فيما يتعلق بما ستفعلونه في المستقبل، إضافة إلى أنكم تحدون من حركتنا وهذا ما لا نقبله، وبصورة خاصة محاولتكم إضفاء الشرعية على الوضع الراهن، مع تغييرات طفيفة على أرض الواقع. الان أنتم تسيطرون كمحتلين، وبمقدورنا مقاومتكم تحت هذا الوصف، ولن تحصلوا أبدا على موافقتنا لتخليد الوضع على ما هو عليه بوسائل أخرى ونحن نطالب بإحداث تغيير حقيقي، مثلما هو وارد في اتفاقية إعلان المبادئ.

وأضاف ... نحن على استعداد للتعاون في مجال محاربة الإرهاب، بيد أنه يجب توسيع مساحة المدن، بحيث تشمل سلسلة من القرى، ولن نوافق بأي حال على التمييز بين مدينة وأخرى. وبمقدوركم الحفاظ على مسئولية إسرائيل الأمنية، في جميع المناطق المأهولة الأخرى(B) بيد أنه يجب أن نتسلم صلاحيات كاملة، بما فيها الصلاحيات الأمنية على الفلسطينيين، ونحن على استعداد لوضع شرطة فلسطينية هناك، على أن تقدم لكم تقارير حول نشاطاتها، بيد أنها لن تكون خاضعة لكم، ولن نوافق على إهانة رجال شرطتنا بوضعهم تحت سيطرتكم.

وأضاف ... وفيما يتعلق بالمستقبل، فإننا نطالب بجدول زمني دقيق، وخارطة مفصلة على مواصلة تسليمنا المناطق في أعقاب الانتخابات الفلسطينية. ولا نعتزم أبدا، إرجاء نقل أي قضايا تتعلق بالتسوية المرحلية، حتى بدء مفاوضات التسوية الدائمة.

واضاف... إذا ما قبلنا توجهكم القاضي بإبقاء غالبية المناطق والصلاحيات الأمنية في أيديكم، فسوف تتحول الضفة الغربية إلى منطقة خصومات وعداء، وليس هذا هو هدفنا، يجب أن تصبح فترة التسوية المرحلية جسرا للتعاون نحو التسوية الدائمة.

أدركت بعد أن أنهى أبو علاء أقواله أن علينا أن نعلن عن رفضنا القاطع لمطالبهم. بيد أنني اكتفيت بالقول: أننا سمعنا أقوال أبو علاء وعرفنا ماهية التطلعات الفلسطينية، وسنقدم تقريرا عن ذلك لرابين وبيرس.

وجدنا أنفسنا وقد وصلنا إلى طريق مسدود، لأن الخلافات القائمة كانت هائلة إلى الدرجة التي لا نستطيع معها أن نبدأ المفاوضات طلبت أن أتحدث مع أبو علاء على حدة، وتوجهنا سويا إلى غرفة جانبية، وجلسنا، أحدنا في مواجهة الآخر. وقلت له:" اقتراحاتكم لن تكون معقولة، لن نمنحكم مسئولية إلى هذا الحد الكبير على الصعيد الأمني فنحن ببساطة، لا زلنا لا نثق بكم. إن اقتراحاتكم ستخرب المفاوضات، وإذا ما قبلناها، ستتفجر الضفة الغربية كلها".

وقد رد أبو علاء على أقوالي بعدوانيــة غــير مألوفــة:" أنتــم ترغبــون فــي ضمان الأمن، وأنا أتفهم ذلك، بيد أننا لن نقبل سيطرتكم علــى أراضينــا تحــت شــعار الأمن، وعلى وجه الخصوص فــي ظــل غيــاب عــدم الــتزام باســتمرارية المســيرة. وعدم الثقة هي مسألة متبادلة وبمقدوركــم أن تحــاولوا فــرض وجهــة نظركــم علــى عرفات. وإذا ما مارستم اشد الضغوط مــن أجــل دفعــه إلــى الزاويــة، فقــد لا يجــد أمامه خيارا سوء قبول وجهة نظركم. لكن يجب عليكم أن تتذكــروا أنــه إذا مــا فعلتــم ذلك، فسوف تعزلونه، فالاتفاق من جانب واحد لن يصمــد لــذا يجــب عليكــم التفتيــش عن وسائل لضمان أمنكم وفي نفس الوقــت يــوازن الاتفاقيــة. وإذا كــان الأمــن هــو حقا، مصلحتكم الوحيدة، فنحن لن نتنازل عــن أي أراضــي".

رددت على أبو علاء بغضــب:" إذا كنــت تتــهمني بمحاولــة الوصــول إلــى اتفاق من جانب واحد، يجــب عليــك البحــث لــك عــن شــريك جديــد. إن مطــالبك ستقودنا إلى طريق دون مخرج، وأنتــم ســتكونون الخاســرين والعــبء ملقــى عليــك أنت، لذا اقترح عليك أن تعود لي وأنت تحمــل أفكــارا أخــرى".

نهض أبو علاء دون أن ينبــس ببنــت شــفة، واســتدعى ســائقه، وتصافحنــا ببرود، وانطلقنا كل واحد وجهتــه.

وفي تقريرنــا لرابيــن وبــيرس نصحنــا بــأن يتــم الانتظــار حتــى يقــوم الفلسطينيون بخطوة من جانبــهم، فقــد كــان مســتقبل النظريــة الأمنيــة فــي الضفــة الغربية معلقا في كفة المــيزان.

في الثامن والعشرين من حزيــران، اجتمعــت أنــا وأبــو عــلاء فــي فنــدق (دان) في تل أبيب. كان غضبنا قد انطفــأ واقــترح أبــو عــلاء أن نرجــئ المحادثــات حول معايير كل منطقة من المناطق الثــلاث فــي الضفــة الغربيــة. وكــان يجــب أن نحدد مزايا المنطقة(B) وإمكانية مواصلة إعادة الانتشار وقلــت لــه: أنــه وفــي ضــوء توقع الجماهير توقيع الاتفاقية فــي الأول مــن تمــوز، فــإن مــن الأفضــل أن يلتقــي بيرس وعرفات ويعلنا أنه تم التوصل إلى اتفاق. ومن الجديــر بــالذكر، أنــه لــم يكــن قد تم الإعلان حتى ذلك الحين، عن وجود حــوار حــول هــذه القضايــا- لــم يتســرب

أي نبأ حول المفاوضات التي استغرقت شهورا في فندق يميت ومحادثات(تورينو). وعلى أية حال، يجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نتفق حول خطوط الاتفاق، بيد أن الأمر لن يكون ممكنا الا إذا توصلنا إلى تفاهم حول طبيعة المنطقة(B).

قبل أبو علاء بفكرة عقد اللقاء بين بيرس وعرفات، ثم اقترح أن تكون السلطة الفلسطينية مسؤولة عن النظام العام في المنطقة(B)، في حين تكون إسرائيل مسئولة عن مكافحة الإرهاب وأمن الإسرائيليين الذين يعبرون هذه المنطقة.

سألته: ما الذي سيحدث إذا ما اصطدمت عملياتنا مع الفلسطينيين ؟ فقال: بالإمكان تنسيق هذه العمليات عبر مكتب ارتباط في كل منطقة.

قلت:" نحن نعتقد أن بالإمكان تقسيم العمل بين قواتي الأمن، لكن ليس لتقسيم المسئولية. يجب على إسرائيل أن تمسك بين أيديها بزمام المسئولية الأمنية بصورة حاسمة- كان هذا هو الموقف الذي بلورته وزارة الدفاع- وإذا ما استطعنا الاتفاق حول هذا الشرط، وعلى هذا المبدأ، يمكننا مواصلة نقاش جميع التفاصيل". بيد أن أبو علاء رفض الرد على اقتراحي وفضل ترك القرار لبيرس وعرفات.

اتصل بي رابين في أعقاب اللقاء. وقد كان يخشى من أنه إذا لم نتوصل إلى قرار حتى الأول من تموز، أن نضطر لمواجهة مظاهرات وغليان في الضفة الغربية. فقلت له: إن الأمور لا زالت تراوح مكانها دون تقدم. وهكذا القي على عاتق بيرس، كسر الجمود من جديد.

اجتمع بيرس وعرفات مساء السبت الموافق الأول من تموز، على الجانب الإسرائيلي من حاجز ايرز. كانت وسائل الإعلام احتشدت وجاء عرفات محاطا بعدد من حراسه الشخصيين. وقد جرت المقابلة في غرفة صغيرة في مبنى الإدارة المدنية ولم يشارك في الجلسة الافتتاحية مع بيرس وعرفات، سوى أنا وأبو علاء، في حين انتظر أعضاء الحاشيتين الآخرون في غرفة مجاورة.

وفي أعقاب مراسيم الاستقبال والمجاملات، ومنـــح وســائل الإعــلام فرصــة تصوير اللقاء، أعرب بيرس عــن تقديــره للعمــل الســري للجنــة الأمنيــة وللشــراكة الخاصة بين (يوآل زينجــر) وصــائب عريقــات، بشــأن الانتخابــات وقــال: بمقــدور أورن شاحور وجميل الطريفي مواصلـــة نقــاش عمليــة نقــل الصلاحيــات. وقــد رد عرفات بنفس الأسلوب الذي يرد فيــه، كــل مــرة تطــرح فيــه، قضيــة الصلاحيــات المدنية على جدول الأعمال- رد بــأقوال تتعلــق بالمــال، فقــال:" عليكــم أن تمنحونــا أيضا صلاحية جبي الضرائب غــير المباشــرة، نحــن بحاجــة إلــى المــال، والمبــالغ الممنوحة لنا من الدول المانحة غير كافية، ورجـــال الشــرطة الفلســطينية لا يتســلمون رواتبــهم".

وفي الحقيقة، كنا قد قررنــا تســليم الفلســطينيين صلاحيــة جبــي الضرائــب غير المباشرة في نهايـــة المســيرة، وذلــك مــن أجــل اســتخدامها كمحفــز لتســريع المفاوضات. وقد حدا ذلــك ببــيرس لتغيــير موضــوع الحديــث، فوصــف لعرفــات الضيق الشديد الذي يعم أوساط الجمــاهير الإســرائيلية، جــراء عــدم توقــف الأعمــال الإرهابية، وقال:" حقــا، إن أداءكــم تحســن كثــيرا علــى الصعيــد الأمنــي، بيــد أن العمليات لا زالت متواصلة، إننا نقترب لتجســيد خطــوة شــديدة الأهميــة، وأنــا أؤيــد هذا التجسيد. وأنت تعلم، ســيدي الرئيــس أننــي أعــارض أن يســيطر اليــهود علــى مصير شعب آخر، بيد أنه علينــا أن نقنــع شــعبنا بذلــك، وأن نتقــدم علــى الطريــق بحذر. ولا يجب بأي حــال مــن الأحــوال، أن نخلــف احتكاكــات بيــن شــعبين، لان هناك متطرفين في الجانبين، كما عليكم أن تفكــروا فــي الانتخابــات التــي ســتجرونها لاول مرة، في تاريخ الشــعب الفلســطيني، وتذكــر أن أي أمــة أخــرى لــم تعــرض عليكم ما نعرضه عليكم نحن. لقد قلــت لــي قبــل عــدة اشــهر، أنــهم أنزلــوك إلــى مستوى رئيس بلدية غزة، وهانحن الآن نتقدم باتجــــاه التفــاوض حــول المــدن الســت الكبرى في الضفة الغربية. ولا شك أن هــذا تطــور تــاريخي، لكــن يجــب عليكــم أن تأخذوا بعين الإعتبار، اعتباراتنــا الأمنيــة.

سجل أبو علاء أقوالي، وأرسل باتجاهي ضحكة صفراء، وبدا أنه يعتقد أن بيرس يقود عرفات خلال النقاشات بالاتجاه المرغوب لإسرائيل. وفي الوقت الذي واصل فيه بيرس إيضاح مطالبنا. بالمسئولية الأمنية الحاسمة في منطقة(B) بيد أن عرفات حاول التهرب من النقاش، حينما ذكر بيرس مصطلح السيطرة باللغة الإنجليزية (overiding) وقال:" إذا كان الأمر يتعلق بمصطلح إنجليزي فإنني سأتركه لأبو علاء".

رسم بيرس ابتسامة واسعة، وقال:" أبو علاء:" متشدد جدا، افصله من المفاوضات، إنه وسبير يتمتعان بإدارة مفاوضات دون التوصل إلى أي نتائج، إفصله وسأفصل أنا أوري.

ضحك عرفات، بيد أنه امتنع عن التطرق إلى المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقة(B).

طلب بيرس من ديان أن يشارك في الجلسة، وأن يستعرض الوضع الأمني، وقد خرجت من الغرفة، فيما بقي ديان حوالي ساعتين وعندما خرج، قال أنه مارس هو وبيرس ضغوطا شديدة على عرفات، بيد أن عرفات لم يتنازل أبدا.

تم استدعاء زينجر لدراسة الحلول التي بدأ أبو علاء يقترحها. وقد قال للفلسطينيين أن هناك العديد من المصطلحات في إطار الممكن، أما مصطلح المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقة(B)، فيجب أن يظهر في الوثيقة.

وعندما استدعيت بعد ست ساعات للعودة إلى غرفة الحوار بين بيرس وعرفات سمعت بيرس يقول بلهجة غاضبة:" لن نصل إلى أي اتفاقيات إذا لم يعلم جنودنا أنهم المسؤولون عن المنطقة(B) وإذا لم تسر الأمور على هذا النحو، ستحدث صدامات في المنطقة، هل توافق؟؟ هل توافق؟؟ إذا لم توافق، فإن رابين وأنا لن نستطيع التقدم نحو الاتفاق أبدا".

كان عرفات يحملق في فضاء الغرفة تارة، ثم تعوذ عيناه للحملقة في الورقة الموضوعة أمامه على الطاولة، والتي كتب فيها بيرس بخط يده مسألة

"المسئولية الأمنية الحاسمة في المنطقـــة(B). وبـــدا بوضـــوح أنـــه يعـــاني مـــن أزمـــة حقيقية فقد أدرك أن بيرس لن يستجيب له. ورغم ذلـــك يبـــدو أنـــه شـــعر أن إســـرائيل تعتزم إحداث تغيير واسع في الضفة الغربية من خـــلال صلاحياتـــها الأمنيـــة.

لقد جلس عرفات حوالي ساعة في الغرفـــة دون أن يتفـــوه بكلمـــة، فيمـــا كـــان بـــيرس يقوم، بين الفينة والأخرى ليقطع الغرفة جيئة وذهابا وهـــو نـــافذ الصـــبر.

Israel will have the overriding responsibility for internal security in order to protect Israelies and fight against terrorism

Consequently movement ~~[illegible]~~ on the roads of Palestinians armed police, or its activities in villages that don't have permanent stations, will ~~[illegible]~~ be confirmed ~~through~~ by the DCO

وثيقة بخط يد بيرس قدمها إلى الرئيس الفلسطيني
عرفات إبان المفاوضات حول تحديد المسئوليات
الامنية الاسرائيلية في المنطقة (بي) ١-٧-١٩٩٥

في نهاية المطاف، قال عرفات: أنه يحتـاج للتشـاور مـع مقربيـه، واقـترح أن نحدد موعدا لمواصلة الحوار، بدا بيرس غـير راض، بيـد أنـه قبـل بذلـك، وتـم الاتفاق على إعلام وسـائل الإعـلام بأنـه تـم إحـراز تقـدم عـام. وأن الاتصـالات ستتواصل بين الزعماء في غضون الأيام القليلـة القادمـة.

استؤنف الاجتماع بعد ثلاثة أيـام. وكـان أبـو عـلاء يرسـل لـي فاكسـات تحمل حلولا تتضمن مصطلح"المسـئولية الحاسـمة" لقـد أدرك الفلسـطينيون، أنـه لـم يبق أمامهم سوى محاولة الحصول على أكبر ثمن ممكـن مقـابل موافقتـهم علـى مـا تريده إسـرائيل.

وفي رسالة الفاكس، التي بعث بها أبو علاء إلـي ليلـة الثـاني/ الثـالث مـن أيلول، والتي كتبها على ورق مـروس بشـعار مكتـب الرئيـس، وصـل إلـى حالـة توازن في اقتراحاته حيـث قـال: تحصـل إسـرائيل علـى مسـئولية حاسـمة علـى المنطقة (B)، في حين تخول السلطة الفلسطينية مسـئولية الحفـاظ علـى النظـام العـام من خلال سلسلة من مراكز الشرطة. كما أكـد علـى ضـرورة نقـل منـاطق أخـرى إلى السلطة الفلسطينية، مع تحديد جـدول زمنـي محـدد وملـزم، ونقـل أراض دولـة إلى الفلسـطينيين.

تلبية لطلب من رئيس الأركان، قمت أنـا وزينجـر ويتـوم، بـإعداد ردودنـا. وفي اليوم التالي الموافق الرابع من تمـوز، التقينـا رابيـن قبـل التوجـه إلـى حـاجز ايرز، بيد أن اقتراحات أبو علاء أثارت ثائرتـه، وقـال:" هـل يـود أن نبـدأ تسـليمه الضفة الغربية بصورة تدريجية؟؟ فلننس هـذه القضيـة".

ومن الجدير بالذكر، أن رابيـن كـان يعمـد فـي كـل مـرة يغضبـه فيـها الموقف الفلسطيني، إلى التحذير من التنازل بشـأن القضيـة المطروحـة.

اقترحت أن نتوصل مـع الفلسـطينيين إلـى اتفـاق ينـص علـى أن يكـون منتصف عام ١٩٩٧ هو التاريخ الذي سننقل إليـهم مسـئولية المنـاطق التـي لا نعـزو إليها أهمية أمنية -الانسحاب الإضافي- فقـال رابيـن إن منتصـف عـام ١٩٩٧، هـو

تاريخ مقبول لديه، بيد أنه لا يجب أن نفصح للفلسطينيين عن مساحة الأراضي التي سنسلمها إليهم. ولا شك أننا سنضطر في يوم من الأيام لفتح خارطة إعادة الانتشار الإضافي، لكن بالتأكيد ليس الآن".

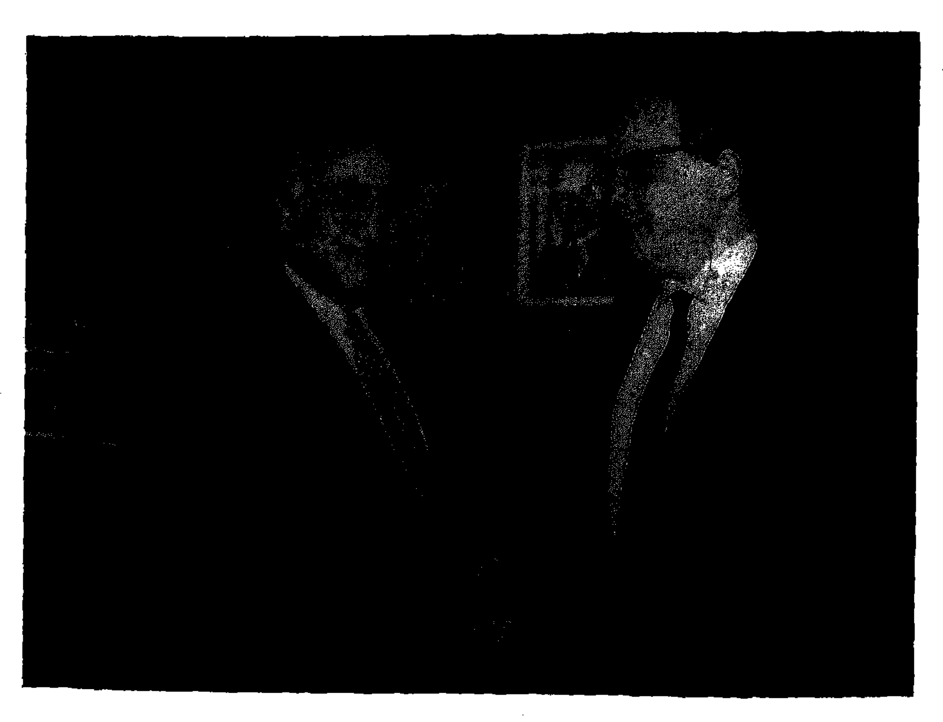
بدا أن بيرس غير مرتاح للهجة رابين، ويعتقد أنه لم يقدر بصورة جيدة الجهد الذي بذله والصلابة التي أبداها في الحوار مع عرفات. وخيل اليّ أن رابين كان يريد أن يقول للمحيطين به أنه حقا لا يدير المفاوضات، بيد انه يسيطر على الوضع.

وعلى أية حال، فإن توجيهات رابين ورسالة أبو علاء، كانت كافية لتحويل لقاء الرابع من تموز إلى قاعدة مريحة للاتفاق. وقد بدأ اللقاء بجلسة بين عرفات وبيرس على انفراد، ثم استدعيت أنا وأبو علاء للانضمام إليهما. وقد جاء في صيغة الاتفاق:

١. في المنطقة(A)-المدن- تحتفظ السلطة الفلسطينية بجميع الصلاحيات الأمنية والمدنية.
٢. في المنطقة(B)-القرى الفلسطينية- تكون لإسرائيل مسئولية حاسمة للأمن، من أجل الدفاع عن الإسرائيليين ومحاربة الإرهاب، في حين ستتسلم السلطة الفلسطينية الصلاحيات المدنية، وتكون مسئولة عن النظام العام-للفلسطينيين-.
٣. يكون لإسرائيل في المنطقة(c) مسئولية أمنية ومدنية كاملتان.

اقترح بيرس، أن يتم حل القضايا العالقة الأخرى- كيف ستعمل الشرطة الفلسطينية في المنطقة(B) من أجل الحفاظ على النظام العام، وقضية الخليل بواسطة لجان خاصة تعمل في إطار مفاوضات واسعة. واقترح استكمال الانسحاب الإضافي حتى منتصف عام ١٩٩٧- طالب الفلسطينيون باستكمالها حتى شباط ١٩٩٧. وأن يبدأ رجال الشرطة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي بتنسيق إعادة الانتشار.

وفي حديثهما إلى الصحفيين، لـم يتطـرق بـيرس وعرفـات إلـى التفـاصيل بيد أنهما أشارا إلى توجيههما أمرا لـي ولأبـو عـلاء لاسـتكمال المفاوضـات حتـى الخامس والعشرين من تمـوز.



١١- أوري سبير ووزير الخارجية الأردني جواد العنـاني إبـان الاتفاقيـة الأردنيـة - الإسرائيلية.

الفصل السابع

تفكيك الاحتلال

انسحابات دون تحديد مساحات

نقل الصلاحيات من "السادة" للعبيد خلق أزمة حسية لدى الإسرائيليين

أبو علاء اقترح: ٧٥٪ و٢٥٪ لكم فرفضنا

تفكيك الاحتلال

بدأت المفاوضات- في أعقاب الموافقة المبدئية- لبلورة الاتفاق، وتحدثنا حول نقل الصلاحيات الأمنية والمدنية في الضفة الغربية إلى أيدي السلطة الفلسطينية، وتحديد أسس العمل للانتخابات الفلسطينية. لقد كان زينجر على حق، لقد بدأت الآن المرحلة الصعبة، وفتحت الطريق نحو المرحلة المعقدة والصعبة وشديدة التوتر في المفاوضات.

قررنا أن تعمل جميع اللجان في آن واحد. وتم تقسيمها إلى لجان تعمل في المجال الأمني -بما فيها لجنة فرعية لشئون الخليل- ولجان لنقل الصلاحيات، والانتخابات والملحق القضائي، وملحق التعاون، والاتفاقية نفسها.

لقد عكفنا خلال الفترة الواقعة بين لقاء الرابع من تموز في حاجز ايرز وبين بدء المفاوضات بصورة عملية على تشكيل اللجان، والبحث عن مكان للقاء.

ومرة أخرى، قررنا عقد اللقاءات في ايطاليا، حيث عرضت علينا الحكومة الإيطالية منشأة عسكرية وقام طاقم خاص بإجراء جميع الترتيبات الضرورية لكن عرفات غير رأيه، فقد أراد أن يبقى طاقم مفاوضاته قريبا منه- لذا وافقنا على عقد الاجتماعات في فندق (جني موريه) في (زخرون يعقوب).

إعادة الانتشار الإضافي(النبضـــات):

بدأنا المفاوضات في زخـــرون يعقـوب، فـي الســادس عشــر مــن تمــوز، وتواصلت المحادثات أسبوعا بيــد أن التقــدم الــذي تــم إحــرازه كــان طفيفــا. ومــن الجدير بالذكر، أننا وجدنا صعوبة بالغة في تعود مثل هذا العـــدد الكبــير مــن اللجــان، والتي تضم كل واحدة منها حوالـــي مائــة عضــو، مثلمــا يتطلــب الأمــر للاســتعانة بالخبراء والجهات الضروريــة. وقــد اســتغل أبــو عــلاء هــذا الوضــع لتقديـم أول عرض لصيغة بنية الاتفاقية، والتي أكــد فيـها علــى صلاحيــات الســيطرة والقضــاء الفلسطيني على غالبية منـــاطق الضفــة الغربيــة فــي أعقــاب الانســحابات الإضافيــة الإسرائيلية ومن الجدير بــالذكر أن هــذه التغطيــة أصبحــت بمثابــة حجــر الأســاس الرئيسي في المفاوضـــات.

لقد نصت اتفاقية إعلان المبـــادئ علــى نقــل الصلاحيــات الأمنيــة بصــورة تدريجية إلى أيدي الفلسطينيين في إعادة الانســـحاب(النبضــات) فــي الضفــة الغربيــة، باستثناء المناطق الأمنية والمستوطنات. بيد أن هـــذه الاتفاقيــة لــم تتطــرق بــالتفصيل، إلى معايير المناطق الأمنية آنفة الذكر. وقــد أكدنــا أن علــى إســرائيل وحدهــا تحديــد هذه المناطق، وفقا لتقديراتها ولا يجب تحديدهـــا مســبقا.

تحدثنا مع رابين بهذا الصدد، نهاية الأسبوع، بيــد أنــه أعــرب عــن خشــيته من أن يؤدي اطلاع الفلسطينيين على خارطة المنـــاطق الأمنيــة المحــددة. إلــى خلــق أزمة، وذلك نظرا لانهم توقعوا أن يحصلـــوا علــى منــاطق أوســع مــن تلــك التــي اعتزمنا نحن منحها لهم- جرى الحديــث فــي النقاشــات الداخليــة عــن حوالــي ٥٠% من مساحة الضفـــة الغربيــة- فــي أعقــاب جميــع الانســحابات، ووفقــا للتقديــرات العسكرية على ما هو مطلوب للمناطق الأمنيـــة الحيويــة، ومــن أجــل ضمــان أمــن المستوطنات- لذا قرر رابيــن تــأجيل المواجهــة حــول نســبة المنطقــة التــي ســيتم تسليمها إلى الفلسطينيين. بل وكان هناك في أوســـاطنا مــن يخشــى مــن أن تحرمنــا إعادة الانتشار الإضافية من أحد المؤثرات المهمــة جــدا التــي ســنحتاج إليــها خــلال فاوضات التسوية الدائمـــة.

وقد أوضح طاقم المفاوضات أن الانسحاب الإضافي هو بمثابة تحسين لاتفاقيات كامب ديفيد والتي التزمنا خلالها، بإعادة الانتشار إلى مناطق أمنية محددة في مرحلة واحدة، في حين عملنا في أوسلو على تقسيم هذه المرحلة الواحدة إلى عدة مراحل. على أية حال، كان علينا أن نبدأ بمفاوضات جدية حول التسوية الدائمة في الرابع من ايار ١٩٩٦-أي قبل آخر نشر للقوات بأربعة عشر شهرا.

أسهمت خارطة التسوية الدائمة-والتي كنا على استعداد لإبداء قدر كبير جدا من المرونة بالنسبة لها، مقارنة بإعادة الانتشار الإضافي- في تحييد أهمية الانسحاب الأخير، ومثلما قلت في نقاشات داخلية، اشك في تنفيذها أصلا. ولهذا السبب، ولاسباب تكتيكية قررنا إبطاء النزاع على إعادة الانتشار الإضافية ومحاولة إحراز تقدم في مناخ أخرى.

كانت المشكلة المركزية تتمثل في إقناع أبو علاء- هو تكتيكي متميز، فطن، ويجيد الدفاع عن مصالح أولئك الذين كلفوه. وحال عودتنا إلى زخرون يعقوب، وجدنا الفلسطينيين وقد شددوا مواقفهم في جميع القضايا المدنية التي كانت على جدول الأعمال. وكانت الرسالة واضحة تمام الوضوح:" قولوا لنا ما الذي يمكن أن نتوقعه من إعادة الانتشار الإضافي في المستقبل، ومقابل ذلك، ستكون على استعداد للتقدم في الحاضر". وهكذا آلت المفاوضات إلى طريق مسدود.

ضايقنا المستوطنون، وحلفاؤهم من اليمين إبان تواجدنا في زخرون يعقوب، بالمظاهرات والصراخ. ولم تكن صرخاتهم وشعاراتهم، فقط، تضايقنا، بل لقد حاولوا عرقلة دخولنا إلى الفندق والخروج منه. وأعرب الفلسطينيون عن تذمرهم جراء السباب الذي يلاقونه من المستوطنين واليمين، الذين أخذوا يدقون بقبضاتهم على سياراتهم. بل لقد كانت هناك ضرورة لتهريبي، ذات مرة، في حوالي الساعة الواحدة ليلا، من الفندق، في سيارة مصفحة فيما كان سائقي يشق طريقه وسط الجماهير الغاضبة، التي أمطرته بسيل من السباب واللعنات. ورغم

ذلك، لم نصطدم بمظاهرة واحدة مؤيدة للسلام، وهـو الأمـر الـذي حـز فـي نفوسـنا إلى حد كبير، لقد كان على دعاة السلام، أن يخرجـوا إلـى الشـوارع، للإعـراب عـن آرائهم في هذا المنعطف التاريخي الكبير، بيد أن هـذه المظـاهرات لـم تجـر، إلا فـي المرحلة الأخيرة من نفس العـام.

وفي إحدى وجبات العشـاء، فـي غرفـة الطعـام بـالفندق جلسـت بصحبـة عوزي ديان، وعبد الرزاق اليحي، والـذي كـان يحـدق فـي الشـمس، وهـي تغـرق خلف قرمزية الشمس الغاربة، واشـار بإصبعـه قـائلات :" هـل تـرون. تلـك هـي "الطنطورة" حيث ولـدت".

قلت بعدم ارتياح"صحيح" ؟؟ كـان الحديـث عـن مسـاقط الـرأس يذكرنـي دائما إلى أي حد يضرب هذا النزاع جـذوره فـي التـاريخ القديـم علـى نفـس هـذه البلاد، والى أي حد، من المهم العودة لتقسيمها مـرة والـى الأبـد.

ارتسمت ابتسامة غريبة على شفتي عبد الـرزاق اليحـي، وقـال:" انظـروا كـم كنـت غبيا، من الطنطورة انتقلت الى الأردن، ومـن الأردن إلـى سـورية ثـم إلـى جيـش التحرير الفلسطيني، إلى الخليج، إلى مصر، بيروت، تونـس، عمـان، ثـم إلـى الضفـة الغربية وهاأنا الان، اجلس فوق قمة هـذا الجبـل.

أكثر من خمس وأربعيـن سـنة مـن التجـوال والغربـة، فـي حيـن كـان بمقدوري، ببساطة، أن أذهب من الطنطـورة إلـى هنـا، كـي أجلـس معكـم لتنـاول وجبة عشـاء.

عقبت على حديثه بالقول:" نحن جميعا قطعنـا طريقـا طويـلا حتـى وصلنـا إلى هنـا".

في الحادي والعشـرين مـن الشـهر، عقـد بـيرس إجتماعـا مـع الرئيـس المصري تلبية لطلب مبارك، لإطلاعه على المستجدات، وقـد طلـب منـا- أنـا وأبـو علاء- الانضمام إليـهم.

جلسنا في غرفة كبيرة حول طاولة مستطيلة، كان الرئيس مبارك يجلس على رأسها، بينما جلس عرفات وبيرس على جانبيها، وقد كان إلى جوار الرئيس المصري مساعداه الرئيسان : وزير الخارجية عمرو موسى وأسامة الباز.

كان الباز من وجهة نظرنا مؤيدا للمسيرة الحالية، في حين كان عمرو موسى الدبلوماسي المحنك يتطلع إلى مسيرة سلمية تلعب فيها إسرائيل دورا هامشيا بالنسبة للزعامة الحقيقية للمنطقة التي تسعى إليها مصر.

كان الانسحاب الإضافي يحتل رأس جدول أعمال اللقاء، وطرح أبو علاء القضية أمام الرئيس مبارك، وقال : "مسألتا الانسحاب الإضافي والأمن هما جوهر القضية، وأساس أي تسوية ولا شك أن الخليل تعتبر مشكلة، نظرا لأن سكانها وأقاربهم موزعون في جميع أنحاء الضفة الغربية،)والإتفاقيات بشأن المنطقة ((B) تسير بصورة معقولة، بيد أن ما آمل في التوصل إليه هو الإتفاق حول إعادة الإنتشار الإضافي في المنطقة (C) .

استهل بيرس تعليقه موجها كلامه إلى عرفات : "أنظروا إلى أين وصلتم : قلقيلية على بعد تسعة كيلو مترات من البحر، ونصف كيلو متر من كفار سابا، وبيت لحم ورام الله على بعد بضعة كيلو مترات من القدس، لا أعتقد أن هناك دولة في العالم على إستعداد لعمل ما فعلناه، سيدي الرئيس.

ثم توجه بيرس إلى مبارك قائلا : "هل كنت ستوافق على أن تحكم سلطة أخرى على بعد بضعة كيلومترات من القاهرة؟؟ بالتأكيد أنك لن توافق، لقد اعتقد الفلسطينيون وغيرهم أن مصطلح غزة أولا، سيكون "غزة أخيرا"، لقد ظنوا أننا نحاول خداعهم، وها أنا ورابين نقول : اعتمدوا علينا أيضا في الانسحاب الإضافي، لا تجروا الآن أي مفاوضات حوله، لقد التزمنا باستكمال إعادة الانتشار حتى منتصف ١٩٩٧، وسنفي بهذا الالتزام، فعندما نعطي كلمتنا، فإننا نلتزم بذلك.

عرفات : "وما الذي سيحدث إذا ما حدث انقلاب في السلطة؟؟ ومن يضمن لنا أنه لن يقع مثل هذا الانقلاب".

بيرس " "سنفوز في الانتخابات القادمة رغم كل ما تسمعه سيدي الرئيس، هل ترى ما الذي نقترحه عليكم؟ : أي دولة كانت ستقبل بعمل ذلك؟؟. الليبيون؟؟ الصرب؟؟ الفرنسيون؟؟ العراقيون؟؟.

تدخل وزير الخارجية المصري عمرو موسى في محاولة لامتصاص التوتر القائم قائلاً : "أقترح أن تترك للطواقم التي تعكف على التفاوض حول الانسحاب الثاني والخليل، أن تواصل عملها لقد فهمت من سبير أن هناك اقتراحات مختلفة بهذا الصدد".

بيد أن بيرس واصل حديثه، لإطلاع الجميع على حجم التضحية الإسرائيلية، فقال : "نحن ننفق مليار شيكل على قواعد الجيش الجديدة، وعلى الطرق الإلتفافية للمستوطنين، نحن أناس جادون". وعندما شعر أنه استنفذ كل ما أراد قوله، إنتقل إلى مرحلة تأييده إقتراح عمرو موسى بشأن استمرارية عمل طواقم المفاوضات.

تمكنا في اجتماع الإسكندرية من إحراز تقدم معين في قضية مهمة، فقد اقترح المصريون – وكما يبدو بمبادرة من أبو علاء، أن تعقد الإنتخابات في القدس الشرقية في مكتب البريد.

كانت إسرائيل قد طالبت بأن يتم إرسال بطاقات الإنتخاب في البريد، في حين أراد الفلسطينيون وضع الصناديق الانتخابية في أماكن مقدسة، أو في مكاتب الأمم المتحدة، بيد أن بيرس رفض هذا المطلب رفضاً تاماً لذا، فإن إجراء الانتخاب في مكتب البريد كان سيتيح الفرصة لكل طرف كي يزعم من جانبه أنه انتصر.

وحينما انتقل النقاش إلى المعتقلات الفلسطينيات التسع والثلاثين في المعتقلات الإسرائيلية، قال بيرس للرئيس مبارك : إن قسما منهن أدين بالقتل، وبالتالي لا يمكن إطلاق سراحهن، ألا إذا قبل رئيس الدولة منحهن العفو، وحالاً

تناول الرئيس مبارك سماعة الهاتف، وطلب من مساعده أن يتصل بصديقه عيزر وايزمن رئيس الدولة.

صاح الرئيس المصري في السماعة : "عيزر كيف حالك؟؟ عرفات وبيرس لدي الآن، وهما يرسلان إليك تحياتهما، والحقيقة أنني أريد أن أتوجه إليك برجاء : نحن نريد موافقتك على إطلاق سراح المعتقلات الفلسطينيات".

لم نسمع ما قاله وايزمن من الطرف الآخر، بيد أن الرئيس مبارك انفجر في ضحكة صاخبة، وأغلق السماعة، ثم قال لنا : "حسنا لقد وافق على مد يد المساعدة.

أدت هذه المحادثة إلى إدراج أسماء جميع المعتقلات الفلسطينيات في بند تحرير الأسرى التابع للاتفاقية، بيد أن بيرس طلب من الرئيس مبارك عدم الإعلان عن ذلك الآن.

عندما عدنا في نفس الليلة، للالتقاء بطاقم أبو علاء في زخرون يعقوب، قلت : "لقد كان لقاء الإسكندرية مجديا، بيد أن أبو علاء كان يحمل رأيا مخالفا، وقال : لم يتم اتخاذ أي قرار بشأن مهمة إعادة الانتشار الإضافي، سيتوجب علينا العمل على هذا الصعيد".

أعرب الفلسطينيون عن عدم رغبتهم في البقاء في زخرون يعقوب، واتفقنا على الانتقال إلى إيلات، وفي الطريق توقفنا في البحر الميت، بيد أن المحادثات هناك لم تكن مجدية، وإبان تواجدنا هناك علمنا بوقوع عملية انتحارية في حافلة رمات جان، مما أسفر عن مقتل ستة أشخاص.

ورغم أن أجهزتنا الأمنية تؤكد أن السلطة الفلسطينية تحارب الإرهاب، بصورة جدية، بيد أنه لم يتم العثور على أسلوب للقضاء على الإرهاب بصورة قاطعة. وخلال اللقاءات التي جرت بين الجهات الأمنية من الجانبين، تم اتخاذ قرار بتوطيد التعاون أولا ضد الإرهاب، وتصعيد العمل ضده.

وصلنا إلى إيلات في الأول من آب لإجراء المرحلة الأخيرة من المحادثات، وكانت الحماية الخارجية قد أوكلت إلى شرطة إسرائيل، أما على

الصعيد الداخلي فأوكلت مناصفة بين قوات الأمن الإسرائيلية وجهاز الأمن الفلسطيني، حيث قام كل طرف باحتلال أحد مدخلي فندق (باطيو) الذي كنا سنجري المفاوضات فيه.

وقد وجدنا حفنة من الصحفيين بانتظارنا في الخارج أما المتظاهرون فكما يبدو أن الحر الشديد في إيلات حال دون لحاقهم بنا من زخرون يعقوب.

الوفدان الفلسطيني والإسرائيلي لم يكونا هذه المرة، على غرار وفدي أوسلو فقد عكس الوفدان- حوالي مائتي شخص- قطاعات واسعة وشرائح مختلفة من المجتمعين، وكان بالإمكان العثور في الوفدين، على جميع التطلعات السياسية المختلفة.

عقدت يوم الإثنين، إجتماعا لأعضاء الوفد الإسرائيلي لمناقشة الإستراتيجية، وتحليل القضايا التي سيتم طرحها للنقاش، وقد أعرب أعضاء طاقمنا، مرة أخرى، عن غضبهم تجاه الوفد الفلسطيني، وقالوا : "لقد غيروا رأيهم من جديد، ويقولون أنهم لا يملكون صلاحيات، وهم يتمسكون بمواقف متطرفة، ويحاولون كسب الوقت"، لقد كان الفلسطينيون لا يزالون في أعين الوفد "الأعداء" ولا شك أن أي مفاوضات تتسم بقدر من التوتر، بيد أن هذا التوتر برز بصورة أكبر الآن، نظرا لاضطرار أعضاء الوفد الإسرائيلي للتعامل مع الوفد الفلسطيني انطلاقا من مبدأ المساواة، لقد وجد بعض أعضاء وفدنا، صعوبة في ذلك، بعد سبع وعشرين سنة من الاحتلال، والكراهية الشديدة تجاه منظمة التحرير لقد إعتاد أبو علاء أن يقول لي خلال الليالي التي قضيناها في النقاش سوية، : إن أعضاء الوفد الفلسطيني تعاملوا بنفس المشاعر مع الوفد الإسرائيلي، وكانوا يقولون : "الإسرائيليون غير معنيين بالتوصل إلى إتفاق، وكل ما يرغبون فيه، هو مواصلة الاحتلال". وكان يؤكد لي، أن اتخاذ المواقف المتشددة، هو جزء من طبيعة المفاوضات، وليس من طبيعة المفاوضين.

إعتاد أعضاء الوفدين، خلال الأسبوع الأول، أن يأكلوا كل على انفراد، بعكس رؤساء الوفدين، ومسئولي الجهاز الأمني، الذين تعرفوا على بعضهم البعض في السابق.

كانت اللجان المختلفة تستعين بمستشارين قضائيين، وقد أشرف زينجر على لجاننا بكفاءة عالية جدا، وكانت اللجان المختلفة تجتمع في غرف مخصصة لها، حيث تجد على أحد الأبواب يافطة كتب عليها مثلا "الأراضي"، وأخرى كتب عليها "الأمن"، وثالثة كتب عليها "اللجان الفرعية للخليل"، ولا شك أن كل من كان يسير في ممرات الفندق، كان يرى أمام ناظريه المسيرة السلمية، موزعة هنا وهناك.

اعتاد طاقم التوجيه الاجتماع، خلال الليل، في مجموعات صغيرة، وفي ساعات الفجر، كنا نعقد أنا وأبو علاء اجتماعا ثنائيا، وكانت أفكار أبو علاء مركزة في المرحلة الأولى، على إعادة الانتشار الإضافي بيد أنني قلت له، ذات مرة : حتى لو تفاوضنا ألف سنة، فإن إسرائيل لن تكشف خارطة المرحلة الأخيرة لإعادة الانتشار الإضافي.

فرد أبو علاء : "هل تعتقد أننا سنؤيد الاتفاق دون أن نعرف ما الذي سيسفر عنه". هل تعتقد أننا سنقبل بترك جميع القرارات المستقبلية بين "أيديكم" إذا كان الأمر كذلك، وكانت الأمور رهنا بي أنا فلن يكون هناك أي اتفاق".

وهكذا توجهت إلى بيرس مجددا، وقلت له، إن عليه أن يحل المشكلة مع عرفات، فوافق على الإتصال به، وأن يعرب له عن تذمره من عدم إحراز أي تقدم في المفاوضات، وقال له : إن الأمريكيين يشاطرونه الرأي في نفاذ صبره وصبرهم.

إتصل بيرس بعرفات خلال تناول الوفدين طعام العشاء بدعوة من مارتن ايندك، ولارسون، اللذين كانا معنيين بترتيب لقاء قمة بين عرفات وبيرس في طابا، وقد استجاب عرفات لهذه الفكرة، رغم معارضة ونصائح كبار مسئولي الوفد الفلسطيني، ووافق على اللقاء في العاشر من آب.

ثارت ثائرة أبو علاء عندما علم بموافقة عرفات على اللقاء وقال لي :
"أنتم تعملون هنا مع وفد يمثل الشعب الفلسطيني، وإذا ما توصلتم معنا إلى اتفاق كمفاوضين متساويين فإن الاتفاقية ستصمد يجب أن ننقل إلى صانعي القرارات، فقط، الأسئلة والمشاكل التي لا ننجح معا في حلها، ويجب أن نفعل ذلك في النهاية".

تفهمت أسباب غضب أبو علاء، بيد أنني أدركت أيضا، أنه إذا لم تحل الآن قضية الانسحابات الإضافية، فسوف يكون من الصعب جدا إحراز أي تقدم في أي مجال آخر، ورغم الثقة السائدة بيني وبين أبو علاء، إلا أنه كان يشك في أن إسرائيل ترغب في دفع ثمن زهيد جدا، مقابل قبولها في المنطقة، مع استمرارها في إدارة حياة الفلسطينيين في الضفة والقطاع، وإن كان بصورة أكثر اعتدالا وهكذا وقبل أن يصل عرفات إلى طابا، اقترح أبو علاء علي صفقة :
"أنتم تبقون في ٢٥% من الضفة الغربية، وهي مساحة المستوطنات والمناطق الأمنية المحددة وتسلموننا في الانسحاب الأخير ٧٥% فأنا أود أن آخذ بعين الاعتبار مصلحتكم الأمنية".؟ قلت له إننا لا نستطيع الموافقة على ذلك، لأننا لا نعرف ما الذي سيكون عليه الوضع الأمني في منتصف عام ١٩٩٧.

اجتمع بيرس وعرفات في طابا في العاشر من آب، بحضور عبد الرزاق اليحيى وياسر عبد ربه، وأبو علاء، وعوزي ديان وزينجر وأنا، قدم بيرس إلى الاجتماع بروحية عسكرية، فقد شعر أن أبو علاء بالغ، حينما طالب بأن تنسحب إسرائيل من غالبية الضفة الغربية، حتى منتصف عام ١٩٩٧، وشعر أن هذا المطلب سيصعب إمكانية تنفيذ الصفقة كلها، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وجهة نظر الجماهير الإسرائيلية، لقد اعتقد أبو علاء أنه يجب عليه في هذه القضية المركزية، أن يتجاهل تقديرات مناورتنا بغية الدفاع عن مصالح شعبه في المستقبل.

بلورت أنا وزينجر قبل اجتماع القمة موقفنا بشأن الانسحاب الإضافي بحيث يتم الانسحاب مرة كل ستة أشهر، على مدى ثمانية عشر شهرا، ودون

تحديد مساحة كل انسحاب وقمنا خلال اجتماعات طابا بطرح هذا الموقف على عرفات الذي قبله أمام دهشة أعضاء الوفد الفلسطيني. وربما كان عرفات يفهم أكثر من أي شخص آخر ضرورة إستئناف الاتجاه نحو الحكم الذاتي الفلسطيني الكامل بسرعة، وبالتالي منطقة التسوية الدائمة، ولهذا السبب كان عرفات يعزو أهمية أقل للضمانات المتعلقة بالمستقبل، مما يعزوه لما يمكن إحرازه في الحاضر.

كان مصدر الاهتمام والقلق الوحيد لدى عرفات هو الرأي العام الفلسطيني، لذا قرر أن يخوض النزاع مع إسرائيل حول الخليل، بدلا من إثارته حول الانسحاب الإضافي.

طالب عرفات بأن نوافق على إقامة مركز شرطة فلسطيني في الخليل، وألمح إلى أنه إذا ما تنازل بيرس في هذا المطلب، فسوف يصبح بالإمكان معالجة جميع جوانب الاتفاق الأخرى بسرعة.

قرر بيرس الموافقة على الصفقة، وأن يتوجه إلى إسرائيل لمناقشة رابين ومسئولي جهاز الأمن الإسرائيلي حولها.

طلب رابين عقد اجتماع في مكتبه الساعة الحادية عشرة ليلا، فتوجهنا إلى هناك في طائرة عسكرية إسرائيلية، بيرس وديان، وزينجر وأنا وأورن شاحور، وحضر الاجتماع ضباط كبار من الجيش، وبعض مسئولي جهاز الأمن العام. والوزراء موشيه شاحل ويوسي سريد، وأهود براك، الذي عين قبل فترة وجيزة وزيرا للداخلية.

شرح بيرس التفاهم الذي تم التوصل إليه بشأن الانسحاب الإضافي، وأعرب رابين حال سماعه عن ارتياحه لذلك، ثم طلب من بيرس قصر النقاش على إمكانية إقامة الفلسطينيين مركزا للشرطة في الخليل نظرا لأنه كان يرغب في العودة إلى طابا، في نفس الليلة، ونقل رده إلى عرفات، وإنهاء الصفقة، ووصف بيرس كيف هاجم أعضاء الوفد الفلسطيني عرفات بسبب تنازله بشأن الانسحاب الإضافي، وقال لقد كان من المناسب التنازل لعرفات في قضية مهمة

بالنسبة للرأي العام الفلسطيني قضية إقامة مركز الشرطة الفلسطيني في الخليل مقابل مسألة أهم بكثير على الصعيد الإستراتيجي الانسحاب الإضافي.

عارض العسكريون إقامة مركز الشرطة في الخليل، وبرروا ذلك بأن وجود وجهتين أمنيتين في المنطقة سيحدث حالة فوضى، وأعربوا عن قلقهم من ردود فعل المستوطنين على وجود مركز شرطة فلسطيني في الخليل، ومن الجدير بالذكر، أن بيرس بدا مصرا على اتخاذ قرار إيجابي، في هذه القضية، مخالفا بذلك آراء العسكريين.

صرخ بيرس قائلا : "لقد ضجرت من خوفكم مما سيقوله المستوطنون، أية صلافة هذه، هل تريدون أن يبقى مائة وخمسون ألف مواطن فلسطيني في الخليل رهائن في أيدي أربعمائة يهودي؟؟ هناك حدود للمبالغة وهناك حدود للجبن، وأنا أقول لكم : إن بمقدورنا كسر عرفات، إذا كان هذا ما تريدونه، بيد أننا سنبقى، في هذه الحالة، مع حماس، والانتفاضة والإرهاب، نحن ملزمون باتخاذ قرار حول من الذي يحكم هذه الدولة؟ هل هي الحكومة أم حفنة من المستوطنين؟؟ وأن أقول لكم أنتم الجنرالات : يجب عليكم أن تدرسوا القضية برمتها من الزاوية الأمنية،وأن تكفوا عن مواصلة التهديد القائل : ما الذي ستكون عليه ردود فعل المستوطنين؟؟".

عندما أنهى بيرس حديثه ساد الصمت في المكتب، وكان وجهه شديد الاحمرار من الغضب، وتجاهل جميع التقديرات الخاصة بشعبيته، وكان واضحا تماما، وأن شخصا ما سيسرب نبأ قبل إنبلاج الفجر، "يفيد أن بيرس باع الخليل".

أدرك رابين أن النقاش سيتجه نحو قضايا سياسية، فطلب من جميع الحاضرين باستثناء الوزراء الخروج من الغرفة.

وقفنا في الخارج وسط توتر شديد، وبعد عشر دقائق خرج الوزراء، وخرج بيرس بسرعة، وقال : "نحن عائدون إلى طابا، لقد تم قبول اقتراحه بالإجماع".

وصلنا إلى طابا في حوالي الساعة الثانية ظهراً، وقد تحدث بيرس في البداية مع عرفات، حول القرار الوزاري فشكره عرفات، واقترح أن يتم الالتقاء صبيحة اليوم التالي، بيد أن الفلسطينيين أرجأوا المحادثات إلى ما بعد الظهر، وبدا لي بوضوح، أن أبو علاء يتهرب مني.

وعندما اجتمع عرفات ببيرس، قال له : عندما تم الإعلان في صوت إسرائيل أمس عن التوصل إلى إتفاق بشأن الخليل، قدم جماعة من وجهاء المدينة إلى طابا، وطلبوا الالتقاء به، وهددوه بمقاطعة الانتخابات، إذا لم ينسحب الإسرائيليون من الخليل مثل باقي المدن الفلسطينية وأن أهل الخليل هم جماعة خاصة، صعبة وعنيدة.

اقترح بيرس أن يقوم نفسه بشرح مزايا. الاتفاق لوجهاء الخليل، وعندما بدأ بيرس ذلك تجاهلوه تماما، وتجاهلوا حديثه حول المصالح الأمنية الإسرائيلية، وحول ضرورة التعايش المستقر.

تلقينا في تلك الآونة تقارير تفيد بأن هناك توتراً حقيقياً في الخليل، وأنه لا يجب أن نعتبره مناورة من عرفات، بقصد خدمة المفاوضات، لذا قرر بيرس إرجاء اتخاذ قرار بشأن هذه المدينة، وقد اكتفى البيان الذي تم إصداره في نفس اليوم بالقول، إن الطرفين ناقشا القضية.

واتفقنا في أعقاب الاتصالات مع دنيس روس، على تشكيل لجنة ثلاثية، إسرائيلية فلسطينية أمريكية لمناقشة القضايا الاقتصادية والرأي العام والسياسات.. أما باقي الصفقة بما فيها التفاهم حول إعادة الانتشار الإضافي على مراحل، والتي ستنفذ على مدى ثمانية عشر شهرا، وتقسيم الصلاحيات في المنطقة (B). مثلما تم الاتفاق عليه في الرابع مع تموز، فقد تم الاتفاق عليها في وثيقة مكتوبة.. وقد اقترح بيرس التوقيع على هذه الوثيقة، في مراسيم رسمية، نظراً لأنه سيطرحها أمام الحكومة فوافق عرفات على ذلك، فعقب أبو علاء على ذلك متذمرا وقال : إن هذه الوثيقة ليست اتفاقا، بل هي جزء من إتفاق، فلماذا يجب التوقيع عليها؟ بيد أن عرفات أمره بالتوقيع، فقال أبو علاء : حسنا، لكن ليست أمام كاميرات

التصوير، وهكذا وللمرة الثالثة في أعقاب أوسلو والقاهرة، جلسنا أنا وأبو علاء للتوقيع على وثيقة بالأحرف الأولى.

وفي الثانية ليلاً عقد بيرس وعرفات مؤتمرا صحفيا تليا فيه التفاهم الذي تطرق بصورة رئيسية إلى الانسحابات الثلاثة دون اتخاذ قرار حول مساحة الانسحاب.

قدم بيرس الاتفاق إلى الحكومة، وقمت أنا وزينجر بتوضيحه، وقد احتج أهود براك على وتيرة الانسحابات الإضافية، وقال : "إذا لم نحافظ على وسائل الضغط التي بحوزتنا إلى موعد متأخر، فكيف يمكننا التأكد من أننا لن نضطر للانسحاب إلى مناطق مقلصة نسبيا من الضفة الغربية، في منتصف عام ١٩٩٧، وقبل أن يتم اتخاذ القرارات المصيرية حول التسوية الدائمة.

أوضحت له، أنا وديان وزينجر : أنه عندما حصلنا على ثلاثة إنسحابات، فإننا حصلنا على وسيلة ضغط جديدة عدا عن أننا لم نحدد مساحة كل انسحاب.

وقد حاول رابين إقناع براك بالقول :" إننا نتحدث عن إنجاز حقيقي، فلا تر فيه تنازلا" قرر براك الامتناع عن التصويت، بيد أن الحكومة صادقت على الاتفاق.

أدركنا أننا حققنا الفوز في هذه الجولة من المفاوضات، نظرا لأن تفاهم طابا ترك المستقبل مفتوحا أمام اختبارات الواقع، وأمام ديناميكية التعاون في مجال تطبيق اتفاقية التسوية المرحلية، عدنا إلى إيلات، ونحن ندرك أن قدرا كبيرا من العمل الصعب لا زال أمامنا وكنا ندرك كذلك أن أعضاء الوفد غاضبون بسبب توجهنا المباشر إلى عرفات.

عملت طيلة المفاوضات على إطلاع روس بصورة دائمة على ما يجري، الذي عمل على تشجيع الوفدين، وأعرب عن تقديره العميق نظرا لأننا نحل مشاكلنا بأنفسنا، دون تدخل الولايات المتحدة.

شعرت، في منتصف آب، أن هناك ضرورة لإشراك الأمريكيين في المفاوضات، وكنا آنذاك أنا وأبو علاء نجري اتصالات دائمة مع دنيس روس، بل كنا أحيانا نتحدث معه واحدا وراء الآخر من نفس الهاتف المتحرك.

واصل الأمريكيون، في تلك الآونة، حث الدول المانحة على الوفاء بالتزاماتها بالتنسيق مع النرويج والاتحاد الأوروبي، وحرص ممثلو الحكومة الأمريكية على تجنيد تأييد الكونغرس فيما كان الليكود في تلك الآونة يدير معركة شديدة في أوساط الكونغرس، ضد المساعدات المقدمة إلى السلطة الفلسطينية، وذلك عبر ممارسة ضغوط على الحزب الجمهوري واللوبي اليهودي.

وخيل إلينا أن سفارتنا في واشنطن لا تعمل بالشكل المطلوب لمواجهة حملة الليكود، مما حدا برابين إرسال رسالة يحثها فيها على بذل قصارى جهودها بهذا الصدد، ويقول : إن تقديم المساعدات للسلطة الفلسطينية هو جزء لا يتجزأ من محاربة الإرهاب.

<u>نقل الصلاحيات المدنية وحل الإدارة المدنية :</u>

إنشغلت وسائل الإعلام التي غطت المحادثات بصورة أساسية بالأمن الإسرائيلي، وبالرموز الخارجية للحكم الذاتي الفلسطيني، بيد أن نواة التسوية المرحلية، تمثلت في نقل الصلاحيات المدنية، وقد ألقيت هذه المهمة على عاتق اللواء أورن شاحور والذي تم تعيينه في شباط، منسقا لأعمال الحكومة في المناطق المحتلة، وذلك على عكس توصيات أعضاء وفد المفاوضات، الذي خشي من افتقار شاحور إلى التجربة، في كل ما يتعلق بالمناطق وسرعان ما اتضح، أن هذا الافتقار إلى التجربة هو أهم مزايا شاحور، فقد سهل عليه ذلك إجراء محادثات مثمرة، حول حل الإدارة المدنية في المناطق وخلق واقع جديد، أضف إلى ذلك أنه لم يكن لدى شاحور أي ميل للبيروقراطية التي سيطرت على حياة الفلسطينيين، وكان متحررا من تقاليد السيطرة التي ميزت غالبية الأشخاص الذين ترعرعوا في الحكم الذاتي، كما أنه كان يتحدث بحدة مع الفلسطينيين

والإسرائيليين على حد سواء ورغم أنه ضم إلى هيئة الأركان ، إلا أنه لم يكن متساوقا مع ضباطها.

إن نظير شاحور في هذه المفاوضات جميل الطريفي، وهو رجل أعمال من البيرة، ثري، وهو أيضا شخصية متميزة في طبيعتها وغريب عن الزعامة الفلسطينية، بيد أنه كان يحظى بثقة عرفات، نظرا للنشاطات والعلاقات الاقتصادية المتشعبة التي طورها. وفي البداية، شكل شاحور والطريفي منتدى خاصا بهما، بيد أنهما سرعان ما اندمجا في أعضاء طاقم المفاوضات.

طلبت من رابين أن يشجع شاحور على التقدم في مجال نقل الصلاحيات، لأنني اعتقدت أن غالبية العمل في إيلات، سيكرس لهذا الغرض وضمنت أن رجال شاحور سيساومون بمنتهى الشدة، على كل ذرة صلاحيات ترغب إسرائيل في الاحتفاظ بها وقد كنت محقا فيما يتعلق بحرص شاحور، بيد أنه تقدم بسرعة كبيرة ومنذ اللحظة التي بدأت فيها مفاوضات إيلات، أكثرت أنا وهو من الالتقاء مع رؤساء مجموعات العمل، لسماع تقاريرهم والإهابة بهم للتركيز فقط، على الشئون ذات الأهمية لإسرائيل، على المدى البعيد، والتحرر من مسألة السيطرة على حياة الفلسطينيين.

فتحت الحوارات حول الصلاحيات التي استخدمتها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧، أمامي عالما جديدا لقد طور العديد من الإسرائيليين بمرور السنين مفهوم أن الاحتلال الإسرائيلي حضاري ومتنور بيد أنني عرفت خلال الحوارات التي دارت أن هذين المصطلحين هما الشيء ونقيضه، ولم أكن أعرف إلى أي حد تعمقنا في حياة الفلسطينيين، لقد عملنا على تمييع هذه الحقيقة، لأننا ربما كنا أول محتلين في التاريخ، يشعرون أن الاحتلال واقع عليهم هم، إن تفكيرنا في ذاتنا كمجتمع إنساني وكضحية أبدية للتاريخ، إضافة إلى النفور الشديد من العرب، أعمى أبصارنا عن رؤية ما يحدث في الضفة الغربية.

لقد علمت خلال محادثات إيلات أن الفلسطينيين في الضفة الغربية لا يستطيعون العمل أو البناء، أو الدراسة، أو شراء أرض، أو العمل في الزراعة أو

فتح محل عمل، أو الخروج في نزهـــة ليليـــة، أو الدخـــول لإســـرائيل، أو الســـفر إلـــى الخارج، أو زيارة عائلته في الأردن أو في غزة دون تصريـــح منـــا، لقـــد كـــان جـــهاز الإدارة هائلا حقـــا.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض هذه القيود كان لـــه مـــا يـــبرره حقـــا، بيـــد أن القسم الأعظم منها، كان نتاجا لنمط بيروقراطي فظيـــع يتنـــامى شـــيئا فشـــيئا، ويتغـــذى من ميزانية لا تنتـــهي.

وخلال سني الاحتلال السبع والعشرين، قضى واحـــد مـــن ثلاثـــة فلســـطينيين وقتا من حياته في السجن أو التوقيف، كما أن الجمـــاهير الفلســـطينية كلـــها عـــانت مـــن إهانات وإذلال، بل ربما كان بعض جـــروح هـــذه المرحلـــة، لنـــا قـــابلا للشـــفاء إلـــى الأبد.

والآن أصبح علـــى المحتليـــن أن ينقلـــوا صلاحياتـــهم إلـــى (عبيدهـــم) وهـــو الأمر الذي تسبب لهم في أزمة حســـية وعمليـــة.

لقد تمكنا في إيلات من تفكيك الاحتلال مسمار إثـــر الآخـــر، بيـــد أنـــه كـــان من بين رجالنا، من صعب عليه جـــدا أن يتغـــير.

لقـــد وجـــد بعـــض أعضـــاء الإدارة المدنيـــة أن الجلـــوس مـــع (مواطنيـــهم) السابقين في إيلات أكثر بكثير مما يســـتطيعون تحملـــه.

أرسلت لشمعون بيرس رسالة شخصية، خـــلال فـــترة المفاوضـــات، لوصـــف المناظر الكامنة، خلف طـــاولات المفاوضـــات، فـــي معـــرض تطرقـــي إلـــى الشـــئون المدنية، قلت له فيها:" يخيل الي أن طواقـــم المفاوضـــات المدنيـــة مركبـــة مـــن أنـــاس يسكنون في المستوطنات، ومن محـــامين، وأن الكثـــيرين منـــهم لا يرغبـــون فـــي حـــل الإدارة المدنيـــة.

سمعت من الفلســـطينيين أن أحـــد أكـــثر المتســـلطين الذيـــن يتحكمـــون فـــي حياتـــهم، هـــو ضـــابط فـــي الإدارة المدنيـــة، يدعـــى موســـكوفيتش، فـــإذا صـــادق موسكوفيتش سيصبح بالإمكان البناء، وإذا لـــم يوافـــق فلـــن يصبـــح بالإمكـــان البنـــاء، وقد يضطرون للانتظـــار ســـنوات طويلـــة حتـــى يوافـــق، لقـــد أصبـــح موســـكوفيتش

مؤسسة كاملة، وعندما قابلت موسكوفيتش في نهاية المطاف، وجدته شخصا ضعيف الجسم متدينا ولطيف، ولم يثر في نفسي أي انطباع بأنه طاغية، وقد قال أحد المسئولين عنه : موسكوفيتش شخص جيد، وهذا هو انطباعي أنا أيضا وهذه هي المشكلة، شخص طيب في وضع مستحيل لأنه وفي ظل ظروف كالتي يعيشها، لا مكان لعمل النوايا الحسنة، والاستقامة.

تدخلت كثيرا في مراحل معينة من المفاوضات، أولا كي أثبت وجودي، وثانيا كي أتعرف على الأوضاع عن كثب، كي يصبح بمقدوري تقديم توصياتي لرابين وبيرس، حول ما يمكن وما لا يمكن التساهل حياله، وقد اتفقت مع شاحور حول عدم إمكانية التساهل بشأن المصالح ذات العلاقة بالأمن أو التسوية الدائمة. مثلا، في كل ما يتعلق بشئون المياه، والكهرباء، بيد أنه لم يكن لدي أي شك في ضرورة تصفية سيطرتنا على الصلاحيات الكثيرة المطلوبة لنا فقط بحكم العادة.

وفي مفاوضاتنا مع جميل الطريفي، والتي مثلنا فيها بداية، اللواء روتشيلد، ثم شاحور، تم الاتفاق على نقل إحدى عشرة صلاحية إلى الفلسطينيين وطرح تسع وعشرين صلاحية أخرى على طاولة المفاوضات في إيلات للنقاش.

وفي إحدى ليالي المفاوضات الأولى حول نقل الصلاحيات، قررت الانضمام إلى المفاوضين للتفاوض حول المحميات الموجودة في المنطقتين (A) و (B) والتي تقوم إسرائيل بتطويرها منذ عام ١٩٦٧، ووجدت نفسي في خضم جدل عاصف جدا، وصراخ، وقد سارع نظرائي لإيضاح سبب الصراخ، طالب الإسرائيليون أن يحافظ الفلسطينيون على المحميات مثلما هي الآن، في حين رفض الفلسطينيون منح أي التزام حول المحميات باعتبارها، أصبحت منذ الآن من صلاحياتهم هم ووجدت عددا من شعبة المحميات الطبيعية الإسرائيلية مذهولين تماما، من توجهات الفلسطينيين.

تسلمت مكان رئيس اللجنة وبدأت التفاوض مع الفلسطينيين حول القضية:

أنا : هل تودون تدمير المحمية الطبيعية؟؟

رئيس الوفد الفلسطيني : هذا ليس من شأنكم عليكم أن تسلمونا المنطقة، ونحن سنفعل بها ما يحلو لنا، لا نفكر للحظة أن الطبيعة ليست مهمة بالنسبة لنا، لكننا لن نخضع لكم في هذا الصدد.

وفجأة قدم أبو علاء، الذي تم استدعاؤه كي يكون ثقلا موازيا لي، وبعد أن سمع تقريرا قصيرا بالعربية من رئيس الوفد الفلسطيني، إلتفت إلي فقلت له : أبو علاء، من حقكم عمل ما يحلو لكم في المحميات، بيد أننا معنيون بأن تحافظوا عليها. ولربما أنكم تعتقدون أنه ما كان علينا ومنذ البداية أن نطورها، بيد أنني أختلف معك في ذلك، وأقول : إننا سنعيد لكم شيئا قيما ومثلما يحظر عليكم تدمير المواقع الأثرية يحظر عليكم أيضا تدمير الطبيعة أو المساس بالحيوانات النادرة".

أبو علاء : لا شك أنكم تجيدون التعامل مع الحيوانات، وحقيقة، فإننا كفلسطينيين معنيون بالحفاظ على البيئة، بيد أننا سنفعل ذلك بأسلوبنا، أضف إلى ذلك، فإنني أكره الأرانب، وسأحرص على أن يتم القضاء عليها حتى آخر أرنب فيها" بدا وجهه وهو يتحدث، جديا للغاية.

لم يدرك مسئول المحميات الطبيعية الذي وقف إلى جانبي أن أبو علاء يمزح، فقال بغضب : "إذا كان الأمر على هذا النحو فلن تأخذوا المحميات."

ضحك أبو علاء، وقال : يا صديقي لا داعي لأن تخاف على الأرانب، ولا حتى على الأرانب الفلسطينية ثم اقترح أن تتم حماية المحميات بسن قانون فلسطيني.

قلت : أنا مسرور لأن مثل هذا القانون موجود على رأس سلم أولوياتك بيد أنني أعرف أنه لا وجود لمثل هذا القانون.

أبو علاء : لن تحددوا لنا أي معايير، هذه مسألة مبدئية.

أنا : "جميل دعنا نوزع بيانا على الصحفيين نقول فيه أنكم ترفضون الدفاع عن المحميات الطبيعية، ولا شك أن مثل هذا البيان، سيمس بكم على الصعيد الإعلامي في الخارج.

وما كدت أنهي كلمتي، حتى سمعت أصوات التأييد عن اليمين وعن اليسار إذا ما خضعنا لهم في هذه القضية سيفعلون كل ما يحلو لهم في مناح أخرى.

شعرت أنه آن الأوان للتوصل إلى تسوية فقلت : لماذا لا نتفق على أن تحافظوا على المحميات الطبيعية وفقا للمواثيق الدولية.

أبو علاء : "هل هناك مواثيق من هذا القبيل؟ "

التفت نحو خبرائنا، بيد أن أيا منهم لم يتذكر أي مواثيق من هذا القبيل.

وفجأة قالت إحدى المحاميات المرافقة لأبو علاء، لماذا لا نكتب : "أننا سنحتفظ بالمحميات الطبيعية وفقا لمعايير علمية مدروسة"؟؟ وافقت، وأضفت أن من المهم التعاون في المجالات التي لا تعرف حدودا سياسية، وقد وافق أبو علاء على ذلك، وقال : يجب أن ينطبق هذا على محمياتنا ومحمياتكم فأعربت عن موافقتي. لقد دارت نقاشات مماثلة في جميع القضايا الأخرى ذات العلاقة بنقل الصلاحيات إلى الفلسطينيين بغية الدفاع عن مصالحنا بعيدة المدى، وقد ارتبطت المشاكل العويصة بالبنية التحتية.

وخلال المفاوضات حول الوضع الصحي، طلبنا من السلطة الفلسطينية أن تلتزم بإجراء سلسلة من المطاعيم، وتتحمل تكاليف المعالجات الطارئة للفلسطينيين في المستشفيات الإسرائيلية، وبعد جدل طويل، توصلنا إلى تسوية تنص على أن يدفع الفلسطينيون مقابلا كالذي يدفعه الإسرائيليون خلال تلقي العلاج في مستشفياتنا، أما المطاعيم فتعطى طبقا لتوصيات منظمة الصحة العالمية.

وافق رابين على تسليم الفلسطينيين أراضي دولة في المنطقتين (A) و (B) شريطة أن لا يتم المساس بحقوق اليهود أصحاب الأراضي في مناطق السلطة، بيد أن الفلسطينيين عارضوا ذلك بشدة، وقالوا أنهم يعتزمون تقديم استئناف إلى المحاكم بشأن مصادرات أراضيهم بصورة غير قانونية، وقد رد

مفاوضونا بالقول : انهم لا يستطيعون الوثوق بالمحـــاكم الفلسـطينية، وأنـــهم يفضلـــون على أية حال، أن تترك هذه القضية حتى التســـوية النهائيـــة.

حاولت التحدث مع أبو علاء على انفـــراد بـــهذا الخصـــوص، بيـــد أنـــه كـــان متصلبا جدا وذكرني بالأرض التي سلبتها إسرائيل مـــن والـــده، وكيـــف تعـــاملت معـــه المحكمة باحتقار، عندما حاول تقديم الأوراق التي تثبـــت ملكيتـــه لـــلأرض.

لقد ثارت عاصفة شديدة عندما قـــال الفلســـطينيون أنـــه إذا مـــا ادعينـــا أننـــا نملك أرضا في الضفة الغربيـــة فســـوف يـــردون لنـــا الصـــاع صـــاعين، وســـيقدمون مطالبات لملكيتهم أراضي داخل إســـرائيل الســـيادية، وقـــد اتســـمت النقاشـــات بـــالحدة الشديدة والصراخ، وفي نهاية المطاف توصلنا إلـــى حـــل ينـــص علـــى تشـــكيل لجنـــة قضائية مشتركة بالمساواة مـــن ممثلـــي الطرفيـــن كـــي تتخـــذ قـــرارات فـــي قضايـــا الاستئناف الخاصة بمصادرة الأراضي أو نقلها أو بيعـــها، لقـــد أدى هـــذا الاتفـــاق إلـــى الحيلولة دون فتح مشاكل لا حصر لـــــها.

جاءت النقاشات حول صلاحيات التخطيط والبناء مـــــبررا كافيـــا جـــدا لتبـــادل الاتهامات الشديدة جدا فقد وضعنا قيودا على حق البنـــاء والتخطيـــط فـــي اتفاقيـــة غـــزة – أريحا في أماكن السكن القائمة بالتـــأكيد علـــى أن أي عمليـــة توســـيع للبنـــاء تحتـــاج إلى موافقة لجنة مشتركة، ولا شك أننا نـــدرك أن مـــن الصعـــب تطبيـــق هـــذا البنـــد، أما في محادثات إيلات، فقد حاولنـــا أن نكـــون أكـــثر واقعيـــة وحددنـــا معـــايير أكـــثر تحديدا في مجال لبناء، وبشكل خاص فيما يتعلق بالقضايـــا الأمنيـــة مثـــل حظـــر البنـــاء بالقرب من القواعد العسكرية– وأضفنا بندا يقـــول : أنـــه لا يجـــب أن يمـــس التخطيـــط أو البناء بالمستوطنات أو ببناها التحتيـــة. كـــانت هـــذه خطـــوة إيجابيـــة تعكـــس فـــهم شاحور، وموافقة رابين وبيرس على ضرورة عـــدم مواصلتنـــا قمـــع عمليـــة التطويـــر الإقتصادي الفلسطيني من خلال القيود التي نفرضـــها علـــى البنـــاء.

وفي معـــرض تطـــرق الفلســـطينيين إلـــى الصلاحيـــات الخاصـــة للأراضـــي الواقعة في المنطقة (C) –الخاضعة لإســـرائيل خضوعـــا تامـــا طـــالبوا بالحفـــاظ علـــى الوضع الراهن فـــي جميـــع المنـــاحي، والنشـــاطات غـــير الأمنيـــة، فقـــد تـــم تجميـــد

الاستيطان، بقرار من حكومتكم أضف إلى ذلـــك أن غالبيـــة المنطقـــة (C) مؤلفـــة مـــن مناطق أمنية، فلماذا تواصلون تطويـــر مصـــانع وغابـــات وغـــير ذلـــك؟ وقـــد اعتقـــد رابين أن هذه الأقوال منطقية، لذا تم الاتفـــاق علـــى أن تمســـك إســـرائيل بالصلاحيـــات ذات العلاقة بالمناطق الصناعية والغابات المحميات الطبيعيـــة فـــي المنطقـــة (C) بيـــد أن عملية تطويرهـــا يجـــب أن تتـــم بالتنســـيق مـــع الســـلطة الفلســـطينية، أمـــا بـــاقي الأراضي في المنطقة (C) وحق البناء فيـــها فقـــد بقيـــت تحـــت الســـيطرة الإســـرائيلية وكان من المفروض أن يبقى في هذه المنطقـــة أربعـــون ألـــف فلســـطيني وقـــد نقلـــت الصلاحيات الخاصة بالتعليم والصحة ومـــا شـــابه ذلـــك إليـــهم لـــذا تـــم التـــأكيد فـــي الاتفاقية على أن السلطة الفلســـطينية ســـتكون مســـئولة عـــن جميـــع الفلســـطينيين فـــي الضفة الغربية وغـــزة.

تواصل النضال والنزاع حول ما يجب أن يتـــم نقلـــه إلـــى الفلســـطينيين مـــن الصلاحيات ليلا ونهارا كانت النقاشـــات تبـــدو فـــي صـــورة تعـــارض بيـــن وجـــهتي نظر، فالفلسطينيون يقولون إن ما هـــو مـــن حقـــهم يجـــب أن يكـــون مـــن حقـــهم، ولا يجب أن نقاسمهم فيه، باستثناء التعاون القـــائم علـــى التبادليـــة، فـــي حيـــن أن وجهـــة النظر الإسرائيلية كانت تقول : إن مـــن حقنـــا اتخـــاذ القـــرار حـــول أي الصلاحيـــات سنتنازل عنها- وفي الحقيقة عن أية أجزاء مـــن الصلاحيـــات- وشـــريطة أن لا يمـــس هذا التنازل بالمصالح الإسرائيلية بعيدة المدى، لقـــد تـــم العثـــور دائمـــا علـــى الحلـــول عبر التسويات، بيد أن الواقع كان أقـــوى مـــن النظريـــة، وتقســـيم الصلاحيـــات جـــرى بصورة عامة، وفقا لمصلحة الطرف الذي كان يســـيطر علـــى المنطقـــة.

كانت هناك قضيتان نـــدرك أنـــه لا منـــاص مـــن التعـــاون فـــي مجاليـــهما، وهما:

شبكة الكهرباء : رغم أن الاتفاق حولها هو الاتفـــاق الوحيـــد الـــذي تـــم إرجـــاؤه فـــي نهاية المطاف، لأننا أصرينا على وضع جميع خطوط الضغـــط العـــالي تحـــت ســـيطرة إسرائيل بغية الدفاع عن مصالحنا في المســـتوطنات ومعســـكرات الجيـــش وفـــي نفـــس الوقت كنا على استعداد للتعاون في خطـــوط الضغـــط المنخفـــض.

المياه : والذي نشب حولها نزاع شديد جداء، وشارك في مفاوضاتنا حولها (نوح كنرتي) صديق رابين ومستشاره لشئون الاستيطان، ونبيل الشريف وهو خبير فلسطيني في شؤون المياه ، كان كنرتي مفاوضا متشددا جدا وقد بدا متشككا تجاهي وتجاه بيرس ولم يتشاور الا مع رابين في البداية وعندما بدأت المفاوضات أهان الوفد الفلسطيني كله عندما قال : إن المواطن الفلسطيني المتوسط، يحتاج إلى ربع كمية المياه التي يحتاجها الإسرائيلي المتوسط- مما يعني أن الإسرائيلي أنظف من الفلسطيني، وقد حاول أبو علاء الا يمس كنرتي بأقواله، وكان في كل جلسة يسأله، فيما إذا كان يسمح له بشرب الماء؟؟ وكان كنرتي يرد عليه قائلا: فقط بضع قطرات.

وعندما اقترحت على كنرتي أن يختار أسلوبا أقل حدة خلال المفاوضات رد علي قائلا : دعني أفعل ذلك بأسلوبي وفي نهاية المطاف سنصل إلى تفاهم، فبدون اتفاقية حول المياه لن يكون هناك أي اتفاقية تسوية مرحلية.

وردا على هذا الأسلوب المتشدد قرر أبو علاء أن يعامله بالمثل، وطالب بأن تعترف إسرائيل بالحقوق المائية الفلسطينية، ويتضح من هذا المصطلح القضائي أن من حق الفلسطينيين الحصول على قسم هائل من المياة الجوفية ومياه نهر الأردن، بيد أن كنرتي كان يتحدث عن الكمية التي خصصت للفلسطينيين على الصعيد العملي وإمكانية البحث عن مصادر مياه جديدة، وإبرام اتفاقية تحول دون حفر آبار مياه جديدة بصورة غير منظمة.

وقد طرح بيرس هذه القضية خلال لقائه بالرئيس المصري حسني مبارك وعرفات في الإسكندرية حينما قال : "عندما وصلت الأمور إلى مناقشة قضية المياه، اختار مفاوضوك سيدي الرئيس، أن يعودوا إلى التاريخ القديم وأن يتحدثوا عن الحقوق المائية.

فرد عليه عرفات قائلا : "النبي موسى أهم من النبي إبراهيم، فموسى لم يشرب الماء من نهر النيل فقط، بل نجا بفضله.

فقال بيرس:" ما دمت تتحدث عن موسى فلربما انك تستطيع أن تخرج الماء بضربة من نبوت في الصخر، أرجو أن لا تتردد في عمل ذلك."

انفجر الرئيس مبارك بالضحك، وقال:" فقط شمعون يستطيع أن يستخرج الماء من الصخر.

بيرس:" سنكون واقعين ولن نسلبكم أي قطرة ماء، وأنا أقترح أن تبقى المياه التي تملكونها حاليا ضمن صلاحياتكم وسنعمل نحن على مساعدتكم في العثور على مصادر مياه جديدة، هناك خطر تلوث المياه الجوفية من المجاري وخصوصا في قطاع غزة. واصل بيرس حديثه، واقترح أن تتم تحلية مياه البحر في غزة بمساعدة الدول المانحة وبمقدورنا تشكيل لجنة مشتركة لشئون تطهير المياه ونحاول زيادة كمية المياه في المخازن الجوفية الشرقية لنهر الأردن ونحن لن نخاطر بأي حال من الأحوال بالمياه الموجودة تحت أيدينا".

انضم إلى (كنرتي) في المرحلة الأخيرة من الحوار حول المياه، وزير الزراعة يعقوب تسور، واورن شاحور وقد تمكن أبو علاء من إقامة اتصال جيد معهما، في حين بدا كنرتي يقيم علاقات عمل جيدة مع نبيل الشريف لقد أدى سجننا في فندق (باطيو) إلى خلق شبكة علاقات مفاجئة جدا.

تم التوصل إلى حل مشكلة المياه بالتباحث بين بيرس وعرفات على جميع تفاصيل القضية : الكمية، والعثور على مصادر مياه جديدة، وتشكيل لجنة مياه مشتركة واعترفنا بأن قضية الحقوق الفلسطينية في المياه هي إحدى القضايا التي تطرح للنقاش خلال التسوية النهائية.

لقد خلصت من محادثات المياه إلى أن الآراء في هذه القضايا تتراوح بين الكيمائيين الذين يتنبؤون بمستقبل خطير لإسرائيل و بين العلماء الذين يؤمنون بأن التكنولوجيا ستجلب لنا حلولا وأن الحل يجب أن يكون إقليميا وعليه فان السلام هو أفضل مصادر المياه.

تغيير صفة الاحتلال٠٠٠٠ومراحل طابا

أدركنا إلحاحية قضيتين٠٠ تحرير الإسرائيليين من فكرة المحتل والعمل بندية مع الفلسطينيين

بيرس تصرف كدب هائج لدفع المفاوضات٠٠ كال المديح لعرفات وأهان مساعديه

نص إعلان المبادئ على حل الإدارة المدنية الإسرائيلية، ونقل الصلاحيات إلى أيدي الفلسطينيين، وقد أشار رابين إلى أن تقديم الخدمات للفلسطينيين في أعقاب التسوية المرحلية، يتطلب تحويل الإدارة المدنية إلى مركز ارتباط وتنسيق، يشرف على التعاون المذكور في الاتفاقية، بيد أنني خشيت من أن نجد في الارتباط والتنسيق إدارة مدنية جديدة، وإن كل ما في الأمر هو أننا غيرنا العنوان الذي تعمل تحته.

لذا فضلت أن يتم استيعاب غالبية العاملين وعمليات الإدارة المدنية القديمة في الوزارات الحكومية المختلفة، على أن يتعاونوا مع مؤسسات السلطة الفلسطينية، في حين تلعب وزارة الخارجية الإسرائيلية، دورا بارزاً في أعمال التنسيق مع الفلسطينيين، وقد أصبحت هذه الأفكار جزءا من الملحق الخاص للاتفاق الذي خصص للتعاون.

وخشيت أيضا من أن يؤدي تحويل مركز الإرتباط والتنسيق إلى الجهاز الأساسي للعلاقات مع السلطة إلى عدم الحصول على التعايش المطلوب لخلق نوع من العلاقات الثنائية التي لا يقوم أي سلام مستقر دونها.

إن الانتقال من مرحلة الاعتماد والاتكال الفلسطيني الكامل علينا، إلى مرحلة الاعتماد المتبادل، كان صعبا للغاية على المؤسسة الإسرائيلية، فقد أدركت أن تحرير إسرائيل من نير الإحتلال شيء، وتحرير الإسرائيليين من كماشة تفكير المحتل هو شيء مختلف تماما، ولم يكن الأمر يقتصر على الإسرائيليين فقط، بل كان من الصعب أيضا على الفلسطينيين أن يبدأوا التعاون معنا وفقا للأسس الجديدة بعد كل هذه السنوات الطويلة من الاحتلال.

كتبت لبيرس بـــهذا الصـــدد قـــائلا : "التسـوية المرحليـة لـن تنجـح إلا إذا غيرنا توجهنا تجاه الفلسطينيين في جميع منـــاحي العمـل، بمـا فيـها الجيـش والإدارة المدنية والوزارات الحكومية". وقلت لــه : كيـف تحولـت سـكرتيرتي (سـتيلا) إلـى ملجأ دائم لهم، يتوجهون إليها كلما أعاقهم الجيش علـى الحواجـز لعـدة سـاعات وهـم في طريقهم إلى المفاوضات، ورويت لــه كيـف اتصـل بـها أبـو عـلاء الغـاضب، وروى لها أن الضابط المنـــاوب علـى حـاجز ايـرز، لا يسـمح لـه بـالدخول إلـى إسرائيل في طريقه إلى المفاوضات، رغم أنه أطلعـــه علـى هويـة "شـخصية مهمـة" التي يحملها، نظرا لأن سائقه غير مزود بـــالأوراق اللازمـة.

وقد حاولت أنا وستيلا تسوية الأمر مـــع الضـابط المنـاوب، إلا أنـه أصـر على موقفه قائلا : "لا يهمني سواء كان هـذا الشـخص المـاثل أمـامي أبـو عـلاء أو غيره، هذه هي الأوامـــر".

اختطف أبو علاء سماعة الـهاتف مـن يـد الضـابط، وقـال لـي غاضبـا : "عشرات الفلسطينيين يعبرون مـــن هنـا ويروننـا فـي هـذا الوضـع، أنتـم معنيـون بإهانتنا أمامهم، سوف أصاب في أحد الأيام بسـكتة قلبيـة بسـببكم".

لم أنجح في تهدئته، وفي نفس الوقت، تمكنـت سـتيلا مـن الاتصـال بمكتـب رئيس الأركان وبعد حوالي ساعة، تمكن أبـو عـلاء مـن العبـور، بيـد أنني كنـت محرجا جدا منه، وأكثر إحراجا بسـبب تصرفنـا.

لا شك أن بالإمكـان دائمـا تـبرير المسـلكيات المخزيـة ضـد الفلسـطينيين بالخوف مـــن الإرهـاب ، ولا شـك أن لـهذا الخـوف مـا يـبرره، بيـد أن بعـض المسلكيات آنفة الذكر ينبـع مـن التداعـي العميـق لأنمـاط السـلوك الإنسـاني، لقـد أدركت قلة قليلة فقط ، أنه إذا لم نتعامل مع الفلسطينيين بتقديـــر، ومثلمـا نتعـامل مـع أنداد لنا في جميع مناحي العلاقات، فإن الأمور سـتنقلب علينـا فـي جميـع المجـالات التي سيكون التعامل فيها بيننا وبينهم يسـير وفـق أسـس متبادلـة، وبصـورة خاصـة في مجال الأمن، والذي سيتوسع رويدا رويـدا بمـرور السـنين.

وذات ليلة، ذهبت للسباحة في بركة الفندق، وهناك وجدت جبريل الرجوب ومحمد دحلان، وسفيان أبو زايدة وهشام عبد الرازق اللذين كانا يترأسان نادي الأسير السابق- مجموعة من الفلسطينيين الذين اجتازوا السجون الإسرائيلية-. وقد سبحنا بعض الوقت، ثم جلسنا نحن الخمسة على حافة البركة، كان الأربعة يتحدثون العبرية بصورة جيدة جدا، وبلهجة اليهود، من أبناء البلاد. وبعد حساب سريع، اتضح أن هؤلاء الأربعة – وهم جميعا في العقد الرابع، قضوا ستين سنة في سجوننا، وقد تحدثوا المرة تلو الأخرى عن زملائهم الذين نفذوا عمليات ضد إسرائيل بأوامر أولئك الذين نتفاوض معهم الآن، بمن فيهم ياسر عرفات، وقد حذروني من أنه طالما لم تعمد إسرائيل إلى إطلاق سراح المعتقلين بصورة جماعية- حتى ولو كان ذلك تدريجيا، فإنهم هم أنفسهم، لا يستطيعون تأييد الاتفاقية، ووعدوا بأن يعملوا على تجنيد معتقلي حركة فتح، إلى نادي الأسير السابق، ودفعهم باتجاه العمل من أجل السلام.

قلت لهم : إن مسألة إطلاق سراح المعتقلين تحتاج إلى قرار من الكادر السياسي. نظرا للمغزى الخاص لهذه القضية. وقد واصلنا حديثنا حتى ساعات الفجر.

وبعد وقت قصير، تحدثت مع ذوي ضحايا إرهاب كانوا قد قدموا إلى ايلات، وقد تحدثوا بمرارة شديدة، وطلبوا منا ألا نطلق سراح المعتقلين الذين قتلوا أبناءهم. وطلبوا أيضا، أن نشترط تنفيذ الاتفاقية، بقيام السلطة الفلسطينية بتسليم الفلسطينيين الذين قتلوا إسرائيليين، وقد هب وزير العدل (ديفيد ليبائي) لمد يد المساعدة لهم وتوجه إلى إيلات للتحدث مع أبو علاء في قضية تسليم الفلسطينيين إلى إسرائيل، وقد جاء رد أبو علاء قاطعا : "هذه المسألة غير واردة في الحسبان أبدا، وأنتم أيضا، لن توافقوا على تسليم القتلة الإسرائيليين لنا، وإذا وافقتم على التبادلية في هذا الصدد سنقبله، وأنا على استعداد للتعهد بأن نعمل من أجل إلقاء القبض على القتلة وتقديمهم للمحاكمات".

وفي نهاية المطاف، تم الأخذ بـــرأي رابيـــن الواقعـــي فـــي الاتفـــاق، والـــذي ينص على أنه يتوجـــب علـــى الســـلطة الفلســـطينية أن تلقـــي القبـــض علـــى القتلـــة، وتقدمهم للمحاكمة وإذا لم تفعل ذلك، يجب عليها تســـليمهم إلـــى إســـرائيل.

لم يستطع الفلسطينيون التـــأقلم بســـهولة مـــع عـــادة إضفـــاء الشـــرعية علـــى أعمال القتل التي تجـــري ضـــد إســـرائيليين، فيمـــا يسمونه الكفـــاح المســـلح، ضـــد الاحتلال. لقد بدا واضحاً، أن الإرهـــاب هـــو أخطـــر العوامـــل التـــي تـــهدد المســـيرة السلمية، وكان الإرهابيون يدركـــون ذلـــك.

اتصلت بي سكرتيرتي ســـتيلا فـــي الحـــادي والعشـــرين مـــن آب، وفـــي أوج المفاوضات في ايلات، وقالت لـــي : "وقعـــت عمليـــة فـــي القـــدس، شـــاهد التلفزيـــون الإسرائيلي". لقد وقع انفجار في حافلة إسرائيلية ممـــا أســـفر عـــن خمســـة قتلـــى، وقـــد جاء زينجر وديان إلى الغرفة، فقلت لهم اطلبا من الجميـــع أن يوقفـــوا المحادثـــات.

اتصلت بمكتب رابين، فرد علي بـــيرس الـــذي كـــان موجـــودا هنـــاك، وقـــال لي : إنهما طلبا من السلطة الفلسطينية أن تبذل كل مـــا فـــي وســـعها ضـــد الإرهـــاب، ويدا أن الاثنين مصران على التمييز بين حمـــاس والســـلطة الفلســـطينية، وعـــدم منـــح حماس فرصة استخدام حق "الفيتو" ضد المســـيرة الســـلمية.

ثم قال لي بيرس : "علق المفاوضات إلى مـــا بعـــد الجنـــازة، كعلامـــة حـــداد، ولن نجعل الإرهابيين يحققـــون إنجـــاز وقـــف المســـيرة". طلبـــت إذنـــا بإبقـــاء الوفـــد الإسرائيلي في الفندق، فوافق رابيـــن.

بقي الفلسطينيون أيضـــا معتكفيـــن فـــي غرفـــهم، ووجدنـــا أن مـــن الصعـــب علينا التحدث معهم، وكأن شيئا لم يحدث، ولـــم يكـــن أي منـــا يشـــك للحظـــة، فـــي أن هؤلاء الأشـــخاص الذيـــن نتحـــاور معـــهم يعـــارضون الإرهـــاب، ويدركـــون مـــدى الأضرار التي يلحقها بمصلحتهم، ذلك أن الإرهاب موجـــه أيضـــا ضدهـــم. وعلـــى أيـــة حال، لم نستطع أن نتجاهل أن الفلسطينيين قتلـــوا فـــي نفـــس اليـــوم إســـرائيليين وقـــد أدى الشعور بالغضب والحداد من جانبنا، إلى إحراجهم وخلق جـــو خـــانق للغايـــة.

قدم بعد الظهر، أبو علاء وكبار أعضاء الوفد الفلسطيني إلى غرفتي للإعراب عن أسفهم وعزائهم، وجلس أبو علاء وعبد الرزاق اليحيى، وعصفور والطريفي مع ديان وزينجر وشاحور وأنا، وأعربوا عن أسفهم وقدموا بيانا رسميا بذلك، وقد وصفنا لهم العملية وتفاصيلها، ثم عادوا إلى غرفهم.

وفي ساعات المساء، جلسنا لمشاهدة الأخبار وطلبت من ستيلا أن تسأل أبو علاء وزملاءه فيما إذا كانوا يحبون الانضمام إلينا؟؟ وقد جاءوا، وشاهدنا سوية العملية، دون أن يتفوه أي منا بكلمة، ثم غادروا المكان.

استؤنفت المحادثات بعد ظهر اليوم التالي، في أعقاب انتهاء مراسيم دفن القتلى، وبعد يومين اتصل أبو علاء بي هاتفيا، وطلب مني أن آتي لمشاهدة نشرة الأخبار معه، وعلى شاشة التلفاز شاهدت جنازة طفلة في السابعة من عمرها قتلت برصاص الجنود الإسرائيليين، وقد سلط المصور العربي، جهاز التصوير على التابوت الصغير ثم سلط على أهل الصغيرة، ثم على الجماهير الغاضبة والحزينة، لقد كان الحزن لديهم عنيفا وغاضبا، تماما مثلما كان لدينا، لقد اعتاد شركاؤنا الفلسطينيون التأكيد على أن الألم والعذاب لا يمكن أن يكون حكرا على طرف واحد، وسألت نفسي : ترى هل سيكون إدراكنا المتزايد للمأساة المشتركة التي نعيشها بمثابة الخطوة الأولى على صعيد المصالحة؟؟ لقد كنا ندرك أنه لا يكفي إدخال الكادر السياسي والعسكري في المسيرة من أجل إحلال التغيير، بل يجب إدخال الشعوب واشراكها.

كانت المفاوضات تجري تقريبا، طيلة الأربع وعشرين ساعة، وفي الغالب كنا نبدأها في العاشرة صباحا، ونتوقف لتناول الغذاء، ونواصل حتى الساعة السادسة مساء، فنتوقف لمدة ساعة، لتناول العشاء، ثم تبدأ الجلسات الليلية والتي كانت تمتد حتى بزوغ الفجر.

الانتخابات، تركيب وصلاحيات المجلس الفلسطيني :

واصل زينجر وعريقات إجراء مفاوضات مفصلة حول انتخابات المجلس الفلسطيني ومعاييره وتركيبته، لقد انضمت عملية تشكيل هيئة تشريعية

جديدة وتحديد صلاحياتها، وصياغة إجراءات الانتخابات لهذه الهيئة، إلى المهمة التي راقت جدا للفلسطينيين.

قررنا منذ البداية، أن نقصر مهمتنا على ضمان المعايير الانتخابية للمجلس كي لا تشذ أو تنحرف على إعلان المبادئ، بيد أن العلاقات الوطيدة جدا التي تطورت بين صائب عريقات وزينجر، جعلت تدخلنا في الانتخابات أوسع. بل لقد سافر الاثنان إلى أسكتلندة لمتابعة الانتخابات المحلية التي عقدت هناك، واستقاء ما يمكن استقاؤه من عبرها.

أوصينا، أنا وزينجر، بأن يوافق الكادر السياسي الإسرائيلي على مجلس تشريعي مؤلف من مائتي وخمسين عضوا، أي أكثر بكثير من المائة عضو الذين طالب بهم الفلسطينيون وكان هدفنا من ذلك، تعزيز ودعم مؤيدي السلام، وتشجيع التعددية بيد أن توصيتنا رفضت، وقرر رابين وبيرس أن يكون عدد أعضاء المجلس ثلاثة وثمانين شخصا ثم توسيعه فيما بعد إلى ثمانية وثمانين عضوا.

تطلع الفلسطينيون إلى الفصل بين صلاحيات المجلسين التنفيذي والتشريعي، وكانت توجهاتنا مرنة نسبيا، فقد رغبنا بادئ ذي بدء، في تشجيع الانفتاح والتعددية في مجتمع شديد التوتر بين مؤيدي النظام المركزي، وبين أولئك الذين رغبوا في تقليد النمط الإسرائيلي، وقد اتفقنا على ثلاثة أمور :

- تشكيل مجلس تنفيذي – حكومة من جميع الجوانب العملية.
- تشكيل مجلس أكبر، وذي صلاحيات تشريعية.
- إطلاق لقب (الرئيس) على عرفات، بصورة تمنح لكل طرف أن يفسره بالصورة التي يرتئيها.

طلب عريقات أن تتم الموافقة على وجود رئيس للمجلس التشريعي، وهذا أمر مخالف لما جاء في اتفاقية المبادئ، بيد أن بيرس وافق، ونجح في إقناع رابين بالموافقة على الوظيفة الجديدة، بغية تعزيز التعددية في أوساط الفلسطينيين.

دار الخلاف الأساسي في إطار المحادثات حول قضية إجراء الإنتخابات في القدس الشرقية، بيد أن صائب عريقات وزينجر تعاملا مع هذه القضية

الحساسة بذكاء وحكمة، وقد جاءت الحلول التي طرحاها فنية وبراغماتية. ومن الجدير بالذكر، أن الإتفاقيات كانت تنص مثلما أوردنا آنفا على أن القدس خارج إطار الحكم الذاتي، بيد أن إتفاقية المبادئ، نصت على أن الإنتخابات لن تتجاوز سكان القدس الشرقية.

وافق الطرفان على أن يصوت الفلسطينيون من سكان القدس في مكاتب البريد، وأن يستخدموا نوعا معينا من الصناديق الإنتخابية التي تشبه صندوقا بريديا وآخر إنتخابيا، وتكون الشرطة الإسرائيلية مسئولة عن ضمان الأمن العام، ويقوم مراقبون دوليون بنقل الصناديق إلى منطقة الحكم الذاتي لعد الأصوات، ولا يستطيع أي شخص من سكان القدس ترشيح نفسه للمجلس التشريعي إلا إذا كان لديه عنوان آخر خارج القدس في الضفة الغربية مما يسمح لإسرائيل بالإدعاء بأن أيا من سكان المدينة لم يرشح نفسه، وبقي سؤال واحد : هل يجب وضع طابع بريد على المظروف مثلما طالبنا؟؟ ثم جاء الحل لهذه المشكلة أيضا في صورة وضع خاتم البريد على المظروف.

تم نقل المراقبين الدوليين الذين قام الاتحاد الأوروبي بتجنيدهم إلى ايلات لتلقي التوجيهات حول دورهم.

لقد كان حل هذه القضية بمثابة إنجاز كبير لعريقات وزينجر، حيث لم يكن أسهل من تحويل كل ملابسة من ملابسات هذه القضية إلى عقبة تتحطم عليها المسيرة بأكملها، بيد أن الرغبة المشتركة والخبرة الكبيرة، والثقة المتبادلة، حالت دون حدوث ذلك.

<u>المكانة القضائية الجديدة للسلطة الفلسطينية :</u>

قام قضائيون من مكتب الإدعاء العسكري الإسرائيلي، والسلطة الفلسطينية بدراسة وبحث قضية المكانة القضائية للسلطة الفلسطينية، وتمكن الطرفان من بلورة صيغة متشابكة ضمنت صلاحية القضاء الإسرائيلي في الشئون الجنائية في المنطقة (B) ومكنتنا من اتخاذ الخطوات الضرورية لنشاطاتنا الأمنية في هذه المنطقة، بيد أنها وضعت في أيدي الفلسطينيين المسئولية عن

النظام العام، ولأول مرة، تم إخضاع الإسرائيليين لقوانين الضرائب الفلسطينية إذا ما قاموا بأعمال المتاجرة في المنطقة (A و B).

العلاقات الاقتصادية :

واصلت وزارة المالية، التي مثلها في المفاوضات (ديفيد برودت) – وهو شخص شديد ومحنك، الدفاع عن مصالح إسرائيل الإقتصادية، ومن الجدير بالذكر، أنه كان يؤمن بضرورة تطوير الإقتصاد الفلسطيني، لذا بذل جهودا كبيرة في إقناع الدول المانحة لزيادة المبالغ المقدمة إلى السلطة الفلسطينية هذا وكنت أنا (وبرودت) نترأس وفدنا في مؤتمر الدول المانحة.

كما قام مسئولو الوزارة بنقل جميع المبالغ الضريبية التي جبتها إسرائيل، باسم السلطة الفلسطينية بأمانة.

بيد أنه سرعان ما اتضح، أنه كلما تعلق الأمر بقضية تخطيط العلاقات الإقتصادية الرامية إلى زيادة الإزدهار الفلسطيني، والتعاون الإقتصادي المستقبلي بين إسرائيل والفلسطينيين والأردن، فإن سياسة وزارة المالية لا تفي بالاحتياجات المطلوبة، لقد أثرت على قراراتنا مصالح إقتصادية داخلية قصيرة الأمد، ويرجع ذلك أيضا، إلى أن صانعي القرارات لم يكونوا يعلمون بالتفاصيل الإقتصادية الفنية، أضف إلى ذلك، بروز مشكلة أخرى، تتعلق بقرارنا المبدئي القائل بإخضاع عبور البضائع والأشخاص للقيود الأمنية.

ولم نعمد إلى التركيز على التفاهم الاقتصادي، لأننا اعتقدنا أن المشاكل الاقتصادية للسلطة الفلسطينية يمكن أن تحل، عبر زيادة حجم استثمارات الدول المانحة ولا شك أن هذا التفكير كان خاطئا فنحن لم نر حقيقة إن عدم توفر إجراءات ونظم ثابتة لحركة البضائع والحيلولة دون حدوث تشويش وعرقلة في هذه الحركة، جراء فرض الإغلاق سيجعل القطاع الخاص يحجم عن الإستثمار، في مناطق الحكم الذاتي ودون هذه الاستثمارات والضرائب الناجمة عنها فلن يكون هناك مناص من أن تعمل الدول المانحة على حماية السلطة الفلسطينية من الغرق.

وقد حذر من هذا الوضع (عوديد عيران) و(يوسي عمراني) موظفا وزارة الخارجية، وقد أعد عمراني مستندا فذاء حول أخطار استبدال الحكم العسكري بالسيطرة الاقتصادية، ونادى بأن تظهر إسرائيل كرما كبيرا جدا تجاه السلطة الفلسطينية، وقد وافقنا على وجهة نظره، بيد أننا لم نفعل شيئا أكثر من ذلك، لأن الآراء التي كانت سائدة آنذاك نادت بالحفاظ على المصالح الاقتصادية الإسرائيلية بدلا من الأخذ بعين الاعتبار مزايا الاستقرار والتعاون الاقتصادي من ناحيتنا وناحية الفلسطينيين في آن واحد، وقد دفع الطرفان فيما بعد ثمنا باهظا جراء قصر النظر آنف الذكر.

وتفاقمت حدة المشكلة إزاء نزوع الزعامة الفلسطينية نحو مركزية الاقتصاد، وتجاهلها لضرورة بناء مؤسسات إقتصادية عصرية، إضافة إلى ارتباط هذا الوضع بأعمال فساد في أوساط السلطة.

وعلى غرار ما حدث في المجال السياسي، فقد انقسم المجتمع الفلسطيني أيضا على الصعيد الاقتصادي إلى قطبين متنافرين : أولئك الذين عملوا على استنساخ نماذج وأنماط إقتصادية إقليمية، والذين تطلعوا إلى تطوير منظومة إقتصادية غربية، تقوم على اقتصاد السوق، بين الذين عملوا على تطوير احتكارات في قطاعات مختلفة، وبين الذين أيدوا نظريات المنافسة.

وهكذا تطور الحكم الذاتي، وأصبح خليطا متفردا من الأنماط التي يسود مستقبلها الضباب، وبدا أن هناك صورة كئيبة تنتظر السلطة الفلسطينية على المدى القصير.

أدرك لاريسون الوضع الاقتصادي الخطر الذي تعيشه السلطة الفلسطينية، فقد عمل ثلاث سنوات كنائب للسكرتير الاقتصادي للأمم المتحدة لشئون المناطق المحتلة، لذا حاول إقناع الدول المانحة باستثمار الأموال في مجال البنى التحتية، والخدمات الاجتماعية والرامية إلى دعم المحتاجين وتعزيز الاستقرار السياسي، وحاول كذلك إقناعنا بمدى خطورة سياسة الإغلاق، وقال المرة تلو الأخرى : أنتم تسهمون في خلق ضغط شديد وغليان في قطاع غزة،

وحاول تقديم يد المساعدة إلـى الزعامـة الفلسـطينية فـي خلـق وتأسـيس مؤسسـات إقتصادية، بيد أنها تجاهلته رغم العلاقات الوطيـدة القائمـة معـه.

ومن الجائز أن السبب الرئيسي في تقديراتنا الخاطئـة يرجـع لاعتقادنـا بـأن المسيرة السياسية نفسها ستؤدي بصورة محتومة، فـي نهايـة المطـاف، إلـى علاقـات اقتصادية صحية لقد اعتقدنا جميعا بأنه إذا ما سـارت التحليـلات الأساسـية بـالصورة المطلوبة، فإن الشئون الإقتصادية ستتطور بصـورة بديهيـة وتلقائيـة.

وهكذا، فإن الملحق الاقتصادي لـم يشـتمل بصـورة أساسـية سـوى علـى توسيع (اتفاقية باريس) الموجودة، والتي كانت جزءا من اتفاقيـة غـزة وأريحـا.

وفي نفس الوقت الذي انشغلت فيـه اللجنـة الأمنيـة، برئاسـة ديـان وعبـد الرزاق اليحيى، واللجان الفرعية الخاضعة لها، بدون كلـل و ملـل فـي قضايـا مثـل : كمية الأسلحة التي ستمنح للسلطة الفلسـطينية، ودخـول رجـال الشـرطة الفلسـطينية إلى المنطقة، والإجـراءات التـي سـيتم اتخاذهـا خـلال فـترة التمـاس، والمشـكلة العويصة التي ولدت من رحم المطلـب الإسـرائيلي بحقـها فـي (المطـاردة السـاخنة) داخل المنطقـة (A).

كانت توجيهات رابيـن وبـيرس لأعضـاء هـذه االلجنـة واضحـة تمامـا : محاربة الإرهاب هـي قضيـة لا يمكـن تجاوزهـا أو التـهاون فيـها، إضافـة إلـى ضرورة خلق إطار تعاون في مجالها، وعدم التجـادل حـول كـل طريـق وكـل قمـة جبل. في ضوء حقيقة قبول الفلسطينيين للنظرية الأمنيـة الإسـرائيلية الأساسـية.

أتاح لنا التقدم الثابت علـى جميـع الأصعـدة الأساسـية للإتفاقيـة، إمكانيـة الوصول في نهاية آب، إلى المعركـة الحاسـمة التـي دار رحاهـا فـي معظمـه فـي طابا

وفي الأول من أيلول أعددت تقريرا مسـهبا لرابيـن وبـيرس، تطرقـت فيـه بالتفصيل إلى المشاكل التي لا زالت عالقـة بيننـا.

وعندما هبطنا في نفس اليوم فـي مطـار تـل أبيـب، اعتـبر التقريـر آنـف الذكر بمثابة ورقة العمل للنقاش الـذي جـرى فـي مكتـب رئيـس الأركـان وخـلال

اللقاء المذكور قدم قائد القطاع الأوسط (ايـــلان بـــيران) الخارطـــة العســـكرية لاتفاقيـــة التسوية المرحلية بيد أننا قررنا تركها حتى نهايـــة المفاوضـــات وفيمـــا كـــان (بـــيران) يعرض الخيارات المختلفة للمرونة فـــي المرحلـــة النهائيـــة، دخلـــت ســـكرتيرة رئيـــس الأركان شاحك، وقدمت له ورقـــة صغـــيرة، كتـــب عليـــها : الدكتـــورة هـــورن تريـــد التحدث معك هاتفيا، فخرجت وأنا أعتقد أن هنـــاك نبـــأ ســـيئا، وعندمـــا تحدثـــت معـــها قالت لي : "آسفة للنبأ لكن أمك توفيت الليلـــة"، فـــاعتذرت (لشـــاحك) وغـــادرت المكـــان إلى مـــنزلي.

وفي نهاية الأسبوع، قدم أبـــو عـــلاء بعـــد أن هـــاتفني فـــي مـــنزلي معزيـــا، وقبل أن يغادر البيت، تناولت نسخة من القرآن كـــان والـــدي يســـتخدمه إبـــان دراســـته للغة العربية في القاهرة عام ١٩٤٧- وقدمتـــه إليـــه.

قبل عودتي إلى ايـــلات فـــي العاشـــر مـــن أيلـــول ، قيـــل لـــي أن الحراســـة عززت على منزلي، وإنني بعد الآن، لن انتقـــل دون حراســـة، لان اســـمي ظـــهر فـــي القائمة السوداء التي أعدها المستوطنون المتطرفـــون. صـــاغ يـــوآل زينجـــر وصـــائب عريقات، وثيقة بشأن الجدول الزمني لمواصلـــة المباحثـــات و أوصـــي بتـــاريخ هـــدف، للانتهاء منها بين ١٧-١٨ أيلول كـــي نســـتطيع التوقيـــع علـــى الاتفاقيـــة قبـــل عشـــية راس السنة العبرية، الذي صادف الرابع والعشـــرين مـــن أيلـــول.

تم تكليف الاثنين الإشـــراف علـــى صياغـــة الاتفاقيـــة كلـــها، وقـــامت جميـــع اللجان بنقل المسودات التي تم الاتفاق عليها إليـــهما، كمـــا قـــام الاثنـــان بحـــل سلســـلة طويلة من المشاكل وقضايا المصالح المتعارضـــة والمتبادلـــة للطرفيـــن، وتمـــيزا بدمـــج موضوعات في أماكن مختلفة مـــن الاتفاقيـــة.

إضافة إلى ذلك اشرف زينجر علـــى مجموعـــة قضـــائيين إســـرائيليين عملـــت طيلة الأربع والعشرين ســـاعة لفحـــص كـــل كلمـــة، وجملـــة، وأداة تشـــكيل، وترقيـــم المرة تلو الأخرى، والمســـودات المعدلـــة.

ترك أبو علاء لدينا انطباعاً، بأنه على استعداد لجر المفاوضات إلى الأبد، ووجدنا أنفسنا نخوض حرب أعصاب، فقد كان هو وزملاؤه غاضبين لأننا لوينا ذراع عرفات في اللقاء الذي تم في الحادي والعشرين من آب، بشأن الانسحاب الإضافي، وقد حاول أبو علاء مواجهة هذه القضية من خلال مطالبته بأن لا يتم توسيع أي مستوطنة لأكثر من خمسين مترا من أقصى منزل فيها.

ولجأ إلى ما سبق وأن قاله رابين لعرفات، في أحد لقاءاتهما قبل سنة تقريبا، حول بناء أسيجة حول المستوطنات، رغم أن رابين كان آنذاك، يتطرق إلى الضرورات الأمنية وليس إلى توسيع المستوطنات.

وصلنا خلال مفاوضات الخليل، إلى طريق مسدود، فقد واصل الفلسطينيون إصرارهم على مواقفهم بدءا من فتح مركز شرطة فلسطينية في المدينة، وحتى إبعاد المستوطنين منها، بل لقد حاول أبو علاء تقويض اتفاقية الصلاحيات الأمنية في المنطقة (B) عبر المطالبة بتوسيع صلاحيات الشرطة الفلسطينية في إطار الحفاظ على النظام العام، بيد أننا لم نتنازل بهذا الصدد أبدا، وفي نهاية الأسبوع الثاني من أيلول، أعدنا النظر في الستين سؤالا التي كانت بحاجة إلى إجابة، وقد طلب زينجر الذي كان يبدي دائما صبرا عجيبا فيما يتعلق بزمن المفاوضات – أن أعمل على تحديد موعد نهائي مع أبو علاء للتوقيع، لأنه إذا لم يحدث ذلك فقد نجد أنفسنا نحاور في ايلات إلى الأبد.

كنا في الحقيقة قد استنفذنا كل قدرتنا على المساومة والتفاوض، ولم يبق أمامنا سوى اتخاذ قرار بشأن بعض الموضوعات بغية إنجازها في إطار مساومة صفقة تبادل، ونقل قضايا أخرى إلى عرفات وبيرس لاتخاذ قرار بشأنها.

وفي نهاية الأسبوع، وصلتنا توجيهات فيما يتعلق بتوزيع القضايا بين المجموعتين آنفتي الذكر، فتم اتخاذ قرار بنقل كل ما يتعلق بالخليل وقبر راحيل إلى

بيرس وعرفات لحسمها، وبعد أن عرفت ذلك دعوت أبو علاء وقلت له :" إن الوقت يمضي، واقترحت عليه أن نعلم (دنيس روس) بأننا سنوقع على اتفاقية التسوية المرحلية في الثاني والعشرين من أيلول في واشنطن".

اتصل أبو علاء بعرفات، وحصل على موافقته على عقد المراسيم في واشنطن، ثم قمنا بإعلام دنيس روس بالاتفاق، واقترح أبو علاء أن نجتمع في غرفته مساء الغد، في محاولة لحل غالبية القضايا المتنازع عليها.

كان أبو علاء قد نجح، خلال فترة العمل من توحيد جميع أعضاء طاقم المفاوضات الفلسطيني خلفه، ودفعهم للاعتراف بزعامته أما بالنسبة لي فقد كان الوضع سهلا أيضا، فقد كان كل زميل من زملائي يدير المفاوضات التي يترأسها بيد أننا كنا نعمل بتنسيق كامل وعلى أساس تكتيك موحد.

جلست في غرفة الجلسات التي اعتدنا عقد اجتماعاتنا فيها، حتى جاء أبو علاء وقد ارتسمت على وجهه نظرة جادة وحال جلوسه قال : "لقد" آن الأوان لأن ننهي الأمر". وقد استغرقت المفاوضات بيني وبينه طيلة الليلة، في حين اجتمع عوزي ديان على انفراد مع مسئولي جهاز الأمن الفلسطيني، واجتمع شاحور مع الطريفي وزينجر مع صائب عريقات.

وفي صبيحة اليوم الثاني، اتضح أننا تمكنا من حل نصف القضايا التي كانت مطروحة على جدول الأعمال ومن ضمنها اتخاذ قرار بأن ينتهي الانسحاب الإضافي في غضون ثمانية عشر شهرا منذ تاريخ إجتماع المجلس الفلسطيني، وأن يتم إقامة خمسة وعشرين مركز شرطة فلسطينيا في المنطقة (B).

وقد أصر أبو علاء على وصف إعادة الانتشار، والاتفاق نفسه بأنه "يستحيل تغييره" وقد وافقته الرأي، فنحن لم نكن نرغب في الخروج من المدن الفلسطينية كي نعود لنحتلها من جديد، لذا تم الاتفاق على أن نكتب في مدخل الاتفاق أن العلاقات الجديدة التي سيجري تجذيرها بين الطرفين، ستكون "غير قابلة للتغيير".

عملنا خلال الأسبوع التالي. زينجر وعريقات وديان واليحيى وشاحور والطريفي وأبو علاء وأنا بجدية وفي نهاية الأسبوع، أصبح بأيدينا صيغة مؤلفة من ٤١٠ صفحات لاتفاقية التسوية المرحلية، ورغم ذلك كان على بيرس وعرفات أن يستكملا عملا صعبا للغاية، كان عليهما ليس فقط حل القضايا الثلاث الأكثر صعوبة في الاتفاق : الخليل، وقبر راحيل، وخارطة إعادة الانتشار، بل كان عليهما أيضا، حل سلسلة طويلة من المشاكل شديدة الحساسية، والتي تراكمت إبان إعداد الصيغة النهائية.

وقد كتبت في الوثيقة التي بعثت بها إلى بيرس، والتي ضمنتها توصياتي توطئة للقائه بعرفات في طابا، أن هناك خمسا وعشرين قضية لا زالت بحاجة إلى حل لذا من المتوقع أن تخوض مفاوضات صعبة للغاية، خصوصا وأن عرفات، سيحاول أن يبدو بصورة الرجل الذي ناضل بكل قوته، من أجل مصلحة شعبه حتى اللحظات الأخيرة.

تمكن بيرس إبان الإعداد للاجتماع، من إقناع كبار ضباط الجيش بأن المصلحة الأمنية الإسرائيلية، تتطلب العثور على تسوية معقولة في الخليل، وبناء على ذلك، قام بيران وشاحك بإعداد خطة لتقسيم الصلاحيات الأمنية في الخليل بين الفلسطينيين – الذين كان من المفروض أن يتسلموا السيطرة على غالبية أجزاء المدينة والجيش الإسرائيلي الذي كان سيتولى مسئولية الأمن في الحي اليهودي، والمناطق المتاخمة له، وكان من المفروض أن يتم تنفيذ هذه الخطة في غضون تسعة أشهر، بصورة تتناسب مع خطة شق الطريق الالتفافي حول الخليل وحلحول، وقد وافق رابين على هذه الخطة، في الخامس عشر من أيلول.

وتنص الخطة المذكورة على سيطرة الجيش الإسرائيلي على الطريق الالتفافي ، وكريات أربع، والحي اليهودي في الخليل وضواحيه القريبة، والحرم الإبراهيمي، والطريق الذي يربط بين الحي اليهودي وكريات أربع، بطريق تصل إلى القسم الجنوبي من الطريق الالتفافي.

طلب رابين أن يجتمع بيرس وبيران مع عرفات في طابا، في بداية المفاوضات إضافة إلى عدة عناصر من الجهاز الأمني، وكانت مهمتهم تتمثل في التأكيد على العمل المكثف ضد الإرهاب كشرط لتنفيذ الاتفاقية.

بدأ أطول أسبوع في المفاوضات في السابع عشر من أيلول في فندق هلتون في طابا، وقد سكن وفدنا في الطابق الثامن، والفلسطينيون في الطابق التاسع، وكانت قاعة الاجتماعات في الطابق العاشر.

وفي أعقاب المحادثات الأولية، والتي جرى خلالها الحديث عن نشاطات السلطة الفلسطينية ضد الإرهاب، طلب بيرس من (بيران) أن يطرح الاقتراح الإسرائيلي الجديد حول الترتيبات الأمنية في الخليل، والتي وصفها هو نفسه كتسوية جيدة جدا.

استهل عرفات حديثه بالقول : لماذا يجب على العشرين ألف فلسطيني الذين يعيشون قريبا من الحي اليهودي في الخليل، أن يخضعوا للسيطرة العسكرية الإسرائيلية؟؟ فتوجه إليه بيران بكل الاحترام، وشرح له المبررات الإسرائيلية.

وعندما طلب الفلسطينيون تغيير خط الفصل المقترح في "المدينة، رفض بيرس هذا المطلب فورا.

قال عرفات : " لا نستطيع أن نسلم بالوضع الراهن المعمول به في الحرم الإبراهيمي- والذي تنص الخطة على إبقائه تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية فتقدم بيرس باقتراح عدة بدائل وصيغ تنتهي كلها بإبقاء السيطرة الإسرائيلية على الحرم، لكن عرفات رفضها جميعا، وفي نهاية المطاف أتخذ قرار بأن نعمل أنا وأبو علاء، على إعداد الصيغة المقبولة لهذه المشكلة، فانتقلنا أنا وهو إلى إحدى الزوايا وبدأنا نتناقش:

أنا : أنت تعرف بأننا لا نستطيع إبداء أي مرونة في هذه القضية.

أبو علاء : ربما تكون قد نسيت أن هذا المكان هو مكان مقدس للمسلمين، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، أن يهوديا قام بتنفيذ مذبحة في أوساط المسلمين هناك، فإننا نصر على تواجد أمني معين لنا على الأقل.

أنا : قلت "هذا مستحيل"، لقد كنت أدرك أن حساسية المكان الشديدة تحول دون إمكانية توزيع المسئوليات الأمنية عليه .

أبو علاء : "ونحن لن نوافق على الوضع الراهن".

وفي نهاية المطاف ، اتفقنا على ألا نتفق، وأن نقول ذلك في اتفاقية التسوية المرحلية، وعلى أن يتم تشكيل لجنة لدراسة الترتيبات الأمنية على أن تقدم توصياتها المشتركة في غضون ثلاثة أشهر من إعادة الانتشار في الخليل، وهكذا بقي الوضع الراهن على ما هو عليه : دون أن يوافق الفلسطينيون على ذلك.

وافق عرفات على الصيغة آنفة الذكر بيد أنه أعطاني ورقة صغيرة رسم عليها صورة لسيارتين، ثم طلب إيقاف النقاش لبرهة من الزمن.

ولم يكن لدي أي فكرة عما سأفعله بالورقة التي أعطاني إياها عرفات، لذا طويتها ووضعتها في جيبي.

نزلنا إلى (بار) الفندق وبعد حوالي ساعة عدنا إلى غرفة الاجتماعات وقد توقع بيرس أن يستهل عرفات المفاوضات بقول شيء ما بوصفه الطرف الذي طلب وقف الحوار للاستراحة، بيد أن عرفات لم يتفوه بكلمة لفترة ما، وحينها تناول بيرس ورقة وبدأ يكتب عليها، في حين أخذ عرفات يحملق في الورقة وهو شديد التوتر.

ونظرا لأنني أجلس إلى جوار بيرس، فقد وجدا أنه يكتب قصيدة شعر مخصصة (لافي جيل) وجنونه (بالانترنيت) وقد شاهد آفي جيل من الطرف الآخر ما يكتبه بيرس، ونجح بشكل ما في الحفاظ على تقاطيع وجهه جامدة.

وبعد حوالي نصف ساعة من الصمت، توجه بيرس إلى عرفات وسأله : "سيدي الرئيس ما الذي تنتظره"؟؟

عرفات : أريد أن أعرف فيما إذا كنت قد فكرت في الاقتراح الذي قدمته لسبير؟

شعرت بالدهشة الشديدة، بيد أنني سحبت الورقة المطوية من جيبي وفتحتها، فرمقها بيرس بنظرة، وبدا بوضوح أنه لا يدرك ماذا يعني عرفات بها،

فسارع عرفات للقول أن الرسم هو بمثابة دورية مشتركة وأنه يقترح تفعيلها في منطقة الدخول إلى الحرم الإبراهيمي، فأوضح له بيرس أن قضية الحرم الإبراهيمي قد أجملت، بيد أن عرفات كان يريد العودة لمناقشتها.

انفجر بيرس قائلا: قدمت إليك أفضل اقتراح يمكننا تقديمه، وكما يبدو، أنه أفضل مما كنت أنت تتوقع، وإذا كنت معنيا بالحصول على المزيد، فلن تحصل على ذلك مني، أنا سأغادر هذا المكان.

بدأ بيرس ينهض من مقعده لمغادرة المكان، وحينها حاول عرفات تهدئته، مقترحا أن يعمل زينجر وعزيقات على إعداد صيغة كاملة للتفاهم الذي تم إنجازه بشأن الحرم الإبراهيمي، لقد تم حل مشكلة الخليل، ولا شك أنه إذا لم يتوفر حسن النوايا بين المفاوضين، فإن أي خلافات قد تنفجر وتتحول إلى قضية تثير أصداء واسعة، وهذه القضايا كان يمكنها أن تتحول بسهولة إلى معركة بين إسرائيل والفلسطينيين بين العالمين اليهودي والإسلامي، والى أزمة دولية يستحيل حلها، لقد أدى الالتزام بالشراكة إلى العثور على حل، وتم نقل تفاصيل تجسيد التسوية في الخليل إلى اللجنة الفرعية للشئون الأمنية.

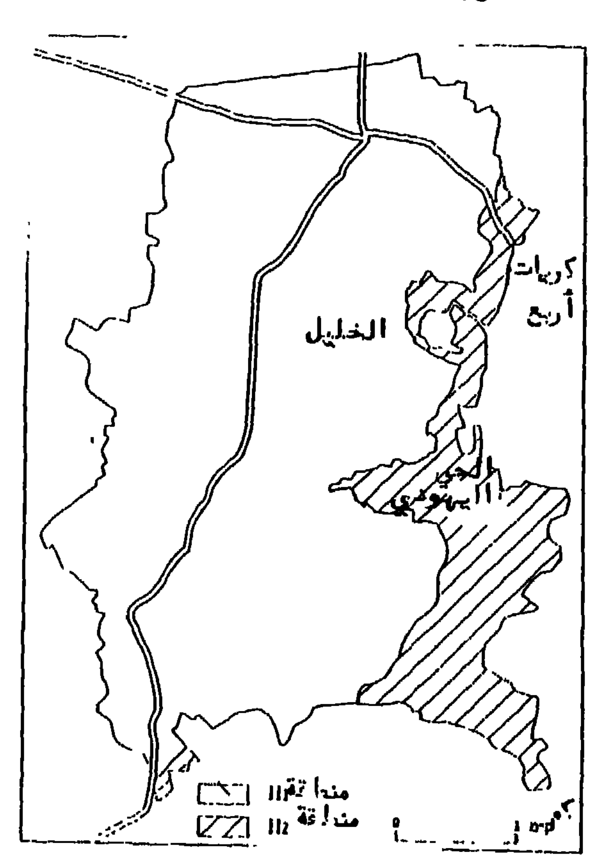
وطيلة الأيام والليالي التالية، طرحت القضايا الباقية على بساط البحث، وطرح الفلسطينيون قضية المعتقلين الفلسطينيين بوجود سفيان أبو زايدة وهشام عبد الرزاق وقد تم الاتفاق على إطلاق سراح جميع المعتقلين، وكذلك المعتقلين الذين ينضوون تحت معايير محددة مثل المعتقلين الذين قضوا ثلثي محكومياتهم أو الذين حكموا بالسجن لأقل من عشر سنوات.

اعتاد بيرس تأنيب مساعدي عرفات بوجوده، وكان يتعامل بجلافة خاصة مع صائب عريقات، فكلما حاول عريقات التدخل في النقاش، أو طرح مبرر قضائي أو غيره، يسارع بيرس للقول له : دعك من هذا صائب، فهو ليس مسألة مهمة.

صائب:" أنتم لستم في حاجة إلى هذا".

وفي الوقت ذاته لم يتوان بيرس عن كيل المديح لعرفات، حيث كان يقول لأعضاء الوفد الفلسطيني : "من حسن حظكم أن لديكم مثل هذا الزعيم، انظروا ما الذي حققه لكم المفتي الحسيني بتوجهاته المتطرفة عام ١٩٤٨ "إنه لم يحقق شيئا".

تصرف بيرس طيلة الأيام الثلاثة كدب غاضب، فكان يقاتل ويتمتم، لذا لم يحظ بشعبية في أوساط أعضاء الوفد الفلسطيني، كان يهدد ويضرب المنضدة بقبضته، وفي إحدى المرات خرج من الغرفة هائجا، وطرق الباب خلفه، وسط ذهولنا جميعا، لقد وصل إلى قناعة تامة، بأنه لن يستطيع دفع المفاوضات إلى خط النهاية إلا بهذا الأسلوب.



في الليلة الثالثة عرض زينجر وصـــائب عريقـات القائمــة الطويلــة للقضايــا الفرعية نسبيا، التي لا زالت بانتظار الحل، وكانت الساعة قــد شــارفت علــى الرابعــة صباحـا

اقترح عرفات مواصلة النقاش حتى الصباح، بيــد أن بـيرس لــم يكــن علــى استعداد لقبول ذلك أبدا، فــأخذ يقــرأ القضايــا واحــدة وراء الأخــرى، ويعــد صيغــة الحل بنفسه، بينما عرفات يجلس أمامه مرهقا وغير قـــادر علـــى التركـــيز.

وفي صبيحة اليوم التـــالي، أعلــم مــروان كنفــاني النــاطق باســم عرفـــات الصحفيين : "أنه أقنع الرئيس الفلسطيني بالذهـــاب للنــوم عــدة ســاعات كــي لا يقــع مغشيا عليه على طاولة المفاوضات.

حلت الساعة التي يثبت فيها عرفات قدرته كمفــاوض مــن الدرجــة الأولــى، في المرحلة الأخيرة، كانت القضايـــا الباقيــة دون حــل هــي : قــبر راحيــل وعبــور رجال الشرطة الفلسطينية مـــن المنطقــة (A) إلــى المنطقــة (B) وخارطــة التســوية المرحلية. وقام بيران بشرح الاقتراح الإسرائيلي للترتيبات الأمنيـــة فــي قــبر راحيــل، والذي جاء فيه : أن الجيش الإسرائيلي سيتحمل المســئولية الأمنيــة عــن القــبر نفســه، والطريق المؤدي إليه من حي جيلة فـــي جنوبـــي القــدس، ولأســطح بعــض المنــازل التي تطل عليه، ولموقف السيارات المتاخم للقـــبر وعلـــى أن تقــوم دوريــات مشـــتركة بالعمل خارج الإطار الذي تمت الإشـــارة إليـــه.

صرخ عرفات قائلا : سكان بيت لحم لن يوافقوا علــى ذلــك بــأي حــال مــن الأحوال، وأنا لن أوافق على ذلك، فإلى جوار القـــبر توجــد مقــبرة إســلامية والمكــان كله موجود في المنطقة (A) وأنا نفسي مثلما هو معروف لكم، مـــن نســل راحيــل.

ثم حاول عرفات أن يفتح النقاش مجددا حـــول الحــرم الإبراهيمــي، واصبــح النقاش عاصفا مما جعلنا نفضل أرجاء النقاش حـــول قــبر راحيــل إلــى اليــوم التـــالي عدنا إلى الطابق العاشـــر، فـــي أعقــاب تنــاول طعــام العشــاء كــي نكشــف أمــام الفلسطينيين– قبل الموعد المقترح لإنـــهاء النقـــاش.

خارطة التسوية المرحلية.

قدم بيران خارطة المنطقتين (A و B) واللتين تشكلان ما نسبته ٢٢% من الضفة الغربية وقد احتلت المدن الفلسطينية التي شكلت المنطقة (A) ٣% من الضفة الغربية، حملق عرفات في الخارطة للخطة ثم قفز من مقعده، وقال إن هذه الإهانة أكبر بكثير مما يستطيع أن يحتمل، هذه هي كانتونات هل تريدون أن اسلم بكانتونات أنتم تريدون تدميري وغادر عرفات الغرفة.

وبعد عدة دقائق من وصولنا إلى الطابق الثامن، قدم صحفيون إسرائيليون، وقالوا إن مروان كنفاني أعلن عن انهيار المفاوضات وأن عرفات سيغادر طابا، اقترح بيرس أن أحاول الوصول إلى عرفات قبل مغادرته، في حين اتصل آفي جيل هاتفيا بدنيس روس لإعلامه بالأزمة الناشبة وقبل أن أصعد إلى الطابق التاسع، تحدثت مع أسامة الباز في القاهرة، وطلبت منه أن يتحدث مع عرفات، كما تحدثت مع يوسي جينوسار في الشأن ذاته.

لقد أردنا أن نحول دون انهيار المفاوضات بسبب الخارطة، لأن هذا الانهيار سيستمر أسابيع ولن يكون مجديا للمفاوضات، صعدت إلى غرفة عرفات، فطلب من جميع الموجودين الخروج، فجلست قبالته وقلت له : إن خارطتنا ملائمة تماما لإعلان المبادئ فقال : إنه لا يستطيع الموافقة على الكانتونات، وأن هذا الوضع مستحيل، فاقترحت عليه أن يقوم هو ومساعدوه بإعداد التواصل الجغرافي الذي يعتقدون أنه ضروري ونحن على استعداد لمناقشته.

انضم إلينا ايلان بيران، وتحدث مع عرفات بروحية مماثلة لما قلته أنا فوافق عرفات على أن يعود الوفدان إلى غرفة الاجتماعات لمناقشة التعديلات المطلوبة.

عاد عرفات إلى الطابق العاشر وأحضر معه الخارطة التي أعدها الفلسطينيون في فندق باطيو والتي تشير إلى أن ٤٠% من مساحة الضفة الغربية هي مناطق الحكم الذاتي، مع ضمان وصول إسرائيل إلى جميع المستوطنات.

نظر بيرس إلى الخارطـــة، ورفـض مجـرد مناقشـتها وطلـب مــن اللــواء (بيران) والعميد (يوم طوف ساميه) أن يفردا على الطاولــــة الخريطــة الإســرائيلية.

سأل بيرس عرفـــات : فـــي أيــة منـــاطق تريــد أن يكـــون هنـــاك تواصـل جغرافي. فأشار عرفات إلى عدة أماكن على الخارطـــة فبــذل بــيران قصـــارى جــهده لإرضاء عرفات، وعمل على توسيع المناطق الفلســـطينية فـــي عشـــرة أمـــاكن تقريبـــا من أجل خلق معابر بيـــن المنطقتيـــن (A وB).

قـــال بـــيرس : (هـــذا هـــو) لا أســتطيع بعـــد الآن إضافـــة أي شـــيء إلـــى الخارطة، وأرسلها لإعادة رسمها بالتعديلات الجديدة ولم يعــــارض عرفـــات ذلـــك.

لاشك أن موافقتنا على انسحاب الجيـــش الإســـرائيلي مـــن ٢٧% مـــن الضفـــة الغربية في البداية كان يعتبر بالنسبة لنا موقفا منطقيا، إضافـــة إلـــى أننـــا حافظنـــا علـــى مصالحنا الأمنية مثلما حدد الجيش الإسرائيلي، وقـــد اســـتغرقت الجلســـة كلـــها ثلاثيـــن دقيقـة.

في نهاية الجلسة، قال أبو علاء، أنه خـــارج إلـــى غرفـــة الـــهاتف، وتذكـــرت أنه لم يتفوه بحرف طيلة النقاش، وقد بـــدا الآن شـــاحب الوجـــه.

لقد بدا شديد الغضـــب جـــراء الضغـــوط التـــي مارســـناها علـــى عرفـــات، وتفرق الجميع للإعداد لليوم الأخير من المحادثـــات يـــوم الجمعـــة وللتوقيـــع بـــالأحرف الأولى على الاتفاق، وعكـــف زينجـــر وعريقـــات علـــى صياغـــة التنـــازلات الأخـــيرة بسرعة كبـــيرة.

قدمت ستيلا فجأة وقالت : عرفات يطلب أن تذهـــب إلـــى غرفـــة أبـــو عـــلاء فورا، لقد أغمي عليه، ركضت إلى غرفة أبـــو عـــلاء فوجدتـــه أصفـــر الوجـــه شـــاحبا كالأموات، ويرتعد ويفقد بيـــن الفينـــة والأخـــرى وعيـــه، فـــي حيـــن جلـــس عرفـــات مذهولا إلى جانب السرير، وهو يمسك بيد أبو عـــلاء همســـت فـــي أذنـــه: أبـــو عـــلاء كل شيء على ما يرام، وستكون على مـــا يـــرام.

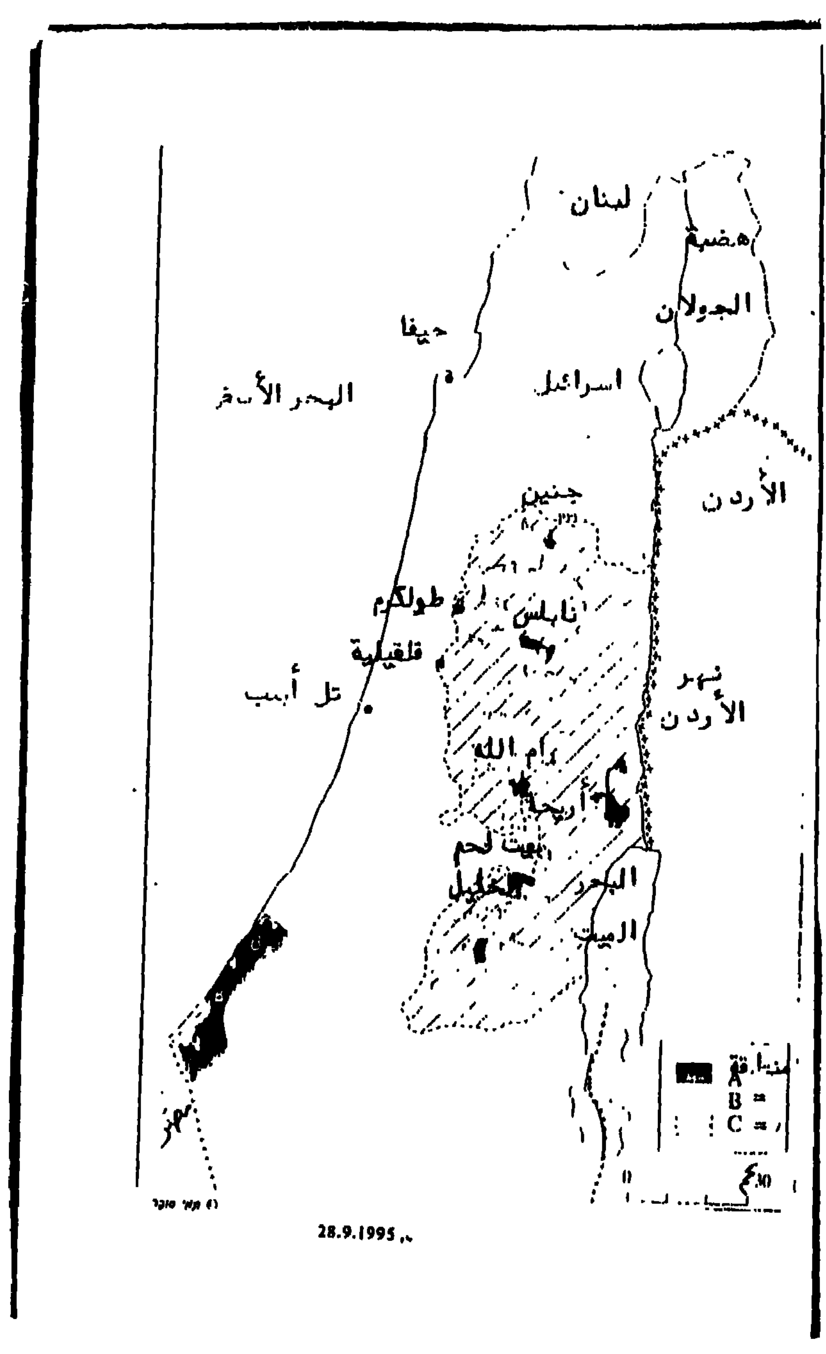
وقدم بيرس وجيل إلى الغرفة، في الوقـــت الــذي كــان فيـــه الطبيـــب يقيـــس نبض أبو علاء، فوجده غير مســـتقر، كنـــا واثقيـــن مـــن أنـــه أصيـــب بنوبـــة قلبيـــة، واستدعينا سيارة إسعاف لنقله إلى المستشفى فـــي ايـــلات.

عدت إلى الغرفة كي أرتاح قليلا عندما قدمت ستيلا وقـــالت لـــي لقـــد اتصـــل جيل من المستشفى وأفادت أن سقوط أبو علاء جـــاء جـــراء الإرهـــاق وليـــس بســـبب الإصابة بنوبة قلبية، وأن وضعه بـــات مســـتقرا.

Paragraph 11: Each side explained its position regarding the Tomb of the Patriarchs. Since they were unable to reach an agreement about it, they have agreed to keep the present situation as is. Will Continue

Paragraph 12: Six months after the redeployment, the high level committee on Hebron will begin to discuss the above mentioned arrangements in order to seek an agreement.

مسودة المفاوضات حول الحرم الابراهيمي مع ملاحظات ابو علاء - طابا - ايلول / ١٩٩٥ .



الخارطة الخامسة : خارطة التسوية المرحلية

أبو علاء.. منطقية وتفهم لاحتياجاتنا الأمنية

اليسار الإسرائيلي قرأ الاتفاقية ولم يفهم مغزاها التاريخي

واليمين فسرها بفلسطنة الضفة

استأنفنا المحادثات في نفس الليلة، كي نستطيع التوقيع على الاتفاقيات في اليوم التالي. واقترحت على بيرس أن يوقع زينجر وعريقات هذه المرة على الاتفاق، لأنني لم أتخيل أن بمقدوري التوقيع على الاتفاق الذي عمل أبو علاء أكثر من أي إنسان آخر، من أجل إنجازه -ذلك الاتفاق- الذي بدا في نظر الكثيرين مستحيلا.

لقد قاد أبو علاء الجانب الخاص به في كل مرحلة من مراحل الاتفاق بدقة وبكامل طاقته، بيد أنه فعل ذلك دائما بمنطقية وتفهم لاحتياجاتنا الأمنية.

استهل عرفات المفاوضات بالمطالبة بتجميد الاستيطان، وفقا للوعد الذي قطعه له على نفسه -رابين- حسب قوله.

فقال له بيرس:" لن نجري معكم أي مفاوضات حول تجميد الاستيطان، هذا القرار هو قرار إسرائيلي، وقد اتخذته حكومتنا قبل إعلان المبادئ، بيد أنني على استعداد لإرسال نسخة من القرار إليك كرسالة مرفقة.

وأقنع بيرس عرفات بألا يتم تحديد مساحة كل مستوطنة على الخارطة للحيلولة دون نشوب جدل عديم الجدوى حول ما يمكن اعتباره استيطانا أم لا.

واصلت الطواقم العمل، واصبح الطابقان الثامن والتاسع، بمثابة مصنع للوثائق، وقام عشرات الأشخاص بحملها جيئة وذهابا من غرفة إلى أخرى، في حين عكفت الطواقم في إحدى الغرف على إحداث التغييرات في خرائط الضفة الغربية، واستكملت اللمسات الأخيرة المتعلقة بالتسويات الخاصة بالخليل.

بقيت صبيحة الجمعة، ثلاث قضايا، تحتاج لتدخل بيرس وعرفات: العبور من المنطقة (A) إلى المنطقة(B) من قبل الشرطة الفلسطينية تغيير مكانة مناطق من (B) إلى (A) والترتيبات الأمنية في قبر راحيل، إضافة إلى عدة

قضايا مدنية وقضائية فرعية تتطلب مفاوضات إضافية، وتعديل الخرائط بصورة نهائية.

وأعرب زينجر وعريقات عن اعتقادهما بأنه لا توجد أي وسيلة، تمكن من إتمام ما هو مطلوب حتى مساء الجمعة، وبالتالي، كان يتوجب علينا العمل مساء السبت كي نصل إلى مرحلة التوقيع بالأحرف الأولى يوم الأحد، عشية رأس السنة.

قمنا، عريقات وزينجر وأنا، بإعداد صيغة مرضية لتحويل قسم من المنطقة(B) إلى المنطقة(A) إلى جانب الانسحاب الإضافي- باستثناء المناطق ذات العلاقة بالقضايا التي سيتم تحديدها خلال مفاوضات التسوية الدائمة.

أعطينا هذه الصيغة أهمية كبيرة، لأننا كنا قادرين بفضلها، على الاحتفاظ بالسيطرة الأمنية في قرى معينة قرب الخط الأخضر أو قرب المستوطنات حتى التسوية النهائية، بيد أننا لم نكن نرغب في أن يدرك الفلسطينيون هذه الحقيقة، ولم نكن واثقين من سرية الهواتف وأمانتها في طابا. لذا بدت المحادثة التي أجراها بيرس مع رابين لاطلاعه على التغييرات التي تم إجراؤها، والصيغة التي تم إنجازها غريبة إلى حد ما، وقد جاء الاتصال على النحو التالي:

-بيرس:" اسحق، أنا بيرس، لقد توصلنا إلى اتفاق حول نقل أقسام من المنطقة(B) إلى (A)" وتطرق بالتفصيل إلى الصيغة، ثم قال:" الطاقم يقول أنها ليست صيغة جيدة إلى حد كبير، بيد أننا نوصي بقبولها".

-رابين:" لا أفهم، إذا لم تكن جيدة إلى حد كبير، فلماذا نقبلها؟"

-بيرس:" اسحق أنا أتحدث من طابا".

-رابين:"أنا اعرف"

-بيرس:" اسحق تذكر أنني أتحدث من طابا"

-رابين: لقد قلت لي ذلك للتو، وأنا أعرف ذلك".

-بيرس:" لذا أوصي بقبول الصيغة"

-رابين:" آه"... ويبدو أنه أدرك لتـوه سـبب هـذه التوصيـة الغريبـة مـن بـيرس، وأعطى موافقتـه.

عدنا للاجتماع، عشية رأس السـنة العبريـة، فـي غرفـة الاجتماعـات فـي الطابق العاشر، وقام بيران بإيضاح إجراءات تنقـل رجـال الشـرطة الفلسـطينية مـن المنطقة(A) إلى (B)- من المدن إلى القرى- وذكر بأنـهم سـيحتاجون إلـى إذن منـا، مثلما هو معمول به بين مراكـز الشـرطة.

-عرفات:" نعم، بالتأكيد، سوف ينسـقون معكـم".

-بيران:" لا، سيدي الرئيس، أنت تعرف الفارق، سـيكونون بحاجـة إلـى طلـب الإذن عبر مكتب التنسيق الإقليمي، وإلا فإنه سيحدث ارتبـاك مطلـق بشـأن حركـة رجـال الشرطة الفلسطينية وجنودنـا".

-عرفات:" لذا، هناك حاجة للتنسيق بيـن الطرفيـن"

-بيرس:" التنسيق سيتم من خلال تصريـح فـي مكتـب التنسـيق الإقليمـي" مـا هـي المشـكلة.؟"

قفز عرفات من مقعده وقال:" ماذا تفكـرون؟" هـل سـيكون رجـال الشـرطة الفلسطينيون خاضعين لكم؟؟ هل يجب أن نطلـب منكـم تصريحـا كـي ندخـل قريـة فلسطينية في المنطقة(B) من أجل التحقيق في عمليـة سـطو أو نـزاع عـائلي؟؟ هـذا ليس اتفاقا، لن أوافق على أن تخجلوني، لست عبدا لكـم، لسـت عبـدا لكـم". وخـرج من الغرفة هائجـا.

قال بعض رجالنا:" هـذا يحـدث دائمـا قبـل نهايـة المفاوضـات" بيـد أننـا شاهدنا حقائب الفلسطينيين محمولة على درجـات الفنـدق، ممـا جعلنـا نتسـاءل عمـا إذا كنا قد وصلنا إلى أزمة حقيقية؟؟ توجـه إلـي كنفـاني، وقـال لـي:" هـذه المـرة سيغادر المكان حقيقة" فقلت:" وبيرس أيضا سيغادر المكـان، لقـد ضجرنـا مـن هـذه الأزمات" فقال "دعنا الان مـن كـل هـذه الألاعيـب، وتعـال نلحقـه علـك تسـتطيع إقناعه".

سرت في أثر كنفاني إلى غرفة عرفات، ودخلت إليها. كان غضبه شديدا بل اشد من الغضب الذي أبداه بشأن الخارطة قبل ثلاثة أيام. وقال:" لم أفكر أنكم ستسيرون في هذا الطريق، أنتم حقا تريدون إذلالي، وما دام الامر على هذا النحو، فإنني أفضل الا يكون اتفاق".

قلت:" أبو عمار، لقد اجتزت طريقا طويلا جدا، ومن المؤسف حقا أن تحطم كل شيء الان، وأنا أؤكد لك، أنه لو تواصلت المفاوضات مائة سنة أخرى، فإن بيرس ورابين لن يغيرا موقفهما بهذا الصدد. إن ما ترغب فيه سيؤدي إلى هدم التوازن القائم في المنطقة.

بقي عرفات عدة دقائق دون أن يتفوه بكلمة، ثم نادى ياسر عبد ربه، وتحدثا باللغة العربية ورغم أن عبد ربه لم يكن معروفا باعتداله، الا أنه بدا بوضوح، وهو يحاول إقناع عرفات، بإبداء قدر أكبر من المرونة.

قلت:" سيدي الرئيس، من خلال إدراكي لمدى صلاحياتي في التوصل إلى تسوية، أنا واثق أننا نستطيع التوصل إلى أساليب اقل عدوانية لقول الأشياء التي نود قولها في مراسيم الاتفاق. وبعد ثلاثة اشهر، قد نستطيع إعادة النظر في إماكنية إجراء تغيير في وضع حركة رجال شرطتكم".

عثر زينجر في هذه الاثناء على صيغة إنجليزية ألين لأخذ تصريح للتنقل" Confirmation" بدلا من "Approved" ووافق بيران، أنه وفي نهاية الأشهر الثلاثة الأولى للسيطرة المشتركة على المنطقة(B)، ستكون هناك حاجة لأخطار مسبق حول تحركات الشرطة في المناطق التي سيتم الاتفاق عليها بين الطرفين. وقد وافق عرفات على ذلك. لم يبق سوى مشكلة قبر راحيل. وعندما عدنا وتقابلنا في الطابق العاشر، قال (بيران) لبيرس باللغة العبرية وبحماس بالغ، أنه يصر على وضع جنود إسرائيليين على أسطح المنازل القريبة من قبر راحيل:" فقال له بيرس:" تحدث بالإنجليزية".

توجه بيران إلى عرفات، وقال:" إذا ما نفذنا الأمور بأسلوبكم، فلن أكون مؤهلا لضمان الأمن، لقد وافقتم، لقد بذلنا جهدا كبيرا من أجل إرضائكم بشأن

إعادة الانتشار حول جميع المدن، وأيضا بشأن الخليل وأنـــا مضطـــر لاشـــتراط شـــرط يعتبر الحد الأدنى في هذا المكـــان المقـــدس".

كان بيران يغلي، ومـــرة أخـــرى فاجأنـــا عرفـــات، وكمـــا يبـــدو، أنـــه تـــأثر بحماس بيران، لذا توجه عرفات إلى بيران وصافحه، وقـــال:" أنـــا موافـــق"، ثـــم عـــانق اللواء المندهـــش.

أصبح اتفاق التسوية المرحلية جـــاهزا ومســـتكملا للتوقيـــع وبعـــد أن اتصـــل بيرس وعرفات بكريســـتوفر وروس لاطلاعـــهم علـــى الوضـــع، تـــم التقـــاط صـــور للوفدين معا للذكـــرى.

عاد أبو علاء قبل يوم من الاتفـــاق، وقـــد اســـتقبلناه بالترحـــاب فتوجـــه إلـــى بيرس وقال له:" أشكرك من أعماق قلبي علـــى مرافقتـــك لـــي إلـــى المستشـــفى". فقـــال له بيرس:" الامر المهم هو أنـــك معـــافى".

همس أبو علاء قائلا:" لقد أنقذ بيرس حياتي. لقـــد جلـــس إلـــى جـــواري فـــي سيارة الإسعاف، وقال لي: احمد- أبو علاء- نحـــن جميعـــا نريـــدك" وأنـــا لـــن أنســـى ذلك ما حييـــت".

جلسنا يوم الأحد، أنا وأبو علاء، أمـــام كـــاميرات التليفزيـــون، ووقعنـــا علـــى اتفاقية التسوية المرحلية بـــالأحرف الأولـــى -والـــذي اســـماه الجميـــع اتفاقيـــة أوســـلو الثانية"- ثم ألقى بيرس وعرفـــات كلمتيـــن قصـــيرتين هنـــأ خلالـــها عرفـــات الشـــعب اليهودي بالعبرية بعيد راس الســـنة.

وقد أثنى بيران على الاتفاقية أمام الصحفييـــن بـــالقول:" لـــم تكـــن هنـــاك أي إمكانية لإنجاز اتفاق افضل، ولم نستطع التعايش مع اقـــل مـــن ذلـــك".

وقعت الاتفاقية في (٤١٠) صفحات، وثمـــاني خرائـــط وكـــانت لغتـــها شـــديدة التعقيد، تماما مثل خطوطها الهيكلية ، ومثـــل الواقـــع الـــذي مـــن المحتمـــل أن يتغـــير، بيد أن المبادئ التي وضعت كأســـاس لـــهذه الاتفاقيـــة، كـــانت واضحـــة وهـــي على النحو التـــالي:

في المرحلة الأولى (تشرين الأول-كانون الأول ١٩٩٥):-

١. الجيش الإسرائيلي سينسحب من ست مدن فلسطينية في الضفة الغربية، باستثناء الخليل وجميع الصلاحيات فيها مدنية وعسكرية، ستنتقل إلى الفلسطينيين.

٢. يقوم الجيش الإسرائيلي في نفس الوقت بالانسحاب من جميع قواعده في المنطقة القروية بيد أنه سيواصل تحمل المسئولية الأمنية الشاملة لمحاربة الإرهاب والدفاع عن الإسرائيليين في المنطقة التي تشمل تلك القرى.

٣. ستأخذ السلطة الفلسطينية على عاتقها في أعقاب إعادة الانتشار العسكري الإسرائيلي، المسئولية الأمنية، والمسئولية المدنية للمدن الفلسطينية -٣% من مساحة الضفة الغربية- وكذلك المسئولية المدنية ومسئولية النظام العام في القرى الفلسطينية -٢٤% من مساحة الضفة الغربية- ويجري تجسيد مسئولية النظام العام من خلال خمسة وعشرين مركز شرطة فلسطينيا مثلما هو وارد في الخرائط.

٤. تتحمل إسرائيل المسئولية المدنية والمسئولية الأمنية لـ٧٣%من مساحة الضفة الغربية-المناطق غير المأهولة- و١٠% تقريبا من مساحة قطاع غزة بصورة خاصة في مناطق الاستيطان مثلما تم تحديده قبلا، في اتفاقية غزة أريحا.

٥. تتحمل إسرائيل جميع المسئوليات الأمنية لتنقل الأشخاص والبضائع إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ومنهما إلى الخارج.

في المرحلة الثانية (كانون الثاني -نيسان ١٩٩٦):-

١. تجرى انتخابات ديموقراطية وحرة لمجلس فلسطيني مؤلف من ثمانية وثمانين عضوا، وكذلك لمنصب رئيس السلطة الفلسطينية بمشاركة جميع أصحاب حق الانتخاب في الضفة الغربية وغزة.

٢. بعد شهرين من الجلسة الافتتاحية للمجلس الفلسطيني، يتخذ المجلس الوطني الفلسطيني- وهو الجهة الممثلة لجميع الفلسطينيين- قرارا، بأغلبية

ثلثي أعضائه على الأقل، للمصادقة على إلغاء جميع بنود الميثاق الوطني الفلسطيني الداعية لتدمير إسرائيل، والتي تتناقض، بأي شكل من الأشكال مع الاتفاقيات مع إسرائيل.

٣. بعد ستة اشهر من التوقيع على اتفاقية التسوية المرحلية، يخلي الجيش الإسرائيلي الخليل، ويتم نقل غالبية أجزاء المدينة للسيطرة الأمنية والمدنية الفلسطينية، ستواصل إسرائيل الاحتفاظ بالمسئولية الأمنية للمنطقة التي يسكنها المستوطنون في الخليل، والطرق التي يتحرك عليها هؤلاء المستوطنين والحرم الإبراهيمي، وعدة مناطق ملاصقة.

المرحلة الثالثة:

في الرابع من أيار ١٩٩٦، ستبدأ المفاوضات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية حول التسوية الدائمة، والتي ستشمل قضايا، مثل المستوطنات، القدس، اللاجئين، الحدود والعلاقات مع الدول الأخرى. وستنتهي هذه المفاوضات في الرابع من أيار ١٩٩٩.

المرحلة الرابعة:

تخلي إسرائيل المنطقة غير المأهولة من الضفة الغربية باستثناء مناطق أمنية محددة– وفقا لتحديد إسرائيل على أن تفعل ذلك في غضون ثمانية عشر شهرا من تاريخ الجلسة الافتتاحية للمجلس الفلسطيني. تنفذ الانسحابات الثلاثة الإضافية، على ثلاث مراحل بفارق زمني قدره ستة اشهر بين المرحلة والتي تليها.

وفي نفس الوقت تنقل إسرائيل إلى السلطة الفلسطينية صلاحيات أمنية في المناطق القروية الفلسطينية(المنطقة B) باستثناء المناطق ذات العلاقة بقضايا التسوية الدائمة.

تنطبق المسئولية الأمنية الإسرائيلية على الأمن الخارجي، وعلى الإسرائيليين الذين يعيشون في المستوطنات، وعلى حركة الإسرائيليين في الضفة الغربية وقطاع غزة. ويتحمل الفلسطينيون مسئولية تنفيذ نشاطات أمنية ترمي

لمحاربة الإرهاب. بما فيها مصادرة الأسلحة غير المشروعة، في المناطق الواقعة تحت مسئوليتهم الأمنية.

حدد الاتفاق أيضا الصلاحيات التشريعية المحددة للمجلس الفلسطيني، وألغى أي صلاحيات تعارضها حيث جاء فيها:" أن السلطة الفلسطينية لن تدير أي علاقات خارجية، باستثناء شئون محددة، كانت منظمة التحرير تعالجها- مثل المساعدات الدولية- كما أكد الاتفاق على أن السلطة الفلسطينية ستكون جزءا من الجهاز الجمركي الإسرائيلي.

وأكد الاتفاق على أن إسرائيل، والسلطة الفلسطينية، ستعمدان إلى إنشاء منظومة لجان للتعاون في مجال تطبيق الاتفاق، بما فيها لجنة رقابة ومتابعة عليا، والتي ستشرف على تنفيذ الاتفاق.

أضف إلى ذلك، أن هذا الاتفاق التاريخي وضع حدا للسيطرة الإسرائيلية على الفلسطينيين، ووضع حدا لنظرية "أرض إسرائيل الكاملة " ووضع حجر الأساس لبداية تعاون بين الشعبين اللذين قررا اقتسام البلاد فيما بينهما من أجل الهدف المشترك: السلام والأمن والتطوير الاقتصادي.

عدنا إلى إسرائيل، عشية عيد رأس السنة، وبعد انتهاء العيد، توجه وفد كبير إلى واشنطن لحضور المراسيم الرسمية لتوقيع الاتفاقية.

قدم الوفد الفلسطيني عبر القاهرة وشمل أبو مازن، فقد قرر عرفات في اللحظات الأخيرة، أن يوقع أبو مازن وليس أبو علاء إلى جانبه على الاتفاق باسم الفلسطينيين. لقد مس هذا القرار بأبو علاء مسا شديدا، لان أبو مازن لم يلعب دورا في المفاوضات حول التسوية المرحلية، بل ولم ينتقل للسكن في مناطق، الحكم الذاتي، الا قبل شهرين من ذلك، أي بعد سنة من وصول عرفات ورجاله إلى الضفة الغربية وغزة، قادمين من تونس.

كان الانسجام بين عرفات ورابين يوم توقيع الاتفاقية، أكثر من عادي. وفي الكلمة التي ألقاها رابين في مراسيم الاستقبال التي أعدها الرئيس الأميركي

كلينتون في ساعات الظهر، قال رابين بين ضحك أعضاء الوفد الفلسطيني: أن عرفات قد اصبح يهوديا بسبب الخطابات الكثيرة التي يلقيها.

وقع رابين وبيرس وعرفات وأبو مازن على الاتفاقية في البيت الأبيض بحضور الرئيس الأميركي والرئيس المصري حسني مبارك، والملك الحسين.



١٢- أوري سبير ووزير الخارجة النرويجي هولست وأبو علاء خلال مفاوضات التسوية المرحلية والتوقيع بالأحرف الأولى عليها.

الباب الثالث

- النضال -

الفصل الثامن

ســلام وعنف

شارك ايجال عمــير- وهـو طـالب فـي كليـة الحقـوق، ينـاهز السـابعة والعشرين من العمر، ويعتمر قبعة متدينيين سوداء- فــي المظـاهرات التـي اندلعـت ضد الحكومة، تلك المظاهرات التي أطلقت خلالــها شـعارات تقـول:" رابيـن قـاتل، رابين قاتل". ومثله مثل الكثيرين الآخرين، اختزن عمـــير مشـاعر الكراهيـة والحقـد التي يختزنها اليمين الإســرائيلي، بيـد أن المظـاهرات والصيحـات المجنونـة التـي أطلقها خلالها لم تكن كافية لإرواء نفسه المتعطشـة لتدمـير السـلام، لـذا عمـد إلـى التخطيط طيلة شهور ووضع خطة ذاتية قادرة علــى تدمـير المسـيرة.

سكن عمير في هرتسيليا، وقد عملت والدته مديــرة لروضـة أطفـال، وكـان والده روائيا، وعلى رف الكتب في منزله تـم العثـور علـى روايـة "رئيـس هـدف لفوهة البندقية" وهي رواية مغامرات، يدور فيها سـباق مجنـون، بيـن قـوات الأمـن الفرنسية، ومحترف قتل مأجور، لقتل الرئيس (ديغول)، وقد تـم اعتقـال هـذا القـاتل في نفس اللحظة، التي كان يصوب فوهة البندقية إلــى جسـد الرئيـس ديغـول ويـهم بإطلاق النـار.

قرر ايجال العمــل بصـورة اكـثر فعاليـة. وفـي آذار ١٩٩٤ شـارك فـي مظاهرة أعلن خلالها أن بيرس ورابين هما افعيـان يجـب قتلـهما، ولا شـك أن دولـة إسرائيل ستنقذ من الدمـار إذا مـا قتلـهما شـخص مـا، ممـا سـيؤدي إلـى إجـراء انتخابات توصل نتنياهو إلى السـلطة.

لقد شعر اليمين الإسرائيلي، أكثر بكثـير ممـا شـعر اليسـار، بـأن اتفاقيـات أوسلو الثانية هي بمثابة تطور تاريخي سيجلب الكـوارث علـى إسـرائيل. لقـد عكـف غالبية أعضاء اليسار، آنذاك، على قراءة مـا هـو وارد فـي الاتفاقيـة، وتتبـع مسـار الخرائط الملحقة بها، دون أن يتعمقوا بمعزاهـا التـاريخي.

أما اليمين الإسـرائيلي فقد أدرك أن إعـادة الانتشـار وتسـليم المـدن إلـى الفلسطينيين يعني (فلسطنة) الضفة الغربية، وأملـوا فـي أن يتمكنـوا مـن وقـف هـذه المسيرة بالمظـاهرات العامـة التـي نظمتـها المعارضـة وجـهات برلمانيـة وغـير برلمانيـة.

وفي السادس من تشـرين الأول ١٩٩٥ وعندمـا انعقـدت الكنيسـت للموافقـة على الاتفاقية، تجمهر عشرات الآلاف في ميـدان صـهيوني بـالقدس، وألقـى بنيـامين نتنياهو- بوصفه رئيس المعارضـة- خطابـا فيـهم، وصـف خلالـها الاتفاقيـة بأنـها (عملية خنوع) ووصفها أيضا بأنها"خطر علـى وجـود إسـرائيل" وقـد أكـد نتنيـاهو ونظراؤه الآخرون من أعضاء اليميـن، أن المصادقـة علـى الاتفاقيـة فـي الكنيسـت ستتم بأغلبية أعضاء كنيست ليسو يهودا ذلـك أن مـن بيـن الواحـد والسـتين عضـو كنيست- الذين كانوا على وشك الموافقة على الاتفاقية- خمسـة أعضـاء مـن العـرب ودرزي واحد، وبـالإعلان عـن أن رابيـن يعتمـد علـى "الحـزب العربـي المؤيـد لمنظمة التحرير" اسهم أعضاء اليمين في سحب الشرعية مـن العـرب فـي إسـرائيل.

لقد استثمرت الفكرة التـي طرحـها نتنيـاهو والقائلـة أن الاتفاقيـة لا تحظـى بتأييد أغلبية يهودية في إسـرائيل، فـي العديـد مـن الأوسـاط اليهوديـة المتطرفـة، وأوساط أولئك الذين شككوا دائما في مدى إخلاص العرب فـي إسـرائيل للدولـة.

وفي تعقيبـه علـى هـذا الوضـع، قـال (إليكـم هعتسـني)، أحـد زعمـاء المستوطنين :"الحكومة هي عصابة، تمكنت من اختطـاف الحكـم بالاسـتعانة بمنظمـة إرهابية" أي أن حكومة رابين كـانت بالنسـبة لـه حكومـة غـير شـرعية ولا تمثـل الشعب الإسـرائيلي.

ومن الجدير بالذكر، أن (ايجال عمـير) قـال خـلال محاكمتـه، فـي أعقـاب اغتياله لاسحق رابين "لقـد اختـير رئيـس الحكومـة بـأصوات العـرب، ٢٠% مـن أولئك الذين صوتوا لصالحه هم من العـرب، فـهل نـدع هـؤلاء العـرب، يقـررون مصير بـلادي؟

وخلال المظاهرة الصاخبة، آنفة الذكر، في السادس من تشرين الأول ١٩٩٥، وزعت صور رابين وهو يرتدي ملابس "الاس اس" الشرطة النازية وقالت الأنباء حينئذ أن الذي وزع هذه الصور هم جماعة منظمة (كهاناحي).

وفي نفس الليلة، هاجمت الغوغاء سيارة رابين- بيد أنه لم يكن فيها- وأخذت تدق بقبضاتها على السيارة، بل وقام بعضهم باقتلاع علامة (كاديلاك) من السيارة، وفاخروا قائلين: إذا كنا قادرين على الوصول إلى علاقة السيارة، فنحن قادرين على الوصول إلى رابين. راقبت رابين خلال الجلسات التي عقدت اثر المظاهرات آنفة الذكر، فرأيت أن رد فعله على تلك الهجمات اتسم بمزيج من الغضب والرفض. ولم يبد أنه يخشى اليمين، وأن يكن قد تصرف تجاهه بضبط نفس تام.

وفي نفس اليوم الذي كان يفترض أن تصوت فيه الكنيست على الاتفاقية عقد رابين اجتماعا شارك فيه شمعون بيرس، والكادر السياسي الأعلى، وأنا واستهل رابين الحديث بالقول :" في غضون الأسبوع القادم، سنشرع بإخلاء مكاتب الإدارة المدنية -على الأقل مكتبين في منطقة سلفيت- وآمل أن نتمكن من إخلاء أربعة مكاتب وستقرر هيئة الأركان أسلوب الإخلاء. وأنا أريد من شمعون بيرس، ومسئولي جهاز الأمن العام، أن يجتمعوا بعرفات، ويطالبوه بتحسين أدائه ضد الإرهاب وبالإمكان أيضا أن تقترحوا عليه اختيار تاريخ لإجراء الانتخابات، يقع بين العشرين من كانون الأول ١٩٩٦ ونيسان ١٩٩٦ إذا اراد الانتظار حتى استكمال إعادة الانتشار في منطقة الخليل.

بدا رابين مصرا على مواصلة تنفيذ الاتفاق، وأن الضجة وحوادث الشغب والمظاهرات في الشوارع لا تؤثر عليه أبدا. لقد كان على وشك تنفيذ عمل أمني شديد التعقيد: إخلاء الجيش الإسرائيلي من أماكن التجمعات السكنية الفلسطينية، وبالتعاون مع شريك لا يمكن وصفه بالنموذجي، بيد أن الطرفين يعملان من اجل هدف يؤمنان به.

اجتمع بيرس وقادة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، مساء اليوم التالي بعرفات، الذي جاء إلى حاجز ايرز وبصحبته مسئولو أجهزته الأمنية. وقد قال عدد من ضباطنا الكبار لعرفات، أنه يسمح لرجاله بالتأكيد اكثر من اللازم على المحادثات التي أجراها مع مسئولي حركة حماس في السودان بموافقتنا. وقالوا له. انه لا يكفي أن يعمل على إقناع حماس بالتحول إلى حزب سياسي غير عنيف، بل يجب عليه أيضا، أن يتخذ خطوات حاسمة ضد عناصر الإرهاب النشطة في المناطق.

أكد مسئولو الأجهزة الأمنية التابعة لعرفات أنهم يعملون ليلا ونهارا للحيلولة دون وقوع عمليات إرهابية، وأعربوا عن تذمرهم من طبيعة العلاقة القائمة بينهم وبين جهاز الأمن الإسرائيلي، والمتمثلة في المطالبة الدائمة من جانب واحد، وليس التعاون بين الطرفين كجهتين متساويتين.

وقد أكد بيرس ومرافقوه، أن الامر كله رهن بمدى التعاون الذي يبديه الجهاز الأمني الفلسطيني معهم في مجال مكافحة الإرهاب، وخصوصا في الضفة الغربية، بل أن أعضاء الجهاز الأمني الإسرائيلي، اشترطوا تنفيذ إعادة الانتشار بتعزيز التعاون الأمني بين الجهتين وقد وافق عرفات على جميع مطالبنا الشخصية بيد أنه بقي مصرا على أسلوب (فرق تسد) تجاه حركة حماس.

وقد تم الاتفاق، خلال هذا اللقاء، على جدول زمني للانسحاب الإسرائيلي من المدن الفلسطينية في الضفة الغربية. وقد طالب الفلسطينيون أن يتم الانسحاب من منطقة جنين في أسرع وقت ممكن، وان يتواكب مع إطلاق سراح المعتقلات الفلسطينيات بمن فيهن المعتقلتان اللتان رفض رئيس الدولة منحهما العفو- رغم التزامنا بذلك في اتفاقية التسوية المرحلية- بسبب مشاركتهما في أعمال قتل إسرائيليين.

أطلقنا على عملية إعادة الانتشار اسم عملية (يومان)، وكنا على وشك إخراجها إلى حيز التنفيذ، وقرر رابين أن توكل عملية الرقابة على التنفيذ، إلى

لجنة متابعة وتوجيه عليا، يتم تشكيلها من طواقم المفاوضات برئاستي، وبرئاسة أبو علاء عن الجانب الفلسطيني.

قررنا عقد اجتماع لهذه اللجنة، مرة واحدة كل أسبوعين، وقد عقد اللقاء الأول في مكتب أبو علاء في (الرام) شمالي القدس، وقررنا خلاله، أن نستقي العبر من اتفاقية غزة – أريحا، وان نشرف على كل بند من بنود الاتفاق، ونضمن سير عمل عشرات اللجان الفرعية، التي تم تشكيلها وفقا لما هو وارد في الاتفاقية.

لقد علمتنا التجربة، أن نجاح تطبيق الاتفاقية رهن بالتعاون الكامل بين الطرفين في جميع المجالات. وأعرب الفلسطينيون عن تذمرهم من الإغلاق الذي يتم فرضه عليهم بين الفينة والأخرى، جراء تنفيذ العمليات الإرهابية. وعقب أبو علاء على ذلك قائلا: "انتم تمسون بالمسيرة السلمية، ولا شك أن هذا الوضع هو جزء من الأجواء التي تؤثر على الأمن".

ناقشنا خلال الحوار المذكور، قضية الرقابة على الانتخابات الفلسطينية، وقدوم عشرات المراقبين الدوليين من الخارج. لقد رغب الفلسطينيون منذ البداية، بوجود المراقبين الدوليين كضمانة لعدم تدخلنا في الانتخابات، بيد أن هؤلاء المراقبين، اصبحوا الان بمثابة ضمانة لصحة مسار الانتخابات.

اشرف بيران على إعادة الانتشار، وهي عملية معقدة لم يسبق للجيش الإسرائيلي أن اكتسب خبرة فيها: انسحاب إرادي مع منح الإمكانية لأولئك الذين كانوا خاضعين حتى الان، لسيطرة الجيش الإسرائيلي، لتسلم مسئولية أمنهم والتي – لاشك – ستؤثر على أمننا. ووفقا لذلك، كانت هناك ضرورة، ليس فقط للقيام بمجهود كبير جدا على الصعيد الميداني، بل أيضا إحداث تغيير عميق في نظريتنا القائلة: انه لا يجب أن نعتقمد في القضايا المتعلقة بأمننا الا على أنفسنا.

عقد بيران ندوة لضباط قطاعه، ودعا إليه طاقم أوسلو كي يوضح لهم الاتفاقية. وقد تمت خلال هذه الندوة، مناقشة ما يسمونه في الجيش "بتغيير الهوائي" – تغيير التوجه من السيطرة إلى التعاون. لقد أصبحت الأهداف جزءا

من المسيرة الآخذة في التطور، نظرا لان التسوية المرحلية، تطلبت تعاونا اكبر من التعاون الذي تتطلبه حتى مرحلة التسوية الدائمة. ولا يرجع ذلك فقط، لكبر حجم الأراضي التي ستمنح للفلسطينيين، بل لان أعداء السلام كانوا متطرفي الطرفين.

وفي السابع عشر من تشرين الأول ١٩٩٥-أي بعد ثمان وعشرين سنة وعدة اشهر، من احتلاله لها، خلال حرب عام ١٩٦٧، دخلت القوات الفلسطينية وهي في أبهى لباسها، ورفعت الأعلام الفلسطينية بين هتافات وصراخ الجماهير. ورغم أن القوات الإسرائيلية توخت ضبط النفس في خروجها، الا أن المواطنين الفلسطينيين رشقوها بالحجارة، وكان منظرا صعبا للغاية على الجماهير الإسرائيلية.

لم تكن الحرارة التي أبدتها الجماهير الفلسطينية مفاجئة لي، بيد أن لا مبالاة الزعامة الفلسطينية للرأي العام الإسرائيلي لا زالت تدهشني. لقد كان الإسرائيليون على استعداد للتسليم، بان يدير الفلسطينيون شئون حياتهم، بيد انهم لم يكونوا على استعداد للتسليم برشقهم بالحجارة، وقد حولت هذه الصورة، المسيرة السلمية، في أعين الكثيرين، إلى نوع جديد من أنواع المواجهات.

لم يدرك الرئيس الفلسطيني، مدى تأثير مثل هذه المناظر على الرأي العام الإسرائيلي، فقد انشغل تماما بمعالجة القضايا الداخلية، في حين لم نحاول نحن، الشروع بحوار مع الرأي العام الفلسطيني لاسباب تتعلق بالتقوقع الذاتي. لقد كان على عرفات، بوصفه الطرف الأضعف- أن يعترف بأهمية التحاور مع الرأي العام الإسرائيلي، مثلما فعل الرئيس المصري أنور السادات، والملك الحسين.

بدأنا نجني ثمار السلام، في مجالات أوسع. فقد خلق قرار إخلاء المدن الفلسطينية من الجيش الإسرائيلي. توجها جديدا تجاه إسرائيل في جميع أنحاء العالم العربي تقريبا، وكذلك في باقي أنحاء العالم.

وبوصفي مدير عام وزارة الخارجيـــة، شــعرت بالنتــائج الملموســة للتحــول الجديد، فقد أصبحت لدينا علاقات دبلوماسية مع ١٦٢ دولـــة، وقــد أفــادت ســفاراتنا، التي طالبناها بالعمل على جني حصــاد هــذه المســيرة: بــان هنــاك اهتمامــا كبــيرا بالاقتصاد الإسرائيلي، ولم يكن يمضـــي أســبوع دون زيــارة ضيــف كبــير – رئيــس حكومة أو وزير خارجيــة، والاهــم مــن ذلــك، كــانت زيــارات رؤســاء الشــركات الدولية.

لقد تخلت إسرائيل حقا عن المدن الفلســطينية، لكــن الأهــم مــن ذلــك، هــو أنها تخلصت من الصحراء الدولية، التي دفعت إليــها قبــل اكــثر مــن عشــرين ســنة. وبدأت ممثلياتنا في الشرق الأوسط. فـــي ســلطنة عمــان، وقطــر وتونــس نشــاطاتها الدبلوماســية.

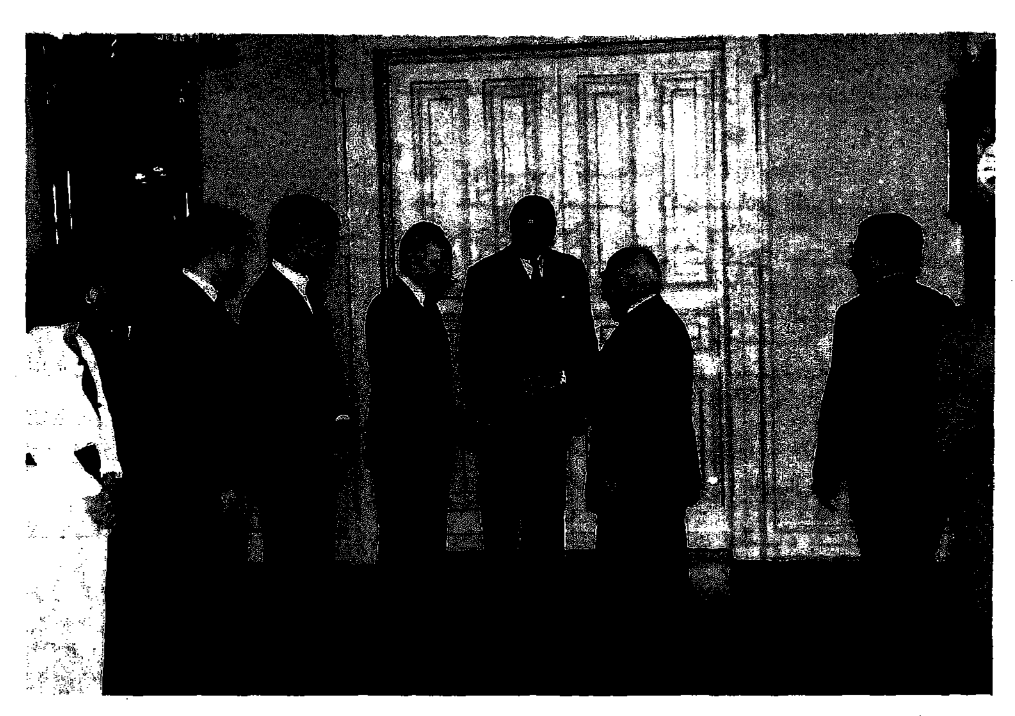
لقد تم إحراز نجاحات كبيرة جدا خلال المؤتمـــر الاقتصــادي الدولـــي، الــذي عقد في عمان، بعد سنة من مؤتمـــر كازابلانكـــا. وقــد تــم التركــيز خــلال مؤتمــر عمان، على مشروعات التطوير الإقليمـــي، وخصوصــا المشــروعات المشــتركة مــع الأردن، مثل المطــار فــي منطقــة العقبــة – ايــلات، وريفــيرا ســياحية فــي نفــس المنطقة، ومشروعات مشتركة على ساحل البحـــر الميــت.

وإذا كان مؤتمر كازابلانكا قد شكل السابقة، فــان مؤتمــر عمــان، أكــد علــى الديمومة، وقد اكثر القادمون إلى المؤتمر، مـــن الحديــث حــول إنشــاء بنــك إقليمـــي شرق أوســطي، وهيئــة تخطيطيــة مشــتركة بيــن إســرائيل والفلســطينيين والأردن ومصر. علـــى أن يعمــل مــن عمــان، وكنــا علــى وشــك تعييــن أول دبلوماســي إسرائيلي، لشغل وظيفة في أول هيئة شـــرق أوســطية.

كان السياسيون الذين قدموا إلى مؤتمر عمان قلـــة، وغالبيــة المشــاركين هــم من رجال الأعمال، ودار الحديث حول قضيـــة مركزيــة، تتمثــل فــي تشــكيل شــرق أوسط جديد على الخارطة الاقتصادية العالمية، وخلـــق عــهد مــن التعــاون والمنافســة الاقتصادية لصالح كل ســكان المنطقــة. وتضمـــن البيــان الختــامي للمؤتمــر، أقــوالا

صريحة، حول انتهاء المقاطعة العربيـــة، وتوجـــهت مجموعـــة مـــن رجـــال الأعمـــال العرب مباشرة إلى مؤتمر القـــدس.

لقد أدى السلام مع الفلسطينيين، وانفتاح العـــالم تجاهنـــا إلـــى تعزيـــز الوضـــع الراهن في القدس. لقد استندت استراتيجيتنا في القـــدس، علـــى خلـــق اســـتقرار يصـــب في مصلحة الحاكم والمسيطر على المدينة في الحـــاضر، وتؤثـــر علـــى نوعيـــة الحـــل الذي سيتم إحرازه في المفاوضات حول التســـوية الدائمـــة.



١٣- أبو علاء، ووزير الخارجية النرويجي هولست، ووزير الخارجية شمعون بـــيرس فـــي لقاء في النرويج.

إسرائيل: سلام بأسس فلسطينية وسقف سوري

الخطأ الإسرائيلي تجسد في نزعة التمسك بفهم السلام النفسي خارج إطار الوعي

كان اسحق رابين، وشمعون بيرس، ومضيفاهما الأردنيان الملك الحسين، والأمير الحسن – أبطال المؤتمر، وقد اجتمعوا مع رؤساء حكومات ورجال أعمال، واستقبلوا بحفاوة أينما توجهوا. وهكذا، وبعد اشهر طويلة من المفاوضات، والقرارات الصعبة، والنضال ضد معارضة منفلتة، شعر رابين وبيرس بالارتياح التام. لقد أدركنا أن الطريق إلى عمان، ما كانت لتفتح على مصراعيها لولا أوسلو، ولولا حل المشكلة الفلسطينية، لما تعززت مكانة إسرائيل الإقليمية، والتي ستجلب معها استثمارات دولية، وأمن إقليمي.

لقد اصبح مؤتمر كازابلانكا، وعمان، واتفاقيات أوسلو، بمثابة المفتاح للدعم طويل الأمد للاقتصاد الإسرائيلي، والأمن الإقليمي.

وهكذا، بدأ يتبلور في المنطقة، ائتلاف سلام، وتطوير اقتصادي، في مواجهة الائتلاف الأصولي المتطرف.

وفي نهاية المؤتمر في عمان، قام بيرس، والسفير الإسرائيلي في عمان – شمعون شامير. وأنا بجولة على الأقدام في العاصمة الأردنية. وقد استقبلت الجماهير – التي صادفتنا – بيرس بحرارة، وصافحته، وهو الامر الذي لم نكن نحظى به في إسرائيل، حيث كان اليمين الإسرائيلي لا يألو جهدا، في تأليب الجماهير موهما إياها، بأنه يعمل على سد الطريق بأجساد رجاله في الخنوع الإسرائيلي الكبير.

وفي تشرين الأول، قام أعضاء منظمة (كاخ)، بإجراء المراسيم الدينية "الضرب بسياط النار – قرب منزل رئيس الحكومة اسحق رابين في القدس، والتي دعوا فيها لملائكة السماء إنزال لعناتها على رابين. لقد قام بغالبية عمليات التحريض، جماعة حركة (ماماتس) التي قادها المستوطنون ورجال الليكود.

مقدمات الاغتيـــال:

وفي أيلول، ظهر عضو الكنيســت (تصحــي هنجفــي) بصــورة ســرية فــي مسيرة القدس، وصرخ قائلا: "رابين خائن". وقــد وصــف الصحفــي (نــاحوم برنيــاع) هذا الحادث، في جريدة يديعوت احرونوت بالقول: "تصحي هنجفـــي هــو اليــد اليمنــى لنتنياهو، وبكفاءاته الخاصة سيدفع بنتنيــاهو إمــا إلــى رئاســة الحكومــة، وإمــا إلــى (المجاري)، وربما يجره إلى الاثنتيــن معــا".

كان الشعار الأساسي الذي رفعــه اليميــن يتمثــل فــي: "أن الحكومــة تعمــل كطابور خامس، وأنها تعــرض الدولــة للخطــر بخضوعــها لأعــداء إســرائيل قتلــة اليـهود".

أعلن نتنيــاهو أن الحكومــة الحاليــة خطــر علــى إســرائيل، وبــدأ (إليكــم هعتسني) الاستعداد لمقاضاة الحكومة، مثلمــا فعــل الفرنســيون مــع (خــائن بيتــان) – رئيس حكومة فيشي، الذي حكم عليه بالإعدام، في أعقـــاب الحــرب العالميــة الثانيــة- . ووصف (موشيه بيجلين)، رئيس حركة "هذه أرضنـــا" "رابيــن القــاتل". الــذي بــاتت أيامه معــدودة".

وفي خضم هذه الدوامـــة، وبينمـــا انشـــغلنا نحــن بالانســحاب مــن مدينتيــن أخريين – طولكرم قلقيلية – شرع (ايجال عمير) فــي وضـــع اللمســات الأخــيرة علـــى خطة اغتيال رابيــن.

وقالت الصحف آنذاك، أن رئيس جهاز الأمـــن العــام، اجتمــع بقــادة أحــزاب المعارضة وعلى رأسهم نتنياهو، وحذرهـــم مـــن الارتبـــاط بجـــهات اليميـــن المتطرفـــة والمتدينة، بيد أن تلـــك الأحـــزاب رفضـــت تحذيراتـــه واعتبرتـــها تدخـــلا أمنيـــا فـــي الشئون السياســـية.

شـــعر رابيـــن، وبـــيرس بالغربـــة التامـــة وســـط هـــذه الأجـــواء المعاديـــة، خصوصا، وان اليسار امتنع عن المواجهات، وفضل، بدلا مـــن ذلـــك الاحتفـــال بثمـــار السلام، بل ولجأ قسم منـــه إلـــى التذمـــر مـــن هـــذا الجـــانب، أو ذاك، مـــن اتفاقيـــات السلام، نظرا لكونها جسدت، أو لم تجســـد، أو لســـرعتها أو بطئـــها.

إن الموقف السلبي، آنف الذكر، لليسار الإسرائيلي، هو الذي أتاح الفرصة لفوز اليمين في الانتخابات، في نهاية المطاف، تماما في الوقت الذي كان فيه اليسار يعلن انتصاره الأيدلوجي.

اصبح الشارع ملكا للمعارضة، وكنت اشعر بالإحباط وخيبة لأمل الكبيرة، كلما سألني أحد معارفي: لماذا لا تبذلون جهدا اكبر في مجال العلاقات العامة، وتوضيح وجهة نظركم للجماهير؟؟ لم يعد الجدل بين الزعماء في إسرائيل بل بين الجماهير والجماهير.

عمل (جان فريدمان) – وهو مواطن فرنسي ورجل أعمال يناهز الستين واحد أصدقاء (شمعون بيرس) – على إقناع بيرس، بان يسمح له بالتعاون مع (شلومو لاهط) – رئيس بلدية تل أبيب- في تنظيم مهرجان سلام كبير لتأييد رابين والمسيرة السلمية، وللرد على العنف الذي يمارسه اليمين.

أهاب بيرس برابين، أن يوافق، بيد أن رابين أعرب عن شكه – في البداية- في إمكانية خروج الجماهير من منازلها ومشاركتها في المهرجان، لكنه وافق في النهاية على الفكرة.

<u>مؤتمر السلام واغتيال رابين:</u>

حال عودتهما من عمان، اكتشف رابين وبيرس، أن (فريدمان) و(لاهط) تعاملا مع المهمة بمنتهى الجدية، فقد غضت الصحف بالإعلانات عن مهرجان السلام المزمع عقده في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥، الساعة السابعة مساء، في ساحة ملوك إسرائيل تحت شعار "نعم للسلام، لا، للعنف".

قرأ (ايجال عمير) ما نشر حول المهرجان، وقال لشقيقه: إن فرصته ستلوح، كما يبدو، ليلة السبت – الأحد، وفي ساعات المساء من يوم الرابع من تشرين الثاني، عبأ مسدسه بعيارات (فارغة)، واعده للإطلاق وصعد إلى الحافلة(٢٤٨) العاملة على الخط بين (هرتسليا) وشمال تل أبيب.

توجهت أنا وزوجتي وابنتي إلى ساحة ملوك إسرائيل، وكنت قلقا، واسأل نفسي فيما إذا كانت الجماهير ستؤم المهرجان؟؟ فقد كنت أدرك أن

الحضور الجماهيري هو اختبار التأييد لاتفاقيات أوسلو. ومن بعيد، شاهدنا ساحة ملوك إسرائيل تفيض بالجماهير التي ملأت كل مكان وجاءت من كل حدب وصوب، بينما رفرفت على نافذة بلدية تل أبيب يافطة كبيرة كتب عليها "نعم للسلام لا للعنف".

بدت الجماهير في حالة معنوية عالية، بيد أنها كانت تتصرف بهدوء. وشاهدت الكثيرين من معارفي، والذين اخذوا يشدون على يدي للدور الذي لعبته في المسيرة السلمية وشاهدت الابتسامات تعلو على الشفاه، وكأن تلك الجماهير جاءت على استحياء، ثم اكتشف كل واحد أن هناك الآلاف غيره، يؤيدون السلام مع الفلسطينيين.

اقتربنا من المنصة كي نصغي إلى أغاني المغنيين، وللكلمات التي ألقاها سفيرا مصر والأردن. ثم جاء دور رابين وبيرس، واللذين تحدثا من خلال إظهار تقديرهما.العميق أحدهما للآخر، وبدأ كل منهما يتحدث عن الآخر كشريك في صنع السلام. وكانت كلمات رابين لا تنسى: "وانتم هنا، بحضوركم لهذا المهرجان تثبتون مع الكثيرين من أمثالكم، ممن هم غير موجودين الان، إن الشعب يرغب حقا في السلام ويناهض العنف. إن العنف هو بمثابة تدمير الأسس الديموقراطية الإسرائيلية، لذا يجب شجبه، وإدانته وعزله، فالعنف ليس طريق دولة إسرائيل.

"السلام لا يأتي فقط بالصلاة، بيد أننا نصلي من اجله، وهو محط آمال وتطلعات الشعب اليهودي، الرغبة الحقة في السلام ...

"هناك أعداء للسلام يحاولون المساس بنا بغية تقويض السلام، وأنا أود أن أقول لكم دون لف أو دوران، إننا عثرنا على شريك للسلام أيضا بين الفلسطينيين، في منظمة التحرير التي كانت عدوا، وتوقفت عن ممارسة الإرهاب. ودون شركاء للسلام، لا وجود للسلام، وسوف تطالب المنظمة بالوفاء بدورها في السلام تماما، مثلما سنقوم نحن بدورنا في السلام، بغية إيجاد حل للعامل شديد التعقيد، والطويل، والمفعم بالأحاسيس اكثر من أي عامل آخر من عوامل النزاع العربي الإسرائيلي، وهو العامل الفلسطيني الإسرائيلي".

وفي نهايــة الخطابــات ظــهرت المغنيــة (مــيري الونــي) علــى المنصــة، وقدمت الميكرفون لرابين، وبيرس وقادتــهما والجمــاهير فــي غنــاء "أغنيــة العســلام". وقام رابين بمعانقة بيرس بين ذراعيه، وبــدا أن العلاقــات العاصفــة بينــهما، تحولــت، في نهاية المطاف لشراكة حقيقية، إذ لــم يكــن بمقدورهمــا تحمــل عــبء الحمــل الا معا. وانتهى المهرجان بنشيد الأمل، وبدأت الجماهير تتفــرق، الســاعة التاســعة.

وصل (عمير) إلى منطقة الساحة، وأزال قبعــة المتدينيــن مــن فــوق رأســه، لقد اراد أن يبدو كسائق لإحــدى ســيارات الشــخصيات الإســرائيلية التــي حضــرت المهرجان، كان يرتدي (تــي شــيرت) ذا لــون ازرق. وقــد وقــف غالبيــة ســاعات المهرجان اسفل السلم بانتظار رابيــن وبــيرس. وعندمــا وصلنــا إلــى تلــك الســلالم، شاهدنا بيرس على بعد عشرة أمتار تقريبا، يتجه نحــو ســيارته، وفجــأة ســمعنا أناســا يصرخون "رابين، رابيــن".

شاهدته وهو يــنزل الدرجــات، وزوجتــه خلفــه، ورجــال الأمــن يفصلــون بينهما، وفجأة، ســمعت صــوت ثلاثــة انفجــارات قصــيرة. صرخــت ابنتــي مايــه: "ماهذا"؟؟ فقلت:" اعتقد انه صوت دراجــة ناريــة".

بدأت الجماهير تفر فــي كــل اتجــاه، صــاعدة الســلالم، وشــاهدت ســيارة إسعاف تنطلق من ناحية الشمال باتجاه الشارع، وحينها، أدركــت أن مــا ســمعته كــان أصوات عيارات ناريــة.

أغلقت الشرطة المكان، ولم نستطيع الوصــول إلــى الســلالم، لــذا، لــم يبــق أمامنا سوى المسارعة إلى البيت لمشاهدة الأخبــار. وعندمــا وصلنــا إلــى الســيارة، شاهدت الصحفي (اوري افنيري) جالسا فــي ســيارته، والراديــو مفتــوح، فقلــت لــه سمعنا صوت عيارات نارية. وفجأة ســمعنا صــوت المذيــع يقــول: كمــا يبــدو، انــه جرى محاولة لاغتيال اسحق رابيــن.

وصلنا إلى البيت فــي حوالــي الســاعة الحاديــة عشــرة، وبــدأ الأصدقــاء يتصلون بي، وتتراوح الشائعات لديهم إصابــة رابيــن، إصابــة طفيفــة وبيــن أصابتــه إصابة خطيرة، بدأت أفتش في محطــات التلفزيــون، وفــي حوالــي الســاعة الحاديــة

عشرة وخمس دقائق، قـــال مذيـــع راديـــو (SKY NEWS) أن اســحق رابيـــن توفـــي متأثرا بالجراح التي أصيب بها في محاولـــة الاغتيـــال.

أدرت البث إلـــى التلفزيـــون الإســـرائيلي، لعـــل النبـــأ الـــذي ســـمعته غـــير صحيح، فشاهدت على الشاشـــة صـــورة اســـحق رابيـــن، وقـــد كتـــب تحتـــها ١٩٢٢–١٩٩٥، وكان (ايتان هابر) يقرأ البيان الرسمي بشـــأن مقتـــل رابيـــن: "تعلـــن حكومـــة إسرائيل بذهول بالغ، وبحزن عميق، عـــن مـــوت رئيـــس الحكومـــة، ووزيـــر الدفـــاع اسحق رابين الذي قتل الليلة بـــأيدي مغتـــال".

انفجر الأشخاص المحيطون بهابر بالبكـــاء، وكذلـــك نحـــن، وســـمعنا صراخـــا من كل مكان، وكأنه لا أحد يصدق ما ســـمعته أذنـــاه.

لست ادري حتى كتابة هذه السطور فيما إذا كـــان (ايجـــال عمـــير) قـــد نجـــح في اغتيال المسيرة السلمية عندما اغتـــال رابيـــن أم لا. بيـــد أن أولئـــك الذيـــن انشـــدوا نشيد السلام على المنصة في تلـــك الليلـــة، يجلســـون الان فـــي صفـــوف المعارضـــة، فيما يجلس أولئك الذين هتفوا "رابين خائن" على ســـدة الحكـــم.

اتصل بي (لاريسون) من غزة، حيث كان في ضيافـــة عرفـــات، وقـــال لـــي: انه سمع إيان اجتماعه مـــع أبـــو مـــازن بنبـــأ اغتيـــال رابيـــن، فتوجـــه الاثنـــان إلـــى عرفات، واعلماه بمقتل الرجل الذي لقبه بشريكي، فبكـــى عرفـــات وأنـــا".

عقد بيرس اجتماعا عاجلا للحكومـــة فـــي مكتـــب وزارة الدفـــاع، حيـــث تـــم انتخابه رئيسا للحكومة خلفا لرابين، مثلما ينـــص القـــانون.

بعد مشاورات مـــع الجـــهات الأمنيـــة، قـــرر بـــيرس عـــدم دعـــوة عرفـــات لحضور الجنازة، وقد ترأس الوفد الفلسطيني أبو عـــلاء، وبصحبتـــه عـــدد مـــن كبـــار الشخصيات الفلسطينية، وقد توجه إلي أبـــو عـــلاء، وقـــال: "لقـــد كـــان قـــائدا حقيقيـــا للسلام، الخسارة تعم الشعب الفلســـطيني أيضـــا".

وبعد الجنازة، اجتمع الرئيس الأميركي كلينتون مـــع بـــيرس علـــى انفـــراد، وقـــد قـــام السفير الإسرائيلي في واشنطن، (ايتمـــار رابينوفيتـــش) بـــاطلاع بـــيرس علـــى فحـــوى القضيـــة التـــي ســـيتحدث كلينتـــون معـــه فيـــها: "القضيـــة هـــي ســـورية، ســـيطالب

الأميركيون بأن تفي بالوعد الذي قطعه رابين لـــهم. وهـــي قضيــة شــديدة التعقيــد. إن التزام رابين بانسحاب محتمـــل مـــن هضبــة الجـــولان كـــان مرتبطـــا بسلســلة مـــن الشروط التي لم يف بها الرئيس الأسد حتى اليوم". "اســـتغرق الاجتمـــاع المنفــرد بيـــن بيرس وكلينتون ساعة ونصف الساعة، فـــي حيـــن جلســت أنـــا ودنيــس روس خـــارج غرفة الرئيس، وفهمت منه، أن الولايات المتحـــدة معنيــة جـــدا بـــالتقدم علـــى المســـار السوري. وفي نهاية المقابلة، نهض كلينتون وعـــانق بـــيرس، وقـــال لـــه: "لقــد فقــدت شريكا يمكنك الاعتماد علي في أن أكون شريكك في كل مـــا يتعلــق بالســلام".

وفي نفس الليلة، روى لي بيرس، ما حدث بينـــه وبيـــن كلينتـــون، وبـــدا انـــه شديد الدهشة، فقد اعلمه الرئيس، أن رابين أعـــرب خـــلال حـــواره مـــع الأمـــيركيين، عن موافقة مشروطة للانسحاب الكامل من هضبة الجـــولان، أمـــا الشـــرط فيتمثـــل فـــي أن يتلاءم السلام مع احتياجات إســـرائيل بشـــأن التطبيـــع، وترتيبـــات أمنيـــة، وتطبيـــق جدول زمني لذلك. وقـــال بـــيرس: انـــه ملـــزم بموقـــف اسـحق رابيـــن، وسيتمســـك بالمسيرة السلمية بكل قوتـــه.

انشغل بيرس بتشكيل حكومته، وأنجز هـــذه المهمـــة بســـرعة، ومثلمـــا فعـــل قبله رابين واشكول وبن غوريون، قرر الاحتفاظ بمنصـــب وزيـــر الدفـــاع إلـــى جـــانب منصب رئيس الوزراء، وعين اهود براك وزيـــرا للخارجيـــة، وحـــاييم رمـــون وزيـــرا للداخلية. عينني بيرس منسقا لأعمال المسيرة السلمية وقـــال لـــي: انـــه يعـــتزم ضمـــي إلى حكومته بعد الانتخابات القادمـــة.

كان أول قرارات بيرس، اثر توليـــه منصـــب رئيـــس الحكومـــة هـــو توجيـــه أمر للجيش بمواصلة اتفاقية التسوية المرحلية، كـــان يجـــب علـــى المســـيرة الســـلمية أن تتواصل. وفي نهاية ١٩٩٥، وفي التواريـــخ التـــي الـــتزمت بـــها إســـرائيل، انســـحب الجيش من طولكرم وقلقيلية ونابلس ورام الله وبيـــت لحـــم.

لقد أصبحت إعادة الانتشار ممكنة فـــي تلـــك الآونـــة، بســـبب الصدمـــة التـــي بدت بوضوح على اليمين، وعلى وجه الخصوص فـــي أوســـاط اليميـــن المتديـــن، فقـــد حاولت بعض هذه الأحزاب، إجراء حساب نفـــس، وتفحـــص المبـــادئ والقيـــم الوطنيـــة

والدينية التي استخدموها في تثقيف الجيل الشاب. وقد قال (زبولون اورلوف) سكرتير عام المفدال: "الحقيقة هي أن أعضاء اليمين المتطرف هم من معتمري القبعات الدينية وخريجي مؤسسات التعليم الديني. إن معارضتنا للتصريحات التي اندلعت من المعسكر الديني القومي لم تكن قوية بما فيه الكفاية".

لقد فشل اليسار الإسرائيلي في تلك الآونة في توحيد صفوفه مع الجهات السياسية الدينية التي بدا أنها تعيد حساب النفس، وتشعر بتأنيب الضمير، حتى لو كان ذلك التأنيب مؤقتا.

كانت إسرائيل تشرب دما في تلك الآونة بسبب الرصاصات التي أطلقها (ايجال عمير)، بيد أن أفكار رابين وزملائه اتخذت طريقها إلى التنفيذ واحدة تلو الأخرى: إعادة الانسحاب، الانتخابات الفلسطينية، محاربة الإرهاب، المفاوضات مع السوريين، مفاوضات مع الفلسطينيين حول التسوية الدائمة، الآمال في شرق أوسط جديد، ومحاربة الأصولية والإرهاب.

الفصل التاسع

شرق أوسط قديم-جديد

لم يكـن لمقتـل رابيـن بيـد يـهودي متعصـب يعمـل بوحـي التحريـض الأصولي اليهودي – في البداية – أي تأثير علـى المسـيرة السـلمية، بيـد أن الصدمـة التي خلفها مقتل رابين، لم يسـهم فـي جعـل إصـرار الأصولييـن العـرب محاربـة (التهديد) المتزايد للسلام يضعـف.

وسرعان ما اتضح أن المتطرفين –مـن الجـانبين- لا زالا ملـتزمين بتنميـة الخوف بغية تعزيـز أسـوار الكراهيـة والبغضـاء والشـكوك القـادرة علـى حمايـة مجتمعهم من التعاون مع "الاعـداء الأبدييـن".

وبعد شهر من توزيع صور اسحق رابيـن فـي إحـدى مظـاهرات القـدس، وهو يرتدي ملابس نـازي، دعـت حركـة حمـاس –فـي بيـان لـها- الفلسـطينيين للإعراب عن سرورهم بمقتلـه.

عكف صانعوا القرارات الأصوليون المسلمون فـي قياداتـهم-فـي طـهران- على تصدير العنف، مستعينين بحلفائـهم المتعصبيـن فـي الشـرق الأوسـط المتمثليـن في حماس والجهاد الإسلامي، وحـزب الله اللبنـاني.

وفي مطلع عام ١٩٩٦، وزعت أوامر علـى هـذه الجـهات للشـروع بجولـة جديدة من العمليات بغية قتل اكبر عـدد مـن الإسـرائيليين، وبالتـالي تدمـير السـلام الذي لا زال في مهده، مظهرة هذا السلام في صـورة "الخنـوع المخـزي".

اعتقد هؤلاء الأشخاص أن مقتل عدد كبـير مـن الإسـرائيليين، سيسـهم فـي دق إسفين بيـن إسـرائيل والفلسـطينيين والسـوريين، وسـيضعف، بـل ربمـا يـهدم الحكومة التي احتلت القـدس.

ووجهت أوامر علنية وصريحة، إلى مقـاتلي حـزب الله للعمـل علـى خلـق حالة فوضى تامة، ومن الجدير بـالذكر أن معسـكرات حـزب الله فـي لبنـان كـانت

مركزا لتدريب اللبنانيين والفلسطينيين، مع محاولة غرس العقيدة الإسلامية فيهم، وملء نفوسهم بأيديولوجية الحرب المقدسة، والثواب الذي سيحصلون إذا ما ضحوا بأنفسهم،واستشهدوا في سبيلها.

السلام مع سورية -الصفقة الشاملة:

عكفنا في تلك الآونة – ومن خلال إدراكنا للأخطار المحدقة بنا – على التخطيط لإمكانية إحداث انفراج جديد يعزز المسيرة السلمية واخذ بيرس يتوجه نحو تجسيد استراتيجية السلام الإقليمي. لقد كان هذا الاتجاه دون ادنى شك، أحد أهم الأسلحة ضد الأصوليين والمتطرفين.

وفي غضون شهري تشرين الثاني وكانون الأول، نسق بيرس مع الأميركيين استراتيجية سلام شاملة، تنص على العمل من اجل إحراز سلام مع سورية، في غضون اقل من عام. لقد كان السلام مع سورية بمثابة الخلقة المركزية في سلسلة السلام الشامل، والتي ستفضي، في نهاية المطاف، إلى إيصال النزاع العربي الإسرائيلي إلى نهايته.

تحدثت خطة السلام مع الفلسطينيين على التمسك التام بالتجسيد التدريجي والدقيق للتسوية المرحلية، بادئ ذي بدء، عبر نقل الصلاحيات بسهولة إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية، ثم إجراء الانتخابات الفلسطينية الحرة الأولى.

وكان على الطرفين، في أعقاب ذلك، الشروع بالتفاوض حول التسوية الدائمة، ومعالجة القضايا العويصة الباقية: القدس، المستوطنات، اللاجئون الفلسطينيون، والحدود النهائية. وكان يفترض أن تبدأ هذه المحادثات في الرابع من أيار ١٩٩٦، وتنتهي في موعد لا يتجاوز الرابع من أيار ١٩٩٩.

تسلمت في منتصف شهر كانون الأول مهام عملي رئيسا لطاقم المفاوضات مع سورية -بدلا من السفير الإسرائيلي في واشنطن، (ايتمار رابينوفيتش). وعندما درست المعطيات المتوفرة، وجدت أن من الضروري تغيير التصورات ووجهات النظر التي كانت لدي. لقد غرقت طيلة سنتين ونيف في حوار مكثف ومعقد مع ممثلي منظمة التحرير، وكان عليّ الان، أن ابدأ التفاوض

مع ممثلي دولة سيادية، وان اجتمع مع أناس ذوي خلفية سياسية ونمط تفكير مختلف جدا عن الفلسطينيين.

في الرابع عشر من كانون الأول ١٩٩٥ قام وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر، بزيارة المنطقة لوضع الأساس للمباحثات القائمة على توجهات بيرس آنفة الذكر. وقد استقبل في دمشق بالترحاب وكان يحمل معه رسالة خطية وضعت في مغلف خاص من مغلفات مكتب رئيس الحكومة، يتصدرها رمز الدولة- من بيرس، يعرب فيها عن اهتمام إسرائيل بدفع المفاوضات مع سورية إلى الأمام بالطريقة التي يراها الأسد- سرا أو علنا، وعلى مستوى موظفين حكوميين، أو مستوى الزعماء. لقد كان بيرس معنيا بخلق مناخ إيجابي، يؤدي إلى تسريع المسيرة السلمية بيد انه أصر على أمر واحد، وهو طرح جميع المشاكل القائمة بين الطرفين للنقاش في آن واحد.

وقد رد الأسد على الرسالة شفويا، بصورة إيجابية. وبناء على ذلك اصبح بمقدور كريستوفر لدى عودته إلى إسرائيل الإعلان عن استئناف المفاوضات بصورة (تعزل) ثلاثة وفود: إسرائيلية وسورية وأميركية في أحد المواقع القريبة من واشنطن.

كان من المفروض أن نبدأ المفاوضات بناء على المحادثات السابقة التي كان يوجهها اسحق رابين، ويشرف عليها السفير (رابينوفيتش). وفي مناسبتين أجرى رئيس أركاننا -اهود بارك أولا، ثم امنون روبنشتاين، فيما بعد - محادثات مع رئيس الأركان السوري (حكمت الشهابي).

اشتملت اتفاقية السلام التي بناها الأميركيون تأسيسا على الاتصالات مع إسرائيل وسورية على: علاقات دبلوماسية، وتجارية، وسياحية، وترتيبات أمنية متبادلة، لكن ليس تساوقا على الصعيد الجغرافي في مناطق متفق عليها بين الطرفين، انسحاب إسرائيل كامل من هضبة الجولان، وجدول زمني تدريجي لتجسيد الأسس المختلفة في اتفاقية السلام من خلال الاتصالات والتبادل بينهما.

ورغم ذلك لم يكن هناك اتفاق حول أي من الموضوعات آنفة الذكر. وكل ما في الامر، هو أن الطرفين وافقا على أن هناك علاقة تبادلية بين العوامل الأربعة الأساسية: الانسحاب، والتطبيع، والترتيبات الأمنية، والجدول الزمني.

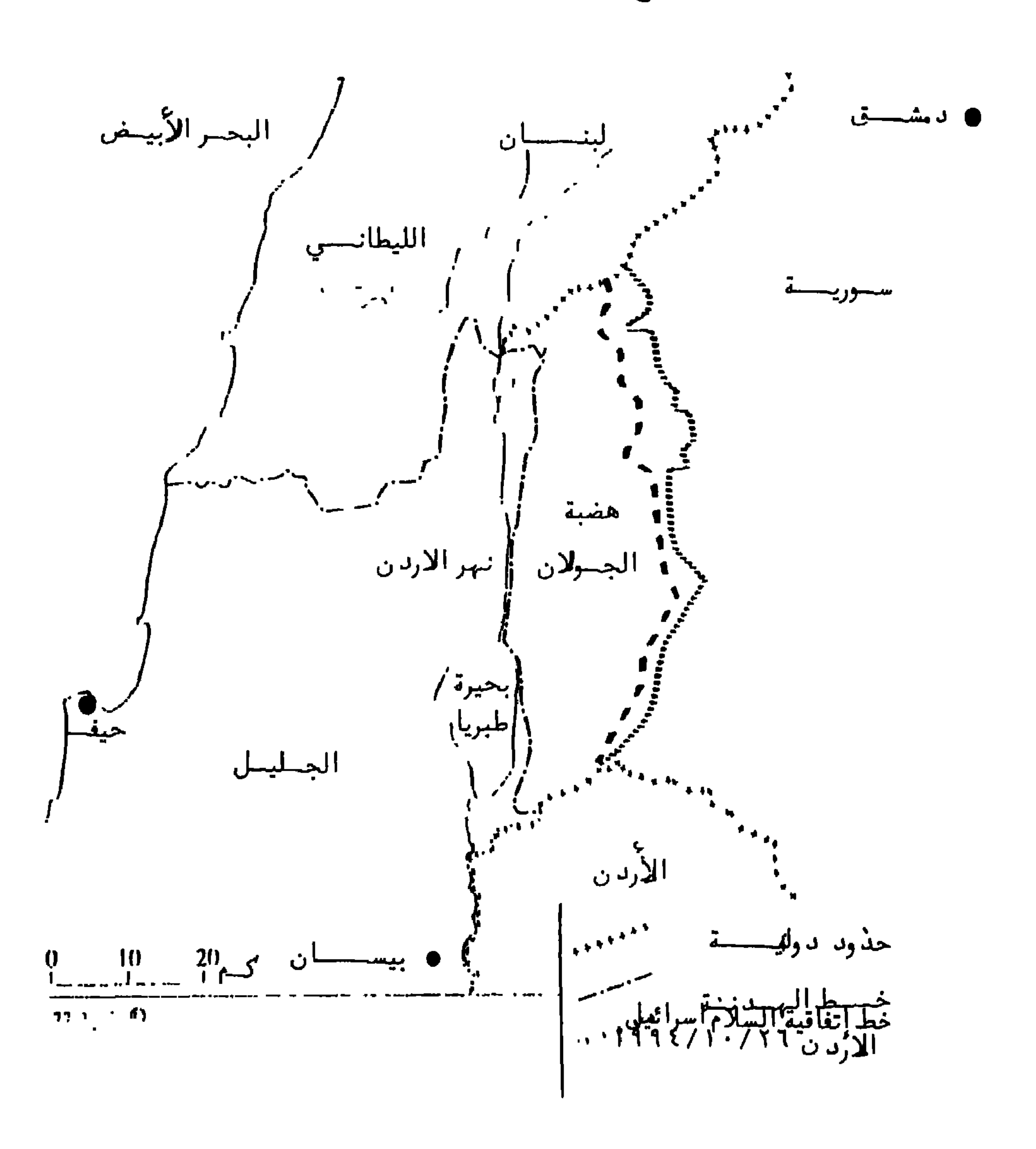
أما فيما يتعلق بقضية الحدود، فقد طالب السوريون بان يتم ترسيم الحدود الذي كان معمولا به في الرابع من حزيران ١٩٦٧. وفي أعقاب المحادثات التي أجراها كريستوفر مع رابين، في أيار ١٩٩٤، اعلم السوريين "شفهيا أن الولايات المتحدة تفهم أن إسرائيل على استعداد لتنفيذ "انسحاب كامل"، شريطة أن تستجيب سورية لجميع احتياجاتها، وهذا يعني العودة إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ومن الجدير بالذكر، أنه لا وجود على الصعيد الرسمي لخط من هذا القبيل – بمفهوم حدود سارية المفعول- وان الامر يتعلق بمجموعة معقدة من الخطوط التي نجمت عن التوسع السوري في أقسام مختلفة من الأراضي الإسرائيلية، قبل حرب عام ١٩٦٧.

وبناء على أقوال كريستوفر وروس، فإن الشيء الذي كان السوريون يريدونه، خارج إطار الحدود الدولية – والتي تمر على بعد عدة أمتار شرقي خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧- كانت بلدة (الحمة). لقد جرت جميع تلك الاتصالات حول "الصفقة الشاملة" شفهيا، ولم تكن هناك أي تعهدات إسرائيلية مباشرة تجاه سورية حول عمق الانسحاب من المنطقة التي احتلتها عام ١٩٦٧. بل إن السوريين لم يقبلوا في أي يوم من الأيام المطالب التي طرحها رابين، بشأن مجموعة العوامل الأخرى لاتفاقية السلام، وعلى وجه الخصوص الترتيبات الأمنية، التي كانت تعتبر بمثابة شرط لاستعداده للانسحاب من الهضبة.

وهكذا، اتضح من مجمل ما أوردته أن علينا أن نبدأ المحادثات من نقطة ضبابية.

وكان من مهمتنا إدخال سورية في توجه جديد لسلام ثنائي، يفضي بنا، مثلما كان بيرس يعتقد، إلى منظومة إقليمية من التعاون والتطوير الاقتصادي. كنا نسعى لان تكون بنية هذا السلام ذات أسس فلسطينية، وسقف سوري، وجدران

قادرة على الانغلاق على اقتصـــاد إقليمــي جديـد. وكــان يقـترح أن تعمــل الطــرق والطاقة والتزود بالمياه، والتجارة والسياحة علــى الوصــل بيــن دول الشــرق الأوســط الجديد. ومن المتوقع أن يؤدي الازدهار الاقتصادي لـــهذه الــدول فــي المســتقبل إلــى تقليص رغبتها ونزعتها للـــنزاع.



وفي إطار محاولتنا استيضاح هذا المفهوم مع السوريين، توجه وفدنا في السابع والعشرين من كانون الأول ١٩٦٥، إلى بيت الضيافة في (واي بلنتيشن) في الولايات المتحدة.

كانت غرف نوم وفدنا تقع في أحد الأجنحة في الطابق الأرضي، في حين نزل السوريون في طابق آخر، وصل الأمريكيون بيننا. وكنت، أنا و(ايتمار رابينوفيتش) نقوم يوميا باطلاع بيرس وبراك وشاحك على التطورات خلال الحوار.

وحال وصولنا اجتمعت برئيس الوفد السوري السفير وليد معلم، والذي ظهر لي كمفاوض محنك ومتشدد، داعية سلام، يحاول تجسير الهوة القائمة بين عالمين شديدي الاختلاف، في واشنطن ودمشق.

لقد أكمل دراسته في سورية، وخدم في الجيش، واعد رسالة الدكتوراه حول التاريخ السوري، ثم التحق بوزارة الخارجية، ثم عين سفيرا لبلاده في واشنطن، واعتبر مسئولا عن المحادثات بوصفه كاتما لأسرار الرئيس السوري.

وبوصفه مفاوضا محنكا، فقد كان يدرك تماما، ما الذي تريده دمشق منه، بيد أنه كان أيضا واقعيا، ويجيد تفهم مواقف الطرف الآخر. لقد أضفى معلم على وفد بلاده كفاءة خلاقة إلى حد كبير جدا. وقد تمكنت، أنا وهو، من خلق لغة مشتركة، ودرجة معينة من الثقة المتبادلة.

أما العضوان الآخران في الوفد السوري للجولة الأولى، فكانا ميخائيل وهبه مدير مكتب وزير الخارجية السوري، والمستشار القضائي رائد داودي. وفي الجولات التالية شارك في المفاوضات جنرالان هما، ابراهيم عمر، رئيس المخابرات السورية، وحسن خليل، نائب رئيس الأمن الداخلي.

قاد معلم وفد بلاده بيد قوية، وكان في حقيقة الامر الناطق الوحيد باسمه، ورغم أن زملاءه كانوا مؤدبين وخلوقين الا أنهم لم يشذوا مرة واحدة، عن الخط الرسمي. رغم أنهم كانوا يبدون انفتاحا أكبر، في المحادثات الخاصة، ويحاولون إقناعنا بتطلعاتهم وتطلعات أبناء شعبهم الصادقة إلى السلام.

بدا الجنرالان السوريان متشددين جــدا خــلال المفاوضــات الرسـمية، رغــم أنهما كانا يبديان ليونة أكــثر فــي الحـوارات الخاصــة مــع نظيرهمـا الإسـرائيليين، دون أن ينحرفا عن جديتهما وحرص على التحدث فقــط باللغـة العربيــة شــارك فــي المحادثات المترجم المعروف للوفد الأميركي، جميــل حــلال*.

أما وفدنـــا، فقـد ضــم (رابينوفيتــش) و(زينجـر) وأنـا، ثـم انضـم إلينـا الجنرالات داني يتوم، و(عوزي ديان)، و(شــاؤول موفــاز).

وضــم الوفــد الأمــيركي (دنيـس روس)، و(مــارك بريــس) مــن البيــت الأبيــض، (اهــارون ميلــر)، و(تونــي فرســتنبرج)، وفيمـا بعـد انضـم (الجــنرال كريسـتمان).

استغرقت المحادثات في (واي بلنتيشن) عشرة أســابيع، فــي ثلاثــة جــولات. وخلال الفــترات الفاصلــة بيــن الجــولات، أجريــت عشــرات اللقــاءات بيــن روس و(معلم) وأنا، فيما يمكن تسـميته بالمســار اللارســمي مــن وراء الكواليـس، بموافقــة . بيرس والأسـد.

لقد كانت اللهجة والجوهر في هــذه المحادثــات يختلفــان اختلافـا بينـا عمـا ألفناه في المحادثات مع الفلسطينيين. كان الســوريون يمثلــون دولـة سـيادية فخــورة، ترى في نفسها زعيما إقليميا. وبدا لاول وهلــة، أن أعضــاء الوفـد هــم رسـل نظــام منغلق على نفسه، يتولى شخص واحـــد فقــط، إمــلاء مبادئــه وقيمـــه، لقـد أحــاطت سورية نفسها بسور من الشكوكية، بيد أن رئيس هذه الدولـــة وممثليــه كــانوا يدركــون أن العالم خارج هذا السور آخذ في التغير بصورة ســتؤثر عليــهم حتمــا.

وسرعان ما بدا لنا بوضوح أن الســوريين يرغبــون فــي الانطــلاق خــارج السور، وفي نفس الوقت إبقاؤه كاملا وســليما. فقـد أرادوا مســاعدات أميركيــة، بيـد انهم رغبوا في منع أي تغلغل أميركي في بلادهم. وارادوا إقامـــة ســلام مــع إســرائيل لكنهم خشــوا قوتــها الاقتصاديــة. أي أن الحــل الــذي كــانوا يرتأونــه، تمثـل فــي مساعدات بلا تأثير، وســلام دون علاقــات.

كانت المفاوضات – من وجهة نظرنا- اصعب بكثير من المفاوضات مع الفلسطينيين، نظرا لانه كان يتوجب علينا أن نتأقلم مع نمط تفكير يختلف اختلافا بينا مع نمط تفكيرنا. ورغم ذلك كانت المفاوضات على المستوى الحسي، اسهل من المفاوضات مع الفلسطينيين. فلم يكن يثقل علينا الإحساس بالاشتغال بقضايا تتعلق بالوجود والتعايش في نفس البقعة من الأرض، أي أننا كنا نرى بقاء الوضع دون تسوية، ممكنا اكثر مما هو عليه مع الفلسطينيين.

لقد تحولت المفاوضات مع الفلسطينيين بمضي الزمن إلى رقص، حاول كل طرف أن يتفوق فيه على الآخر، وسرعان ما اكتشف انه مرتبط بالطرف الآخر، في حين بدت المفاوضات مع السوريين وكأنها لعبة شطرنج معقدة، يجب على اللاعبين أن ينهوها بتعادل مرض للطرفين. وكان على أن أتنقل بين الرقص الفلسطيني والشطرنج السوري دون توقف.

لقد حسب الرئيس الأسد خطواته بحذر بالغ ودقة، على أمل أن نحرك، نحن أحد أحجارنا في اتجاه ما، قبل أن يعطينا هو إلماحة حول الاتجاه الذي سيحرك فيه حجارته.

لقد بنيت فهمي لهذا الرجل، من خلال أحاديثي مع أعضاء الوفد السوري، لقد خشي الأسد من أن يؤدي السلام والتغييرات التي سيحملها معه، إلى وضع تحديات أمام نظامه العلوي – الذي يستند إلى طبقة سورية لا تتعدى ١٢% من مجموع الجماهير السورية- وفي نفس الوقت، كان يدرك، كما يبدو، انه لن يستطيع الامتناع عن إدخال تغييرات معينة، في نظامه المنغلق، في أعقاب إحلال السلام مع إسرائيل، وتحسين علاقات بلاده مع الولايات المتحدة، كانت تلك هي بسبب الأزمة السورية. كان الأسد يرغب في إحلال السلام، وفي نفس الوقت يخشاه، لذا اتخذ خطواته بحذر وبطء.

عمدت قبل المشاركة في المحادثات إلى قراءة عشرات الخطابات والمقابلات التي أجراها الأسد، وخلصت إلى استنتاج مفاده، أن انعدام المرونة السورية، يتطلب منا أن نتحدث مع السوريين باللغة (السورية) فإذا كنا نرغب في

توضيح مصالحنا، كـان علينـا أن نجيـد (لغتـهم) التـي تقـدس المصـالح والكرامـة الوطنيـة.

هذا في نفس الوقت، الذي كنا نحـن أيضـا نحمـل بعـض المسـاوئ الجديـة كشركاء في المفاوضات مع سورية. فرغم أننـا طورنـا توجـهات واقعيـة ومتداخلـة للمحادثات، الا أننا نزعنا نحو التمسـك بفـهم السـلام، كتعبـير نفسـي خـارج إطـار الوعي للمودة -تقريبا- تجاهنا، وليـس كمنظومـة مصـالح متبادلـة وقائمـة. سـألت أعضاء الوفد الإسرائيلي: "بعد كل هذه السنوات مـن العـداء، هـل نرغـب حقـا فـي تطوير علاقات حميمة مع دمشق؟؟ ما الـذي يجـب أن نفعلـه إذا كـان السـوريون لا يرغبون في إقامة علاقات حميمة مـع أي جهـة؟؟

ومن الجدير بالذكر، إننا نواجـه خـلال المفاوضـات مـع جيراننـا العـرب، دائما، خطر أن تدفعنا رغبتنـا فـي القبـول لطـرح مطـالب مبتذلـة نحقـق خلالـها إنجازات رمزية، بدلا من التركـيز بصـورة منطقيـة علـى مصالحنـا الاسـتراتيجية بعيدة المدى. فعندما تصل الأمور إلى التحـاور حـول تطبيـع العلاقـات، فإننـا نتجـه نحو المبالغة في المطالبـة بالسـيناريو النموذجـي جـدا للعلاقـات الحميمـة. وعندمـا تطرح القضيـة الأمنيـة، فإننـا نتجـه نحـو الاهتمـام بجميـع التطـورات لأخطـر السيناريوهات المحتملة. ونحـن نولـي قضايانـا واحتياجاتنـا الأمنيـة اهتمامـا وثقـلا كبيرين جدا، على الرغم من أن المسيرة السلمية هي بطبيعتـها مسـألة سياسـية.

إننا نميل إلى الاستعداد لإحلال افضل سـلام مـع الدفـاع عـن أنفسـنا ضـد أخطار أسوأ الحروب -ولا شك أن هذا المزيـج يضـم فـي أعطافـه أبعـادا متناقضـة فيما يتعلق بطبيعة الاتفاقية المرغوب فيها- وذلك بدلا من أن نفتـش عـن حـل وسـط واقعي لخلق وتطوير المصـالح المشـتركة.

كان السوريون يعانون من وضع مماثل تمامـا؛ فقـد اعتـبروا السـلام شـيئا اقل من الحرب تقريبا، لـذا "عندمـا وصلـت الأمـور إلـى حـد تطبيـع العلاقـات، عرضوا علينا اقتراحات هامشية جـدا. وعندمـا ناقشـنا الأوضـاع الأمنيـة، تحدثـوا بلغة وعناوين متفائلة، بقولهم أن السـلام يلغـي جميـع احتمـالات الحـرب. وهكـذا،

كان عليهم هم أيضا، التحرك باتجاه حـل وسـط واقعـي، يمكننـا مـن خلـق مزيـج لمصالحنا معا. ورغـم ذلـك اسـتهل (معلـم) الحـوار بـالقول: إن هنـاك ضـرورة لضمان انسحابنا من كـل هضبـة الجـولان أولا. وقـال: "يجـب أن نضمـن إقـلاع مسيرتنا كالطائرة". فقلت: "ما الـذي تقصـده؟؟

–معلم : "يجب أن نعلم انه سيتم الاعتراف بحقوقنا علـى أرضنـا بكاملـها".

– أنا : "وعلينا أن نعرف أين ستهبط الطـائرة؟؟ ومـا الـذي سـتكون عليـه صـورة السلام بيننا، ودون أن نعرف المطار الذي سـتهبط فيـه الطـائرة، لا أجـد أي جـدوى في التحدث عن إقلاعـها.

– معلم: "يجب علينا أن نتحرك مـن جزيـرة الحـاضر إلـى جزيـرة المسـتقبل، وان نحدد ، خلال التحرك، الاثنيـن".

لقد تمكنا خلال الحـوار، وبمـرور الزمـن، مـن الاتفـاق المجـازي علـى التجسير بين الماضي والمستقبل. وكان الجـهد المشـترك لبنـاء هـذا الجسـر بكـامل أجزائه، هو الذي سيدفع بسورية وإسرائيل من دوامة الحرب إلـى واحـة السـلام فـي صورة مراحل متفق عليـها.

لقد أتاح هذا الفهم، والطبيعة الخلاقـة والمفتوحـة جـدا للمحادثـات، الفرصـة لنا لتحديد مصالح مشتركة والتقدم إلـى الأمـام علـى صعيـد عـدة قضايـا جوهريـة خلال الشهرين ونصف الشهر من لقاءاتنـا فـي (واي بلنتيشـن).

حدود السلام الإسرائيلية مع سورية

الأسد تهرب من قمة سورية-إسرائيلية فقرر بيرس إجراء انتخابات مبكرة

اتفاقيات مبدئية على قضايا جوهرية:

طابع السلام:

توصلنا خلال نقاشاتنا حول تطبيع العلاقات إلى وجهة نظر براغماتية توطئة لبناء علاقاتنا المستقبلية. اتفقنا أن لا نحشو أراشيفنا القضائية بعشرات الاتفاقيات حول التعاون، والتي لا تثير اهتمام أي منا، بل أن نكرس جهودنا حول الخطوات العملية التي تخدم مصالحنا المشتركة، وبشق طريق بين الدولتين، وليس بصياغة اتفاقية مواصلات كاملة.

وحددنا مجموعة من مجالات التطبيع، والتي صغناها في ثلاث منظومات رئيسية: سفارات، سياحة، وتجارة، بما فيها إنهاء المقاطعة واقامة اتصالات هاتفية وفاكس وبريد، وصلات قطارات، وعلاقات تجارية بحرية وما شابه ذلك.

العلاقات الاقتصادية:

اعتقدنا أن بناء السلام بعيد الأمد يتطلب منا العمل على الربط بين التطبيع والعلاقات الاقتصادية. بيد أن السوريين لم يكونوا معنيين بإقامة علاقات ثنائية مع إسرائيل خشية أن يسيطر الاقتصاد الإسرائيلي القوي جدا على نظيره السوري. لذا كان يتوجب علينا بناء جسر بين المصالح السورية في العلاقات مع الغرب وبين المصالح الإسرائيلية في العلاقات مع سورية ولبنان، كأسلوب لتعزيز وتعضيد السلام. سعينا نحو تطوير اقتصاد شرق أوسطي يرتبط أحده بالآخر -دون التأثير على الطابع الأيديولوجي لكل اقتصاد منها- ويرتبط بالعالم كله، وبالاستقرار. ولم يكن هناك ما هو أكثر من ذلك ضمانا للسلام. ولا أقوى تأثيرا على الأصولية.

ولهذا السبب، عمدنا إلى برامج اقتصادية لمعالجة قضية إلغاء الديون السورية للدول الاقتصادية العظمى- بلغ حجم الديون السورية سبعة مليارات دولار وتطوير الاقتصاد السوري بوتيرة سريعة، وخلق صلات اقتصادية بينها وبين إسرائيل- بصورة خاصة عبر بناء بنى تحتية في مجال الطاقة والمياه والطرق- خلق علاقات اقتصادية مَتعددة الأطراف مع دول أخرى في المنطقة، وتطوير هضبة الجولان، باستخدام استثمارات اجنبية دولية، وعلى وجه الخصوص في المجال السياحي.

وكانت الدول المرشحة للمشاركة في هذه المبادرة: الولايات المتحدة والدول الأوروبية، واليابان، إضافة إلى السعودية.

بدا أن السوريين شديدو الاهتمام بإشراك الأميركيين في الحوارات الثنائية حول الصفقات الاقتصادية الشاملة. بيد أن الولايات المتحدة لم تكن على استعداد لمثل هذه المشاركة، خشية معارضة الكونغرس.

قام طاقمنا الاقتصادي المؤلف من مدير عام وزارة المالية ديفيد برودت، ويوسي فردي، وعوديد عيران، وأنا-بإجراء محادثات موسعة حول صفقة اقتصادية شاملة مع دنيس روس وطاقمه. كما أجرينا مشاورات غير رسمية مع محافظ البنك الدولي-جيمس ولفسون، ومع نائب رئيس صندوق النقد الدولي ستانلي فيشر.

كان السوريون مهتمين بصورة أساسية، بمساعدات اقتصادية أميركية- على غرار النمط المصري- بيد أنهم أدركوا ضرورة تجنيد الجهود الخاصة على هذا الصعيد. وقد اقترحنا تشكيل شبكة غير رسمية من الأشخاص، من القطاع الخاص في الولايات المتحدة، وإسرائيل والسعودية وسورية - ومجموعات من الاتحاد الأوروبي واليابان على أن تنضم في موعد لاحق- كي تطور- بالاستعانة بالمجموعة الأميركية- برامج لمشروعات محتملة لعهد السلام. وقد طلب الأميركيين من (لستر بولك) من شركة(الأخوة ليزر)- وهو

رجل أعمال لامع ومحنك- ترؤس المجموعة الأميركية، كما وافق السعوديون- عبر سفيرهم النشط في الولايات المتحدة الأمير بندر-على التعاون.

لقد كان اللقاء الذي عقده وزير الخارجية الأميركية كريستوفر مع رؤساء خمس شركات أميركية كبيرة في الثالث والعشرين من شباط في مبنى وزارة الخارجية الأميركية، بمثابة الخطوة الأولى على صعيد بناء هذه الشبكة الجديدة والواعدة.

وافق الرئيس الأسد على تشكيل مجموعة الأعمال آنفة الذكر في إطار بنية غير رسمية، بل واشار إلى جهات في القطاع السوري الخاص، ممن كان بمقدورهم التعاون في هذا الجهد.

*** **** ***

السلام الشامل:

ربما تمثل الجانب الواعد في المحادثات مع السوريين في (واي بلنتيشن) في مجرد قدرتنا على التوصل إلى تفاهم مع السوريين، يفيد بان إبرام السلام الثنائي بين إسرائيل وسورية-وإسرائيل ولبنان، سيفضي إلى وضع حد للنزاع الإسرائيلي العربي، وسيكون بمثابة بادئة للسلام الإقليمي.

وفي إطار الجهود الرامية إلى إنجاز هذا الهدف، كان الطرفان على استعداد للاستعانة بالولايات المتحدة، ومساعدتها في ضمان أن تتبنى الدول العربية اتفاقية السلام الإسرائيلية السورية. وأن تقوم هذه الدول بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل.

لقد حصلت -أنا شخصيا- على تأكيد بأن هذا هو الموقف السعودي، وقد بعث السعوديون رسالة إلى بيرس، أشاروا فيها إلى أنه إذا ما تم إنجاز سلام إسرائيلي سوري، فإنهم سيقيمون علاقات دبلوماسية مع إسرائيل- رغم انهم لم يحددوا مستوى هذه العلاقة.

لقد قال لنا السوريون المرة تلو الأخرى: "لقد توصلتم إلى سلام مع المصريين والأردنيين، والفلسطينيين، ورغم ذلك بقيتم في حالة نزاع مع العالم العربي، لكن عندما تصنعون السلام مع سورية، وعندما يقول الرئيس الأسد

لأعضاء الجامعة العربية، أنه سيسمح لإسرائيل بفتح سفارة لـــها فـي دمشـق، حينـها فقط سيتحرك العالم العربي بكامله أيضا، في هـــذا الاتجـاه.

لم تكن رؤيتنا"للشرق الأوســط الجديـد" وعلـى وجـه الخصـوص للجـانب الاقتصادي منه مشابهة للرؤيـة السـورية.

لقد تمكنا من التعرف على التطلعـات والتنبـوءات السـورية للمسـتقبل، خـلال جلسات يـوم الخميـس، والتـي كـانت تجـري دائمـا بإشـراف وزيـر الخارجيـة الأميركي كريستوفر، وتخصص لمناقشة مسـتقبل المنطقـة، فقـد تنبـأ معلـم، خـلال هذه الجلسات، بأن إحلال السلام بين سورية وإسـرائيل سـيدفع بطـهران إلـى الكـف عن معارضتها للمسـيرات السياسـية الدائـرة فـي المنطقـة. وألمـح إلـى التحسـن المرتقب في العلاقات بين سورية وتركيا. بيد أن أهـم جـانب مـن جوانـب التحليـل تبدى في مدى تأثير السلام على العلاقات الأساسية القائمـة فـي المنطقـة.

وبناء على التحليلات التي كان معلم يقدمـــها، اعتقدنـا أن بالإمكـان أن تتحـد التطلعات الإقليميـة السـورية والإسـرائيلية حينمـا يحيـن الوقـت بالاعتمـاد علـى الاهتمام المشترك بالاستقرار واقامة علاقات جيدة مـع الولايـات المتحـدة.

وإذا كان السلام مع الفلسـطينيين ذا أسـس تتعلـق بالقيمـة بصـورة أساسـية، فـإن السلام مع سورية يجب أن يبنى على أسـس اسـتراتيجية إقليميـة.

<u>الترتيبات الأمنيــة:</u>

كان التفاهم حول الترتيبات الأمنية أصعـب جـانب فـي المفاوضـات. وكنـا نعتقد أن إسرائيل لا تسـتطيع الانسـحاب مـن هضبـة الجـولان دون ضمـان عـدم استغلال سورية للميزة الاستراتيجية الناجمة عن انسحابنا مـن الهضبـة لشـن هجـوم مفاجئ علينا. ووفقا لذلك قام الجيش بإعداد سلسـلة مـن المطـالب المفصلـة، والتـي يأتي تنفيذها كضمانة لأمن إسرائيل، وتضمنت هـذه الخطـوات: وضـع قيـود علـى انتشار القوات السورية، ترتيبـات وإجـراءات لمتابعـة عمليـات الانتشـار، التنسـيق بين الجيشين، شبكات إنـذار مبكـر، وإمكانيـة تواجـد طـرف ثـالث فـي هضبـة الجـولان.

كان السوريون معنيين بترتيبات أمنية هامشية، ورمزية، وبدور أميركي موسع لضمان هذه الترتيبات، وعارضوا بمنتهى الشدة وجود محطات إنذار إسرائيلية مبكرة في جبل الشيخ.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض التضارب في آرائنا بهذا الصدد، نجم عن التعارض القائم في نظرياتنا. كانت نظريتنا تنص على أن السلام سيصبح مضمونا، إلى حد كبير، بالاعتماد على الترتيبات الأمنية. في حين نصت النظرية السورية على أن السلام سيضمن الأمن. لقد اتسمت النقاشات حول الترتيبات الأمنية بمشاركة جنرالات- من الجانبين- بأنها طويلة وغير مثمرة.

كانت جذور المشكلة تكمن في رفض السوريين لمبدأ المراقبة في كل ما يتعلق بحجم الجيش السوري وإعادة نشره في عهد السلام. لقد كان مطلبنا لمعرفة كيفية أنتشار الجيش السوري تجاه إسرائيل، في أعقاب إنجاز السلام، بمثابة انتهاك لقدس الأقداس بالنسبة للسوريين، وكانوا يردون علينا قائلين: الرئيس الأسد وحده هو الذي يعرف كيف يمكن نشر الجيش السوري آنذاك. كانت هذه النقطة هي اشد العقبات التي تقف على طريق السلام.

طرحنا مشكلة الإرهاب في لبنان، في إطار مناقشة الأوضاع والترتيبات الأمنية، وتقديم سورية الحماية للمنظمات الفلسطينية الإرهابية المعارضة لعرفات، وقد قال السوريون، أن جميع هذه الأعمال ستتوقف حال إحلال السلام. ووصفوا العمليات في لبنان كنضال مقاتلي حرية، لقد اعتبروا "العنف" بمثابة ورقة مساومة يجب الاحتفاظ بها حتى نهاية المفاوضات، أضف إلى ذلك، أنهم كانوا يعتزمون تطوير العلاقات القائمة بينهم وبين حلفائهم من معارضي السلام، وخصوصا بينهم وبين إيران كشركاء استراتيجيين بديلين لاحتمالية عدم نجاح المسيرة السلمية مع إسرائيل.

لقد ارتكب السوريون خطأ جسيما بإصرارهم على التمسك بهذه الاستراتيجية نظرا لان مصلحة المنظمات الإرهابية الموالية لإيران، كانت تقتضي تقويض السلام. وأعتقد أننا أيضا أخطأنا لأننا لم نطلب من سورية، في

صورة إنذار، أن ترغم رجال حزب الله، على وضع حد لجميع نشاطاتهم خلال فترة المفاوضات. لقد اعتبرنا السلام الشامل بمثابة الحل الناجع لجميع المشاكل السياسية والأمنية.

عمق الانسحاب من هضبة الجولان:

لم تطرح قضية الانسحاب من هضبة الجولان، وعندما كان السوريون يتطرقون إلى هذه القضية قائلين أن من الواضح لهم أن إسرائيل ستنسحب حتى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧، كنا نرد عليهم قائلين: أن الوقت لم يحن بعد، لمناقشة هذه القضية، وأننا نعلم، أن رابين تعهد شفهيا بشأن الانسحاب، بيد أن هذا التعهد كان مشروطا.

اتفقنا، أنا و(معلم)، على الصعيد الفني، أن يتم طرح قضية ترسيم الحدود المستقبلية أمام مجموعات عمل" سيتم تشكيلها حينما يجري تشكيل مجموعات العمل في المستقبل في إطار اللجنة الأمنية.

كان واضحا أن سورية لن توافق على سلام حقيقي مع إسرائيل، الا إذا تم تطبيق (السابقة المصرية) في المجال الإقليمي، وقد عمد السوريون أكثر من مرة، إبان مقارنتهم للسلام الإسرائيلي مع سورية ومصر، إلى القول: أن السلام مع سورية أكثر جدوى لإسرائيل، ومجد أيضا لسورية.

وهكذا، تمثلت مهمتنا في تحديد الماهية الدقيقة والمحتملة للسلام والأمن في ظل جميع المفاهيم، بحيث يتم تعويضنا لتخلينا عن هذه المناطق المهمة استراتيجيا لامننا الوطني، والمقارنة بين الربح الذي سنحرزه مقارنة بالجمود المتواصل في العلاقات مع سورية وانعكاساته.

لقد أدركنا أن"حدود السلام" النهائية ستصبح قابلة للترسيم، فقط، عندما نتأكد من أن علاقاتنا ستحول هضبة الجولان، من هضبة استراتيجية حيوية، إلى مجرد هضبة صخرية كباقي الهضاب العادية.

المياه:

يتدفق ثلثا مياه بحيرة طبريا التي تعتبر بمثابة احتياط المياه الوطني الإسرائيلي- من هضبة الجولان وجنوب لبنان، أو تتبع منها. لذا أوضحنا للسوريين، أنه إذا لم يتم التوصل إلى حل مرض لمشكلة المياه، فإننا لا نستطيع التوصل إلى اتفاق سلام. وقد توصلنا إلى تفاهم حول ضرورة ضمان تزويد الطرفين بالمياه على الصعيدين الكمي والنوعي. وكان ذلك يعني، بالنسبة لإسرائيل، استمرار تدفق المياه عبر نظام يتم الاتفاق عليه بين الطرفين. أما بالنسبة لسورية، فكان ذلك يعني العثور على أسلوب لسد احتياجاتها المائية في تسوية ما مع تركيا، تجري بلورتها تحت رعاية الولايات المتحدة. وقد قال (معلم)، خلال النقاشات أن تركيا ستكون شريكا في السلام الإقليمي الشامل.

ومن الجدير بالذكر، أن غالبية النقاشات حول مشكلة جرت بين كل طرف من الطرفين والولايات المتحدة على حدة. وقد اعتزم دنيس روس إجراء حوار مع الحكومة التركية حول ذلك.

دور الولايات المتحدة في المفاوضات:

كان دور طاقم السلام الأميركي برئاسة روس دورا مضيفا ووسيطا ومراقبا. وقد قام الطاقم الأميركي بهذا الدور بكفاءة وحكمة ودون أي محاولة لفرض رأيه. كما لم يكف روس عن التأكيد على العامل المشترك بين أعضاء الوفدين، وأبدى ارتباطا إزاء كل تقدم. بل عمد إلى إعداد إجمال غير رسمي مكتوب في نهاية الجولة الثانية من المفاوضات، أجمل فيه ست نقاط تفاهم بين الطرفين والتي من الضروري تطويرها وتوسيعها عبر مفاوضات أكثر إسهابا.

وإذا كان هناك ضعف في الموقف الأميركي، فقد تمثل، في التدخل المبالغ فيه -كوسطاء- في المحادثات.

حاولت -بوجود روس- إقناع معلم بالانتقال بالمفاوضات من النمط الثلاثي، إلى النمط الثنائي- بيننا وبينهم، وهو النمط الأكثر جدوى وتحديدا، على افتراض أن تواصل الولايات المتحدة التحدث مع الطرفين، كل على حدة.

وفي محاولتي إقناع معلم، رويت له رواية سمعتها من بيرس:" كان هناك شاب يجب فتاة حبا جما، بيد أن خجله منعه من التصريح لها بهواه، وأخذ يرسل إليها رسالة يوميا مع ساعي البريد، وبعد سنة تزوجت حبيبته من الساعي. انفجر معلم بالضحك حينما سمع الرواية، وقد اقترحت عليه أن يقصها على الرئيس الأسد.

__التطورات السياسية داخل إسرائيل والمسار السوري:__

__أنماط للتقدم في المستقبل:__

توصلنا في كانون الثاني ١٩٩٦ إلى نقطة تحول بسبب التطورات السياسية الداخلية في إسرائيل. فكلما اتضح أن بيرس يعتزم إجراء انتخابات مبكرة، كلما بدأت الأصوات في حزب العمل تتحو نحو(البرايمرز) -الانتخابات التمهيدية- داخل الحزب، وتباطأ العمل على صعيد المسيرة السلمية.

وبدا أن الكثيرين من أعضاء الحزب يميلون نحو توجيه الانتقادات إلى سورية، نظرا لان هذه الانتقادات تشغف آذان ناخبي الحزب، الذين يشكون في مدى جدية الموقف السوري تجاه السلام. وقد رد السوريون على هذه التصريحات الإسرائيلية بشدة. بل ووجد بعض مرشحي الحزب ضرورة لتوجيه انتقادات أو شن هجوم على أعضاء الطاقم المفاوض.

تابع السوريون باهتمام بالغ وكبير التمخضات السياسية الداخلية في إسرائيل، وعزوا إلى تلك التصريحات أهمية كبيرة. لقد شعر السوريون أن الساحة الإسرائيلية الداخلية غارقة في الفوضى، وأن بيرس غير قادر على فرض الانضباط داخل الائتلاف الحكومي.

كان من المفروض إجراء الانتخابات في تشرين الثاني ١٩٩٦، بيد أن التمخضات آنفة الذكر جعلت بيرس يعتقد أن من الأفضل عدم الانتظار حتى تشرين الثاني، وإجراء انتخابات مبكرة ليحصل على تخويل جماهيري لمواصلة تجسيد سياسته السلمية.

كانت نصيحتي لبيرس مختلفة. فقد كنت أرغب في أن تتاح لنا الفرصة لدفع اتفاقية السلام مع سورية إلى الأمام خلال عام ١٩٩٦، فقلت له: أن هناك احتمالا كبيرا- لكن ليس مؤكدا- بإمكانية التوصل إلى اتفاقية سلام مع سورية تفي بمصالحنا الاستراتيجية، وتؤدي إلى اتفاقية سلام شاملة.

فرد بيرس قائلا: إن الطريق الوحيد لدفع المفاوضات إلى الأمام، ولضمان تقدم يخدم مصالح إسرائيل، يتمثل في إجراء سلسلة لقاءات قمة بينه وبين الأسد. فإذا ما وافق السوريون على ذلك، فإنه لن يعمل على إجراء انتخابات مبكرة لإتاحة الفرصة، لاستنفاذ فرص التسوية حتى نهاية عام ١٩٩٦. وقد قام وزير الخارجية كريستوفر بنقل رسالة إلى دمشق بهذا المعنى في الخامس من شباط ١٩٩٦.

وقد رد الأسد بالقول: أن من الواضح له أنه سيضطر للاجتماع برئيس حكومة إسرائيل في وقت ما، بيد أنه لا يستطيع الالتزام بتاريخ محدد. وقد فهم بيرس هذا الرد على أنه محاولة للتهرب، لذا، رد على ذلك في الحادي عشر من شباط بالإعلان عن إجراء الانتخابات المبكرة إلى أيار.

بعث بيرس رسالة أخرى إلى الأسد عبر كريستوفر-قال فيها: أن المفاوضات ستستأنف بعد الانتخابات بوتيرة سريعة على أمل التوصل إلى إنهائه عام ١٩٩٦. وقد وافق الأسد على هذا الاقتراح بعد تردد طويل.

واجهنا في جولة السابع والعشرين من شباط حتى الثالث من أيار في (واي بلانتيشن) مشكلة الترتيبات الأمنية، ولم نحرز تقدما يذكر ورتبنا الأوضاع بالنسبة للجان العمل التي ستجتمع بعد الانتخابات.

اتفقنا أنا ومعلم على أن نسجل في المرة القادمة التفاهم الذي تم إنجازه بيننا في جميع القضايا كما اتفقنا على تشكيل لجنة توجيه، تشرف على عمل ثلاث لجان خاصة.

١. لجنة الترتيبات الأمنية، والتي ستتضمن لجنة فرعية للانسحاب ولترسيم الحدود الجديدة.

٢. لجنة تطبيع، علـــى أن يكـون ضمـن عملـها الاهتمـام بالعلاقــات الاقتصاديـــة، والمياه والسلام الإقليمي الشـــامل.

٣. لجنة صياغة برئاسة زينجـــر وريــاض داودي.

وخلال المحادثات بين القضائيين تطـــرق داودي إلـــى بنيـــة الاتفــاق الســـلمي المستقبلي، وأعرب عن رغبته فـــي تضمينـــه الأســـس المبدئيـــة فـــي صيغـــة الاتفـــاق نفسها، وليس في الملاحق الطويلة، وقال لا يجب أن يشـــتمل الاتفـــاق علـــى أكـــثر مـــن ثلاثيـــن صفحـــة، وأن أي اتفـــاق يشـــبه الوثيقـــة التـــي وقعنـــا عليـــها مـــع الفلسطينيين(٤١٠صفحات) غير وارد فـــي الحســـبان، لانـــه ســـيعقد الوضـــع، وقـــد رد زينجر على ذلك بالقول أن مدخل الاتفاق قد يصـــل إلـــى ثلاثيـــن صفحـــة، واقـــترح أن يتم مناقشة طابع الاتفاق فيما بعـــد.

وقد اتضح من خلال الحوار بينهما، أن لكل طرف توجـــها مختلفـــا عـــن الآخـــر فيما يتعلق بالكلمات. فالسوريون رغبوا فـــي اســـتخدام الكلمـــات للتعبـــير عـــن مبـــادئ رئيسية، في حين أردنا نحن استخدامها لوصف واقع محـــدد بإســـهاب كبـــير.

ورغم ذلك، بدا بوضوح أن الطرفين راغبـــان بجديـــة للتوصـــل إلـــى ســـلام. وقد أعرب معلم عن اعتقاده بأن بالإمكـــان التوقيـــع علـــى اتفاقيـــة ســـلام بعـــد اشـــهر معدودة من الانتخابـــات.

وبدأت اقتنع أكـــثر فـــأكثر بإمكانيـــة التفـــاوض مـــع ســـورية حـــول الســـلام بالاستناد إلى مصالح استراتيجية مماثلـــة وليـــس علـــى وهـــم القتـــال. وكنـــت أدرك أن مثل هذا النوع من المفاوضات قـــد لا يعكـــس(الـــدفء) مـــن النـــوع الـــذي بـــدا لنـــا ضروريا، بيد أنه يستخدم مصالحنا على المدى البعيد، ويعـــزز أمننـــا الوطنـــي.

كان العديد من زملائي يشكون في ذلـــك، نظـــرا للحـــذر البـــالغ الـــذي يبديـــه الأسد، بيـــد أنني اعتقـــد أن ديناميكيـــة الثمـــن ومقابلـــه، والتـــي ســـتتأثر بـــالعوامل والمؤثرات الدولية ستفاجيء خـــبراء الوضـــع الراهـــن، بـــل وربمـــا زعيـــم الوضـــع الراهن السوري نفســـه.

لقد شاعت المفارقات أن يشعر حتـــى معـــارضي الســـلام، أن الســـلام اصبـــح في متناول اليد، وبالتالي يجب إحباط إمكانية تدمـــير الاتفـــاق بأعمـــال العنـــف. ويـــدأت رسل الموت تنفذ التعليمات التي أرسلتها إليـــها طـــهران. وممـــا زاد الطيـــن بلـــة فـــي قطاع غزة انفجار جهاز هاتف خلوي بيـــن أيـــدي رئيـــس الـــذراع العســـكري لحركـــة حماس المسمى المهندس (يحيى عيـــاش) ممـــا أدى لقتلـــه فـــي الخـــامس مـــن كـــانون الثاني ١٩٩٦. لقد كان هذا الرجل مســـئولا عـــن مقتـــل أكـــثر مـــن خمســـين يـــهوديا، وكان عرفات يخشى من زجه فـــي الســـجن.

وأنا لا اعتقد أن مثل هذه العمليـــات مجـــد، خصوصـــا إذا مـــا أخذنـــا بعيـــن الاعتبار العدد الكبير من (المخربيـــن) المنتشـــرين ضدنـــا، ولا اعتقـــد أيضـــا أن مقتـــل عياش هو الذي أدى إلى الأحداث التي بـــرزت فـــي أعقـــاب ذلـــك. فحوافـــز الإرهـــاب كانت ولا زالت مسألة استراتيجية لا دخل لها أبدا فـــي الأعمـــال الانتقاميـــة.

وقعت العمليـــة الانتحاريـــة الأولـــى فـــي الخـــامس والعشـــرين مـــن شـــباط ١٩٩٦-أي في نفس يـــوم عودتنـــا للجولـــة الثالثـــة إلـــى (واي بلانتيشـــن) وقـــد وقـــع الانفجار الانتحاري في حافلة على خـــــط-١٨ فـــي القـــدس ممـــا أســـفر عـــن مقتـــل أربعة وعشرين إسرائيليا. ولم يبـــد أن الســـوريين يشـــعرون بالأســـف علـــى الحـــادث، فقد كانوا يعتبرون"الإرهاب" خطوات مشروعة فـــي إطـــار الدفـــاع عـــن الوطـــن. لقـــد دقت ردود فعلهم على أحداث تلك الأيـــام إســـفينا حســـيا بيننـــا وبينـــهم، ومســـت بـــهم كثيرا حسب اعتقـــادي.

وفي نفس اليوم وقع حادث انفجار آخر على طريـــق عســـقلان، وأســـفر عـــن مقتل امرأة واحـــدة.

لقد طرحت قضية الإرهاب خلال آخـــر لقـــاء بيننـــا، والـــذي تـــم فـــي شـــقة روس في الثـــالث مـــن آذار. وقـــد أعـــرب روس عـــن خشـــية الأمـــيركيين مـــن أن الإيرانيين يستخدمون سورية كقناة لنقل الأوامر إلـــى حركـــة حمـــاس، بشـــأن تصعيـــد عملياتها الإرهابية ضد إسرائيل. فسأل معلم فيما إذا كـــانت لـــد يـــه أي إثباتـــات علـــى ذلـــك؟؟

وقع حادث انفجار انتحاري آخر في غضون أربع وعشرين ساعة في حافلة في القدس، في نفس الشارع ونفس الحافلة، مما أسفر عن مقتل ثمانية عشر شخصا.

راقبنا على شاشات التليفزيون مناظر القدس المعروفة لنا، وشوارعها الملطخة بالدم، والمناظر المفزعة الناجمة عن الانفجار، وشعرنا برغبة شديدة، في العودة إلى عائلاتنا، وحينما طلبنا ذلك من إسرائيل، قيل لنا أن الرد سيأتينا في غضون أربع وعشرين ساعة.

وقد جاء الرد فعلا في صورة عملية انتحارية أخرى قام بتنفيذها رامز عبيد- وهو طالب في كلية الفنون من خانيونس، واختار هذه المرة شارع(ديزنجوف) وخلال عيد المساخر، مما أدى إلى مقتل ثلاثة عشر شخصا، وإصابة العشرات الأخرين بجراح. وفي أعقاب هذا الحادث كنا نتوجه على أول طائرة إلى إسرائيل.

جاء دنيس روس لوداعنا في الطائرة، وقال لي أنه يشعر بالانزعاج الشديد، ويشاطرني الرأي في أن السلام يتعرض لخطر شديد. وقال: إن الرئيس الأميركي سيعقد مؤتمرا حول الإرهاب في القاهرة، وسيقوم الرئيسان كلينتون ومبارك بالعمل كمضيفين. إن المنطقة كلها وإسرائيل في أمس الحاجة إلى التزام دولي صارم، بشن حرب مشتركة ضد الإرهاب.

التقيت حال عودتي ببيرس، الذي بدا وكأنه أكبر سنا بعشر سنوات مما رأيته قبل سفري، لقد اضطر أربع مرات في الأسبوع لزيارة أماكن الانفجارات ورؤية القتلى والدماء وسط صرخات الغضب التي أطلقتها الجماهير التي فقدت إيمانها بالمسيرة السلمية.

وكان على بيرس اتخاذ خطوات لترميم هذا الوضع وموازنته، بيد أن الخطوات التي كان عليه اتخاذها لا تتساوق مع استراتيجية السلام.

بدأت استطلاعات الرأي العام تشير إلى أن بيرس ونتنياهو، اللذين كان الفارق بينهما لصالح بيرس أكثر من ٣٠%- قد بدا يسيران جنبا إلى جنب. لقد

عاد اليمين –من المخبأ الذي لجأ إليه في أعقاب مقتل رابين– للسيطرة على الشارع الإسرائيلي من جديد.

ورغم أن نتنياهو تصرف بفطنة وأيد خطوات الحكومة ضد الإرهاب، بما فيها فرض الإغلاق على المناطق، الا أن عددا من مؤيديه شجبوا سياسة الحكومة ووصفوها بأنها العامل الأساسي المحفز للإرهاب.

كانت ردود فعل الجماهير الإسرائيلية خلال هذه الموجة من الإرهاب شديدة للغاية، لقد ساد الفزع بصورة شاملة، وعبر قسم من الجماهير عن هذا الفزع في صورة هستيرية، وبدا وكأن قدرتنا على الردع قد تراجعت وضعفت، وتمكنت المخاوف والفزع من تحويل الإرهاب إلى سلاح استراتيجي حقيقي.

لقد جاءت ردود فعلنا، تماما، مثلما تمنى الإرهابيون واشتهوا، وبدأت الأسافين تدق بيننا وبين شركائنا في السلام. وزاد الطين بله أن الكثيرين بدأوا يخلطون بين حماس وعرفات.

في الثالث عشر من آذار ١٩٩٦– أي ثمانية أيام بعد الانفجار في (ديزنجوف)، ترأس الرئيس كلينتون مؤتمر شرم الشيخ الذي أعد خصيصا لدفع المسيرة السياسية إلى الأمام، ومحاربة الإرهاب.

وقد أم هذا المؤتمر ثلاثون زعيما– نصفهم من الشرق الأوسط، ونصفهم منْ شتى أنحاء العالم، جاءوا إلى المؤتمر كي يقولوا" لا للإرهاب".

لقد تعرضت إسرائيل طيلة وجودها لهجمات إرهابية، بيد أن الوضع بدا الان مختلفا، لقد وقف ثلاثة عشر زعيما عربيا إلى جانبها في شرم الشيخ ضد الإرهاب. بل لقد أعلن عرفات نفسه، أمام الحاضرين، قائلا: سوف نجتث الإرهاب من جذوره ونحطمه. وسنبذل جهودا كبيرة لكبح جماح المتطرفين من أمثال حماس والجهاد الإسلامي.

أما بيرس، فوجه أصابع الاتهام إلى إيران بالقول:" هناك يد إيرانية تشرف على الإرهاب داخل بلادنا، وعلى طول حدودنا".

ما كاد الرئيس الأميركي يقلع بطائرته من إسرائيل، في أعقاب زيارته لنا، قادما من شرم الشيخ، حتى وجدنا أنفسنا نواجه هجمة إرهابية أعنف من حزب الله في جنوب لبنان، تناولت مواقع جيشنا هناك، ومستوطناتنا في الشمال، التي بدأت تتعرض لصواريخ الكاتيوشا التي يطلقها أعضاء الحزب. وإزاء هذا الوضع تزايدت الضغوط الجماهيرية على الحكومة لوضع حد لها، عبر توجيه ضربة شديدة إلى حزب الله.

مشكلة جنوب لبنان، تتطلب إبرام اتفاق سلام أوسع مع سورية، والذي كان سيقود بالضرورة إلى إبرام اتفاقية سلام مع لبنان. ولم تكن لدينا أي أطماع في لبنان، سوى الحفاظ على أمننا، بيد أن هذا الهدف، كان صعب المنال طالما بقي حزب الله يعمل من الجنوب. وكانت سورية، التي تسيطر عمليا على لبنان- هي المفتاح لتخليصنا من هذا الوحل، بيد أن السوريين لم يكونوا معنيين بتخليصنا منه، ولم تكن لديهم أي مصلحة في تحييد حزب الله وكف يده عنا، قبل ضمان إبرام اتفاقية سلام سورية إسرائيلية. شرعت الولايات المتحدة في الثامن عشر من آذار بالتحرك بغية إقناع السوريين بكبح جماح حزب الله، وقد قرر بيرس إتاحة الفرصة للدبلوماسية الأميركية كي تفعل فعلها، بيد أن جميع توسلات الأميركيين ذهبت أدارج الرياح، ولم تحرك سورية ساكنا للقيام بدورها، رغم الوعود التي قطعها وزير الخارجية السوري فاروق الشرع لوزير الخارجية الأميركي كريستوفر، بأن تتدخل بلاده من أجل ذلك.

خلفت هجمات حزب الله، ورد سلاح الجو الإسرائيلي على هذه الهجمات تصعيدا، أرغم بيرس على التفكير في ضرورة الرد. وبالتشاور مع جميع الجهات الأمنية، اقترح بيرس على الحكومة أن تشن إسرائيل هجوما على قيادات حزب الله بالطائرات في العمق اللبناني، بما فيها قيادات الحزب في بيروت تحت اسم عملية "عناقيد الغضب".

لقد تخوفت من مثل هذه العملية والآثار التي ستخلفها، وبعثت إلى يوسي بيلين رسالة بهذه الروحية. لقد نظرت إلى المسألة على النحو التالي: نظرا لان إسرائيل تحملت قدرا كبيرا من الخسائر المادية والبشرية، فقد أصبحت ضحية للإرهاب، لذا يجب علينا أن نرد على هذا الوضع، رغم تخوفاتي من الآثار التي قد تنجم عن هذا الرد. بيد أنني كنت أخشى من الانجرار وراء التدخل العسكري العميق في لبنان، بصورة لا تتساوق مع المصالح الإسرائيلية بعيدة المدى.

بدا أن الضربة العسكرية لقيادات حزب الله باتت محتومة إزاء انعدام وجود أي بدائل أخرى، والاعتقاد السائد في إسرائيل والقائل بأن هناك حلا عسكريا لكل مشكلة، لقد أرغمنا الأصوليون على الانخراط في لعبتهم، وعلى ساحتهم.

شكلت هذه العملية مساسا خطيرا جدا بالمسيرة السلمية، ولا شك أن بيرس كان يدرك ذلك جيدا، بيد أنه في ظل الشروط القائمة فضل إظهار القبضة الحديدية، ثم العودة إلى مسار المسيرة السلمية.

لقد كان يواجه ثلاث مشاكل عويصة للغاية في آن واحد: تحد هائل لاستغلال القبضة العسكرية، والرغبة في إنقاذ المسيرة السلمية، وخوض المعركة الانتخابية.

وفي الثالث من نيسان وجه سلاح الجو الإسرائيلي ضربة شديدة إلى قيادة حزب الله في بيروت. وبدا لأول وهلة أن سلاح الجو قادر على رد الصاع صاعين، وإسكات مصدر الفتنة، واسترداد الكرامة الوطنية، بيد أن صواريخ الكاتيوشا واصلت التساقط فوق مستوطناتنا الشمالية، مما اضطر المستوطنين للفرار إلى الملاجئ. فردت إسرائيل بقصف مواقع وقيادات حزب الله مما تسبب في فرار جماعي لسكان الجنوب اللبناني من قراهم.

تواصلت المعارك والهجمات في لبنان، وأملت قيادة الجيش الإسرائيلي، في أن تؤدي أزمة ومأساة سكانه إلى دفع الحكومة اللبنانية، لممارسة ضغط على

الأسد، لدفعه لكبح جماح حزب الله، ووقف تدفق المواطنين اللبنانيين شمالا، بيد أن الرئيس الأسد ليس بالرجل الذي يتأثر من مثل هذه الضغوط.

وفجأة وقعت المأساة ففي السابع عشر من نيسان هوجمت وحدة مدفعية إسرائيلية داخل الأراضي اللبنانية، فسارعت إلى الرد على مصادر النيران، والتي كانت تتمركز قرب موقع قوات الطوارئ الدولية في الجنوب بالقرب من قرية (قانا). بيد أن وحدة المدفعية الإسرائيلية لم تكن تعلم أن المئات من اللبنانيين كانوا قد لجأوا إلى هذا الموقع مما أدى إلى مقتل مائة مواطن وإصابة مئات آخرين بجراح.

مأزق قانا:

وجد بيرس نفسه في مأزق، وبدا شديد الذهول، وكذلك قيادة الجيش الإسرائيلي، ورغم أن قائد موقع الأمم المتحدة اتهم حزب الله باستخدام الموقع لإطلاق النار على الجيش الإسرائيلي إلا أن الغضب العالمي انصب كله على إسرائيل.

فكر بيرس للحظات في إيقاف العملية، بيد أنه سرعان ما أدرك، أن وقف العملية، والاعتقاد بأن وقفها هو بمثابة هزيمة لإسرائيل. سيدفعان بحزب الله إلى القيام بعملية تحريض، وعمليات عسكرية أخرى ضدنا، فأمر بمواصلة القتال حتى توصل الطرفين إلى إتفاق يضمن الهدوء على حدودنا.

وعندما قابلت بيرس بعد عملية قانا، شعرن أن حزنه كان حقيقيا، وقال لي : لن أتهرب من المسئولية، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده، أعرب عن حزنه العميق وأسفه، وعن تحمله الكامل لمسئولية ما حدث.

لقد أثار قلقي إلى حد بعيد، أن الجماهير الإسرائيلية التي كانت مشغولة بإلقاء اللوم والتأنيب على حزب الله، لمَ تكلف نفسها عناء الإعراب عن ذرة من الأسف على موت مائة مواطن لبناني بنيران قواتنا.

ونظرا لإدراكنا بأن سورية هي التي تحمل مفتاح الحل، فقد قام دنيس روس وكريستوفر وطاقم السلام الأمريكي في العشرين من نيسان بزيارة إلى

المنطقة تستغرق عشرة أيام للتفاوض مع سورية وإسرائيل، بيد أن الأسد لم يكن في عجلة من أمره. وبعد مفاوضات قاتلة ومدمرة للأعصاب، تمكنا من التوصل إلى إتفاق يخرج مناطق مدنية على الجانبين من إطار لعب القوات المسلحة والأعمال العسكرية.

وبناء على اقتراحات بيرس، والتدخل الأمريكي، تم الاتفاق على تشكيل جهازين جديدين : الأول يقوم بمراقبة الوضع الأمني في جنوب لبنان، بمشاركة ممثلين عن إسرائيل وسورية ولبنان وفرنسا والولايات المتحدة، والثاني للعمل على ترميم الاقتصاد اللبناني بإشراف الولايات المتحدة وفرنسا.

الفصل العاشر

بيرس طرح شعار السلام ونتنياهو أبدى أوسلو ككارثة٠٠٠ففازت الكارثة

أرض جديدة قديمة :

شهد شهرا آذار ونيسان ١٩٩٦ أخطر هجمات أصولية ضد المسيرة السلمية إلى الدرجة التي حدت بالكثير من الإسرائيليين للإعلان بأن إتفاقيات أوسلو قد قضت نحبها، ورغم أن الأمر لم يكن قد بلغ إلى هذا الحد، إلا أنه كان لزاما علينا أن نعود لإدارة المسيرة السلمية، بصورة تشجع شركاءنا على مواصلة محاربتهم للإرهاب من جهة، وضمان التعاون الأمني بيننا من الجانب الآخر.

إجتمعت في أعقاب عودتي من (واي بلانتيشن) مع أبو علاء، كان آنذاك قد رشح نفسه لمجلس الحكم الذاتي، في الانتخابات التي جرت، نهاية كانون الثاني، وحققت خلالها السلطة الفلسطينية نجاحا كبيرا، فقد تم انتخاب ياسر عرفات رئيسا للسلطة بأغلبية ٩٠% من أصوات الناخبين، وحظيت حركة فتح بحوالي ٨٠% من الأصوات في إنتخابات المجلس التشريعي، وتم انتخاب أبو علاء الذي حظي بأكبر عدد من الأصوات في منطقة القدس، رئيسا للمجلس الفلسطيني، وأخذ يكرس كافة جهده ووقته لبناء البرلمان الفلسطيني.

بدا أبو علاء متكدرا، وأعرب عن ذهوله، وأسفه البالغ للعمليات الإرهابية التي تقوم بها حركة حماس، وقال لي : إن عائلته كلها، تشعر بالأسف لذلك، ومن الجدير بالذكر أن أبناءه حرصوا على الحفاظ على اتصال دائم بزوجتي، وأولادي طيلة فترة غيابي، في (واي بلانتيشن)، وشاركوهم في حزنهم وأسفهم.

نصحني أبو علاء بأن أكرس غالبية وقتي وجهدي لإنقاذ عملية السلام، وقال : "هناك عدد كبير من الفلسطينيين يعارضون ما حدث ويحدث، ولأول مرة تجري في غزة مظاهرات ضد الإرهاب".

ورغم ذلك ما كان عليه أن يجري مفاوضات بصورة مباشرة بحكم منصبة الجديد، إلا أننا اتفقنا على إجراء اتصالات - دائمة بيننا، والتشاور حول أفضل الأساليب لمواصلة العمل ودفع المسيرة إلى الأمام.

كان جهازنا الأمني على قناعة تامة بأن فشل السلطة الفلسطينية في الحيلولة دون وقوع عمليات إرهابية، يرجع إلى عدم وجود سياسات شاملة ضد الإرهاب، لقد وضعت أجهزة الأمن الفلسطينية نصب عينيها، هدف إحباط العمليات الإرهابية التي يجري التخطيط لها، وإقناع زعماء حماس، بالتحول إلى حزب سياسي، بيد أنها لم تعمل على مطاردة زعماء حماس المسئولين عن الإرهاب واعتقالهم، وتدمير بنية الإرهاب ولم تقم بمصادرة الأسلحة غير المشروعة من أيديهم.

عمدت حركة حماس، مثل جميع المنظمات الأصولية الأخرى، إلى تجنيد مؤيدين لمدها بالاحتياجات الرئيسية، وأقامت مؤسسات اجتماعية، ورفاه ومدارس ورياض أطفال ومنتديات ونوادي، ورعت مساجد، ومستشفيات ومراكز تدريب وتأهيل مهنية، وقامت جميع هذه المؤسسات بتزويد العديد من الفلسطينيين بالطعام والعمل والخدمات الصحية والتأهيل في أعقاب قضاء فترات سجن.

واستخدمت كل هذه المؤسسات أيضا لأدلجة الفلسطينيين، وزرع نظريات فيهم تساوي بين التسوية والخنوع، وتجنيد الانتحاريين.

أدرك عرفات طبيعة الوضع، والأخطار الناجمة عنه على نظامه، لذا لجأ إلى أسلوب (فرق تسد)، فعمل على ضم بعض زعماء الحركة إلى جانبه بالوعود بإشراكهم في نظام حكمه، وأبعد قسما آخر، بيد أنه لم ينتبه إلى النشاطات التي تقوم بها الأسس الأصولية المتطرفة، والتي وضعت نصب عينيها هدف تدمير إتفاقياته مع إسرائيل بالإرهاب.

إجتمعت بعرفات قبل عشرة أيام من العملية الانتحارية في القدس، وخيل إلي أنه يبالغ في مدى سيطرته على الوضع، وقال لي : " قل لرئيس الحكومة

أنني أبذل كل يوم الجهد اللازم"، بيد أنـــه أعــرب عــن قلقــه مــن تــأثير (العنــاصر الخارجيــة).

لقد وضعته العمليات أمام تحد علنـــي لسـلطته، وفـي نهايــة المطــاف، بــدأ يدرك أن نتائج النضال ستسهم فـي بلـورة وقبولــه هويــة المجتمــع الفلسـطيني، بـل وأيضا الدولة الفلسطينية المســتقبلية.

وإزاء هــذا الفــهم، قــرر عرفــات العمــل بصــورة أكـثر شـمولية ضـد الإرهاب، أردنا أن نضمن قيــام عرفــات بذلــك، فأرســل بـيرس إليــه أولا، (أمنــون شاحك)، الذي بدا غاضبا وملحا، ثم أرسل إليه يوســي (جينوســار) بمطــالب متشــددة، وطالبنا خلال هذا اللقــاءات، بــأن توغـل السـلطة الفلسـطينية فـي كيـل الضـربـات لحماس، وهدم بنيتها ومصادرة أســلحتها، واعتقــال المشـبوهين بممارســته الإرهــاب أو الحث عليه، وفي نفس الوقت فرضت إســرائيل إغلاقــا محكمــا جــدا علــى قطــاع غزة والضفة الغربية عزلهما وفصلهما فصلا تامــا عــن إســرائيل.

ولأول مرة، منذ إتفاقيات أوسلو، يعرب بـيرس عــن شـعوره بالإحبــاط مــن عرفات، ويتهمــه علنــا بــالتقصير، وعــدم اتخــاذ جميــع الخطــوات اللازمــة ضـد الإرهاب، ورغم أن الاتهام آنف الذكر جاء فــي إطــار محاولــة بـيرس إبــداء القــوة، إلا أنه أسهم أيضـــا فـــي إضفــاء اللاشــرعية علــى عرفــات فــي أعيــن الجمــاهير الإسرائيلية وساعد اليمين الإسرائيلي في شــن حملتــه ضــد أوســلو، وهكــذا، وللمــرة الثانية نجح الأصوليون في دفعه مجددا إلـــى الزاويــة.

بعث بيرس جينوسار إلى عرفات من أجل بنــاء قنــاة اتصــال ســرية جديــدة للمفاوضات، وتــم تعيينـــي، أنــا وأبــو مــازن لــترؤس هــذا المســار الجديــد، أمــا المشاركون الآخرون فكانوا ضباطا وموظفيـــن آخريــن، يعملــون فــي مجــال الأمــن ومكافحة الإرهــاب.

جرت خـــلال الفــترة الواقعــة بيــن ٢٣ آذار و١٧ نيســان عشــرة لقــاءات سرية، في إطار المسار الســـري الجديــد، فــي القــدس وعسـقلان وأمــاكن أخــرى، وكانت اللقاءات ترمي لبلورة تفاهم حــول العمــل ضــد الإرهــاب والتعــاون الأمنــي

واستئناف المسيرة السلمية، وقد بدا لـــي أبــو مـــازن كشـــريك صـــادق وجـــدي، وقـــد اعترف بأن السلطة الفلسطينية أخطأت باعتقادهـــا إمكانيـــة التوصـــل إلـــى تفـــاهم مـــع حماس بالحوار الموسع الذي أجرته مع زعامتها فـــي غـــزة والســـودان.

وبناء على ذلـــك، أصـــدر عرفـــات أمـــرا يقضـــي بتوجيـــه ضربـــة شـــديدة لحماس والجهاد الإســـلامي.

وقد أعلمني أبو مازن، باعتقال المئـــات مـــن الحركتيـــن، وإغـــلاق مؤسســـات إجتماعية ودينية، وأكاديمية، كانت تعمل تحـــت إشـــراف حمـــاس.

وقـــد أدت التحقيقـــات الواســـعة، التـــي تـــم إجراؤهـــا والمـــــواد الكثـــــيرة المضبوطة، إلـــى إقنـــاع المحققيـــن، بـــأن الـــهدف الحقيقـــي لحمـــاس، هـــو الســـلطة الفلسطينية نفسها، وأن العنف الذي يمارس ضـــد إســـرائيل ليـــس ســـوى أحـــد وســـائل الاقتتال الفلسطيني الداخلـــي.

وفي نفس الوقت، ألقى المفـــاوضون الفلســـطينيون قســـما كبـــيرا مـــن اللـــوم علينا، بشأن تعاظم قـــوة حمـــاس، وقـــال حســـن عصفـــور، سياســـة الإغـــلاق التـــي تتبعونها منذ أوسلو، هي التي خلقت البطالة واليـــأس والمـــرارة التـــي دفعـــت بـــالآلاف من الفلسطينيين إلى أحضان حماس، وحتى فـــي أعقـــاب العمليـــات الإرهابيـــة صـــرخ المتظاهرون في غزة "نعـــم للســـلام لا للإرهـــاب" وفـــي أعقـــاب تشـــديدكم للإغـــلاق، صرخوا في شعاراتهم : "نعم للسلام، لا للإرهاب لا للإغـــلاق"، وفـــي أعقـــاب تدهـــور الوضع الأمني، بدأوا يصرخـــون، " لا للاحتـــلال لا للإغـــلاق"، ولـــن يطـــول الزمـــن، حتى تتحول هذه الصرخات إلى "لا للســـلام". إن سياســـتكم قصـــيرة النظـــر، وأنتـــم لا تفتشون عن سلام حقيقـــي".

وقال عصفور أيضا : إن عرفات لم يكـــن قـــادرا علـــى شـــن حـــرب شـــاملة ضد حماس، لأنه لم يكن لديه بالمقابل ما يقترحه علـــى شـــعبه، طالمـــا بقيـــت سياســـة الإغلاق، سيد الموقـــف.

وفي حقيقة الأمر فقد ركزنا كل اهتمامنـــا علـــى ممارســـات وقـــدرة الزعامـــة الفلسطينية على التنفيذ إلى الدرجـــة التـــي أعمتنـــا عـــن رؤيـــة الجمـــاهير الفلســـطينية

واحتياجاتها، وأن من واجب زعامتها سد هذه الاحتياجات، ولـــهذا السـبب بـالغت فـي مدى قوة عرفات، أضف إلى ذلك، أن عرفات فشل في فهم مـــدى تـأثير الـرأي العـام على أسلوب اختيار إسرائيل لسياستها في المســيرة السـلمية.

قلت لعصفور أن على السـلطة الفلسـطينية أن تقـدم ردودا شـافية وسـريعة، وأن تقوم بتدمير المعارضـــة العنيفـة كخطـوة أولـى علـى صعيـد إحيـاء المسـيرة السلمية، وفي نفس الوقت الذي ناقشت فيــه الجـهات الأمنيـة مـن الطرفيـن أسـاليب محاربة الإرهاب، عكفنا أنا وأبـو مـازن علـى بنـاء بنيـة جديـدة للتعـاون، بحيـث تشـمل.

- التعاون على الصعيد الاستخباري في الوقـــت الحقيقـي.
- مراقبة نشاطات السلطة الفلسطينية ضـد الإرهـاب.
- تعاون الطرفين انطلاقا من مبـدأ المسـاواة.

قامت السلطة الفلسطينية خلال الأسابيع التي تلـت ذلـك بشـن حـرب شـاملة ضد حماس والجهاد الإسلامي، هذا إضافـة إلـى التحسـن الـهائل الـذي طـرأ علـى التعاون الأمني بيننا وبينهم، وتم إعتقـال المئـات مـن أعضـاء حمـاس، وصـودرت أسلحة ومعدات حربية وجـرى إقالـة شـخصيات عسـكرية ودينيـة وأكاديميـة مـن وظائفها، وأصبح العديد من الأهداف المدنية، بـل والمسـاجد، أهدافـا لاجتيـاح رجـال الشرطة الفلسطينية، لقد قاتل عرفات ليس فقط من أجـل انقـاذ المسـيرة السـلمية، بـل أيضا من أجل إنقاذ السلطة الفلسـطينية نفسـها.

بدأت أجهزة الأمن الإسـرائيلية تتلقـى تحذيـرات باحتمـال وقـوع عمليـات إرهابية ضد إسـرائيل، بيـد أنـها كـانت تشـعر بالارتيـاح التـام جـراء التعـاون الفلسطيني الوطيد على الصعيد الأمني، لقـد أثبتـت الشـراكة الإسـرائيلية الفلسـطينية أنها قادرة على العمل حتى في أصعـب الظـروف، لقـد وصلـت المسـيرة السياسـية بعد ستة أسابيع من عملية ديزنجوف إلى ثلاثـة معـالم طريـق.

* صادق عرفات وبيرس في السابع عشـر مـن نيسـان علـى وثيقـة غـير رسـمية مفصلة للتعاون بين سـلطات الأمـن مـن الطرفيـن ضـد الإرهـاب، وأعلنـا عـن

استئناف المسيرة السلمية، وتفعيـــل جميـع لجـان العمـل بـهذا الشـأن، وتواصلـت الاستعدادات لإعادة الانتشار في الخليل، والتي تم تحديـــد موعدهـا بينـي وبيـن أبـو مازن في الخامس عشر من حزيران - أي في أعقـاب انتخابـات الكنيسـت.

وحال توصلنا إلى ذلك، اتجـهنا نحـو أحـد أكـثر اللقـاءات التـي عقدناهـا غرابة، وقد قدم بيرس إلى الاجتماع وبصحبته رئيس الأركـان ورئيسـا جـهاز الأمـن العام وشعبة الاستخبارات العسـكرية.

أما عرفات فقد جاء وبصحبتـه مسـئولو أجـهزة الأمـن الفلسـطينية، وفـي أعقاب تناول طعام الغداء استعرض الفلسـطينيون النشـاطات التـي قـاموا بـها ضـد الإرهاب منذ العمليات الانتحارية التي وقعت فـي شـباط وآذار، وقـام محمـد دحـلان بتفصيل تلك النشاطات باللغة العربية، في حين قـام أحـد رجـال جـهاز الأمـن العـام بالترجمة إلى اللغة العبريـة.

والحقيقة هي أنني لم أكن لأتخيل في يـوم مـن الأيـام، أننـا سـنرى ضبـاط الجيش الإسرائيلي يصغون إلـى ضبـاط منظمـة التحريـر، والسـجين السـابق وهـو يشرح لهم كيف يحارب أبناء شعبه ضد الإرهـاب بجديـة، ومنهجيـة.

* في الرابع والعشرين من نيسان وصلنا إلى معلـم الطريـق الثـاني، فبينمـا بـيرس في طريقه للاستقبال السنوي لوزير الدفـاع الـذي يجـري بمناسـبة عيـد الاسـتقلال، تلقى بيانا من عرفات يعلمه فيه أن المجلـس الوطنـي الفلسـطيني المنعقـد فـي غـزة اتخذ قرارا بأغلبية ٥٠٤ أصـوات ضـد ٥٤ صوتـا بإلغـاء مفعـول بنـود الميثـاق الوطني الداعية إلى تدمير دولة إسرائيل، لقد أتى هـذا التصويـت فـي إطـار الالـتزام الذي بعث به عرفات في رسالة إلى رئيس الحكومة اسـحق رابيـن، فـي التاسـع مـن أيلول ١٩٩٣، في إطار الاعتراف المتبـادل بيـن منظمـة التحريـر وإسـرائيل، وقـد أطلعنا الفلسطينيون على صيغـة قـرار المجلـس الوطنـي الفلسـطيني مسـبقا إبـان الاتصالات السرية بين أبو مازن وزينجر وبوسـاطة جينوسـار. كـي يؤكـدوا علـى أنه يتلاءم مع التزاماتهم، وقد أكد زينجـر لرئيـس الحكومـة، أن الفلسـطينيين يوفـون حقا بالتزاماتـهم.

رغم أن منظمة التحرير كانت قد اعترفت بإسرائيل على جميع الأصعدة، إلا أن لقرار المجلس الوطني- بوصفه برلمان جميع الفلسطينيين والذي يشمل الفلسطينيين الذين لا يسكنون الضفة الغربية وغزة، ويضم فصائل تعارض إتفاقيات أوسلو، وتنفي وجود دولة إسرائيل كالجبهتين الشعبية والديمقراطية -كان أهمية خاصة.

وبهذه المناسبة قال عرفات : " لقد صنعنا سلام الشجعان، ويجب علينا أن نكون شجعانا بما فيه الكفاية، من أجل تغيير الميثاق الوطني.

ونظرا لان الميثاق كان يغص بعبارات الرفض والعداء، فقد قرر المجلس تشكيل لجنة لإعداد صيغة ميثاق جديد، وقد اعتقد أبو علاء الذي كان نشطا جدا خلال جلسة المجلس، أن الميثاق الجديد سيصبح تشريعا للدولة الفلسطينية المستقبلية.

وعندما أعلن بيرس عن قرار المجلس الوطني أمام الحاضرين في باحة وزارة الدفاع، ووصفه "بالتغيير التاريخي" انطلق الحاضرون بتصفيق حاد.

في الخامس من أيار ١٩٩٦ وجدت نفسي قرب فندق هيلتون في طابا، حيث قدم ممثلو الفلسطينيين والإسرائيليين للشروع بمفاوضات التسوية الدائمة، والتي كان يفترض أن تقودنا إلى المصالحة التاريخية وقد ترأست أنا وأبو مازن الوفدين.

جلست في غرفتي في الفندق كي أضع اللمسات الأخيرة على الكلمة التي سألقيها في الاجتماع الأول ، ووجدتني أضيف الصيغة المعدة، الكلمات التالية : "نعم، يجب على شعبينا أن ينفصل أحدهما عن الآخر، و الفصل يستخدم أصلا لتشجيع التعاون.... وبوضعنا أسس هذا الفصل، نكون قد أوضحنا أن الجانبين مسئولان عن هويتيهما".

لم يكن الطرفان في أي يوم ماض مؤهلين لمواجهة القضايا المطروحة آنذاك على جداول أعمال اللقاء : القدس، الحدود، اللاجئون، الفلسطينيون، والمستوطنات الإسرائيلية، لولا أنهما سارا معا على الطريق الصعب.

جمعت أوراقي وتوجهت إلى الجناح الذي كان أبو مازن ينزل فيه، ولم يكن هناك شك بصعوبة المهمة التي نواجهها وعمق الخلافات القائمة بين مواقفنا ورغم ذلك كان يسري بيننا تفاهم عميق فيما يتعلق بأهداف المسيرة: المصالحة التي سيتم إنجازها ستلتزم بالمساواة والتقدير المتبادل، وستضمن السلام والأمن والتعاون الاقتصادي.

وقد عقب أبو مازن قائلا نحن مصرون على وضع حد لعقود من النزاع، وعلى التعايش السلمي بكرامة وأمن متبادل.

استهللنا الاجتماعات بمراسيم توقيع درامية بيد أن هذا الاجتماع كان يخدم هدفا، فقد أقمنا خلاله مجموعات عمل على جميع الأصعدة ولجنة عليا لتوجيه المفاوضات.

وخلال اللقاء المغلق الذي أجريناه أنا وأبو مازن قررنا إنشاء مسار سري والذي أملنا أن نتمكن عبره من إحراز تقدم حقيقي.

إجتمعت في السابع من أيار ١٩٩٦ مع أبو علاء ورويت له ما حدث في اجتماع طابا الذي لم يتمكن من حضوره ومن الجدير بالذكر أن علاقاته مع أبو مازن في تلك الآونة اتسمت بالتوتر. قال أبو علاء : " من السابق لأوانه جدا أن أشارك في المفاوضات، وتساءل كيف سأواصل المفاوضات.

قلت له : "لا أعتقد أن علينا الانطلاق من رؤيتنا للوضع عام ١٩٩٦، بل ولا من نقطة رؤيتنا للقضايا التي يجب علينا أن نتخذ قرارا بشأنها حتى أيار ١٩٩٩، بل أعتقد أن علينا الانطلاق من وضعنا للأهداف المشتركة مثلما ستبدو عام ٢٠٠٠، أي بعد سنة من التوقيع على اتفاقية التسوية الدائمة، لأن القضية الموضوعة على كفة الميزان هي طبيعة علاقاتنا المستقبلية.

يجب علينا أن نحرص على وصف العلاقات المرغوبة بيننا، على الصعد السياسية، والأمنية والاقتصادية.

وافق أبو علاء على ذلك قائلا : لقد رفعت طيلة الطريق لواء التعاون العميق فيما بيننا هذا هو الطريق الوحيد الذي سيؤدي إلى تعزيز الطرفين.

قلت : "يجب علينا أيضا أن نضمن أن ندفن النزاع نهائيا حال التوقيع على الاتفاق إنني أعتزم عرض إقامة نوع من التحالف بين الشعبين يكون خلاله تعاون أمني حقيقي ضد أعداء الشعبين، وإزالة الفواصل الاقتصادية القائمة بيننا، وأيضا بين اقتصادنا والاقتصاد الأردني وخلق شراكة سياسية وتؤدي إلى تعاون إقليمي.

وعندما نتوصل إلى التوقيع إلى إتفاق حول علاقاتنا المستقبلية، حينها سنبدأ مواجهة القضايا الصعبة.

ضحك أبو علاء وقال : حسنا أوري ، أرى أنك لست بحاجة إلي الآن، اتصل بي هاتفيا عام ١٩٩٨ عندما تكون هناك ضرورة للمواجهة بيننا".

لم يخطر ببالي أبدا أن هذا اللقاء هو آخر لقاءاتي مع أبو علاء أو مع أي مسئول فلسطيني آخر بوصفي منسقا للسلام، لقد مضى منذ بدأنا مسيرة أوسلو وحتى هذه المحادثة ألف ومائة يوم من المفاوضات حول السلام، لقد كنت منشغلا بوضع مخططات لمواجهة العديد من القضايا، وذلك على افتراض أن بيرس سيفوز في الانتخابات القادمة.

وعندما رويت لبيرس ما قلته لأبو علاء ولأبو مازن وافقني الرأي وقال لي : يجب أن تستعد لخوص المفاوضات على المسارين الفلسطيني والسوري في حزيران القادم بعد الانتخابات فقلت له:" لقد توصلت إلى تفاهم مماثل أيضا مع وليد معلم".

كانت الحكومة تعلم بأن إيران معنية بتغيير السلطة في إسرائيل، وذلك على افتراض أن هذا التغيير سيفضي إلى وقف المسيرة السلمية وبناء على ذلك، أمرت إيران المنظمات الإرهابية بمواصلة أعمال العنف ضد إسرائيل، وقد أكد اللواء أيلون ذلك علنا.

وقد تلقينا تأكيدا مماثلا حول النوايا الإيرانية من مصادر أمنية فلسطينية بالاستناد إلى المعلومات التي تم الحصول عليها من التحقيقات التي أجروها مع معتقلي حركة حماس.

وفي الرابع عشر من آذار اكتشفت سلطات الأمن البلجيكية صاروخا قصير المدى كان معدا للإطلاق على سفارة إسرائيلية في أوروبا، على متن سفينة انطلقت من إيران وحطت في ميناء انتورفن مما حدا بي للإعلان عن حالة الطوارئ في جميع سفاراتنا في أوروبا واتصل بيرس بالرئيس كلينتون وشيراك والمستشار كول فقام الثلاثة بتحذير إيران من مواصلة العمل بمثل هذه المخططات.

لقد ارتبطت الحملة الانتخابية الإسرائيلية بالنضال من أجل المسيرة السلمية وضد معارضيها المتسمين بالعنف، وقد انقسمت الجماهير الإسرائيلية إلى معسكرين: الذين قدروا إنجازات المسيرة السلمية وأيدوها، أولئك الذين اعتبروا العنف الممارس ضد المسيرة السلمية دلالة على أن هذه المسيرة ساذجة ومضللة من أساسها.

يناهز بنيامين نتنياهو السابعة والأربعين وهو أصغر رئيس حكومة إسرائيلي يخوض الانتخابات الرئاسية، وقد حرص في حملته الانتخابية اليومية على التأكيد صباح أمس، بأن أوسلو هي بمثابة خنوع لمنظمة التحرير الإرهابية، وأن وضع أمتنا بين أيدي زعيم إرهابي، لن يفضي الا إلى حمام دموي، وفي الدعاية الإعلامية التي كان الليكود يبثها ليليا، كان يعرض مناظر دموية من العمليات الانتحارية، ويؤكد أنه لا وجود للسلام ولا للأمن ولا يوجد أي سبب للتصويت لبيرس، في حين كانت حملة حزب العمل تعرض إنجازات المسيرة السلمية دفع المنطقة باتجاه مصالحة سياسية كوسيلة وحيدة لإحراز الأمن على المدى البعيد، وتظهر وجهة إسرائيل المتجه نحو المستقبل.

بيد أن التمزقات القائمة في المجتمع الإسرائيلي كانت أعمق من الخلافات السياسية فقد شارك قسم من الجماهير في ثورة السلام واعتبر انهيار الأسوار التي كانت تطوق إسرائيل بمثابة طوق النجاة للدولة، في حين اعتبر القسم الآخر من الشعب، المسيرة بمثابة كارثة.

وهكذا ما بدا لنصف الشعب كانفتاح آفاق وفرص جديـــدة أمـــام إســـرائيل، بــدا للقســم الآخر كترك الدولــة مشــاعا دون قــدرة علــى الدفــاع أمــام العنــف وتغلغــل القيــم الأجنبية، وبالتـــالي اعتــبرت الرؤيــة الأخــيرة أن إســرائيل ليســت محاطــة بــدول مجاورة، بل بأعداء أبديــن.

هذا هو الوضع اليهودي الذي ساد آلاف الســنين، ومثلمــا جــاء فــي التــوراة "شعب وحده سيسكن"، لقد فهمت عمليــة منــح الثقــة للآخريــن كتركنــا مشــاعا بيــن أيديـهم.

كانت دعايات الليكود اليومية تبــدي عرفــات وبــيرس وهمــا يســيران يــدا بيد، فبدا هذا الرمز لبعض الإسرائيليين كأنه إحــدى ضــرورات المصالحــة فيمــا بــدا للآخرين كمسيرة نحو الكارثــة.

لقد أثبت نتنياهو قدرة فذة علــى توحيــد معســكرات مختلفــة- تشــاركه فــي تطلعاته- خلفه فضم إليه اليمين العلماني الــذي خــارت قــواه بســبب النزاعــات بيــن قادته، ثم ضم إليه حامل لواء القضايــا الاجتماعيــة وزيــر الخارجيــة الســابق (ديفيــد ليفي) وضم إليــه حركــة شــاس الدينيــة الطائفيــة تحــت قيــادة الحاخــام (عوفاديــا يوسيف)، كما نجح نتنياهو في ضم جمــاعتين انتخــابيتين أخريــن همــا : المتدينــون من مؤيدي المفدال، و(الحراديم الإشكناز) لقــد بــدت انتخابــات أيــار ١٩٩٦، بمثابــة استفتاء شعبي اجتماعي حضاري أكثر منها اختيارا بين المســيرة الســلمية وبديلــها.

لقد بــدا لــي طيلــة ســنوات المفاوضــات الثــلاث، وأيضــا أثنــاء الحملــة الانتخابية أن روح الطاقة والقتال في إسرائيل انحرفتا باتجاه اليميــن الدينــي لقــد كــان لدى هذا التيار رسالة يرغب في إشاعتها وقــد اعــد العــدة والاســتعداد الــلازم لعمــل ذلك بحماس بالغ فــي الوقــت الــذي بــدا فيــه اليســار الممســك بمقــاليد الســلطة و صولجان الحكم خاملا وغير مبــال.

لقد اعتقد أقطابه أن الاتجـــاه الإيجــابي الــذي فرضتــه قــرارات الحكومــة، سيجر وراءه غالبية الشعب، ورغم الصعوبــات وأعمــال العنــف، وبــدا بتصرفــه ذلك

وكأنه يعتقد انه يعيش عهد ما بعد السلام في حين أصـــر اليميـن علـى التخنـدق فـي بؤرة النزاع الأبـدي.

وقد ارتفعت ثقة جماهير اليســار وأقطابـه وهـي تـرى نتـائج اسـتطلاعات الرأي العام التي كانت تشير حتى يوم الانتخابات تقريبـا إلـى تفـوق بـيرس بنسـبة تتراوح بين ٣-٥% على نتنيـاهو.

دعاني بيرس، أنـا وعلـيزة جـورن وآفـي جيـل يـوم الانتخابـات التاسـع والعشرين من أيار، لتناول طعام الغداء معه، وكان متفـائلا جـدا، بـل وتحـدث عـن الاستعداد لاستئناف المفاوضات بعد الانتخابات، ثـم بـدا غاضبـا جـدا علـى الشـعار العدائي الذي تم توزيـعه والقائل : "نتنياهو جيـد لليـهود".

وعندما زار بيرس بعد الظهر قيـادة الحملـة الإنتخابيـة، إكتشـف أن النشـاط هناك متدن وليس على ما يرام، وخصوصا فـي الوسـط العربـي، فـي الوقـت الـذي كانت فيه التوقعات الأخيرة لسير الانتخابـات تشـير إلـى سـير النـاخبين جنبـا إلـى جنب.

وفـي حوالـي السـاعة العاشـرة ليـلا، سـمعنا نتـائج النموذجيـن اللذيـن عرضتهما القناتان التلفزيونيتان الأولى والثانيـة، واللتيـن أشـارتا فيـهما إلـى تفـوق بيرس، وبدأت التهاني تنهال علي في بيتي ، ومـن ضمـن الذيـن اتصلـوا كـان أبـو علاء، الذي تساءل قائلا : "هل يمكنني أن أهنـئ الآن؟؟". قلـت لـه بحـذر:" الأمـر جيد جدا، بيد أن الرواية لم تنته بعـد".

قررت عدم الاتصال ببـيرس حتـى يتـأكد نبـأ النموذجيـن، وفـي حوالـي السـاعة الواحدة والنصف ليلا وعندما اتضـح أنـه لا يوجـد تغيـير فـي النموذجيـن اتصلـت ببيرس وقلت له :" حظ سعيد، يخيل إلي أنك فعلتها؟" فقـال : "نعـم، لقـد اتصلـوا بـي من القناة الثانية، وقالوا لي : إن الفـارق بينـي وبيـن نتنيـاهو يتسـع، وأنـه أصبـح ٢,٥%، أعتقد أنه يجب على أن أذهـب للنـوم، كـي أتوجـه إلـى هيئـة الانتخابـات صباحا، أريد أن أقابلك هناك فـي الثامنـة والنصـف أنـت و(يوسـي بيليـن) و(افـي جيل) كي نرى من أين سـننطلق؟.

وفي حوالي الساعة الثانية بـدأت النتـائج تحـت صورتـي المتنافسـين فـي التلفزيـون تتغـير فوصلـت أولا إلـى التعـادل ٥٠-٥٠ ثـم إلـى ٤٩-٥١ لصـالح نتنياهو، وشاهدت علـى شاشـة التلفزيـون الفرحـة التـي عمـت نـاخبي نتنيـاهو، فاتصلت (بموشيه تتوميم) صديق بيرس القديم، ومستشاره لشـئونْ الـرأي العـام فقـال لي بصوت حزين : "إن عد الأصوات تسير إلى تحـول درامـي لصـالح نتنيـاهو، لقـد خسرنا، ولا شك في ذلـك. وقـد اتضـح فـي نهايـة عمليـة حساب الأصـوات، أن نتنياهو فاز على بيرس بأقل من ١%. اتصل بي (آفـي جيـل)، وقـال لـي إن بـيرس ذهب للنوم، وهو يعتقد أنه فاز فـي الانتخابـات وقـد اتصـل جيـل بابنتـه تسـيكي، وطلب منها ومن زوجـها الا يوقظـاه وأن يتركـاه كـي يعـرف النبـأ السـيء فـي الصبـاح.

وعندما قابلنا بيرس في الثامنة والنصف مثلمـا اتفقنـا وجدنـا أمامنـا إنسـانا حزينا جدا، وقويا جدا، وقد اعد عملية نقل السلطة إلـى نتنيـاهو وأخـذ يواسـي أولئـك الذين قدموا لمواساته، مؤكدا على انه سيواصل العمل مـن أجـل السـلام.

في الثامن عشر مـن حزيـران يـوم تشـكيل الحكومـة – قدمـت اسـتقالتي لوزير الخارجية الجديد (ديفيد ليفي)، كي أدع له الفرصـة لاختيـار مديـر عـام جديـد قادر على تنفيذ سياسته بارتيـاح.

وبعد عدة أسابيع استقلت مـن سـلك خدمـة وزارة الخارجيـة بقلـب مثقـل بالألم، بعد عمل دام واحد وعشـرين عامـا.

قال لي أبو علاء في حديـث خـاص دار بينـي وبينـه فـي أعقـاب تشـكيل حكومة نتنياهو : "نحن بحاجة إليك والـى بـيرس ، إن الفلسـطينيين يقـدرون بـيرس كزعيم عالمي وداعية سلام، ويجب عليك أن تواصـل مـا بدأنـاه".

قلت له:" سنناضل من أجـل معتقداتنـا عـبر قنـوات أخـرى لقـد قررنـا – بيرس وأنا– أن ننشئ مركز سـلام سـيخصص لتعزيـز التعـاون بيـن شـعبينا أمـا المسار السياسي، فهو الآن رهن بأيدي الحكومـة ورئيسـها الجديـد".

-أبو علاء : نعم، لقد سمعت خطابه، إننا قلقون جدا، فـــهو يتحـدث مـن ناحيـة عـن استمرارية المسرة السلمية، ومن الناحية الأخـــرى يتحـدث عـن توسـيع الاسـتيطان، ولا شك أن هاتين المسألتين لا تسيران جنبـا إلـى جنـب، مـا زلنـا لا نـدري كيـف سنتصرف حيال هذا الوضع الـذي فاجأنـا .

أنا : كل ما أستطيع قوله لكم هو أن تبذلوا قصارى مـا فـي وسـعكم لإحـلال السـلام مع الحكومة الجديـدة.

لقد خلقت مسيرة أوسلو ديناميكية تدفـع أمامـها مأزقـا كبـيرا، لقـد انتصـر اليمين حقا في الانتخابات بيد أنه فقد برنامجه الأيدلوجـــي، فلـم يعـد هنـاك بعـد الآن "أرض إسرائيل الكاملة"، أضف إلى ذلك، أن نتنياهو وعـد بالسـلام والأمـن، وهـو لا يستطيع توفير هذا ولا ذاك بدونكم، هـل تذكـر أننـا كنـا نقـول أن مسـيرة أوسـلو، أقوى من جميع معارضيها؟؟ يجب عليكـم أن تسـاعدوا فـي تـأكيد ذلـك، لقـد كـان لحماس تأثير لا يستهان به على نتـائج الانتخابـات بيـد أنـه لا يجـب بـأي حـال أن نسمح للمتطرفين بأن يحـرزوا الانتصـار.

يجب أن تتذكروا بأنه إذا ما نجحتم فـي الاتفـاق علـى السـلام مـع حكومـة اليمين فإن ٨٠-٩٠% من الإسرائيليين سيؤيدون هذا السـلام لـذا لا يجـب أن تتخلـوا عنـه.

صافحني أبو علاء وقال : سأواصل المحاولة ما دمت حيـا، ويخيـل إلـي انـك أيضـا ستفعل ذلك، ثم ضحك بصوت عال وقال لي اعتقد أنها اللعنـة التـي تصاحبنـا.

الفصل الحادي عشر

لقاء آخر

قبل زمن قصير عدت والتقيت مع الرجل الذي قـدم الـي فـي أوسـلو علـى انه العدو رقم -١ لإسرائيل فمنذ عهد أوسلو وأنا أواصل إقامـة علاقـات وطيـدة مـع مجموعة من الأشخاص، مثل (لاريسون) و(مونه) اللذين عادا إلـى أوسـلو بيـد أنـهما لا زالا ينجذبان نحونـا، و(دنيـس روس) و(مـارتن اينـدك) اللذيـن لا زالا يحافظـان على المسيرة السلمية، ولا زلت أصر على علاقتي وصلتي مـع أبـو عـلاء، الـذي لا زال يشغل منصب رئيس المجلـس التشـريعي الفلسـطيني، ولا زال يؤمـن بالسـلام، ويعمل من أجل إقامة الدول الفلسـطينية.

وقبل وقت قصير، وخلال إحدى الأزمات العميقـة التـي وقعـت التقيـت أنـا وهو وموظف من حكومة نتنياهو، وقـد توجـه إلينـا هـذا الموظـف بفضـول كبـير وسألنا قولوا لي:" كيف فعلتم ذلـك؟؟".

ابتسمت لأبو علاء، وقلت له : قل له حقا كيـف فعلنـا ذلـك.

أبو علاء : "لم نفعل ذلك انتم لا تتذكرون؟؟ لقد كنـا نعـارض ذلـك تمامـا". وانفجرنـا نحن الاثنين بالضحك معا لا زالت روح النكتة تربـط بيننـا.

وقلت لذلك الموظف : يقف أمامك صديقـان سـبق لـهما أن أدارا أحـد أشـد المفاوضات واصلبها بل وأكثر وحشية، وتنقلا مـن أزمـة إلـى أخـرى، فـي الوقـت الذي كانا فيه عدويـن يتسـمان بـالعنف، وأجـواء الشـكوكية والعـداء تسـد عليـهما الطريق، بيد أن الأهم من كل ذلك حدث منذ البداية عندمـا خلقنـا شـراكة تقـوم علـى قرارات زعمائنا وعلى العلاقات بيننـا.

أبو علاء : نعم لقد كان أوري شريكي وهو أيضـا صديقـي، ونحـن لـم نتفـق علـى شيء تقريبا باستثناء الأمـر شـديد الأهميـة: أنـه إذا مـا تقدمنـا معـا فـإن شـعبينا

سيكونان قويين، لان كلا منا قادر على تقديم المســـاعدة للآخــر، وخلــق واقــع جديــد، وإذا لم نفعل ذلك فإن الجانبين ســـيتحملان المعانـــاة.

أبو علاء : لقد قلت لسبير في أوسلو إن الجـــانبين ســـيرتكبان أخطـــاء كثـــيرة ولا شـــك أن هذا ما حدث حقا لقد وصلنا إلى مرحلة الحوار بعد زمن طويـــل مـــن العـــداء المـــر وسفك الدماء والكراهية، وتجربة ضئيلة على صعيد الســـلام لـــذا، هنـــاك حاجـــة إلـــى الكثير من الصبر لمواجهة مثل هذا التحدي، الصـــبر، والإيمـــان والتمســـك بالـــهدف.

أنا : ويجب أن يتم كل ذلك انطلاقا من خـــلال الشـــعور بالمســـاواة، فـــالحوافز تحـــرك الأشخاص وليس الأوامر، لقد أدركنا منذ البداية أن الشـــراكة ســـتخلق جوهـــر الاتفـــاق وليس العكـــس.

أبو علاء : وتذكرنا أيضا أن البديل رهيب ومأساوي، لـــذا فإننـــا ملزمـــون بـــان نقـــدم للجيل القادم لأبنائنا حياة مختلفة عن تلك الحيـــاة التـــي عرفناهـــا ونحـــن شـــركاء فـــي ذلك .

أنا : "بالضبط هو كذلك يا أبو علاء:" بدا وجه أبـــو عـــلاء مكفـــهرا، وســـادت لحظـــة صمت ثقيلة جعلتني أخشى مما سيقوله، بيد أن تقاطيع وجهـــه عـــادت إلـــى الإرتخـــاء، وقال للموظف الصامت " هـــل فـــهمت؟؟".

☜ الكتب الصادرة عن دار الجليل ☞

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١-	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليهاالسرائيل		غازي السعدي
٢-	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيدة ومنقحة)	عبد الرحمن ابو عرفة	
٣-	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية ـ الأسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٤-	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي، نواف الزرو ، غسان كمال	
٥-	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي، نواف الزرو ، غسان كمال	
٦-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٧-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
٩-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	غازي السعدي	
١٠-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار ـ وصراع الارادات	سليم الجنيدي	
١١-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
١٢-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
١٣-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥-	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
١٦-	يوميات من سجون الاحتلال ـ زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	

١٧-	المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية الأمريكية الايرانية في عهد الشاه	الصحفي شموئيل سيجف	غازي السعدي
١٨-	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟ مواقف اسرائيلية	الوف هرابين	غازي السعدي
١٩-	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	المحامي درويش ناصر	
٢٠-	مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣- ١٩٨٣ ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل	دكتور نظام بركات	
٢١-	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥	منير الهور وطارق الموسى	
٢٢-	غوش ايمونيم - الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين	غازي السعدي
٢٣-	عش العصفور - قصة للأطفال	منير الهور	
٢٤-	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د . احمد صدقي الدجاني	
٢٥-	أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك	الدكتور احمد العلمي	
٢٦-	حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف قراعين	
٢٧-	الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني	حسن اسماعيل مشعل	
٢٨-	خارطة فلسطين - وهي خارطة تمثل سهول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين (ملونة)		
٢٩-	بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الاول	عجاج نويهض	
٣٠-	بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الثاني	عجاج نويهض	
٣١-	الاردن وفلسطين - وجهة نظر عربية	د . سعيد التل	
٣٢-	الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د . فؤاد حمدي بسيسو	
٣٣-	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة	
٣٤-	الحرب من اجل السلام	عيزر وايزمن	غازي السعدي
٣٥-	الموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري	دنيس اينبرغ ، ايلي لانداو اوري دان	
٣٦-	التوازن العسكري في الشرق الاوسط	مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب	نبيه الجزائري
٣٧-	بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)	د . كامل قعبر	
٣٨-	بطاقات فنية (مجموعة) بطاقات على شكل دفتر الشيكات	د . كامل قعبر	
٣٩-	الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦		
٤٠-	في سربية الصحراء	سميح القاسم	

٤١- الخيار النووي الاسرائيلي — شاي فيلدمان — غازي السعدي
٤٢- انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة شهادات مشفوعة بالقسم — سليم ابو غوش
٤٣- نقاط فوق الحروف
مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد خالد الحسن وبريجنيف
٤٤- قراءة سياسية في مبادرة ريغان — خالد الحسن
٤٥- فلسطينيات — خالد الحسن
٤٦- الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك — خالد الحسن
٤٧- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) يعقوب الياب — غازي السعدي
جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨
٤٨- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢) — غازي السعدي
مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣
٤٩- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) د . حمدان بدر
دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل
٥٠- ملصق يوم الأرض — سليمان منصور
٥١- ملصق جمل المحامل — سليمان منصور
٥٢- ملصق قبة الصخرة - صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس
٥٣- فلسطين تاريخا ونضالا — نجيب الأحمد
٥٤- فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي طيور المحامي وليد الفاهوم
نفي ترتسا
٥٥- المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء بشير البرغوثي
اسرائيل عسكر وسلاح (١)
٥٦- اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر القانون الدولي — محمد الرفاعي
٥٧- الجذور - وثيقة الأوقاف الاسلامية — فتحي فوراني
٥٨- فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة موسى عبدالسلام هديب
٥٩- خط الدفاع في الضفة الغربية وجهة نظر إسرائيلية — أريه شليف — غازي السعدي
٦٠- تشريقة بني مازن — د . عبداللطيف عقل
٦١- القمع والتنكيل في سجن الفارعة — لجنة الحقوقيين الدوليين القانون من أجل الانسان
٦٢- صورة العربي في الأدب اليهودي (١) — الدكتورة ريزا دومب — عاطف عطاري
٦٣- الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث — غانم مزعل
١٩٤٨- ١٩٨٥

٦٤- فلسطين أرض وتاريخ د . محمد النحال
٦٥- القدس ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها فايز فهد جابر
٦٦- القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع د . جابر الراوي
الراهن
٦٧- شوكة في عيونكم مئير كهانا غازي السعدي
٦٨- حرب الاستنزاف د . محمد حمزة
٦٩- القرار - ألفان وإثنا عشر يوما في سجون الاحتلال رشاد أحمد الصغير
٧٠- المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية بشير شريف البرغوثي
المجاورة
٧١- أزمة الاستخبارات الاسرائيلية تسفي لنير قسم الدراسات
٧٢- اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)
٧٣- دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي . والعرب أريه . ل . افنيري بشير البرغوثي
في الفترة ١٨٧٨- ١٩٤٨
٧٤- ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل
والروح الجماعية
٧٥- سميح القاسم - قصائد -
شخص غير مرغوب فيه
٧٦- القضية الفلسطينية أكرم زعيتر
٧٧- فلسطين الأم وابنها البار - عبدالقادر الحسيني عيسى خليل محسن
٧٨- عرب التركمان - أبناء مرج ابن عامر علياء الخطيب
٧٩- المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي ميسون العطاونة الوحيدي
٨٠- نادية برادلي - الفدائية المغربية الشقراء غسان كمال
٨١- الاعلام الاسرائيلي غازي السعدي ومنير الهور
٨٢- تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨)
للمجلس الوطني الفلسطيني قسم الدراسات والأبحاث
٨٣- الوجه الحقيقي للموساد د . وجيه الحاج سالم
وانور خلف
٨٤- العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة بدر عقيلي
٨٥- شخصيات صهيونية (١) مذكرات الجنرال رفائيل ايتان غازي السعدي
٨٦- شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق شلومو هيلل غازي السعدي
٨٧- شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هيرتسل قسم الدراسات
عراب الحركة الصهيونية
٨٨- شخصيات صهيونية (٤) شارون غازي السعدي
بلدوزر الارهاب الصهيوني
٨٩- شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية عبدالكريم النقيب
٩٠- شخصيات صهيونية (٦) غازي السعدي
موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد

٩١-	شخصيات صهيونية (٧) بن غوريون والعرب		غازي السعدي
٩٢-	شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون		الأميرة دينا عبدالحميد
٩٣-	شخصيات صهيونية (٩) حياتي .. غولدا مائير		دار الجليل
٩٤-	شخصيات صهيونية (١٠) حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي الى عهد شامير	ليني برينر	دار الجليل
٩٥-	شخصيات صهيونية ١١/١ مذكرات اسحق رابين - القسم الأول		دار الجليل
٩٦-	شخصيات صهيونية ١١/٢ مذكرات اسحق رابين - القسم الثاني		دار الجليل
٩٧-	شخصيات صهيونية ١٢ مذكرات ناحوم غولدمان		دار الجليل
٩٨-	ششخصيات صهيونية ١٣ مذكرات اسحق شامير		دار الجليل
٩٩-	من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الأول	زياد عودة	
١٠٠-	من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الثاني	زياد عودة	
١٠١-	الحركة العمالية العربية في فلسطين	سليم الجنيدي	
١٠٢-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) سلاح الجو الاسرائيلي	زئيف شيف	دار الجليل
٢٠٣-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات الاسرائيلي	عوديد غرانوت	دار الجليل
١٠٤-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير	دار الجليل
١٠٥-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح المشاة	تنان روعي	دار الجليل
١٠٦-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) سلاح المظليين	ايلان كفير	دار الجليل
١٠٧-	دراسات في تعليم الكبار	د . عدنان أبو عمشة	
١٠٨-	وجه قبيح في المرآة	بروفيسور ادير كوهن	غازي السعدي
١٠٩-	تاريخ ما أهمله التاريخ	عبدالهادي جرار	
١١٠-	الاعلام الفلسطيني	د . حسين أبو شنب	

١١١- النزاع العربي ـ الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	موشه زاك	دار الجليل
١١٢- تحت السياط	فاضل يونس	
١١٣- الغضب	اكرم النجار	
١١٤- جلسات في رغدان	د . يوسف هيكل	
١١٥- منجل في النجمة السداسية (التجسس السوفياتي في اسرائيل)	ايسر هرئيل	بدر عقيلي
١١٦- اشكالية الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي	خالد الحسن	
١١٧- تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	د . عبدالقادر يوسف	
١١٨- صرخة في وجه العالم (اليوم الانتفاضة)	دار الجليل	
١١٩- الاستخبارات والأمن القومي	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	دار الجليل
١٢٠- الاحزاب والحكم في اسرائيل	غازي السعدي	
١٢١- ربيع الحياة	د . يوسف هيكل	
١٢٢- قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي	
١٢٣- اشتعالات حمدان ـ مجموعة قصصية	اكرم النجار	
١٢٤- الحافلة رقم ٣٠٠ و(فضيحة الشين بيت)		احمد بركات
١٢٥- آه يابلدي ـ رواية	اكرم النجار	
١٢٦- معجم المصطلحات الصهيونية	افرايم ومناحم تلمي	احمد بركات العجرمي
١٢٧- من القمع الى السلطة الثورية	قدري أبو بكر	
١٢٨- أيام الصبا صورة من الحياة وصفحات من التاريخ	د . يوسف هيكل	
١٢٩- معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين	
١٣٠- صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل		بدر عقيلي
١٣١- قمع شعب شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم		بشير شريف البرغوثي
١٣٢- جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة ـ رواية	اكرم النجار	
١٣٣- اسلحة وارهاب وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث		دار الجليل
١٣٤- حدود (أرض اسرائيل)	موشيه رافر	بدر عقيلي
١٣٥- هذه قضيتك ياولدي	سليم عبدالعال القرق	
١٣٦- حرب سيناء ١٩٥٦ ـ تصورات اسرائيلية		بدر عقيلي
١٣٧- المثلث الايراني ـ الكتاب الثاني ـ دراما العلاقات الايرانية ـ الاسرائيلية ـ الامريكية	شموئيل سيجف	دار الجليل
١٣٨- الفاشية الاسرائيلية	المحامي درويش ناصر	

١٣٩- النظرية العسكرية الاسرائيلية ـ دفاع وهجوم	اريئيل لفيتا	دار الجليل	
١٤٠- الأمن القومي العربي ونظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي	العميد محمد يوسف العملة		
١٤١- سياسة اسرائيل الأمنية	المحرر زئيف كلاين		بدر عقيلي
١٤٢- دقيقتان فوق تل ابيب	محمد أزوقة		
١٤٣- الهجرة اليهودية حقائق وارقام	د . عمران ابو صبيح		
١٤٤- انتفاضة	زئيف شيف وايهود يعاري	دار الجليل	
١٤٥- جواسيس المخابرات الاسرائيلية تاريخ .. وجغرافيا	يوسي ميلمان ودان رافيف	دار الجليل	
١٤٦- " دولة " اسرائيل ـ زائلة	يعقوب شريت	دار الجليل	
١٤٧- الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر		
١٤٨- بقايا من خبز وكتاب	اكرم النجار		
١٤٩- اسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي		
١٥٠- المثلث المحتوم الولايات المتحدة ـ اسرائيل والفلسطينيون	احمد عزالدين بركات		
١٥١- الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا	بروفيسور أليشع إيفرات	دار الجليل	
١٥٢- حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين	زياد ابو صالح ورشاد المدني		
١٥٣- انتفاضة العصافير	نجوى قعوار فرح		
١٥٤- موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١) القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة		
١٥٥- انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية	عمنوئيل فالد		احمد بركات العجرمي
١٥٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦) سلاح الدروع	حشافيا أريه	دار الجليل	
١٥٧- بولارد قصة جاسوس	برنارد ر. هندرسون	دار الجليل	
١٥٨- أبو عجاج العينبوسي الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن		
١٥٩- قناع القناع	محمد نورالدين شحادة		
١٦٠- الأسلحة الكيماوية والبيولوجية ـ وتأثيراتها البيئية ـ	د . عادل احمد جرار		
١٦١- دولة مجدو	عبدالله عواد		
١٦٢- الشّبْح	عبدالله عواد		
١٦٣- طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين ـ وثيقة اسرائيلية ـ	بني موريس	دار الجليل	
١٦٤- الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل	ابراهيم عبدالكريم		
١٦٥- دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)	د . عمران أبو صبيح		

١٦٦- حرب في الخليج (ابعاد على اسرائيل)	تقرير طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه	بدر عقيلي
١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم الجيلاني	د. حسن صالح عثمان	
١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في اسرائيل	يوسف أرجمان	دار الجليل
١٦٩- الادب العربي في جزر البليار	د. عبدالرزاق حسين	دار الجليل
١٧٠- الشرق الاوسط الجديد	شمعون بيرس	
١٧١- الاعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود	غازي السعدي	
١٧٢- اسلحة الدمار الشامل	وليام بوروس وروبرت ويندرم	دار الجليل
١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية بمعلم وبدون معلم	بدر عقيلي	
١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي	امين ابو عيسى	دار الجليل
١٧٥- مكان تحت الشمس	بنيامين نتنياهو	محمد عودة الدويري
١٧٦- احاديث في العلم والقيم	يشعياهو ليفوفيتش	سلمان الناطور
١٧٧- فلسطين بلا هوية	صلاح خلف	دار الجليل
١٧٨- الحوار الفلسطيني - الامريكي	د. محمد ربيع	دار الجليل
١٧٩- دوائر القمر	عبد الرزاق حسين	دار الجليل
١٨٠- قرية جزو	يوسف النجار	دار الجليل
١٨١- الانقلاب السياسي في اسرائيل الاسرار والخفايا	اورلي ازولاي	بدر عقيلي
١٨٢ - مشكلة الاراضي في النزاع القومي بين اليهود والعرب منذ وعد بلفور	جاك كنو	محمد عودة الدويري
١٨٣ - الموساد في العراق انهيار الامال الاسرائيلية والكردية	شلومو نكديمون	بدر عقيلي
١٨٤ - دولة فلسطين الوضع القانوني	سالم أحمد قواطين	
١٨٥ - اسحق رابين اغتيال سياسي	د. أمنون كابليون	بدر عقيلي
١٨٦ - نايف حواتمة يتحدث	عماد نداف	
١٨٧ - سومخي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات	عاموس عوز	دار الجليل

١٨٨ ـ البســــتان	بنيامين تموز	دار الجليل
١٨٩ ـ سـورية واسرائيل من الحرب الى صناعة السلام	البروفـيسور موشيه ماعوز	لينا وهيب
١٩٠ ـ اتفاقيات أوسلو الاتفـاقيات الاسرائيلية الفلسطينية حـول الضفة الغربية وقطاع غزة		دار الجليل
١٩١ ـ الحرب الاقتصارية (١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية بين اليهود والعرب	يوفال اليتسور	محمد الدويري بدر عقيــلي
١٩٢ ـ انثـولوجيا الوجه الآخر قصص عبرية مختارة		دار الجليل
١٩٣ ـ المســـــيرة ..... خـفايا أوسلو.... من الألف الى الياء	أوري سبير	بدر عقيــلي

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ هاتف ٤٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦



المسيرة

حكاية أوسلو من الألف إلى الياء

هذا الكتاب

يستعرض تفاصيل التفاصيل في المفاوضات التي قادت الى اتفاق أوسلو، ويقلم عرّابها الاسرائيلي أوري سبير الذي لم يترك شاردة ولا واردة دون أن يشير اليها، فخراً أحياناً، وخبثاً في أحايين كثيرة.

ويضع نقاطاً اسرائيلية سوداء على كلمات فلسطينية كانت، حتى أوسلو، تشع بالتصميم والعزم والارادة، وإذ كانت مدريد انطلاقة ما بعد الجزر السياسي الذي أعقب حرب الخليج الثانية، فانَّ أوسلو شكلت حالة من الاستنفاذ الإسرائيلي، ربما، جسَّدت أسلوب الخروج من المأزق فلسطينياً واسرائيلياً على حد سواء.

ويرسم صورة تتصارع فيها الألوان على النقيضين: عقلية «أرض اسرائيل» من جهة، والرغبة الفلسطينية العارمة في العودة الى «الوطن»، مروراً بجسر واهٍ، على أمل أن يكون أكثر متانة في المستقبل، انطلاقاً من مقولة «اذا لم يكن ما تريد فأردْ ما يكون».

وعلى مدى ألف ومائة يوم، غلّفتها السرية المطلقة، كانت «أوسلو» مسرحاً للضغوط والغضب والحرد و«التنازلات» التي بلغت أحياناً حد «كسر العظم»، بيد أن مصالح الطرفين، رغم تناقضها غذّت الخطى نحو الاتفاق، الذي صيغ بأسلوب يحتمل «تفسير التفسير»، وكان اسرائيلياً أكثر منه فلسطينياً.

يضع كتاب «المسيرة» القارىء أمام حقائق مذهلة، وربما ظل المزيد طي الكتمان، صحيح أن «الراوي» هو عرّاب اسرائيل في «أوسلو» الذي احتفل مؤخراً بصدور كتابه بمشاركة بيرس وقريع، لكنه يظل اسرائيلياً، ربما يحرف الكلم عن مواضعه، وهو ما يحتاج ايضاحات فلسطينية.

يظل أن نقول، أن كتاب المسيرة، يحتل المكانة الثامنة عشرة بين الكتب الأكثر انتشاراً في الولايات المتحدة الأميركية باعتباره أفضل ما كُتب عن أوسلو، وسيتم تصويره في فيلم سينمائي، ينتظر أن يُعرض منتصف عام ١٩٩٩.

المؤلف، أوري سبير (حزب العمل)، كبير المفاوضين الاسرائيليين في أوسلو، من مواليد ١٩٥٥، تخرج في الجامعة العبرية (علاقات دولية) تدرج في المناصب الدبلوماسية، وعُيّن مديراً عاماً للخارجية، حتى أخلى مركزه لنائبه وخصمه ايتان بنتسبور، إثر صعود الليكود برئاسة نتنياهو الى الحكم، ويشغل حالياً منصب مدير مركز بيرس للسلام.



عمّان - ص .ب ٨٩٧٢ ، تلفون ٥١٥٧٦٢٧

تلكس ٢٣٠٣١ - فاكسيميلي ٥١٥٣٦٦٨